دار الكتب المصرية
القسم الأدبى



نهاية الأرب في فنون الأدب

تأليف
شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

السفر السادس عشر

القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م



الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان

رتب شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى كتابه « نهاية الأرب » على خمسة فنون : الفن الأول فى السماء والآثار العلوية، والأرض والمعالم السفلية . والثانى فى الإنسان وما يتعلق به . والثالث فى الحيوان . والرابع فى النبات . والخامس فى التاريخ .

وقد أنجز القسم الأدبى بالدار فيما مضى طبع خمسة عشر جزءا؛ تشتمل على الفنون الأربعة الأولى، وقسم من فن التاريخ؛ يبدأ بخلق آدم؛ ثم تاريخ الرسل من بعده، وأخبار الأمم والملوك فى مختلف الأصقاع، إلى وقت ظهور الإسلام .

واليوم تقدم الدار إلى قراء العربية ثلاثة أجزاء، من السادس عشر إلى الثامن عشر؛ وقد حرصت على أن تخرج هذه الأجزاء الثلاثة معا ، لأنها تنتظم موضوعا واحدا من فن التاريخ، هو تاريخ السيرة النبوية العطرة .

وقد بسط المؤلف القول فى سيرته صلوات الله عليه؛ مبتدئا بذكر نسبه ونسب آبائه ، ثم تاريخه من يوم مولده إلى وفاته ؛ متناولا جميع الأحداث التى لابست حياته ، والمشاهد التى اقترنت بجهاده ، وأخباره مع الوفود ، وكتبه إلى الملوك ؛ مع ذكر شمائله ومعجزاته؛ جامعا مستوعبا، فى تفصيل محكم، وتبويب متناسق . معتمدا فى ذلك على النقل من كتب السير والمغازى ، وتواريخ الصحابة ؛

وأمهات كتب التفسير، وكتب السنة الصحاح. ومما نقل عنه كتبٌ لم يسبق نشرها، وأخرى مما لم نعثر عليه من التراث القديم فى هذا الباب .

وبهذا الجمع والتأليف جاءت هذه الأجزاء أوفى مرجع لسيرة الرسول عليه السلام .

* * *

وقد اعتمد القسم الأدبى فى تحقيق هذه الأجزاء على نسختين :

النسخة الأولى مصورة عن نسخة مخطوطة بمكتبة «كبريلى» بالآستانة ؛ وتتألف من واحد وثلاثين جزءا ؛ وهى بالدار برقم (٥٤٩) معارف عامة .

وأصلها مكتوب بقلم معتاد واضح، وعناوين الفصول والأبواب بخط الثلث؛ وهى مكتوبة بخطوط مختلفة ، وأكثر أجزائها بخط «نور الدين بن شرف الدين العاملى» ، كتبها ما بين سنتى ٩٦٦، ٩٦٧ هـ . وفى كل صفحة خمسة وثلاثون سطرا، ومتوسط الكلمات فى السطر خمس عشرة كلمة ، وقد رمز لهذه النسخة بحرف (ا) .

أما الثانية ؛ فهى نسخة مصوّرة عن نسخة مخطوطة بمكتبة «أياصوفيا» بالآستانة ؛ وهى كسابقتها تتألف من واحد وثلاثين جزءا ، والموجود منها بالدار ثمانية عشر جزءا غير متصلة؛ محفوظة برقم (٥٥١) معارف عامة، وبآخر كل جزء منها عبارة تشير إلى أنها بخط المؤلف ؛ كتبت ما بين سنتى ٧٢١، ٧٣٠ هـ تقريبا . وعناوين الفصول والأبواب فيها بالخط الثلث، وتحتوى كل صفحة على سبعة عشر سطرا، ومتوسط كلمات كل سطر ثمانى كلمات . وقد رمز إليها بالحرف (ج) .

وبأول كل جزء منها وقفية للكتاب على المكتبة المحمودية التى أنشأها محمود الأستادار بخُط[1] الموازنيين بالقاهرة؛ وتاريخ هذه الوقفية سنة ٧٩٧ هـ .

---

(١) هذا الخط هو المعروف الآن بشارع قصبة رضوان فى الخيامية بالقرب من باب زويلة . وكانت هذه المكتبة من أكبر المكتبات فى الشرق فى ذاك العصر وكان من أمنائها الحافظ ابن حجر العسقلانى، والحافظ جلال الدين السيوطى .

أما النسخة التى رمز إليها فى الجزء الثامن بالحرف (ب) فهى قطعة مصوّرة عن مكتبة مشيخة علماء الإسكندرية، وتنتهى فى ص ٦٩ من ذاك الجزء .

* * *

وقد رجعنا فى تحقيق الجزء السادس عشر إلى نسخة (ا) فقط ؛ أما السابع عشر والثامن عشر فقد رجعنا فى تحقيقهما إلى (ا) و (ج) .

وقد وقع فى النسختين كثير من الغموض والتحريف ، فبذلنا غاية الجهد فى بيان الغامض ، وإيضاح المبهم، وحل المشكل، ورجعنا فى ذلك إلى ما أمكن الرجوع إليه من مصادر المؤلف ؛ ثم إلى أمهات كتب التاريخ والتفسير والحديث واللغة .

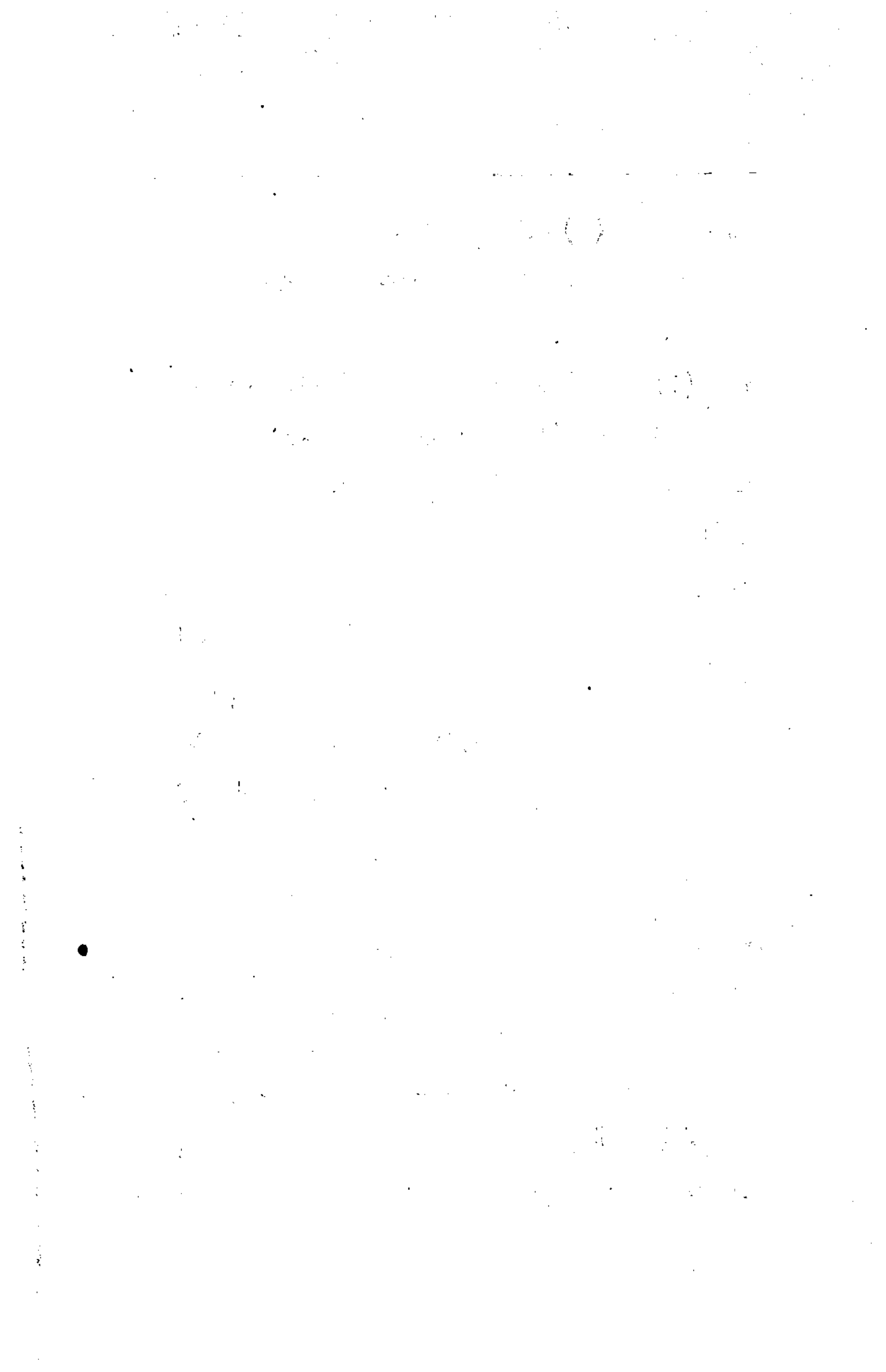
وقام الأستاذ محمد بن تاويت الطنجى الأستاذ الآن بجامعة أنقرة بتركيا، بتحقيق ثلاث عشرة ملزمة من الجزء السادس عشر؛ وتولى مصححو القسم الأدبى تصحيح بقية هذا الجزء ، مع الجزأين : السابع عشر والثامن عشر .



وقد جدّت الدار أخيرا فى آستحضار بقية الأجزاء الباقية من النسخة المنسوبة لخط المؤلف من المكتبات المختلفة، وآستكمال نسخ هذا الكتاب وأجزائه من المكتبات الأخرى ، ليتم تحقيق بقية هذه الأجزاء على المنهج العلمى القويم ؛ ونأمل أن يتم هذا قريبا إن شاء الله .

ومن الله العون والحول، والهداية والتوفيق .

١٦ رجب سنة ١٣٧٤	محمد أبو الفضل إبراهيم
١٨ مارس سنة ١٩٥٥	مدير القسم الأدبى بدار الكتب المصرية





فهرس

السِّفر السادس عشر

من

كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى

القسم الخامس من الفن الخامس فى أخبار الملة الإسلامية

صفحة

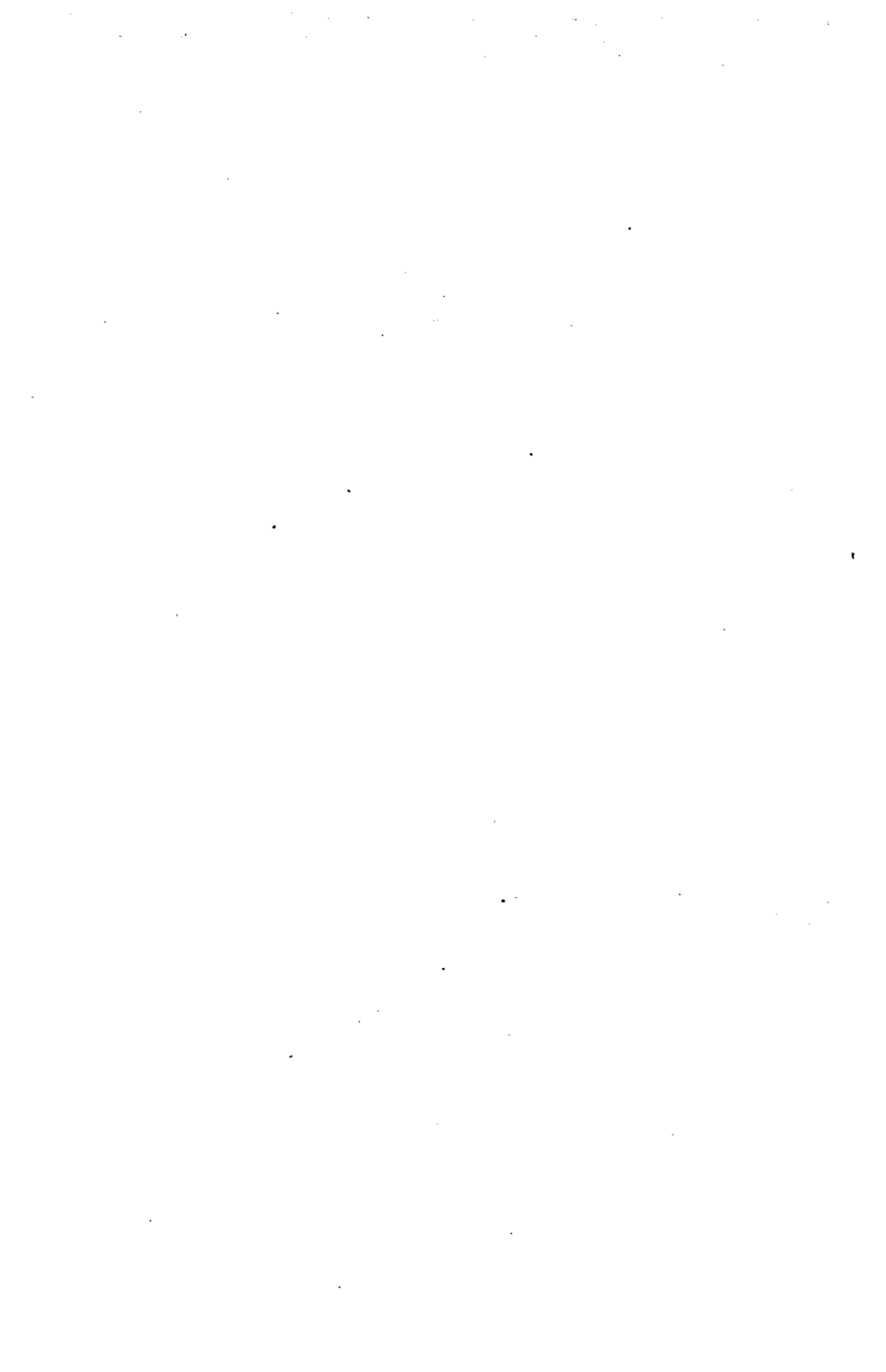
صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

ذكر الحوادث بعد الهجرة ، من السنة الأولى إلى العاشرة



1/14

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما

القسم الخامس من الفن الخامس

فى أخبار الملّة الإسلاميّة

لمّا آنتهى الغَرَض فى التاريخ إلى الغاية التى ذكرتُها، والقَصَص فى الأخبار التى أوردتُها، والدول والوقائع التى آنتخبتُها، مما طالعتُه وحررتُها؛ عَمَدتُ إلى ذكر الملّة الإسلامية التى فضّلها الله تعالى على سائر المِلَل، ورفع أهلَها بالعمَل الصالح ووفّقهم لصالح العمَل، ووَعدهم برحمته؛ فهم من وَعْده فى أَمْن، وحذّرهم عقابه؛ فهم من وعيده على وَجَل، وبعث فيهم رسولا من أنفُسِهم وأنفَسِهم فبلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونَصَح الأمة وعَدَل، وجعله شافعاً لذنوبهم فى يوم أحجم فيه مَن سواه عن الشفاعة وبنفسه آشتغل، وجعلهم به خير أمّة أخرِجت للناس يأمرون بالمعروف ويَنْهَوْن عن المنكر، ويؤمنون بالله؛ إذ جَحَد غيرهم ونكَل؛ فهم الشهداء على الناس لأنبيائهم، وناهيك بها رُتبةً تقدّم بها أواخرُ القوم على الأُوَل. وقلتُ: بالله التوفيق، ومنه الإعانة وعليه المتكَل.

الباب الأوّل

من القسم الخامس من الفن الخامس

فى سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهى السيرة التى ظهرتْ آياتُها ، وآشتهرتْ مُعجزاتُها ، وأشرقتْ أنوارُها ، وآنتشرتْ أخبارُها ، وعَمّت فضائلُها ، وطابتْ بُكَرُها وأَصائلُها ، وحسُنتْ أوصافُها ، وكثُر إنصافُها ، وجاءت فى ظُلْمة الضّلالة تتّقد ، وما أنكَر العدوّ فضائلَها بل شَهِد :

وفضائلٍ شهِد العدوّ بفضلها * والفضلُ ما شَهِدت به الأعداءُ

تالله لقد عجز الواصفون عن وصفها ، وآعترف المادحون بالتقصير عن بلوغ اليسير من مَدَى مدحها :

وإذا أَرَدْتُ لك الثناءَ فمَا الّذى * — واللهُ قد أَثْنَى عليكَ — أقولُ

وانبدأ بذكر نَسَبه الطاهر صلى الله عليه وسلم ، وإن كنا قدّمناه مُستوفًى فى باب الأنساب[1]، فلا غُنْية عن سَرْده ههنا .

هو أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله ، بن عبد المطّلِب — وآسم عبد المطّلِب : شَيْبة الحمد — بن هاشم — وآسم هاشم عمرو — بن عبد مَنَاف —[وآسمه][2] المُغيرة — بن قُصَىّ — وآسمه زَيْد — بن كِلاب ، بن مُرّة ، بن كَعب ، ابن لُؤَىّ ، بن غالب ، بن فِهْر . وإلى فِهْر جُمّاع قُرَيش ، ومَن كان فوقَ فِهْر فليس

(١) ٢ : ٢٧٦ وما بعدها .

(٢) تكملة عن المؤلف نفسه فيا يأتى له بعد .

هو بقرشي؛ وفهر هو ابن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة — واسم مدركة عامر[1] — بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معدّ، بن عدنان.

روى عن ابن عباس، رضى الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا انتسب لم يجاوز فى نسبه معدّ بن عدنان بن أدد، ثم يمسك ويقول: "كذب النسابون"[2]. قال الله عز وجل: ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾[3]. قال ابن عباس: لو شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه لعلمه.

وعن هشام بن محمد[4] قال: سمعت من يقول: "كان معدّ على عهد عيسى بن مريم عليه السلام".

٢/١٤ وقد تقدّم فى باب الأنساب، وهو الباب الرابع من القسم الأول من الفن الثانى من كتابنا هذا، فى السفر الثانى[5] من هذه النسخة، ما اختاره الشريف أبو البركات[6] محمد بن أسعد بن على بن معمر الحسينى الجوانى[7] النسابة

(١) سيذكر المؤلف فى ص ١٠٢ عن ابن السائب: أن مدركة يسمى «عمرا» أيضا، وفى نسب قريش (الورقة ٣ ب): «فولد الياس بن مضر مدركة، واسمه عامر، وطابخة، واسمه عمرو، وقمعة، واسمه عمير».

(٢) رواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢ : ١٦٩. ويقول السهيلى فى الروض الأنف ١ : ٨: «والأصح فى هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود». وانظر الجامع الصغير ٣ : ١٩٠.

(٣) الفرقان ٣٨.

(٤) هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى النسابة الكوفى المتوفى سنة ٢٠٤، على خلاف. انظر وفيات الأعيان ٢ : ٢٥٨.

(٥) ٢ : ٣٧٦

(٦) كناه المؤلف هنا وفى باب الأنساب — فيما سلف له — أبا البركات؛ وهى كنية أبيه أسعد.

(٧) هو أبو على محمد بن أبى البركات أسعد بن على الحسينى الجوانى (٥٢٥ — ٥٨٨) ينتسب إلى «الجوانية» بفتح الجيم وتشديد الواو؛ وهى قرية قرب المدينة. انظر تاج العروس (جون)، معجم البلدان (٣ : ١٥٦).

فى «مقدّمته» بعد معدّ : بنَ عدنان، بنَ أُدّ[١]، بن أُدَد[٢]، بن اليَسَع، بن الهَمَيْسَع، بن صَلامانَ، بن نَبْت، ابن حَمَل، بن قَيْذارَ، بن إسماعيل الذبيح، بن إبراهيم الخليل، صلى الله عليهم وسلم، ابن تارَح، وهو آزَر، بن ناحُور[٣]، بن سارُوغ، بن أَرْغُو، ابن فالَغ، بن عابَر، وهو هود النبىّ عليه السلام — وهو جُمّاع قَيْس و يَمَن ونِزار وخِنْدِف — بن شالَخ، بن أَرْفَخْشَذَ، بن سام، بن نوح [النبىّ][٤] عليه السلام، بن لَمَك، بن مَتُّوشَلَخ، بن أَخنُوخَ، وهو إدريس النبىّ عليه السلام، بن يارِد، ابن مَهْلائيل بن قَيْنانَ، بن أَنُوش[٥]، بن هبة الله شِيث، بن أبى البَشَر آدم عليه السلام.

هذا ما أورده الشريف الجَوّانى قال : وعليه أكثر أئمة الأنساب .

وسنزيد إن شاء الله تعالى، فى أخبار آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم، زيادةً حسنة يحتاج إلى إيرادها من عدنان فمَن بعدَه، تقف عليها[٦] قريبا، إن شاء الله تعالى، بعدَ ذِكرِنا لأمهاته صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سماها مرتضى الزبيدى « المقدمة الفاضلية » لأن الجوانىّ ألفها باسم القاضى الفاضل، وجعلها مقدمة لكتابه الجوهر المكنون، فى القبائل والبطون . وقد جاء النص الذى نقله النويرى عنها فى (الورقة ٩ ب، ١٤ أ) من مخطوطة دار الكتب رقم ١٩ م تاريخ .

(٢) علماء النسب فى « أد » و « أدد » فريقان : الأول أنهما شخصان ابن ووالد، وهو الذى حكاه المؤلف هنا عن الجوانىّ (الورقة ١٤ أ) وقالت به طائفة؛ والفريق الثانى أن مسماهما شخص واحد، يقال فيه « أد» مرة، و « أدد » مرة أخرى .

(٣) ورد هذا العلم فى مقدمة الجوانى بالشين المعجمة (الورقة ٩ ب، ٣٥ ب) وبالعين المهملة فى (الورقة ١٤ أ) .

(٤) إضافة عن مقدمة الجوانى (ورقة ١٤ أ) .

(٥) تختلف كتب النسب فى رواية هذه الأعلام اختلافا كبيرا . وقد اعتمدت فيها رواية الجوانى كما وردت فى نسخة (١٩ م تاريخ) لأن العلماء بالنسب تداولوها وصححوها .

(٦) فى الأصل : « تقف عليه » .

ذكر أمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو عبد الله محمد بن سعد رحمه الله تعالى فى طبقاته[1] الكبرى : " أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبىّ عن أبيه قال :

أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آمنة بنت وَهْب ، بن عبد مَناف ، ابن زُهْرة ، بن كِلاب بن مُرّة . وأمّها بَرّة ، بنت عبد العُزّى ، بن عثمان ، بن عبد الدّار ، بن قُصَىّ ، بن كِلاب . وأمّها أمّ حَبيب ، بنت أَسَد ، بن عبد العُزّى ، ابن قُصَىّ بن كلاب . وأمّها بَرّة بنت عَوْف ، بن عَبِيد ، بن عَوِيج ، بن عدِىّ ، ابن كعب ، بن لُؤَىّ . وأمّها قِلابة بنت الحارث ، بن مالك ، بن حُباشة ، بن غَنْم ، بن لِحيان ، بن عادية ، بن صَعْصَعة ، بن كعْب ، بن هِند ، بن طابخة ، بن لِحيان ، بن هُذَيل ، بن مُدْرِكة ، بن الياس ، بن مُضَر . وأمّها أمَيمة بنت مالك ، ابن غَنْم بن لِحيان ، بن عادِية ، بن صَعْصَعة . وأمّها دُبّ[2] بنتُ ثعلبَة ، بن الحارث ، ابن تميم ، بن سعد ، بن هُذَيل ، بن مُدْرِكة . وأمّها عاتكة بنت غاضرة ، بن حُطَيط ، بن جُشَم ، بن ثَقِيف ، بن مُنبّه[3] ، بن بكر ، بن هَوازِن ، بن منصور ، بن عِكْرِمة ، بن خَصَفَة ، بن قيس ، بن عَيْلان — واسمه النّاس — بن مُضَر . وأمّها لَيلَى بنت عَوْف ، بن ثَقِيف[4] . وأمّ وَهب بن عبد مَناف بن زُهْرة بن كِلاب قَيْلة . ويقال : هند بنت أبى قَيْلة " .

وقال ابن الكلبىّ : " كتبت للنبىّ صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم ، فما وجدتُ فيهنّ سِفاحا ، ولا شيئا ممّا كان من أمر الجاهلية " .

---

(١) ١ : ٣٠ — ٣١ (قسم أول) .

(٢) فى نسب قريش (الورقة ٨ أ) ، والروض الأنف ١ : ٧٨ : « وأم أميمة دبة » .

(٣) فى طبقات ابن سعد ١ : ٣٠ (قسم أول) : « ثقيف ، وهو قسى بن منبه » .

(٤) فى طبقات ابن سعد ١ : ٣٠ (قسم أول) : « عوف بن قسى ، وهو ثقيف » .

وعن محمد بن علىّ بن الحسين[1] أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "إنما خرجتُ من نِكاح ولم أخرج من سِفاح من لَدُنْ آدم، لم يُصبنِى من سِفاح أهل الجاهلية شىء ؛ لم أخرُج إلّا من طُهرة[2]" . والله الفعّال .

ذكر نُبذة من أخبار آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمَنْ بعده إلى أبيه عبد الله بن عبد المطّلب

قد تقدّم ذكر آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى باب الأنساب ، وذكرنا كلّ أب من آبائه وأولاده ومَن أعقب منهم ، وجعلنا العُمْدة على سَرْد عمود النسب الشريف على ما تقف عليه هناك فى السفر الثانى من كتابنا هذا[3] من هذه النسخة ، وسردنا النسب أيضا آنفا . وقد رأينا أن نذكر فى هذا الموضع نُبذةً أخرى زيادة على ذلك نذكر فيها الأسماءَ، والكُنَى ، والأمّهات ، وبعض الوقائع والأخبار، مما لم يتقدّم ذكره ، فنقول وبالله التوفيق :

أمّا عَدْنان فإليه انقطع علمُ أهل الأنساب حقيقة ؛ لِمَا رُوِىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا انتهى فى النَّسب إلى مَعَدّ بن عَدْنان أمسك ، ثم قال : "كَذَبَ النسّابون" . قال الله جلّ ثناؤه : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ . وقد رُوِى أنه قال : "عدنان بن أُدَد" . والله أعلم .

---

(١) هو أبو جعفر الباقر محمد بن علىّ بن الحسين بن على بن أبى طالب . مدنى تابعى ، فى مولده ووفاته خلاف . انظر تهذيب التهذيب ٩ : ٣٥٠ .

(٢) هذه رواية ابن سعد ١ : ٣٠ ، وهى تنفرد « بزيادة إنما » فى أول الحديث ، وزيادة « لم أخرج إلا من طهرة » فى آخره . وقد رواه الطبرانى فى معجمه الأوسط ، وابن عساكر ، وابن عدى فى الكامل ، وابن كثير فى البداية والنهاية ٢ : ٢٥٦ باختلاف فى الرواية ، وقال عقبه : « هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يصح» .

(٣) ٢ : ٣٥٨ — ٣٧٧ .

وأما مَعَدّ بن عدنان، فكنيتُه[1] أبو قُضاعة، كُنّى بولده قُضاعة وهو بكره.

ومَعَدّ (بتحريك العين وتشديد الدال)، وفى طَىّء مَعْد (بتسكين العين) بنُ مالك ابن قَميئة[2]، وفى خَثْعم أيضا مَعْد (بتسكين العين) بن الحارث، بن تَيْم، بن كَعب، بن مالك، بن قُحافة. وأمّ معدّ بن عدنان: مَهْدَد، بنت اللَّهم بن جَلْحَب الجُرْهُمِيّة[3]، وقيل فيها مهاد بنت لَهم. وقيل اللَّهم بنت جَلْحَب، وفى رواية خُلَيد[4]، بن طَسْم[4]، بن يَلْمع، ابن عابر، بن اسليخيا، بن لاوذ[5]، بن سام، بن نوح. حكاه الزُّبير بن بكّار.

٣/١٤

وذكر عبدُ الملك بن حَبيب أنّ ولد مَعدّ بن عَدنان سبعةَ عشرَ رجلا، دَرَج منهم بلا عَقِب تسعة، وأعقَب ثمانية.

وقال أبو الربيع بن سالم[6]: ذكر الزُّبَير بن أبى بكر[7]، أن بُخْتَنَصّر لمّا أُمِر بغزو بلاد العرب[8]، وإدخال الجنود عليهم وقتلهم لقتلهم[9] أنبياءَ الله تعالى، وردّهم رسالاتِهم،

(١) فى الأصل: «وكنيته»، والمكان للفاء.

(٢) فى الأصل: «قئة»، وانظر شرح الحماسة للتبريزى ٣: ١٤٣، تاج العروس (قأ).

(٣) فى «مقدمة» الجوانى (الورقة ٤٨ ب): «بنت اللهم الجديسية»، ومر للمؤلف (٢: ٣٤١) أنها: «بنت اللهم الجرهمية». وانظر تاريخ الطبرى ٢: ١٩١، وابن الأثير ٢: ١٢.

(٤) فى نسب قريش لمصعب الزبيرى (الورقة ٢ ب): «فولد عدنان بن أدد معدا، والحارث وهو عك، وأمهما مهاد بنت لهم بن جليد بن طسم»، وفى طبقات ابن سعد ١: ٣٦ (قسم أول): «مهدد بنت اللهم ابن جلحب بن جديس بن جاثر بن إرم».

(٥) فى الأصل: «لود». وانظر تاج العروس «لوذ».

(٦) سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى الأندلسى (٥٦٥ — ٦٣٤). من مؤلفاته كتاب الاكتفا، بما تضمنه من مغازى المصطفى، وعنه نقل المؤلف، وقد ورد هذا النقل فى (الورقة ٢ أ) من مخطوطة دار الكتب المصرية.

(٧) هو الزبير بن بكار بن عبد الله: أبو عبد الله بن أبى بكر النسابة القاضى المدنى (١٧٢ — ٢٥٦). انظر تهذيب التهذيب ٣: ٣١٢.

(٨) فى الأصل: «بلاد المغرب»، والمثبت رواية الاكتفا، والخبر عن البشر ٣: ١٧ (قسم أول).

(٩) فى الأصل: «وقتلهم، لقتال»، والمثبت عن الاكتفا. وفى الخبر عن البشر ٣: ١٧ (قسم أول): «وقتل مقاتلتهم».

أمر أرميا بن حِلقيا — وكان فيما ذكر نبيّ بنى إسرائيلَ فى ذلك الزمان — أن آئت مَعَدّ بن عدنان الذى من ولده خاتم النبيين، وآحمله معك إلى الشام، وتولَّ أمره .

وقال السُّهيلىّ : «أوحى الله تعالى إلى إرْميا أن آحمل مَعَد بن عدنان على البُراق إلى أرض العراق[1]، فإنى مُستخرجٌ من صُلبه نبيًّا آسمه محمد ؛ فحمل معه مَعَدّ وهو آبن آثنتى عشرة سنة، وكان مع بنى إسرائيل إلى أن كبر وتزوّج آمرأة آسمها مُعَانة» .

قال أبو الرَّبيع بن سالم : «ويقال المحمول عدنان، والأوّل أكثر . قال : وفى حديث آبن عبّاس رضى الله عنهما : إن الله تعالى بعث مَلَكين فاحتملا معدّا، فلما رفع الله تعالى بأسه عن العرب، ردّاه إلى موضعه من تِهامَة، فكان بمكة ونواحيها مع أخواله من جُرْهُم» .

وقال الزُّبير : «حدّثنى علىّ بن المغيرة قال : لمّا بلغ بنو مَعَدّ عشرين رجلا، أغاروا على عسكر موسى عليه السلام، فدعا عليهم ثلاثَ مرّات فقال : يا ربّ، دعوتُك على قوم فلم تُجبنى فيهم بشىء . قال : يا موسى، دعوتَ على قوم فيهم خِيرتى[2] فى آخر الزمان» .

وفى هذه الرواية ما فيها من المنافاة لما تقدّم من أنه كان مع إرْميا، ومن قال إنه كان على عهد عيسى عليه السلام[3] . والله أعلم بالصواب وإليه المرجع .

وأمّا نِزَار[4] بن مَعَدّ، فكنيته أبو إياد، وقيل أبو ربيعة . ونِزار (بكسر النون) . قال النسهيلىّ[5] : «من النَّزْر وهو القليل . وكان أبوه حين وُلِد له، ونظر إلى النور بين

(١) سقط من السهيلى ١ : ٩ : «إلى أرض العراق» وقد تصرف المؤلف فى النص .

(٢) فى الخبر عن البشر ٣ : ١٧ (قسم أوّل) : «هم خيرتى» .

(٣) تقدم ذلك فى ص ٣ .

(٤) فى الأصل : «وكنيته» .

(٥) الروض الأنف ١ : ٨ .

عينيه، وهو نور النُّبُوّة الذى كان ينتقل فى الأَصْلاب إلى محمد صلى الله عليه وسلم فَرِحَ به فَرَحا شديدا ، ونحَر وأَطعَم وقال : إنّ هـذا كلّه نَزْر لحَق هذا المولود، فسمّى نزارا لذلك» . وأمّ نزار: مُعَانة بنت جَوْشَم[1] بن جُلْهُمة ، بن عمرو[2]، بن هُلَيْنِي[3] بن دوة، بن جُرهُم . قال السهيلى : «ويقال آسمها ناعمة» .

وأما مُضَر بن نِزار فأمه [و][4] أم إياد: سَوْدة بنت عَكّ، بن الذِّيب[5]، بن عدْنان.

وقال محمد بن الحسين فى كتاب «التحفة»[6] : إنّ أم مُضَر اسمها سَوْدة بنت عكّ ، قال : وقيل حُبّيـة بنت عكّ . وقاله الزبير بن بكّار. وروى أن أم مضر خاصـةً سَوْدة بنت عكّ، وربيعةُ وأنمارُ وإيادُ أمهم شقيقة بنت عكّ؛ وإلى مضر تنتسب مضر الحمراء لسكناها قِباب الأَدَم، ومضر السّوداء سُمّيت بذلك لسكناها المظالّ.

وقال الزبير عن غير واحد من أهل العلم بالنّسَب : إنهم قالوا : لمـا حَضَرت نزارًا الوفاة، آثر إيادًا بولاية الكعبة ، وأعطى مُضَر[7] ناقة حمراء فسُمّى مضَر الحمراءِ،

---

(١) هكذا ورد هذا العلم فى تاريخ ابن الأثير. وفى البداية والنهاية ٢ : ١٩٤ ، والروض الأنف ١ : ٩ : « جوشن » . وفى الخـبر عن البشر ٣ : ١٧ قسم أوّل : « عنة ابنة جوشن » . وفى المقدمة الفاضلية (الورقة ١٤ ب) « معانة بنت جرهم الجرهمية » . (٢) فى الأغانى ٧ : ٧٧ ، نسب قريش (الورقة ٢ ب) والخبر عن البشر ٣ : ٧ (قسم أوّل) : « بن عامر بن عوف بن عدى بن دب » .

(٣) رواية الأصل وابن سعد فى الطبقات ١ : ٣٠ (قسم أوّل) ، والخبر عن البشر ٣ : ١٧ (قسم أوّل) : « ... بن جلهمة بن دوة بن هلية بن جرهم » ، والتصويب عن نسب معد لابن الكلبي ١ : ٢ وانظر تاج العروس ٩ : ٣٦٧ . وفى السهيلى ١ : ٩ ، ونسب قريش ، والبداية والنهاية : « دب بن جرهم » .

(٤) فى الأصل : « وأمه » . (٥) الذيب ، بالذال المعجمة وبعدها ياء والباء الموحدة رواية الزبير بن بكار والجـوانى ، ويقال فيه : « الديث » بالدال المهملة والثاء المثلثة . وانظـر تاج العروس (عك) ، والإكمال لابن ماكولا ١ : ٢٨٧ ب ، والروض الأنف ١ : ١٣ .

(٦) حكاه أيضا الكلاعى فى الإكتفاء (الورقة ٤ أ) . (٧) هـذه رواية الجواقى فى مقدمته (الورقة ٤٢ أ) ، وجاء فى (الورقة ٤٢ ب) منها أيضا : « وأعطى مضر قبة حمراء » .

وأعطى ربيعة فرسه، فسُمّوا ربيعة الفَرَس، وأعطى أنماراً جارية له تسمّى بجيلة فحضنت بنيه،[1] فسُمّى بَجِيلة أنمار.

وقد تقدم ذكر خبر أولاد نزار فى الأمثال عند قولهم: «إن العصا من العُصية»،[2] و«إن خُشَينا من أخشن»[3]، وقصتهم مع الأفعى الجُرهُمى[4]، وهو فى الباب الأول من القسم الثانى من الفن الثانى فى السفر الثالث من هذه النسخة من كتابنا هذا[5].

قال ابن الأثير الجزرى[6]: «ومُضَر أول من حدا، وكان سببُ ذلك أنه سقط عن بعيره، فانكسرت يدُه فجعل يقول: يا يدّاه! يا يدّاه! فأتته الإبل من المرعى، فلما صلح وركب حَدا، وكان من أحسن الناس صوتا. وقيل بل انكسرت يد مولًى له فصاح، فاجتمعت الإبل، فوضع مُضَر الحُداء وزاد الناس فيه».

قال السُّهيلى: وفى الحديث: "لا تَسبُّوا ربيعة ولا مُضَر فإنهما كانا مؤمنين"[7] وروى عبد الملك بن حَبيب بسنده إلى سعيد بن المسَيّب أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: "لا تَسبُّوا مضَر فإنه كان مسلما على ملة إبراهيم"[8]. وعن عبد الملك بن حَبيب والزبير وجماعة: أن رَبيعة ومُضَر الصَّريحُ من ولد إسماعيل ابن إبراهيم، عليهما السلام. قال: وحدّثنى أبو مُعاوية، عن ابن جُرَيج، عن عَطاء،

(١) فى الأصل: «بنته» تصحيف، والتصحيح عن مقدمة الجوانى (الورقة ٢٢ ب).
(٢) مجمع الأمثال ١: ١٣.   (٣) مجمع الأمثال ١: ١١، ومعجم البلدان ٣: ٤٤٣.
(٤) هو الأفعى بن حصين بن غنم، أحد حكام العرب. انظر المحبر لابن حبيب ص ١٣٢ ومجمع الأمثال ١: ١٠.   (٥) ٣: ٧.   (٦) فى الكامل ٢: ١١.   (٧) الروض ١: ٨، وفى الاكتفاء (الورقة ٢ ب): «كانا مسلمين». والحديث رواه الديلمى فى مسند الفردوس. انظر كنوز الحقائق للناوى ص ١٨٢.   (٨) رواه ابن سعد فى الطبقات بلفظ: «لا تسبوا مضر فانه كان قد أسلم» انظر الجامع الصغير ٢: ٤٤٦.

٤/١٤

عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : «مات أُدَد والد عَدْنان ، وعَدْنان ، ومَعَد بن عدنان ، ورَبيعة ، ومضَر ، وقيس عَيلان ، وتَميم ، وضَبَّة ، وأسَد ، وخُزَيمة ، على الإسلام على ملة أبيهم إبراهيم ، فلا تذكروهم إلا بما يُذكر به المسلمون»[(١)] . والله الموفق .

[وأما الياس بن مُضَر ، فكنيته[(٢)] أبو عمرو . وقال صاحب الأشتمال[(٣)] : قال الزبير : ولَد مُضر بن نِزار الياسَ بنَ مُضر ، فلما أدرك الياس أنكر على بنى إسماعيل ما غيّروا من سُنن آبائهم وسِيَرهم ، وبانَ فضله فيهم ، ولاَنَ جانبُه لهم ، حتى جمعهم رأيُه ورضوا به ، فردّهم إلى سُنن آبائهم ، حتى رجعت سُنّتهم تامة على أوّلها .

وهو أوّلُ من أهدى البُدْن إلى البيت ، وهو أوّل من وضع [حجر][(٤)] الرُّكن للناس بعد غَرَق البيت وانهدامه زمن نوح . فكان الياس أوّل من ظفر به ، فوضعه فى زاوية البيت .

وبعض الناس يقولون : إنما كان ذهب بعد إبراهيم وإسماعيل . قال : وفى هذا كله نظر . قال : وقال الزبير : ولم تَزل العرب تعظّم الياس بنَ مُضر تعظيمَ أهل الحكمة ، كتعظيمها لُقمان وأشباهَه . قال ابن دِحْية[(٥)] : وهو وَصِىّ أبيه . وكان ذا جمال بارع ودين ، تعظمه العرب قاطبة ، وهو أوّل من مات بالسُّلّ[(٦)] . قال السُّهيلى : «وإنما سمى السلّ داء ياس[(٧)] وداء الياس لأن الياس بن مُضر مات به[(٨)] » .

(١) نص هذا الحديث فى الإنباه لابن عبد البر ٧٨ : «مات تميم بن مر ، وأسد بن خزيمة ، وضبة بن أد ، على الإسلام ؛ فلا تذكروهم إلا بما يذكر به المسلمون» . (٢) فى الأصل : «وكنيته» . (٣) لعل صحة الكلمة «صاحب الاكتفاء» وقد ورد هذا النص فى الاكتفاء (الورقة ٤ أ) . (٤) التكلة من كلام المؤلف الآتى . (٥) أبو الخطاب عمر بن الحسن ابن على المعروف بذى النسبين الأندلسى (٥١٤ — ٦٣٣) . وفيات الأعيان ١ : ٤٨١ .
(٦) الروض الأنف ١ : ٧ . (٧) فى الأصل : «دراء الياس» . تصحيف .
(٨) فى الروض الأنف ١ : ٧ : «مات منه» .

ولما مات أسفت آمرأته خِنـدِف عليه أسفًا شديدا . وكانت نَذَرت، إن هلك ، [أ] لا تُقيمَ فى بلدٍ مات فيـه ، ولا يُظلّها بيت ، وتَسيح فى الأرض ، وحرّمت الرجالَ والطيِّب بعـدَه . فلما هلك خرجت سائحـة حتى هلكت . وكانت وفاته يـوم الخميس ، فنـذَرت أن تَبكِيَه كلما طلعت شمس يوم الخميس حتى تغيب الشمس . قال السهيلىّ : «ويُذكَر عن النبى صلى الله عليه وسلم [أنه](١) قال : «لا تسبوا الياس فإنه كان مؤمنا» . وذكر أنه كان يسمع فى صلبه تلبيَة النبىّ ، صلى الله عليه وسلم ، بالحج(٢) » . والله أعلم .

وأما مُدْرِكَةَ بن الياس فقال(٣) ابن السائب : وآسمه عَمرو . وقال ابن إسحاق والزبير : عامر ، وكنيته أبو الهُذَيل(٤) ، وقيل أبو خُزَيمة . وأمه خِنْدِف ، وآسمها ليلى بنت حُلوان بن عِمْـران بن الحاف بن قُضَاعة . واسم أمها ضَريَّة بنت ربيعـة بن نِزار ، وبها سمى «حِمى ضَرِيَّة(٥) » .

وأما خُزَيمة بن مُدْرِكَة فكنيته(٦) أبو أسد ، وأمه سَلْمَى بنت أسلُم بن الحاف ابن قُضاعة ، وقيل سَلْمَى بنت أَسَد بن ربيعة ، وخُزَيْمَـةُ هذا هو الذى نصب هُبَل على الكعبة ، فكان يقال هُبَل خُزَيْمَة ، هكذا ذكره آبن الأثير(٧) . وروى عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أن خزيمة مات على ملة إبراهيم عليه السلام .

(١) تكملة من الروض الأنف ١ : ٢ (٢) الروض الأنف ١ : ٨ (٣) فى الأصل : « قال » . (٤) فى الخبر عن البشر ٣ ٢٧ (قسم الأول) : « وقال الزبير : فولد الياس ابن مضر مدركة واسمه عامر ، ويقال عمرو » . (٥) قرية بين البصرة ومكة ، وهى إلى مكة أقرب ، وانظر خلافهم فى تحديد هذا الحمى ، وفى سبب نسبته الى ضرية ، فى معجم البلدان ٥ : ٤٣٣ ، تاج العروس (ضرى) . (٦) فى الأصل : « وكنيته » . (٧) فى الكامل ٢ : ١١

أما كِنَانَةُ بنُ خُزَيْمَة، فكنيتهُ(١) أبو النَّضْر، وأمّه عَوانةُ بنت سَعد بن قيس [بن عيلان](٢)، ويقال: بل هند بنت عمرو بن قيس بن عيلان. قال أبو الحسن سلّام ابن عبد الله بن سلام الإشبيليّ: وقال أبو عمرو العدوانى لابنه فى وصيته: «يابنى أدركتُ كِنَانة بن خُزَيمة — وكان شيخا مُسِنًّا عظيمَ القدر، وكانت العرب تحج إليه لعلمه وفضله — فقال: إنه قد آن خُروج نبيّ بمكة يُدعى أحمد، يدعو إلى الله، وإلى البر والإحسان ومكارم الأخلاق، فاتّبعوه تزدادوا شرفا إلى شرفكم، وعِزًّا إلى عِزّكم، ولا تتعدوا ما جاء به، فهو الحق». والله الموفق.

وأما النَّضر بن كِنانة، فكنيته(١) أبو يَخْلُد، كُنِّي بابنه(٣) يَخْلُد. واسم النَّضر قيس. قال أبو ذَرّ الخُشَنيّ: النَّضْر: الذَّهَب الأحمر(٤). وهو النُّضار؛ سُمّي النَّضْر بذلك لوَضاءته وإشراق وجهه. وأُمّه بَرّة بنت مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مُضَر أختُ تميم بن مُرّ. والذى عليه أكثرُ أهل السِّيَر والمؤرخين أن كِنانة خَلَف على بَرّة بعد أبيه خُزَيمة، على ما كانت الجاهلية تفعله؛ إذا مات الرجل خَلَف على زوجته بعده أكبرُ بنيه من غيرها(٥). ويردّ هذا ما رُوى عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "ما ولدنى من سِفاح أهل الجاهلية شيء؛ ما ولدنى إلا نكاح كنكاح أهل الإسلام(٦)"، وقول ابن الكلبيّ: "كتبتُ لرسول الله، صلى الله عليه وسلم خمسمائة أمّ، فلم أجد فيها شيئا مما كان من أمر الجاهلية". وقد تقدّم ذكر ذلك آنفا.

(١) فى الأصل «وكنيته». (٢) عن الخير عن البشر ٣ : ٣٣ (قسم أول).
(٣) فى الأصل «بأبيه». تصحيف. (٤) انظر شرح السيرة للخشنى ١ : ٣
(٥) وكان الذى يخلف أباه على زوجته يسمى الضيزن (لسان العرب — ضزن). وفى المحبر لابن حبيب ص ٣٢٥ تفصيل لأسماء الذين فعلوا ذلك. (٦) قال ابن كثير فى البداية والنهاية ٢ : ٢٥٦، بعد رواية هذا الحديث عن ابن عباس: «وهذا أيضا حديث غريب، أورده الحافظ ابن عساكر، ثم أسنده من حديث أبى هريرة، وفى إسناده ضعف، والله أعلم».

وقد آعتذر القائلون هذا القولَ عنه بأعذار، وأقاموا أدلّةً على أنه ليس بسفاح ولا من أمر الجاهلية . وفى أعذارهم وأدلّتهم بعض تكلُّف . وقد حصل الظفر — ولله الحمد والمنّة — بما يُزيل هذا الإشكال، ويرفع هذا الآحتمال، ويخلّص من مهاوى هذه الشُّبَه ؛ وهو الصحيح ، إن شاء الله تعالى ، وسنذكره بعد ذكر أعذارهم وأدلّتهم .

أما ما آستدلوا به على تقدير أن يكون كِنانة خلَف على بَرّة بنت مُرّ بن أدّ بعد أبيه ، فقال السُّهيلىّ[1] ، رحمه الله ، فى قوله تعالى : ﴿ ولا تَنكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكم من النِّساء إلّا ما قد سلَف ﴾[2]؛ أى إلا ما قد سَلَف من تحليل ذلك قبل الإسلام، قال : وفائدة الآستثناء ألا يُعابَ نَسبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليُعلَمَ أنه لم يكن فى أجداده بِغيّة ولا سِفاح ،ألا ترى أنه لم يقُل فى شىء نهى عنه فى القرآن (إلا ما قد سَلَف) نحو : ﴿ ولا تقرَبُوا الزِّنا ﴾[3] ، ولم يقل (إلا ما قد سَلَف) ﴿ ولا تقتُلوا النَّفسَ التى حرّم اللهُ إلا بالحقّ ﴾[4]، ولم يقل (إلا ما قد سَلَف)، ولا فى شىء من المعاصى التى نَهَى عنها إلا فى هذه [الآية][5]، وفى الجمع بين الأختين؛ لأن الجمعَ بينهما قد كان مُباحا فى شَرْع مَن قبْلنا، وقد جمع يعقوبُ عليه السلام، بين راحيل وأختها ليا[6] ؛ فقوله : (إلا ما قد سَلَف) التفاتٌ إلى هذا المعنَى وتنبيه على هذا المغزَى . ونقل السُّهيلىّ هذه النكتة عن القاضى أبى بكر بن العربىّ .

وآعتذارُ مَن اعتذرَ عن هذه الواقعة على هذا المنوال .

---

(١) نقل هذا الاستدلال عن السهيلى ، الدميرى فى حياة الحيوان ٢ : ٢١٥ ، والزرقانى فى شرح المواهب ١ : ٩٣ . (٢) النساء ٢٢ . (٣) الإسراء ١٧ (٤) الأنعام ٦

(٥) التكملة عن الدميرى ٢ : ٢١٥ . (٦) فى شرح المواهب اللدنية ١ : ٩٣ : « يقال راجيل بالجيم وبالحاء » ، وفى جمهرة الأنساب لابن حزم ص ٤٦٩ : « لياه » بالمد .

وأما ما ارتفع به هذا الإشكال، فهو ما نقله أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ — رحمه الله — فى كتاب له سماه «كتاب الأصنام» قال فيه : «وخلف كنانة بن خزيمة على زوجة أبيه بعد وفاته ، وهى برة بنت أد بن طابخة بن الياس بن مضر ، وهى أم أسد بن الهون ، ولم تلد لكنانة ولدا ذكرا ولا أنثى ، ولكن كانت ابنة أخيها ، وهى برة بنت مر بن أد بن طابخة أخت تميم بن مر عند[1] كنانة بن خزيمة ، فولدت له النضر بن كنانة» . قال : «وإنما غلط كثير من الناس لما سمعوا أن كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمهما[2] وتقارب نسبهما» . قال : «وهذا الذى عليه مشايخنا وأهل العلم بالنسب» . قال : «ومعاذ الله أن يكون أصاب [نسب][3] رسول الله صلى الله عليه وسلم مقت نكاح؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما زلت أخرج من نكاح كنكاح الإسلام، حتى خرجت من أمى وأبى"» . قال : «ومن اعتقد غير هذا فقد كفر وشك فى هذا الخبر . قال : والحمد لله الذى طهره من كل وصم وطهر به» .

وأما مالك بن النضر، فكنيته[4] أبو الحارث، وأمه عاتكة بنت عدوان، وهو الحارث بن عمرو بن قيس عيلان، ولقبها عكرشة، وقيل عوانة بنت سعد القيسية، وقيل غير ذلك . ومالك هو أبو قريش كلها .

وأما فهر بن مالك — وهو قريش، وفهر لقب غلب عليه — فكنيته[4] أبو غالب، وهو جماع قريش فى قول هشام بن الكلبى . وأم فهر جندلة بنت عامر بن الحارث ابن مضاض الجرهمى[5]؛ ومن جاوز فهرا فليس هو من قريش .

(١) فى حياة الحيوان ٢ : ٢١٥ : «تحت كنانة» . (٢) فى الأصل : «ولاتفاق اسمهما» ، تصحيف . (٣) التكملة من حياة الحيوان، ٢ : ٢١٥ وشرح المواهب ١ : ٩٣ . (٤) فى الأصل : «وكنيته» . (٥) هذه رواية ابن السائب والبلاذرى . وفى رواية الزبير بن بكار : «جندلة بنت الحارث بن جندل بن عامر» ، وروى الزبير أيضا : «جندلة بنت الحارث بن عمرو أو عامر» . انظر الخبر عن البشر ٢ : ٣٨، ٣٩ (قسم أوله) .

وقد آختلف فى تسمية قُريش قُرَيشا، ومَن أوّلُ من تَسمَّى به، فقال محمد بن كعب[(١)]: إنما سُميت قُريش قُرَيشا لتجمّعها بعد تفرّقها، وقال محمد بن سلام: لما جمع قُصَىّ قبائلَ النَّضر، وحارَب بهم خُزاعة، وغلَبَ على الحَرَم، سُمُّوا قُرَيشا لآجتماعهم. وقيل: إنما سُمُّوا قُرَيشا لأنهم يتَقرّشون البضاعات فيشترونها. وقيل: جاء النَّضر بن كِنانة فى ثَوب له فقالوا: قد تَقرّش فى ثوبه كأنه جَمَل قَريش، أى شديد مُجتمع. وقيل: أوّلُ من سَماهم بهذا الآسم قُصَىّ بن كِلاب. قاله المبرّد. وقال الشَّعبىّ: النَّضر بن كِنانة هو قُريش، وإنما سُمى قُرَيشا لأنه كان يُقَرِّش عن خَلّة الناس وحاجتهم فيسُدّ ذلك بماله، والتقريش: هو التفتيش، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم فيُزوِّدونهم بما يُبَلِّغهم[(٢)]، فسموا بذلك من فِعْلهم.

وقال الزبير بن بكّار قال عمّى: قُرَيش بن بَدْر بن يَخْلُد بن النَّضر كان دليلَ بَنى كِنانة فى تجارتهم، فكان يقال «قدمت عِير قريش»، وأبوه بَدْر بن يَخْلُد صاحب بَدر [الموضع][(٣)] الذى كانت به الوَقعة المشهورة، وذكر عن عمه أن فِهرا هو قُرَيش، قال: وقد آجتمع النُّسّاب[(٤)] من قُريش وغيرهم أن قُرَيشا إنما تفرقت عن فِهْر. والذى عليه من أدركتُ من نسّاب قريش أن وَلَد فهر بن مالك قُرَيش، ومن جاوز فِهرا فليس من قُريش.

(١) محمد بن كعب بن سليم القرظى، تابعى مقرئ. فى تحديد وفاته خلاف. انظر طبقات القراء ٢: ٢٣٣.

(٢) فى الروض الأنف ١: ٧٠، والبداية والنهاية ٢: ٢٠٠، والخبر عن البشر ٣: ٣٨ (قسم أول): «فيرفدونهم».

(٣) التكلة عن نسب قريش (الورقة ٤ ب)، والروض الأنف ١: ٧٠

(٤) فى البداية والنهاية ٢: ٢٠٠، والروض الأنف ١: ٧٠: «وقد أجمع»، وفى الخبر عن البشر ٣: ٣٨ (قسم أول)، «وقد أجمع نساب قريش».

ورُوِى عن هشام بن السائب : أن النَّضر بن كِنانة هو قُريش . وقيل عنه في موضع آخر : ولَد مالكُ بن النَّضر فِهرا وهو جُمَّاع قُريش . وقال أبو عُبيدة مَعْمَر ابن المثنَّى : أوَّلُ من وقع عليه آسم قُريش النَّضر بن كِنانة ، فولدُه قُريش دون سائر بَنى كنانة . وقال أبو عُمر محمد بن عبد الواحد الزاهد : قُريش مأخوذ من القَرْش ، وهو وَقْع الأسِنّة بعضِها على بعض ؛ لأن قُرَيشا أحذقُ الناس بالطِّعان .[1]

وعن آبن عباس رضي الله عنهما أنه سأل[2] عمرو بن العاص : لم سميت قُريش قُريشا ؟ قال : بالقِرْش ، دابّة في البحر تأكل الدوابّ لشدّتها . وقال : المطرّزىّ[3] : هى ملِكة الدواب ، وسيّدة الدواب وأشدّها ، فكذلك قُرَيش سادات الناس .

وكان فِهْر رئيسَ الناس بمكّة . والله أعلم .

وأما غالب بن فِهر ، فكنيته[4] أبو تَيْم ، وأمه لَيلَى بنت الحارث ، بن تميم[5] ، بن سَعْد ، بن هُذَيل ، بن مُدْرِكة ؛ ولغالب هذا من الولد : لُؤَىّ ، وتَيم الأدرم ؛ وكان تَيم كاهنا ، وإنما قيل له تَيم الأَدْرَم لأن أحد لَحيَيه كان أنقص من الآخر . وفى قريش تَيْمان : تَيم بن مُرّة ، وتَيْم الأَدْرَم . قال آبن قُتيبة[6] : «بنو الأَدْرَم من أعراب قُريش ليس بمكّة منهم أحد»[7] . والله أعلم .

---

(١) انظر لسان العرب « قرش » . (٢) فى البداية والنهاية ٢ : ٢٠٢ : أن معاوية قال لابن عباس الخ . والذين رووا هذا الخبر اتفقوا على أنه عن ابن عباس ؛ فالمسؤول ابن عباس ، وهو المألوف . فلعل صحة الكلام : «رضى الله عنهما أنه سأله» . وانظر شرح المواهب للزرقانى ١ : ٧٦ ، خزانة الأدب للبغدادى ١ : ٩٨ — ٩٩ (٣) فى الأصل : « وقال الطرز » ، والتصحيح عن حياة الحيوان ٢ : ٢١٥ . (٤) فى الأصل : « وكنيته » .

(٥) فى الكامل لابن الأثير ٢ : ١٠ : «الحارث بن تيم» . (٦) المعارف ص ٣٢ .

(٧) فى الروض الأنف ١ : ٧١ : « قال الزبير : وبنو الأدرم هؤلاء هم أعراب مكة ، وهم من قريش الظواهر لا من قريش البطاح » ، وانظر المحبر لابن حبيب ص ١٦٨ .

وأما لُؤَىّ بن غالب، فكنيته أبو كعب[1]، وأمه عاتكة بنت يَخْلُد، بن النَّضر بن كِنانة، وهى إحدى[2] العواتك اللّاتى وَلدن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم؛ وقيل: بل أمه سَلْمَى بنت عمرو بن رَبيعة (وهو لُحَىّ بن حارثة)[3] الخُزاعية.

وأما كعب بن لُؤَىّ، فكنيته أبو هُصَيْص[1]، وأمه ماوية[4] بنت كَعب بن القَيْن ابن جَسْر القُضاعية. قيل: إنما سُمى كعب كعبا لأرتفاعه على قومه، وشرفه فيهم. وكان عظيمَ القدر عند العرب؛ فلهذا أرّخوا بموته إلى عام الفيل، ثم أرّخوا بالفيل؛ رَوَى أبو نُعَيم فى "الدلائل" عن الطَّبَرانى بسنده إلى عبد العزيز بن أبى ثابت قال: «أرّخت كِنانةُ من موت كعب بن لُؤَىّ، وأرّخت قُرَيش بعدَ موته من عام الفيل؛ وبين موت كعب والفيل خمسمائة سنة وعشرون سنة[5]».

«وكعب هذا أولُ من سَمى يومَ الجُمعة الجُمعة، وكانت العرب تسمّى يوم الجمعة العَرُوبَة»؛ قاله السهيلى[6]. ومعنى العَروبة الرحمة فيما بلغنى عن أهل العلم، وإنما سماه الجمعة لاجتماع قُرَيش فيه وخطبته [فيهم][7].

وأوّل من قال «أما بعد» كَعب؛ فكان يقول: «أما بعد، فاسمَعوا وافهموا». ثم قال: «حَرَمكم عظِّموه وتمسَّكوا به، وسيأتى لكم نبأ[8] عظيم، وسيخرج له نبىّ كريم».

---

(١) فى الأصل: «وكنيته». (٢) فى ابن الأثير ٢: ١٠، والطبرى ٢: ١٨٦: «وهى أوّل العواتك». (٣) فى الأصل وابن الأثير ٢: ١٠: «وهو يحيى بن حارثة» تصحيف: وانظر الروض الأنف ١: ٦١ — ٦٢ (٤) كأنها نسبت إلى الماء لصفائها. الروض الأنف ١: ٦١. (٥) فى الوافى بالوفيات ١: ١٠: «والفيل مئة سنة»؟ (٦) الروض الأنف ١: ٦. (٧) تكلة عن الاكتفاء (الورقة ٥ أ)، وفى الخبر عن البشر ٣: ٤٤ (قسم أوّل): «لاجتماع قريش فيه إلى كعب بن لؤى وخطبته». (٨) فى الخبر عن البشر ٣: ٤٥ (قسم أوّل): «فسيأتى له نبأ عظيم، ويسخرج به نبى».

قال السُّهيلىّ : « وكان يخطبهم ويُذَكّرهم[1] بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويُعلمهم أنه من ولده، ويأمرهم باتباعه والإيمان به ، وينشد ويقول :

يا ليتنى شاهــدُ فَحواء دعوته * إذا قريشٌ تُبَغّى الحقّ خِذْلانا[2] »

وأما مُرّةُ بن كعب، فكنيته[3] أبو يَقَظة ، وأمه مَخْشية ، وقيل وَحْشية بنت شيبان، بن مُحارب، بن فِهر. وفى مُرّة يجتمع نَسَب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونَسَبُ أبى بكر الصِّدِّيق، وطلحة بن عُبيد الله رضى الله عنهما .

وأما كِلابُ بنُ مُرّة، فكنيته[3] أبو زُهْرة، واسمُه حَكيم. وكِلاب لقَب غلبَ عليه، وسبب ذلك أنه كان مُحبًا للصيد مولَعا به، وكان أكثرُ صيده بالكِلاب، وجمع منها شيئا كثيرا، فكان إذا مرّ بقوم بكلابه قالوا : هــذه كِلاب ابن مرة، فغلب ذلك عليه، وفيه يقول الشاعر :

حكيمُ بنُ مُرّةَ ساد الــورَى * ببذْل النّــوالِ وكَفّ الأذَى

وأمّ كِلاب هند بنت سُرير[4]، بن ثَعلبة، بن الحارث، بن فِهر، بن مالك، بن كِنانة . ويقال : إن كِلابا هذا أوّلُ من جعل فى الكعبة السيوف المحلّاة بالذهب والفضة ذخيرةً للكعبة .

(١) فى الأصل : « ويذكر بمبعث » ؛ والمثبت عن الروض الأنف ١ : ٦ .

(٢) فى الاكتفاء (الورقة ٥ أ)، والخبر عن البشر ٣ : ٤٥ (قسم أوّل) :

* حين العشيرة تبغى الحق خذلانا *

وفحواء الكلام، وفحواه : معناه . وانظر شرح الزرقانى على المواهب ١ : ٧٥ .

(٣) فى الأصل « وكنيته » .

(٤) فى المقدّمة الفاضلية (الورقة ١١٨ أ) : « هنــد بنت سر الفهرية » ، وورد اسمها فى الخبر عن البشر ٣ : ٤٧ (قسم أوّل) : « نعم بنت السرير » ، وفى المعارف لابن قتيبة ص ٥٧ : « نعم ابنة سرير » .

وأما قُصَىّ بن كلاب فاسمه زيد[1]، وكنيته أبو المغيرة، وقُصَىّ لقبه، ويلقب أيضا مُجَمِّعا. قال السُّهيلىّ، فى قُصَىّ «تصغير قَصِىّ: أى بعيد». وقال الرُّشاطىّ: «وإنما قيل له قُصَىّ لأن أباه كلاب بن مُرّة كان قد تزوج فاطمة بنت سَعْد بن سَيَل، واسم سَيَل، خَيْر[2] بن حَمالة، بن عوف[3]، بن عثمان، بن عامر[4] (وهو الجادر)[5] بن جعثمة[6]، وهو يَشْكُر[7]، وهم من الأزد. فولدت له زُهْرة وزَيْدا، ثم هلك كلاب وزيد صغير فَطِيم»، وقال السُّهيلى: إنه كان رضيعا، «فتزوج فاطمةَ أمَّ قُصَىّ ربيعةُ بن حَرام[8]، بن ضِنّة، بن عبد، ابن كَبِير[9]، بن عُذْرة، بن سَعْد، بن زيد، بن قضاعة، فاحتملها ربيعةُ ومعها زيد، فربِى زيد فى حِجر ربيعة، فسُمِّى قُصَيّا لبُعده عن دار قومه».

وقال الخطّابى: «سُمى قُصَيا لأنه قَصَّى قومَه، أى تقصّاهم بالشام فنقلهم إلى مكة». قال الرُّشاطى: «ثم إن[10] زيدا وقع بينه وبين ربيعة شر، فقيل له: ألا تلحقُ بقومك؟ وعُيِّر بالغُربة، وكان لا يعرف لنفسه أبًا غير ربيعة، فرجع قُصَىّ إلى أمه، وشكا لها ما قيل له، فقالت له: يا بنىّ،

---

(١) فى الأصل: «واسمه». (٢) فى الإكمال لابن ماكولا ٢: ٦٩ ب: «خير بن جمال»، وفى ابن الأثير ٢: ٧: «جبر بن جمالة». (٣) هكذا ورد فى الإكمال لابن ماكولا ٢: ٦٩ ب: «عوف بن عثمان»، وفى الاشتقاق لابن دريد ص ٢٥، ونسب قريش (ق ٥ أ)، والطبرى ٢: ١٨١، والخبر عن البشر ٣: ٤٨ (قسم أول): «عوف بن غنم».

(٤) فى الأصل: «عامر بن الجادر»، وهى إحدى روايتى الإكمال، والمثبت رواية الروض الأنف (١: ٨٤)، وتوافق رواية الإكمال الثانية. (٥) سمى الجادر لأنه أول من جدر الكعبة. (٦) تكرر ورود هذا العلم فى الخبر عن البشر ٣: ٤٨، ٥٠ (قسم أول) هكذا: «خثعمة» بالخاء المعجمة بعدها ثاء مثلثة. (٧) فى سيرة ابن هشام ١: ١٠٩، والطبرى ٢: ١٨١، والإكمال والخبر عن البشر ٣: ٤٨، ٥٠ (قسم أول): «جعثمة ابن يشكر».

(٨) فى الروض الأنف ١: ٨٤. (٩) فى الأصل: «حرام بن ضبة بن عبد كثير»، وفى ابن الأثير ٢: ٧: «ضبة بن عبد بن كثير» تصحيف، وانظر الإكمال ١: ١٣٣ ب، والطبرى ٢: ١٨١، والإنباه لابن عبد البر ص ٨١. (١٠) فى الأصل: «قال الرشاطى وإن».

أنت أكرم منه نفسًا وأبا، أنت ابن كلاب بن مُرّة، وقومك بمكة عند البيت الحرام. فأجمع قُصَىّ[1] على الخروج، فقالت له أمه: أَقِم حتى يدخل الشهر الحرام، فتخرج فى حاجّ العرب، فلما دخل الشهر الحرام خرج مع حاجّ قُضاعة حتى قدم مكة، فحجّ وأقام بمكة».

وكان الذى يلى أمر البيت يومئذ حُلَيل، بن حُبْشِيّة، بن سَلول، بن كعب، ابن عمرو الخُزاعى. فخطب إلى حُلَيْل بن حُبْشِية ابنتَه حُبَّى. فعرف حُلَيل نَسَبه فزوجه، وأقام قُصَىّ معه، فولدت له حُبَّى أولادَه، وهم: عبد مَناف، وعبد العُزّى، وعبد الدار، وعبد، و بَرّة، وتَخْمُر (وهى بالتاء المثناة من فوق وخاء معجمة ساكنة وميم مضمومة وراء).

فلما انتشر ولده، وكثُر ماله، وعظُم شَرَفه هلك حُلَيْل، وأوصى بولاية البيت لابنته حُبَّى. فقالت: إنى لا أَقدر على فتح الباب و إغلاقه، فجعلت[2] ذلك إلى سُلَيم ابن عمرو، بن بُوَىّ، بن مِلْكان، وهو أبو غُبْشَان، و يقال له المحترش، فاشترى قُصَىّ منه ولايةَ البيت بزِقّ خمر وقَعود[3]، فضربت به العرب المثل، فقالوا: «أخسر من صَفْقة أبى غُبْشان»[4]. فنازعته خُزاعة البيت فانتزعه منهم. والله الناصر.

(١) فى الأصل: «فاجتمع»، والمثبت عن الطبرى ٢ : ١٨٢.

(٢) فى ابن الأثير ٢ : ٨ : «فجعل ذلك».

(٣) القعود: البكر من الإبل حين يمكن ظهره من الركوب، وأدنى ذلك أن يأتى عليه سنتان.

(٤) أورد الميدانى (١ : ١٤٦) المثل بصيغة: «أحمق من أبى غبشان»، وحكى رواية النويرى أيضا، وانظر تاج العروس (غبش).

ذكر خبر انتزاع قُصَىّ البيت ومكّة من خُزاعة ومَن وَلِى البيت بعد إسماعيل عليه السلام إلى أن انتزعه قُصَىّ بن كِلاب

قال محمد بن إسحاق بن يَسَار[1]: «لمـا توفى الله تعالى إسماعيلَ بن إبراهيم عليهما السلام، ووَلِى البيتَ بعده ابنُه نابِت بن إسماعيل ما شاء الله أن يليَه، ثم ولى البيتَ بعده مِضَاض ابن عَمْرو الجُرْهُمى، وبنو نابِت مع جدّهم مِضَاض بن عمرو وأخوالهم من جُرْهُم، وجُرْهُم وقَطُوراء يومئذ أهل مكة، وهما ابنا عم، وكانا ظعنا من اليمن، فأقبلا سيّارة[2]، وعلى جُرهم مِضَاض بن عمرو، وعلى قَطُوراء السَّمَيْدَع، رجل منهم[3]. فلما نزلا مكة رأيا بلدا ذا ماء وشجر، فأعجبهما فنزلا به؛ فنزل مِضَاض بمن معه من جُرْهم أعلى مكة بقُعَيقعان[4] فما حاز، ونزل السَّمَيْدَع بقَطُوراء أسفلَ مكة بأَجْياد[5] فما حاز، وكان كل منهما يعشُر[6] من دخل مكة ممـا يليه، وكلٌّ منهما فى قومه لا يدخل على صاحبه».

«ثم إن جرهما وقَطُوراء بغَى بعضُهم على بعض، وتنافسوا الملك بها، ومع مِضَاض بنو إسماعيل وبنو نابِت، وإليه ولاية البيت دون السَّمَيْدَع، فسار بعضهم إلى بعض؛ فخرج مِضَاض بن عمرو من قُعَيقعان فى كتيبته سائرا إلى السَّمَيْدَع ومع كتيبته عُدّتها من الرماح والدَّرَق والسيوف والجعاب، يُقَعْقِع [بذلك][7]، فيقال ما سمى قُعَيقعانُ قُعَيقعانَ إلا لذلك. وخرج السَّمَيْدَع من أَجْياد ومعه الخيل والرجال، فيقال ما سمى أجيادُ أجيادا

(١) انظر سيرة ابن هشام ١ : ١١٧ . (٢) السيّارة : القافلة . (٣) وكانوا إذا خرجوا من اليمن جعلوا عليهم ملكا يقوم بأمرهم . الروض الأنف ١ : ٨٠ . (٤) قعيقعان، بضم القاف الأولى وكسر الثانية، وفتح العين : جبل بمكة . معجم البلدان ٧ : ١٣٣ . (٥) أجياد : موضع بمكة مما يلى الصفا . ياقوت ١ : ١٢٧ . (٦) يعشر : يأخذ عشر أموالهم . (٧) زيادة عن سيرة ابن هشام ١ : ١١٧ .

إلا لخروج الجياد(1) من الخيل منه مع السَّمَيْدَع. فالتقوا بفاضح(2) واقتتلوا قتالا شديدا، فقُتِل السَّمَيْدَع، وفُضِحت قَطُوراء؛ فيقال ما سُمّى فاضحٌ فاضحا إلا لذلك».

ثم إنّ القوم تداعوا إلى الصُّلح، فساروا حتى نزلوا المَطابخ: شِعْبا بأعلى مكة، فاصطلحوا به، وأسلموا الأمر إلى مُضاض. فلما اجتمع إليه أمرُ مكة، وصار مُلكُها له، نحر للناس فطبخوا وأكلوا(3)، فيقال ما سميت المَطابخُ المطابخَ إلا لذلك».

وبعض أهل العلم يزعم أنها إنما سميت المطابخ لِما كان تُبَّع نحر بها وأطعم وكانت منزله. والله أعلم».

«فكان الذى كان بين مُضاض والسَّمَيْدَع أوّلَ بغيٍ كان بمكة. ثم نشر الله ولد إسماعيـل بمكة، وأخوالُهم من جُرْهُم وُلاةُ البيت والحكّامُ بمكة، لا ينازعهم ولد إسماعيلَ فى ذلك لخئولتهم وقرابتهم، وإعظاما للحُرمة أن يكون بها بَغْى أو قتال؛ فلما ضاقت مكةُ على ولَد إسماعيـل انتشروا فى البلاد، فـلا يناوئون قوماً إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم».

«ثم إنّ جُرهما بغوا بمكة، واستحلّوا خِلالاً من الحُرمة، وظلموا من دخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذى يُهدَى لهـا، فرقَّ أمرُهم. فلما رأت بنو بكر بن عبد مَناة بن كنانة، وغُبْشان من خُزاعة ذلك، أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة؛ فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا، فغلبتهم بنو بكر وغُبشان، فنفوهم من مكة؛ وكانت مكةُ فى الجاهلية لا تُقِر فيها ظلما ولا بَغْيا».

---

(1) أجياد: جمـع جواد؛ يقال فرس جواد: بين الجودة والجمع أجياد. فلا محل لاعتراض السهيلى فى الروض الأنف ١ : ٨٠؛ وانظر تاج العروس «جود».

(2) فاضح: موضع قرب مكة عند جبل «أبى قبيس». ياقوت ٦ : ٣٣٢.

(3) فى سيرة ابن هشام ١ : ١١٧ : «نحر للناس فأطعمهم، فاطّبخ الناس وأكلوا».

قال ابن إسحاق : «فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجُرْهُمى بغزالَى الكعبة[1] وبحَجَر الركن، فدفنها فى زَمزم، وانطلق هو ومَن معه من جُرهُم إلى اليمن. فحزنوا على مافارقوا من أمر مكة ومُلْكِها حزنا شديدا، فقال عمرو بن [الحارث][2] بن مُضاض فى ذلك، وليس بمُضاض الأكبر» . والله المعين :

[وقائـلةٍ والدَّمعُ سَكْبٌ مُبـادِرُ * وقد شَرِقتْ بالدَّمع منها المحـاجِرُ][2]

كأن لم يكن بينَ الحَجُون[3] إلى الصَّفا * أنيسٌ ولم يَسْـمُرْ بمـكةَ سامِر

[فقلتُ لهـا والقلب مِنّى كأنّمـا * يُلَجلِجُه بينَ الجناحين طـائر][2]

بَلَى ! نحن كنّا أهلَهـا فأزالنـا * صُروفُ الليالى والجُدودُ العواثِر

وكنّا وُلاةَ البيت من بعـد نابتٍ * نطوف بذاك البيت والخيرُ ظاهر

ونحن وَلِينا البيت من بعد نابتٍ * بعـزٍّ فما يَحظَى لدينـا المُكاثِـر

مَلَكنا فعـزَّزنا فأعظِـم بمُلْكِنا * فليس لحىٍّ غـيرِنا ثَمَّ فاخِـر

ألم تُنكِحوا مِن خير شخصٍ[4] علمتُه * فأبنـاؤه منّـا ونحـن الأَصاهِر

فإن تَنثَنِ الدنيـا علينـا بحالهـا * فإنّ لهـا حالًا وفيهـا التشـاجُر

فأخرجَنا منهـا المليك بقُـدرةٍ * كذلك يا للنّـاسِ تجرى المَقادر

أقولُ إذا نام الخَـلِيُّ ولَم أَنَم : * أَذَا العرشِ لا يُبْعَد سُهَيل وعامِر

وبُدِّلْتُ منهـا أوجُهًا لا أُحبّها * قبـائلَ منهـا حِمْـيَرٌ ويُحـابِرُ[5]

وصِرنا أحاديثًا وكُنّا بِغِبطـةٍ * بذلك عَضَّتنـا السِّـنونُ الغوابِر

(١) هما تمثالان لغزالين من ذهب، دفنهما عمـرو بن الحارث فى زمزم انظر الروض الأنف ١ : ٩٧، ١٠١، وشرح المواهب ١ : ٩٢ . (٢) إضافة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٢٠ .

(٣) الحجون بفتح الحاء : جبـل بأعلى مكة . ياقوت ٣ : ٢٢٧ . (٤) يريد إسماعيل عليه السلام . الخشنى ١ : ٣٨ (٥) يحابر بوزن (يقاتل) : قبيلة من اليمن، أو قبيلة مراد . انظر تاج العروس (حبر)، الخشنى ١ : ٣٨ .

[وبدّلنا كعبٌ بها دارَ غُربة * بها الذئب يَعوِى والعدوُّ المكاشرُ] [١]

فسَحّت دموعُ العين تبكى لبَلْدة * بها حَرَم أمْنٌ وفيها المشاعر [٢]

وتَبكى لبيتٍ ليس يُؤذَى حَمامُه * يَظَلّ به أمنًا وفيه العصافر

وفيه وُحوشٌ لا تُرام أنيسةٌ * اذا خَرَجت منه فليست تُغادَر

وقال أيضا يشير إلى بَكْرٍ وغُبْشان الذين خلفوا مكةَ بعدهم :

يأيها الناسُ سيروا إنّ قَصْرَكم [٣] * أن تُصبِحوا ذاتَ يوم لا تَسيرونا

حُثوا المطىَّ وأَرخُوا من أزِمّتها * قبلَ الممات وقَضّوا ما تُقضّونا

كُنّا أُناسًا كما كنتم فغيّرنا * دَهرٌ فأنتم كما كُنّا تَكونونا

قال ابن هشام [٤] : «حدّثنى بعض أهل العلم بالشعر، أن هذه الأبيات أوّلُ شعرٍ قيل فى العرَب، وأنها وُجِدَت مكتوبة فى حَجَر باليَمَن، ولم يُسَمّ لى قائلها» .

قال ابن إسحاق [٤] : «ثم إنّ غُبْشان من خُزاعة وَلِيَتْ البيت دون بنى بَكر ابن عبد مَناة ، وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحارث الغُبْشانىّ ، وقُرَيش إذ ذاك حُلولٌ وصِرَمٌ [٥] ، وبيوتات متفرّقون فى قومهم من بنى كنانة ، فوليت خُزاعة البيت يَتوارثون ذلك كابرًا عن كابر ، حتى كان آخرَهم حُلَيل بن حُبْشية بن سَلول بن كَعْب ابن عمرو الخُزاعىّ . فخطب قُصَىّ بن كِلَاب إلى حُلَيل ابنته حُبّى ، فرغب فيه حُليل فزوّجه ، فولدت له عبدَ الدار ، وعبدَ مَناف ، وعبدَ العُزّى ، وعبدا » .

«فلما انتشر ولَدُ قُصَىّ وكثُر مالُه ، وعظُم شرفُه هلك حُلَيل ، فرأى قُصَىّ أنه أولَى بالكعبة ، وبأمرِ مكة من خُزاعة وبنى بَكر ، وأنّ قُريشا قُرعةُ [٦] إسماعيل بن

(١) عن معجم البلدان ٣ : ٢٢٨ . (٢) المشاعر : مواضع مشهورة يتعبد فيها . الخشنى ١ : ٣٨ .
(٣) قصركم : نهايتكم وغايتكم . (٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٢٢ . (٥) الحلول : جماعة البيوت المجتمعة ، والصرم : الجماعة ينزلون بإبلهم ناحية على ماء . (٦) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٢٣ : «قرعة» بالقاف ، والقرعة بضم القاف : نخبة الشىء وخياره ، والمراد بالقرعة هنا أن قريشا أعلى ولد إسماعيل .

إبراهيم وصَرِيح وَلَدِه، فكلَّم رجالًا من قُرَيش وبَنِي كنانة، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبني بكر من مكة، فأجابوه».

وكان ربيعة بن حَرام من عُذْرة بن سَعْد بن زيد مناة قد قدم مكة بعد هلاك كلاب، فتزوج فاطمةَ بنت سعد بن سَيَل — وزُهْرةُ يومئذ رَجل، وقُصَىّ فَطِيم — فاحتملها إلى بلاده، فحملت قُصَيًّا معها وأقام زُهْرة، فولدت لربيعة رِزاحا. فلما بلغ قُصَىّ وصار رجلًا أتى مكة فأقام بها، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه كتب إلى أخيه من أمه رِزَاح بن ربيعة، يدعوه إلى نُصْرته والقيام معه؛ فخرج رِزاح بنُ ربيعة ومعه إخوته: حُنّ بن ربيعة، ومحمود ابن رَبيعة، وجُلْهُمة بن رَبيعة، وهم لغير فاطمة، فيمن تَبِعهم من قُضاعة فى حاجّ العرب، وهم مُجمِعون لنُصْرة قُصَىّ».

«وكان الغَوْثُ بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مُضَر يَلِى الإجازة للناس بالحج من عَرَفة، ووَلدُه مِن بعده، وكان يقال له ولولده صُوفة[1]. وإنما وَلِى الغَوْثُ ذلك لأن أُمّه كانت من بنى جُرْهُم، وكانت لا تَلِد، فنذرت لله إن هى وَلَدت رجلًا أن تَصَدَّق به على الكعبة عبدًا لها يخدُمها، ويقوم عليها؛ فولدت الغَوْث، فكان يقوم على الكعبة فى الدَّهر الأوّل مع أخواله من جُرْهُم، فولِى الإجازةَ بالناس من عَرَفة، لمكانه الذى كان به من الكعبة، وولدُه مِن بعده حتى انقرضوا».

«وكان الغَوْث بن مُرّ إذا دفع بالناس قال:

لاهُمَّ إنى تابعٌ تَبَاعَهْ * إن كان إثم فعلَى قُضَاعَهْ[2]

(١) فى سبب تسميته صوفة أقوال ذكرها السهيلى فى الروض الأنف ١ : ٨٥.

(٢) التباعة: ما يتبعه الإنسان ويقتدى به، وإنما قال: «إن كان إثم الخ»، لأنه كان فى قضاعة من يستحل الأشهر الحرم، فجعل إثم ذلك عليهم. الخشنى ١ : ٤٠.

قال ابن إسحاق : «كانت صُوفَة تدفع بالناس من عَرَفة، وتُجيز بهم إذا نفَروا من مِنًى ، حتى إذا كان يومُ النَّفر أَتَوا لرَمْى الجمار ، ورجل من صُوفَة يرمى للناس ، لا يَرمُون حتى يَرْمى ، فكان ذوو الحاجات المتعجِّلون يأتونه فيقولون له : قم فارم حتى نرمىَ [معك][1] ؛ فيقول: لا والله ، حتى تَميلَ الشمس ؛ فيَظَلُّ ذووا الحاجات يرمونه بالحجارة ويقولون له : ويلك ! قم فارمِ ، فيأبَى عليهم ؛ حتى إذا مالت الشمس قام فرمَى ، ورمَى الناسُ معه » .

٩ / ١٤

«فإذا فرغوا من رَمْى الجمار ، وأرادوا النَّفر من مِنًى أخذت صُوفَة بجانبَى العَقَبة ، فحبسوا النـاسَ وقالوا : أجيزى صُوفة ، فلم يَجُز أحد من النـاس حتى يمُرّوا ، فإذا نفَرت صُوفَة ومَضَت خُلِّى سبيل النـاس فانطلقوا بعـدَهم ؛ فكانوا كذلك حتى انقرضوا ، فورِثهم فى ذلك بنو سَـعد بن زيد مَناة ، من تميم ، وكانت من بنى سعد فى آل صَفوان بن الحارث بن شِجْنَة ؛ فكان صَفوان هو الذى يُجيز النـاس بالحج من عَرَفة ، ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام كَرِب بن صَفوان ؛ وفى ذلك يقول أوس بن مَغْراء من قصيدة :

لا يبرح الناسُ ما حجُّوا مُعرَّفَهم * حتَّى يُقـالَ أَجيزوا آلَ صَفْوانا[2]

«وكانت الإفاضة فى عَدْوان يتوارثون ذلك كابرًا عن كابر ، حتى كان آخرَهم الذى قامَ عليه الإسلام أبو سَيّارة عُمَيْلة بن الأعزل ، وكان أبو سَيّارة يدفع بالناس على أتانٍ له ، وبه ضُرِب المَثَل : « أَصبر من عَيْر أبى سَيّارة »[3] ؛ لأنه دَفع بأهل الموسم عليه أربعين عاما » .

---

(١) تكملة عن الطبرى ٢ : ١٧٣ ، وسيرة ابن هشام ١ : ١٢٦ . (٢) المعرَّف : الموقف بعرفات . ورواية اللسان (صوف ، عرف) :

* ولا يريمون فى التعريف موقفهم *

(٣) رواية الميدانى ١ : ٢٧٧ ، ولسان العرب (سير) : « أصح من عير أبى سيارة » .

نعود إلى أخبار قُصَىّ بن كِلاب، «[فلما كان ذلك العام، فعلت صُوفة كما كانت تفعل، وقد عرفت ذلك لها العرب، وهو دينٌ فى أنفسهم من عهد جُرهُم وخُزاعة وولايتهم، فأتاهم قُصَىّ[1]] بمن معه من قومه من قُريش وكنانة وقُضاعة عند العَقَبة فقال: لا تُجز — لنحن أولَى بهذا منكم —[2]، فقاتلوه، فاقتتل الناس قتالا شديدا، ثم انهزمت صُوفةُ، وغلبهم قُصَىّ على ما كان بأيديهم من ذلك».

«وانحازت عند ذلك خُزاعة وبنو بكْر عن قُصَىّ، وعرفوا أنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمْرِ مكة، فلما انحازوا عنه باداهم[3] وأجمع لحربهم، وخرجت إليه خُزاعة وبنو بكر، فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا حتى كثُرت القتلَى فى الفريقين، ثم تداعوا إلى الصلح، وأن يُحكِّموا بينهم رجلا من العرب، فحكموا يَعْمَر[4] بن عوْف بن كَعب بن عامر بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَناة بن كِنانة، فقضَى أن قُصيًّا أولَى بالكعبة وأمْرِ مكة من خُزاعة، وأن كلّ دَمٍ أصابه قُصَىّ من خُزاعة وبنى بَكر موضوعٌ يَشْدَخُه تحت قدمَيه، وأن ما أصابت خُزاعة وبنو بكر من قُريش وكنانة وقُضاعة ففيه الدِّيَة مُؤَدّاة، وأن يُخَلَّى[5] بين قُصَىّ وبين الكعبة ومكة. فسُمّى يَعْمَر بن عَوْف يومئذ الشَّدّاخ، لِما شَدَخ من الدِّماء ووضع منها».

قال[6]: «فولى قُصَىّ البيتَ وأمْرَ مكة، وجمع قومه من منازلهم الى مكة، وتَملَّك على قومه وأهلِ مكة فملّكوه، إلا أنه أقرّ للعرب ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه

(١) التكملة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٣٠ حيث النقل عن ابن إسحاق أيضا، وانظر الطبرى ٢ : ١٨٣ . (٢) فى تاريخ الطبرى ٢ : ١٨٣ : «منكم، فناكروه الخ» . (٣) باداهم: كاشفهم . (٤) كان يعمر هذا أحد حكام العرب . انظر المحبر لابن حبيب ص ١٣٣

(٥) هذا هو المعروف بين المؤرخين، وفى المحبر أنه «حكم بينهم، و باءوا (سوّى) بين الدماء، وعلى أن لا يخرج خزاعة من الكعبة» . (٦) لا يزال النقل عن ابن إسحاق، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ١٣١

دِينًا فى نفسه لا ينبغى تغييرُه، فأقرّ آل صَفْوان، وعَدْوان، والنَّسَأَة[1]، ومُرَّة بن عَوْف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام، فهدم الله به ذلك كلَّه ».

«فكان قُصَىّ أولَ من أصاب مُلْكًا من بنى كَعْب بن لُؤَىّ، وكانت إليه الحِجابة، والسِّقاية، والرِّفادة، والنَّدْوة، واللِّواء، فحاز شرفَ مكة كلَّه، وقطع مكّة رِباعا بين قومه، فأنزل كلَّ قوم من قُرَيش منازلَهم من مكة، فسمّته قُرَيش مُجَمِّعًا لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره، فما تُنكح آمرأة، ولا يتزوج رجل من قُرَيش، ولا يتشاورون[2] فى أمر نزل بهم، ولا يعقدون لواءً لحرب قوم غيرهم إلا فى داره، يعقده لهم بعضُ ولده، وما تَدَّرِع جاريةٌ إذا بلغت أن تَدَّرِع من قُرَيش إلا فى داره، يُشَق عليها فيها درعها ثم تَدَّرِعه، ثم يُنطلَق بها إلى أهلها ».

«فكان أمره فى قومه من قُرَيش فى حياته و بعد موته، كالدِّين المتَّبع لا يُعمل بغيره. وآتخذ لنفسه دار النَّدْوة، وجعل بابَها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قُرَيش تَقضِى أمورها » قال الشاعر:

قُصَىٌّ لَعَمْرِى كان يُدعَى مُجَمِّعًا * به جَمَّع الله القبائلَ من فِهْــرِ[3]

قال آبن إسحاق[4]: «فلما فرغ قُصَىّ من حَرْبه آنصرف أخوه رِزاح بنُ رَبيعة بمن معه إلى بلاده». قال: «فلم يزل قُصَىّ على ذلك، فلما كبِر ورقّ عظمه — وكان عبد الدار بِكْرَه، وكان عبدُ مَنَاف قد شَرُف فى زمان أبيه وذهب كُلَّ مذهب،

(١) جمع ناسئ. وهم قوم من كنانة كان العرب إذا صدروا عن « منى » يقولون لأحد النسأة: «أنسئنا شهرا»، أى أخّرعنا حرمة المحرم واجعلها فى صفر؛ و بذلك تصبح الاغارة فى شهر المحرم حلالا لهم. وفى تاج العروس (نسأ)، والروض الأنف ١ : ٤١ — ٤٢ ذكر للذين كانوا يتولون إنساء الشهور.

(٢) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٣٢ « وما يتشاورون ».

(٣) رواية اللسان (جمع)، وتهذيب الكمال للمزى (الورقة ٤ أ) : * أبوكم قصىّ كان يدعى مجمعا * والبيت لحذافة بن غانم العذوى.

(٤) سيرة بن هشام ١ : ١٣٣، ١٣٦.

وعبدُ العُزَّى وعبدٌ — قال لابنه عبد الدار : أمَا والله يابنى لأُلحقنّك بالقوم وإن كانوا قد شَرُفوا عليك ، لا يدخل رجلٌ منهم الكعبةَ حتى تكونَ أنت تفتحها له ، ولا يَعْقِد لقريش لواءً [لحربها] (١) إلا أنت بيدك ، ولا يَشرَب رجل بمكة إلا من سقايتك ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك ، ولا تَقطع قُرَيش أمرا من أمورها إلا فى دارك . ، فأعطاه دارَه : دار النَّدْوة التى لا تَقضى قُرَيش أمرا إلا فيها ، وأعطاه الحِجابة واللِّواء والسِّقاية والرِّفادة » .

« وكانت الرِّفادة خَرجًا تُخْرِجه قريش فى كل مَوْسم من أموالها إلى قُصَىّ بن كِلَاب ، فيصنع به طعاما للحاجّ ، فيأكله من لم تكن له سَعة ولا زاد . وقُصَىّ هو الذى فرض ذلك ، فقال [لهم] (٢) حين أمَرَهم به : يا معشر قُرَيش ، إنكم جِيران الله وأهلُ بيته وأهلُ الحَرَم ، وإن الحاجّ ضيف الله وزُوّار بيته ، وهم أحق الضَّيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعامًا وشرابا أيامَ الحج ، حتى يَصدُروا عنكم . ففعلوا . قال (٣) : « فلما هلك قُصَىّ بن كِلَاب أقام أمْرَه فى قومه من بَعده بنوه ، فاختطّوا مكة رِبَاعا ، بعد الذى كان قد قَطَعَ (٤) لقومه بها (٥) ، فكانوا يعطونها فى قومهم وفى غيرهم من حُلفائهم ، ويَبيعونها ، فأقامت قُرَيش على ذلك معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع » ، إلى أن كان ما نذكره إن شاء الله تعالى فى هاشم بن عبد مَناف .

وحَكى أبو عبد الله محمد بن عائذ الدمشقى (٦) فى "مغازيه" زيادةً فى خبر قُصَىّ نذكرها فى هذا الموضع ، وإن كان قد نَقص فى غيره ، فقال فى أثناء ما حكاه :

(١) التكملة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٣٦ ، والطبرى ٢ : ١٨٤ . (٢) التكملة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٣٧ . (٣) القائل ابن إسحق ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ١٣٨ . (٤) فى الأصل : « قد وقع لقومه » . (٥) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٣٨ : « فكانوا يقطعونها » . (٦) محمد بن عائذ (بالذال المعجمة) بن أحمد القرشى أبو عبد الله الدمشقى (١٥٠ – ٢٣٣) له ترجمة فى تهذيب التهذيب ٩ : ٢٤٢ .

«إن البيت كان حوله غَيضة والسَّيل يدخله ، ولم يرفع البيتُ حينئذ ، فإذا قدم الحاجُّ وَطئوه حتى تذهب الغَيْضة ، فإذا خرجوا نَبتت» . قال : «فلما قدم قُصَىّ قطع الغَيْضة ، وآبتنى حول البيت دارا ، ونكح حُبَّى بنت حُلَيل» .

وقال أيضا : «إن قُصَيًّا قال لآمرأته حُبَّى : قولى لجدتك تَدُلُّ بنتك على الحجر ، فلم تزل بها حتى قالت : إنى أَعقِل أنهم حين خرجوا إلى اليمن سرقوه ، ونزلوا منزلا وهو معهم ، فبرك الجمل الذى كان عليه الحجر ، فضربوه فقام ، ثم ساروا فبرك ، فضربوه فقام ، ثم برك الثالثة فقالوا : ما بَرك إلا من أجل الحجر ، ودفنوه ، وذلك أسفلَ مكة ، وإنى لأعرف حيث بَرك ، فخرجوا بالحديد وخرجوا بها معهم ، فأرتهم حيثُ بَرَك أولا وثانيا وثالثا ، فقالت : آحفروا هُهنا . فحفروا حتى يئسوا منه ، ثم ضربوا فأصابوه وأخرجوه ، فأُتِى به قُصَىّ ، فوضعه فى الأرض ، فكانوا يتمسحون به وهو فى الأرض ، حتى بَنَى قُصَىّ البيت» . قال : «ومات قُصَىّ ودفن بالحَجُون» . والله أعلم بالصواب .

وأما عبد مناف بن قصىّ فكنيته[1] أبو عبد شمس ، وآسمه المغيرة ، وعبد مَناف [لقبه][2] ، وسبب ذلك أن أمه حُبَّى بنت حُلَيل الخُزاعية أَخدَمته مَناة ، وكان مَناة صنما عظيما لهم ، فسمى عبدَ مَناة به . ثم نظر قُصَىّ ، فرآه يوافق عبد مَناة بن كنانة ، فحوّله عبد مناف . قاله السُّهيلىّ[3] . [و][4] مَناف «مَفْعَل» من أناف يُنيف إنافة إذا آرتفع . وقال المفضَّل : الإنافة الإشراف والزيادة ، وبه سُمّى عبد مَناف لطوله ، ومنه تقول : مائة ونَيِّف ، أى شىء زائد على المائة .

---

(١) فى الأصل : «وكنيته» . (٢) تكملة يقتضيها السياق . وفى الأصل : «وعبد مناف وسبب الخ» . (٣) الروض الأنف ١ : ٦ . وفى الأصل : «قال السهيلى» .
(٤) فى الأصل : «مناف الخ» على أنه مقول قال ، والمثبت استظهار . لعله القريب من الصواب .

وكان قُصَيّ يقول : لى أربعة بنين سَمّيتُ آبنين بإلهى، وهما عبد مَناف وعبد العُزّى، وواحدا بدارى، وهو عبد الدار، وواحدا بى، وهو عبد قُصَىّ . حكاه محمد بن عائذ فى "مغازيه" عن أمّ سلمة .

وقال محمد بن سعد[1] : «أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبىّ عن أبيه قال : لما هلك قُصَىّ بن كِلاب قام عبد مَناف بن قُصَىّ على أمر قُصَىّ بعده وأمرُ قُرَيش إليه، وآختطّ بمكة رِباعا بعدَ الذى كان قُصَىّ قطع لقومه» .

قال : «وولد عبد مَناف[2] ستة نفَر، وست نسوة، وهم : عبد المُطّلِب بن عبد مَناف وكان أكبرهم، وهو الذى عَقَد الحِلْف لقُرَيش من النّجاشىّ فى مَتْجرها إلى أرضه، وهاشم، وآسمه عمرو، وهو الذى عَقَد الحِلف لقُرَيش من هِرَقْل لأن تختلفَ إلى الشأم آمنة، وعبد شَمْس بن عبد مَناف، وتُمَاضِر بنت عبد مَناف، وحَيّة[3]، وقِلابة، وبَرّة، وهالة، وأمّهم عاتكة الكُبْرى[4] بنت مُرّة، بن هِلال، بن فالِج، بن ثَعلبة[5] بن ذَكْوان، بن ثَعْلبة، بن بُهْثَة، بن سُلَيم، بن منصور، بن عِكرِمة، بن خَصَفَة، بن قيس عَيْلان، بن مُضَر. ونَوفل بن عبد مَناف، وهو الذى عَقَد الحِلف لقُرَيش من كِسْرَى إلى العِراق، وأبو عمرو بن عبد مَناف، واسمه عبيد[6]، دَرَج ولا عقب له، وأمهم وَاقدة بنت

---

(١) فى الطبقات ١ : ٤٢ (قسم أوّل) . (٢) فى طبقات ابن سعد ١ : ٤٢ (قسم أوّل): «ولد عبد» . (٣) فى الأصل، وطبقات ابن سعد ١ : ٤٣ (قسم أوّل)، وتاريخ اليعقوبى ١ : ٢٠٠ : «وحنة» ، والمثبت عن نسب قريش (الورقة ٥ ب)، وسيرة ابن هشام ١ : ١١٢ .

(٤) هى إحدى النسوة اللواتى كنّ يشترطن، لشرفهن إذا تزوّجن، أن يكون أمرهن بيدهن فى المقام والرواح . انظر المحبر لابن حبيب ص ٣٩٩ . (٥) فى ابن الأثير ٢ : ١٣، وسيرة ابن هشام ١ : ١١١، وتاريخ اليعقوبى ١ : ٢٠٠ : «فالج بن ذكوان» . (٦) فى الأصل: «ابن عبد مناف، وأبا عبيد» ، تصحيف .

أبى عَدِىّ، وهو عامر، بن عبد نُهم، بن زيد، بن مازن[1]، بن صَعصَعة؛ ورَيْطة بنت عبد مَناف، ولَدت بنى هلال، بن مُعيط[2] من بنى كِنانة، بن خُزيمة، وأمّها الثقفية[3] » .

وأما هاشم بن عبد مَناف، فكُنيته[4] أبو نَضْلة، وقيل أبو يزيد، وقيل بل كان يُكنَّى بآبنه أَسدَ؛ وآسمه عمرو، وهاشم لَقَب لُقِّب به . رُوِى عن آبن عبّاس[5] رضى الله عنهما أنه قال[6] : « كان آسم هاشم عَمرا، وكان صاحبَ إيلاف قُرَيش، وإيلافُ قُرَيش: دأب قُرَيش، وهو أوّل من سَنّ الرحلتين لقُرَيش؛ تَرحل إحداهما فى الشتاء إلى اليمَن وإلى الحبشة إلى النَّجاشىّ فيُكرمه ويَحبوه، ورحلةً فى الصَّيف إلى الشام إلى غَزَّة وربما بلَغ أَنْقِرة[7]، فيدخل على قَيْصَرفيُكرمه ويَحبوه؛ فأصابت قُرَيشا سنواتٌ ذهبن بالأموال، فخرج هاشم إلى الشام، فأَمَر بخُبز كثير فخُبِز له، وحمله فى الغَرائر على الإبل حتى وافَى مكة، فهَشم ذلك الخبز، يعنى كَسَره وثرده، ونحر تلك الإبل، ثم أمَر بطبخها، ثم كَفأ القدور على الجِفان، فأشبَع أهلَ مكة؛ فكان ذلك أوّلَ الحَيا بعد السَّنة التى أصابتهم؛ فسُمِّى بذلك هاشما، وفى ذلك يقول عبد الله بن الزِّبَعْرَى :

(١) فى تاريخ اليعقوبى ١ : ٢٠٠ : « ابن عامر بن صعصعة » .

(٢) فى نسب قريش (الورقة ٥ ب) : « وكانت ريطة بنت عبد مناف عند معيط بن عامر ... ابن كنانة، فولدت له هلالا » .

(٣) فى نسب قريش (الورقة ٥ ب) : « ريطة بنت عبد مناف، وأمها هند بنت كعب بن سعد بن عوف من ثقيف » .

(٤) فى الأصل : « وكنيته » .

(٥) فى الأصل : « ابن عثمان »، تصحيف .

(٦) انظر طبقات ابن سعد ١ : ٤٣ (قسم أول) .

(٧) انظر معجم البلدان ١ : ٣٦١ .

عمرو العلى هَشَم الثَّرِيد لقومه * ورجالُ مَكّةَ مُسْنِتون عِجافُ[1]

قال : «فَحَسده أُمَيَّةُ بن عبد شمس بن عبد مَناف ، وكان ذا مال ، فتكلّف أن يَصنع صنيع هاشم فعجز عنه ، فشمت به ناس من قُرَيش ، فغضِب ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، فكرِه هاشم ذلك لِسِنّه وقَـدرِه ، فلم تدَعْه قُرَيش وأَحفظوه » قال : « فإنى أُنافِرك على خمسين ناقةً سُودَ الحَـدَق تنحرها ببَطْن مكّة ، والجلاءِ عن مكّة عشرَ سنين . فرضِى أُمَيَّة بذلك ، وجعلا بينهما الكاهن الخُزاعىّ ، فنفَّر[2] هاشما عليـه ، فأخذ هاشمُ الإبل فنحرها وأطعَمها مَن حضَره ، وخرج أُمَيَّـة إلى الشام ، فأقام بها عشرَ سنين ؛ فكانت هذه أوّل عداوة وقعت بين هاشم وأُمَيَّـة ، ثم وَلِى هاشم الرِّفادة والسِّقاية » .

ذكر ولاية هاشم الرِّفادة والسِّقاية

قال : « إن هاشما ، وعبدَ شمس ، والمُطَّلب ، ونَوْفلا : بنى عبد مَناف أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدى بنى عبد الدار بن قُصَىّ ممـا كان قُصَىّ جعَل إلى عبد الدار من الحِجـابة ، واللِّواء ، والرِّفادة ، والسِّقاية ، والنَّدْوة ، ورأوا أنهم أحقُّ به منهـم لشَرَفهم عليهم ، وفضلهم فى قومهم ، وكان الذى قام بأمرهم هاشم ، فأبت بنو عبد الدار أن تُسـلم ذلك إليهم ، وقام بأمرهم عامرُ بن هاشم بن عبـد مَناف بن عبد الدار ؛ فصار مع بنى عبد مَناف بن قُصَىّ بنو أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ ، وبنو زُهْرة ابن كِلاب ، وبنو تَيْم بن مُرّة ، وبنو الحارث بن فِهْر ؛ وصار مع بنى عبـد الدار

(١) رواية ابن هشام فى السيرة ١ : ١٤٤ ، والروض الأنف ١ : ٩٤ :

« ... ... لقـومه قـوم بمكة مسنتين عجاف »

وهى التى تتفق مع قافيـة الأبيات — قبلها وبعدها — المكسورة . وعلى رواية النويرى تبعا للطبرى ٢ : ١٧٩ يكون فى البيت إقواء .

(٢) نفر الحكم : قضى لأحد المتنافرين بالغلبة على الآخر .

بنو مَخزوم، وَسَهْم، وجُمَح، وبنو عَدىّ بن كعب؛ وخرجت من ذلك بنو عامر ابن لُؤَىّ، ومُحارِبُ بن فِهر؛ فلم يكونوا مع واحد من الفريقَين، فعقد كلُّ قوم على أمرهم حِلفا مؤكّدا: ألا يتخاذلوا، ولا يُسلِمَ بعضُهم بعضا، «ما بَلَّ بَحْرٌ صوفة»[1].

فأخرجت بنو عبد مَناف، ومن صار معهم، جَفنةً مملوءة طِيبا، فوضعوها حول الكعبة، ثم غَمَس القومُ أيديَهم فيها، وتعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا، ومَسَحوا الكعبة بأيديهم توكيدًا على أنفُسهم، فسُمُّوا المَطَيَّبين. وأخرجت بنو عبد الدار ومَن كان معهم جَفْنةً مِن دم، فغمَسوا أيديَهم فيها، وتعاقدوا وتحالفوا: ألا يتخاذلوا ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفة؛ فسُمُّوا الأَحلاف، ولَعَقة الدَّم[2]، وتهيئوا للقتال، وعُبِّئت كلُّ قبيلة لقبيلة؛ فبينما الناس على ذلك، إذ تَداعوا إلى الصُّلح على أن يُعطوا بَنى عبد مَناف بن قُصَىّ السِّقاية والرِّفادة، وتكونَ الحِجابةُ واللِّواء ودارُ النَّدوة إلى بَنى عبد الدار كما كانت، ففعلوا، وتحاجز الناس؛ فلم تزل دار النَّدوة فى بنى[3] عبد الدار، حتى باعَها عِكْرِمة بن عامر، ابن هاشم، بن عبد مَناف، بن عبد الدار، بن قُصَىّ[4]، من مُعاوية بن أبى سُفيان؛ فجعلها مُعاوية دارَ الإمارة».

قال: «ووَلِى هاشم بن عبد مَناف بن قُصَىّ السِّقايةَ والرِّفادة، وكان رجلا مُوسرا، فكان يُخرِج فى كل عام مالا كثيرا، وكان قوم من قُريش أهلَ يَسار يَترافدون، فيرسل كل إنسان بمائة مثقال هِرَقْلية، وغيرُهم يرسل بالشىء اليسير على

(١) يقصدون بمثل هذا التعبير تأبيد الحكم؛ جاء فى اللسان: «ومن الأبديات قولهم: لا آتيك ما بل بحر صوفة، ويقال: ما بل البحر الصوفة».

(٢) سموا بذلك لأنهم لعقوا من ذلك الدم. انظر المحبر لابن حبيب ص ١٦٦

(٣) فى طبقات ابن سعد ١: ٤٥ (قسم أول): «فى يدى بنى».

(٤) فى الأصل: «قصى بن معاوية»، والتصويب عن طبقات ابن سعد ١: ٤٥ (قسم أول).

قدر حالهم ، فكان هاشم ، إذا حضر الحج ، يأمر بحياضٍ من أَدَم ، فتُجعل فى موضع زَمزَم ، ثم يُستقَى فيها الماء من البئار التى بمكة فيشرب به الحاجّ ، وكان يُطعمهم قبل التَّروِية بيوم بمكة ، وبمِنًى ، و بجَمْع[1] ، وعَرَفة ؛ وكان يَثْرُد لهم الخبز واللحم ، والخبز والسَّمن ، والسويق والتمر ، ويحمل لهم الماء ، فيستقون بمِنًى[2] ، والماءُ يومئذ قليل ، [فى حياض الأَدَم[3]] ، إلى أن يَصدُروا من مِنًى ، ثم تنقطع الضيافة ويتفرق الناس إلى بلادهم » . ٥

قال : « وهاشم بنُ عبد مَناف هو الذى أخذ الحِلْف لقُرَيش من قَيْصر أن تختلف آمنة ، فكتب له كتابا ، وكتب إلى النَّجاشى أن يُدخِل قُرَيشا أرضَه وكانوا تُجّارا ، فخرج هاشم فى عِير لقُريش فيها تِجارات ، وكان طريقُهم على المدينة ، فنزلوا بسُوق النَّبَط ، فصادفوا سُوقا تقوم بها فى السنة يَحشِدون لها ، فباعوا وآشتروا ، ١٠ ونظروا إلى آمرأة على موضع مُشرِف من السوق ، فرأى آمرأة تأمُر بما يُشترى ويُباع لها ، فرأى آمرأةً حازمة جَلْدة مع جَمال ، فسأل هاشم عنها أأيِّم هى أم ذات زوج ؟ فقيل له أيِّم كانت تحت أُحَيْحَة بن الجُلاح ، فولدت له عَمرا ومعبدا ثم فارقها ، وكانت لا تنكح الرجال ، لشرفها فى قومها ، حتى يَشترطوا لها أنّ أمرها ١٢ ١٤ بيدها ، فإذا كرِهت رجلا فارقته ؛ وهى سَلْمى[4] بنت عمرو[5] ، بن زيد ، بن لَبيد ، بن خِدَاش ، ١٥ ابن عامر ، بن غَنْم ، بن عدىّ ، بن النجّار ، فخطبها هاشم ، فعرفت شرفه ونَسَبه فزوّجته نفسها ، ودخل بها وصنع طعاما ، ودعا مَن هناك من أصحاب العير الذين كانوا معه ، وكانوا

(١) « جمع » : علم للزدلفة . معجم البلدان ٣ : ١٣٨ . (٢) فى طبقات ابن سعد ١ : ٤٥ : (قسم أوّل) : « فيسقون بمنى » . (٣) تكملة عن ابن سعد ١ : ٤٥ (قسم أوّل) .

(٤) انظر المحبر لابن حبيب ص ٣٩٨ . (٥) فى « نسب قريش » (الورقة ٦ أ) : ٢٠ « سلمى بنت زيد بن عمرو » .

أربعين رجلا من قُرَيش، ودعا من الخَزرَج رجالا، وأقام بأصحابه أياما، فعلِقت سَلْمَى بعبد المطَّلب، وولدته وفى رأسه شَيْبة، فسُمِّى شَيْبة. وخرج هاشم فى أصحابه إلى الشام حتى بلغ غَزَّة فمات، ودفِن بغَزَّة[1] وله عشرون سنة، وقيل خمس وعشرون سنة، ورَجَعوا بتركته إلى وَلَده، وأَوصَى هاشم إلى أخيه المطَّلب ابن عبد مَناف.

وحكى ابن الأثير[2] أنه لما تزوّج سَلْمَى شرط لها أبوها ألا تَلِدَ وَلَدا إلا فى أهلها، فحَمَلها هاشم إلى مكَّة فحملت منه، فلما أَثْقَلَت ردّها إلى أهلها ومضى إلى الشام؛ وقيل إنه لم ينقُلها، وإنه خرج إلى الشام هو وعبد شمس، فماتا جميعا بغَزَّة فى عام واحد، وبقِى مالُهما إلى أن جاء الله تعالى بالإسلام؛ فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخِر غزوة غزاها جاءه قيس بمالِهما، فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالَ هاشم إلى العبَّاس بن عبد المطَّلب، ففرّقه على كُبَراء بنِي هاشم، ودفع مالَ عبد شمس إلى سُفيان بن حَرْب، ففرّقه على كُبَراء بنى عبد شمس.

وقد حكى ابن الأثير[3]: أن عبد شمس مات بمكة فقُبِر بأَجْياد، وذلك بعد وفاة هاشم بغَزَّة[4]. قال: ثم مات نوفل بسَلْمان[5] من طريق العراق، ومات المطلب بردْمان[6] من أرض اليمن[7] والله أعلم.

---

(١) ولذلك تضاف إليه فيقال: غزة هاشم. وهى بفتح الغين والزاى المشـدّدة المفتوحة، وتقع فى أقصى الشام من ناحية مصر. معجم البلدان ٦: ٢٩٠. (٢) فى الكامل ٢: ٤، وأصل هذا الكلام للطبرى ٢: ١٧٦. (٣) فى الكامل ٢: ٧، وانظر سيرة ابن هشام ١: ١٤٧و١٥٧.

(٤) فى الأصل: «هشام»، تحريف. (٥) سلمان: ماء قديم، وهو فى طريقهم أيام الجاهلية من العراق إلى تهامة. معجم البلدان ٥: ١١١. (٦) ردمان بفتح الراء: بلد باليمن. انظر معجم البلدان ٤: ٢٤٥. وفى الأصل: «بريمان»، تحريف. (٧) فى الأصل، وابن الأثير ٢: ٧٠: «من أرض العراق»، تصحيف، والتصويب عن سيرة ابن هشام ١: ١٤٥، ١٤٧، والطبرى ٢: ١٨١، والروض الأنف ١: ٩٥، والخبر عن البشر ٣: ٦٤ (قسم أوّل).

وقيل : إن هاشماً وعبدَ شمس توأمان، وإن أحدَهما وُلد قبل الآخر[(١)]، قيل : إن الأوّل هاشم، وقيل : إنهما وُلدا وأُصبع أحدِهما ملتصقةٌ بجبْهة صاحبه فنُحِّيت، فسال دمٌ[(٢)] فقيل يكون بينهما دمٌ . والله تعالى أعلم .

قال ابن الكلبي[(٣)] : وولَد هاشم بن عبد مَناف أربعة نَفَر وخمسة نِسوة، وهم : شَيْبةُ الحَمْـد، وهو عبد المطّلب، ورُقَيّة ماتت وهى جارية لم تبْرُز، وأُمُّهما سَلْمى بنت عمرو، وأبو صَيْفيّ واسمـه عمرو وهو أكبَرهم، وأُمه هنـد، بنت عمرو، بن ثَعلَبة، بن الحارث، بن مالك، بن سالم، بن غَنْم، بن عَوْف، بن الخَزْرج . وأَسَد آبن هاشم وأُمّه قَيْلة، وكانت تُلقَّب الجَزُور[(٤)]، بنت عامر، بن مالك، بن جَذِيمة، وهو المُصطَلِق بن خُزاعة، ونَضْلَة بن هاشم، والشّـفاء، وأمهما أُمَيْمة[(٥)] بنت عدىّ، آبن عبد الله، بن دينار[(٦)]، بن مالك، بن سَلامان، بن سَعد[(٧)]، بن قُضاعة . والضّعيفة بنت هاشم، وخالدة بنت هاشم، وأمهما أمّ عبد الله، وهى واقدة بنت أبى عَدِىّ، ويقال عدىّ، وهو عامر، بن عبد نُهْم، بن زيد، بن مازِن، بن صَعصَعة، وحَيّة[(٨)]

(١) انظر الكامل لابن الأثير ٢ : ٧، والطبرى ٢ : ١٨٠ . (٢) رواية ابن الأثير ٢ : ٧ : « فسال الدم » . (٣) نقله ابن هشام فى السيرة ١ : ١١٢ (٤) فى نسب قـريش (الورقة ٦ أ)، والخـبر عن البشر ٣ : ٦٦ (قسم أول) : « سميت الجـزوز لعظمها » . وفى الأصل : « الحزور » بالحاء، تصحيف . (٥) هذه رواية ابن الكلبى، ونقلها المقريزى فى الخبر عن البشر ٣ : ٦٥ (قسم أول)، وفى نسب قريش (الورقة ٦ أ)، والخبر عن البشر ٣ : ٦٦ (قسم أوّل) رواية عن الزبير بن بكار : « أمية بنت ودّ بن عدىّ » . (٦) كذا فى الخبر عن البشر ٣ : ٦٥ (قسم أول)، وفى طبقات ابن سعد ١ : ٥٢ (قسم أول) : « بن سعد من قضاعة » . (٧) فى سـيرة ابن هشام ١ : ١١٢ و١١٣، والخبر عن البشر ٣ : ٦٥ و ٦٦ (قسم أول) : « وضعيفة بنت هاشم » . (٨) كذا فى سيرة ابن هشام ١ : ١١٢و١١٣، والخبر عن البشر ٣ : ٦٦ (قسم أوّل) . وفى ابن سعد ١ : ٥٢ (قسم أوّل) : « حنة » .

بنت هاشم، وأمها [أم][1] عَدىّ بنت حَبيب، ابن الحارث، بن مالك، بن حُطَيط ابن جُشَم بن قسِيّ وهو ثقيف . والله عز وجل أعلم بالصواب .

ذكر أخبار عبد المطلب بن هاشم

قال ابن قتيبة[2] : « وآسمه عامر » . والصحيح[3] عندهم ماذكره محمد بن إسحاق بن يَسار وغيرُه أن آسمه شيبة ، وكنيته أبو الحارث ، كُنِّىَ باسم ولَده الحارث ، وهو أكبر ولده .

ولعبد المطَّلب كُنيةٌ أخرى ، وهى أبو البَطْحاء ؛ ولتَسْمِيته بهذين الاسمين ، وتَكْنِيته بأبى البَطْحاء أسباب نَذكُرها قريبا إن شاء الله تعالى . وأُمّ عبد المطلب سَلْمَى بنت عمرو[4] ، بن زيد ، بن لَبيد ، بن خِداش ، بن عامر ، بن غَنْم ، ابن عَدىّ[5] ، بن النّجار .

وقال ابن إسحاق : سَلْمَى بنت زيد ، بن عمرو ، بن لَبيد ، بن [حرام ، آبن][6] خِدَاش ، بن جُندُب ، بن عَدىّ[7] ، بن النّجار .

وقد تقدم آنفا خبر زواج هاشم بها .

---

(١) الزيادة من الخبر عن البشر ٣ : ٦٦ (قسم أوّل) ، ونسب قريش (الورقة ٦ أ) . وفى سيرة آبن هشام ١ : ١١٣ ، والخبر عن البشر ٣ : ٦٦ (قسم أوّل) نقلا عن الزبير بن بكار : « وأم أبى صيفى ، وحية ، هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية » . وانظر السهيلى ١ : ٧٧ .

(٢) فى المعارف ص ٣٣ ، ونقله المقريزى فى الخبر عن البشر ٣ : ٦٥ (قسم أوّل) عن ابن الكلبى . وانظر تاج العروس (طلب) .

(٣) انظر شرح المواهب للزرقانى ١ : ٧١ .

(٤) هذه رواية ابن هشام ١ : ١١٢ ، ومصعب الزبيرى فى نسب قريش (ورقة ٦ أ) ، وإحدى روايتى الطبرى ٢ : ١٧٦ ، ونسبها المقريزى فى الخبر عن البشر ٣ : ٦٥ ، ٦٧ (قسم أول) إلى ابن الكلبى .

(٥) نقله الطبرى ٢ : ١٧٦ ، وقد حكى القولين غير منسوبين ابن عبد البر فى الاستيعاب ١ : ١٥ .

(٦) التكملة عن الطبرى ٢ : ١٧٦ .

(٧) فى الأصل : « ... ابن النجار ، وكان يحيى بن معين يقول : كتاب موسى بن عقبة عن الزهرى أصح هذه الكتب ، وقد تقدّم الخ » . وهى جملة دخيلة على النص ، فوجب إبعادها .

ذكرُ ما قيل فى سبَب تَسميته وكُنيته

أمّا سبب تسميته شَيْبة فقيل إن أُمّه ولدته وفى رأســه شَيْبة[١]، وكانت ظاهرةً فى ذُؤابتــه ، فسمَّته شَيْبَة ، وذلك فى غَيْبة أبيــه . وقيل : إن أباه أوصاها إذا ولدت ذكرا أن تُسَمِّيه شَيْبة، فهو شَيْبة الحَمْد[٢] .

١٣/١٤ وفى تَسميته[٣] عبد المطلب أنه لمـا مات هاشم أقام شَيْبة بالمدينة عنـد أمه إلى أن بلغ سبع سنين ، فمرّ رجل من بنى الحارث بن عبد مَناف[٤] بالمدينة[٥]، فإذا غِلمان يَنتضلون[٦]، فجعل شَيْبَة إذا أصاب[٧] قال : أنا ٱبن هاشم ،أنا ٱبن سيد البَطْحاء[٨]، فقال له الحارثى[٩] من أنت قال : أنا شَيْبَة بن هاشم ، بن عبد مَناف . فلما أتى الحارثىّ مكّة قال للطلب ، وهو بالحِجر[١٠] : يا أبا الحارث، رأيت ابن أخيك هاشم بيَثْرِب، وأخبره بحاله ، ولا يَحْسُن بك أن تَترُك مثله ، فقال المطّلب : والله لا أرجع إلى أهلى حتى آتى به ؛ وأعطاه الحارثىّ ناقتــه فركبها وقدِم المدينة عشـاء، فإذا غلمان يضربون

(١) تقدّم ذلك عن ابن الأثير ٢ : ٤ .

(٢) هذا قول محمد بن إسحق ، وصححه السهيلى ١ : ٦ ، وانظر الزرقانى على المواهب ١ : ٧١

(٣) فى الأصل : « وفى تسمية عبد المطلب » ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٤) فى الخبر عن البشر ٣ : ٦٦ (قسم أوّل) : « رجل من أهل تهامة » .

(٥) فى الطبرى ٢ : ١٧٧ : « عبد مناة بيثرب » .

(٦) ينتضلون : يستبقون فى رمى الأغراض بالسهام .

(٧) فى الطبرى ٢ : ١٧٧ : « إذا خسق » .

(٨) يريد بطحاء مكة ، وهى متسع سهل بها . وانظر معجم البلدان ١ : ٢١٣ ، ٢١٥ ، والخشنى ١ : ٤٤

(٩) فى الأصل : « الحارث » تصحيف .

(١٠) الحِجر بالكسر : حِجر الكعبة ، وهو ما تركت قريش فى بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام ، وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة . معجم البلدان ٣ : ٢٢١ ، وتهذيب الأسماء واللغات للنووى ٢ : ٨٠ تاج العروس (حجر) .

كُرَة، فعرف آبن أخيه، فقال للقوم : هـذا آبن هاشم ؟ (١) قالوا نعم ، فبلغ أُمّه أنه جاء ليأخذه فقالت : والله لو أنّ لك مالا مثـل (٢) أُحُد ما أعطيتك إياه ، فقـال : لا أنصرف حتى أَخْرُجَ به؛ إنّ ابن أخى قد بَلَغ ، وهـو غريب عن قـومه . فيقال إنها دفعته إليـه فأخذه بإذنها . وقيل إنه أَخَذه آختلاسا ، وأعانه على أَخْذِه رجل من خُزَاعة .

وقال آبن سـعد فى طبقاته (٣) عن محمد بن واقِد الأسلمىّ : إن ثابت بن المُنْذِر ابن حَرام ، وهو أبو حسّان بن ثابت الشاعر، قـدم مكّة مُعتَمِرا ، فلق المطّلب ، وكان له خليـلا ، وكان المطّلب قد ولى السِّقاية والرِّفادة بعـد موت هاشم ، فقـال له ثابت : لو رأيتَ آبنَ أخيك شَيْبَة فينـا لرأيتَ جمـالًا وهَيْبـةً وشَرَفا ؛ لقد نظرتُ إليـه ، وهو يناضل (٤) فِتيانًا من أخواله ، فيُدْخِل مِرْماتَيْه (٥) جميعا فى مثل راحتى هذه، و يقول كلما خَسق (٦) : أنا ابن عَمْرو العُـلَى ! فقال المطّلب : لا أُمْسِى حتى أَخْرُجَ إليه فأَقْدَم به ، فخرج (٧) فورد المدينة ، فنزل فى ناحية ، وجعل يَسأل عنه حتى وجده يَرمِى فى فِتيان من أخواله ، فلمـا رآه عرف شَبَه أبيه فيـه، ففاضت عيناه ، وضَمّه إليه وكساه حُلّةً يمـانية ، وأنشأ يقول :

عَرَفْتُ شَيْبَةَ والنّجّارُ قد حفَلَت * أبنـاؤها حولَه بالنَّبْـل تَنْتَضِلُ
عَرَفتُ أَجلادَه (٨) منـا وشِيمتَـه * ففـاض منّى عليـه وابِلٌ سَـبِلُ (٩)

---

(١) فى الطـبرى ٢ : ١٧٧ : «أهـذا ابن هاشم» . (٢) الكلمـة فى الأصـل غير واضحة ، ولعـل ما أثبت أقرب إلى الأصـل . (٣) فى الطبقات ١ : ٤٨ (قسم أول) . (٤) يناضل فتيانا : يباريهم فى الرمى . (٥) المرماتان : سهمان يرمى بهما الرامى فيحرز سبقه . (٦) خسق السهم : أصاب الغرض . (٧) اختصر المؤلف نص ابن سعد ، وانظر الطبقات ١ : ٤٨ (قسم أول) . (٨) أجلاد الإنسان : جماعة شخصه ، ومن كلامهم : «ما أشبه أجلاده بأجلاد أبيه أى شخصه وجسمه» . (٩) أسبل الدمع : هطل ، والاسم السبل .

فأَرسَلَتْ سَلْمَى إلى المطَّلِب ، فدعَتْـه إلى النُّزول عليهـا فقال : شَأنى أَخفُّ من ذلك ؛ ما أريد أن أَحُلَّ عُقدةً حتى أقبِض آبنَ أخى فأَلحقَه ببلده وقومه ، فقالت : لستُ بمُرسِلَته معك ، وغلَّظَت عليه فقال : لاتفعلى [(١)] فإنى غيرُ منصَرِف حتّى أَخرُجَ به معى ، فإنّ المُقام ببلده خيرٌ له من المُقام ههنا ، وهو ابنك حيث كان ؛ فلما رأتْ أنه غير مقصّر حتى يَخرُجَ به استنظَرَتْه ثلاثةَ أيام ، وتحـوّل المطَّلب إليهـم ونَزَل عندهم [(٢)] ، وأقام ثلاثا ثم آحتمَله وانطلقا جميعا ، ودخل به إلى مكّة فقالت [(٣)] قُرَيش : هذا عبد المطَّلب ! فقال : ويحَكُم إنمـا هو آبن أخى شَيْبَةَ بن عَمرو .

وقيل إنه لمـا دخَل إلى مكّة دخلها وشَيْبةُ معـه على عَجُز ناقته ، وذلك ضُحًى [(٤)] ، والنـاسُ فى أسواقهم ومَجالسهم ، فقاموا يُرحِّبون بقُـدوم المطَّلب ويقولون له : مَن هـذا معك ؟ مَن هذا وَراءك ؟ فيقول : هـذا عَبدى ، وفى رواية هـذا عبدٌ آبتعته [(٥)] بيَثرِب ، فأدخَلَه المطَّلب منزِلَه على آمرأته خَديجة بنت سَـعيد بن سَهْم ، فقَالت : مَن هـذا معك ؟ قال : عبدٌ لى ؛ وآشترَى له حُلَّةً فلبِسها ، ثم خرَج به العشِيَّ إلى مَجلس بنى عبد مَنَاف وأَعلَمهم [(٦)] أنه آبنُ أخيه ؛ فجعل شَيْبَةُ يطوف بمكّة ، فإذا مَرَّ بقوم قالوا : هذا عبد المطَّلب ، فغلب ذلك عليه .

وفى تَكنيته بأبى البَطْحاء أنه آستسْقَى لأهـل مكّة فسُـقُوا لوقْتهم ، فقال له مشايخ قُرَيش عنـد ذلك : هنيئـا لك أبا البَطْحاء . وسنذكر إن شاء الله تعـالى

(١) فى طبقات ابن سعد ١ : ٤٨ (قسم أوّل) : « فقال المطلب لاتفعلى » .

(٢) فى ابن سعد ١ : ٤٨ (قسم أوّل) : « فنزل عندهم » .

(٣) فى طبقات ابن سعد ١ : ٤٨ (قسم أوّل) : « إلى مكّة ظهرا فقالت » .

(٤) كذا فى طبقات ابن سعد ١ : ٤٨ (قسم أوّل) ، وفى كامل ابن الأثير ٢ : ٥ : « فقدمها ضحوة » .

(٥) فى الخبر عن البشر ٣ : ٦٨ (قسم أول) : « عبد لى ابتعته » .

(٦) فى ابن الأثير ٢ : ٥ : « فأعلمهم » .

هذه القصّة بطولها فى المَبَشِّرات برسول الله صلى الله عليه وسلّم . فهذه أسباب تَسميته وتَكنيته[(١)] . والله أعلم .

وكان عبد المطلب جَسيما ، أبيضَ ، وسيما ، طُوَالا ، فصيحا ؛ ما رآه أَحَدٌ قَطُّ إلا أحبَّه . قال الواقدى : وأقام عبدُ المطَّلب بمكّة حتّى أدرك ، وخرج المطَّلب بن عبد مَنَاف تاجرًا إلى أرض اليَمَن ، فهلك بَرْدمان من أرض اليمن ، فولِى عبدُ المطَّلب بعدَه الرِّفادة والسِّقاية ؛ فلم يزل ذلك بيده وهو يُطعِم الحاجّ ويَسْقيهم[(٢)] فى حِياض الأَدَم حتى حَفَر زَمْزَم ، فترَك السَّقْىَ فى الحِياض ، وسقاهم من زَمزَم ، وكان يَحمل الماء من زَمزَم إلى عرفةَ فيَسقيهم . والله أعلم .

ذكر حَفْر عبد المطَّلب زَمْزَم وما وُجِد فيها

قال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله بسنَد رفَعه إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال[(٣)] : قال عبد المطَّلب ؛ إنى لَنائم فى الحِجْر ، إذ أتانى آتٍ فقال : احفِر طيبة[(٤)] قال : قلت : وما طِيبة ؟ قال : ثم ذهَب عنى ؛ فلمّا كان الغَد رجعت إلى مَضجِعى فنمتُ فيه ، فجاءنى فقال[(٥)] : احفِر زَمزَم ، قال : قلت وما زَمزَم ؟ قال : لا تُنزَف[(٦)] أبدا ولا تُذمّ[(٧)] ، تَسْقِى الحَجيجَ الأعظم ، وهى بينَ الفَرث

(١) فى الأصل : «تسميته وكنيته» .
(٢) رواية ابن سعد ١ : ٤٩ ١ (قسم أوّل) : «بيده يطعم الحاج ويسقيهم فى حياض من أدم» .
(٣) نقله ابن هشام فى السيرة ١ : ١٥١ — ١٥٣ .
(٤) طيبة بكسر الطاء : علم على بئر زمزم . وانظر معجم البلدان ٦ : ٧٧ ، تاج العروس (طيب) .
(٥) اختصر المؤلف نص ابن إسحاق ، وقد ذكر بأوسع مما هنا فى سيرة ابن هشام ١ : ١٥١ . وانظر طبقات ابن سعد ١ : ٤٩ (قسم أول) ، وابن الأثير ٢ : ٥ .
(٦) أى لا يفنى ماؤها على كثرة الاستقاء . وفى طبقات ابن سعد ٢ : ٤٩ (قسم أول) : «لا تنزح ولا تذم» . وفى ابن الأثير ٢ : ٥ : «وقل : تراث من أبيك الأعظم لا تنزف ولا تذم» .
(٧) لهم فى معنى «لا تذم» ثلاثة أقوال ، أحدها : لا تعاب من قولك ذممته : إذا عبته ، والثانى : لا تلفى مذمومة ؛ يقال : أذممته إذا وجدته مذموما ، والثالث : لا يوجد ماؤها قليلا ناقصا ؛ من قولك بئر ذمة : إذا كانت قليلة الماء .

والدَّم، عند نُقْرة الغُراب الأَعصم[(١)]، عنـد قَريةِ النمل[(٢)]. قال[(٣)]: فلما بُيِّن له شأنُها، ودُلّ على موضعها، وعَرَف أنه قد صُدِق، غَدَا بِمعْوله[(٤)]، ومعـه ابنه الحارث، وليس له[(٥)] يومئـذ ولدٌ غيره فحفر، فلمّا بدَا لعبد المطَّلب الطى[(٦)] كَبَّر، فعرَفَت قُرَيْش أنه قد أدرك حاجتَه، فقاموا إليه فقالوا: ياعبدَ المطَّلب، إنّها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حَقّا، فأَشرِكنا معك فيها، قال: ما أنا بفاعل، إن هـذا الأمرَ قد خُصِصْتُ به دونَكم، وأُعطِيتُه من بينكم، قالوا له: فأَنصِفنا، فإنا غيرُ تاركيك حتى نُخاصِمَك فيها، قال: فاجعلوا بيني و بينَكم مَن شئتُم أحاكِمْكُم إليه، قالوا: كاهنة بَنِى سَعْد بن هُذَيم[(٧)]، قال نعم. وكانت بمَعان[(٨)] من أشراف الشّام فركب عبدُ المطَّلب ومعـه نَفَر من بنى أبيه من بَنى عبد مَنَاف، ورَكِب[(٩)] من كُل قبيلة من قُرَيش نَفَرٌ

(١) الغراب الأعصم: الأحمر الرجلين والمنقار، أو هو الذى فى أحد جناحيه، أو فى إحدى رجليه ريشة بيضاء؛ وهذا الوصف عزيز الوجود فى الغربان. وكان — فيما رواه ابن سعد فى الطبقات ١: ٤٩ (قسم أول) — غراب أعصم لا يبرح عند الذبائح مكان الفرث والدم. وانظر تاج العروس (عصم)، ودلائل النبوة للبيهقى ١: ٢٠ ظ.

(٢) قرية النمل: الموضع الذى يجتمع فيه النمل.

(٣) القائل هو ابن إسحق، وانظر سيرة ابن هشام ١: ١٥١.

(٤) المعول: الفأس.

(٥) فى طبقات ابن سعد ١: ٤٩ (قسم أول): «الحارث وليس له».

(٦) قال الخشنى ١: ٥١: «الطى: الحجارة التى طويت بها البئر، سميت بالمصدر». وفى طبقات ابن سعد ١: ٤٩ (قسم أول): «الطوى». والطوى: البئر المطوية بالحجارة.

(٧) كذا فى طبقات ابن سعد ١: ٤٩ (قسم أول). وفى تاج العروس (هذم): «وسعد ابن هذيم كزبير باثبات الألف [يعنى فى «ابن»] بين سـعد وهذيم: أبو قبيلة، وهو ابن زيد بن ليث بن سود، لكن حضنه عبد حبشى أسود اسمه هذيم فغلبه عليه، ونسب إليه». وفى سيرة ابن هشام ١: ١٥٢، ولسان العرب (هذم): «سعد هذيم». وانظر الخشنى ١: ٥٠، والسهيلى ١: ١٦.

(٨) معان بفتح الميم وضمها: مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز. معجم البلدان ٣: ٩٣، تاج العروس (معن).

(٩) فى الأصل: «من بنى أمية؛ وركب»، والتصويب والتكملة عن سيرة ابن هشام ١: ١٥٢، وطبقات ابن سعد ١: ٤٩ (قسم أول). وفى ابن الأثير ٢: ٥، وشرح المواهب للزرقانى ١: ٩٣: «ومعه نفر من بنى عبد مناف».

والأرضُ إذ ذاك مَفَاوِز ، فخرَجوا(١) حتى إذا كانوا ببعض تلك المَفَاوز بين الحجاز والشّام ، فَنِي ماءُ عبد المطّلب وأصحابِه ، فظمِئوا حتى أيقنوا بالهلَكة ، فآستسقوا مَن معَهم من قبائل قُرَيش فأبَوا عليهم ، وقالوا : إنّا بمَفازة ، ونحنُ نخشَى على أنفسِنا مثلَ ما أصابكم ؛ فلما رأى عبد المطّلب ما صَنَع القوم ، وما يتخوّف على

٥ نفسِه وأصحابِه قال : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأيُنا إلا تَبَعٌ رأيك(٢) ، فُمُرنا بما شئت ، قال : فإني أرى أن يَحفِر كلّ رجل منكم حُفرتَه لنفسه بما بكم الآن من القوة ، فكلّما مات رجل دفَعه أصحابُه فى حُفْرته ثم واروه ، حتى يكونَ آخرُكم رجلا [واحداً](٣) فيموتَ ضَيعَةً(٤) ، فضَيعةُ رجل واحد أيسَرُ من ضَيعَة رَكْبٍ جميعا ، قالوا : نِعْمَ ما أمَرتَ به . فقام كل رجل منهم(٥) فحفر حُفرتَه ، ثم قعَدوا ينتظرون الموت عطشاً ؛

١٠ ثم إن عبد المطّلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءَنا بأيدينا هكذا للموتِ عَجْز(٦) ، ألّا نَضربُ فى الأرض ، ونَبتَغى لِأنفسنا ؟ فعسَى اللهُ أن يرزقَنا ماءً ببعض البلاد . ارتحِلوا ! فآرتَحَلوا حتى إذا فرَغوا ، ومَن معَهم مِن قبائل قُرَيش يَنظرُون إليهم ماهُم فاعلون ، تقدّم عبدُ المطّلب إلى ناقته(٧) فركِبها ، فلمّا آنبعَثت به آنفجَرت مِن تحتِ خُفِّها عينٌ [من](٨) ماءٍ عَذْب ، فكبّر عبدُ المطّلب وكبّر أصحابُه ، ثم نزَل فشرِب ، وشرِب أصحابُه ،

---

١٥ (١) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢ : « قال : فخرجوا » . (٢) فى ابن هشام : « إلا تبع لرأيك » . (٣) إضافة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢ . وفى ابن الأثير ٢ : ٦ : « حتى يكون آخركم موتا قد وارى الجميع ، فضيعة » . (٤) مات ضيعة بكسر الضاد : أى غير مفتقد ولا متعهد . (٥) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢ « فقام كل واحد منهم » .

(٦) فى شرح المواهب للزرقانى ١ : ٩٣ : « ... للموت عجز، لنضربن فى الأرض» ، وفى سيرة ابن

٢٠ هشام ١ : ١٥٢ ، وابن الأثير ٢ : ٦ : « ... للموت لانضرب فى الأرض ، ولا نبتغى لأنفسنا لعجز » .

(٧) فى ابن هشام ١ : ١٥٢ : «إلى راحلته» . (٨) زيادة عن ابن هشام ١ : ١٥٢ ، وفى ابن الأثير ٢ : ٦ : « عين عذبة من ماء » .

وآستقَوا حتى ملأوا أسقِيَتَهم ، ثم دَعا القبائل من قُرَيش فقال : هَلُموا[1] إلى المـاء ، فقد سـقانا الله ، فآشرَبوا وآسـتقُوا ، فجاءوا فشرِبوا وآستقَوا ثم قالوا : قد والله قُضِى لك علينا يا عبدَ المطّلب ، والله لا نُخاصِمُك فى زَمزَم أبدا ، إن الذى سقاك هذا المـاءَ بهذه الفَلاة لهو الذى سقاك زَمزَم ، فآرجع إلى سِقايتك راشدا ، فرَجع ورجَعوا معه ، ولم يصِلوا إلى الكاهنة ، وخلَّوا بينَه و بينَها .

هذا أحد ما قيل فى حفر زمزم .

وفى رواية أخرَى : أنه قيل له : احفِر زَمزَم ، إنك إن حفرتَها لم تَندَم ، وهى تُراثٌ من أبيك الأعظم ، لا تُنزَف أبدا ولا تُذَمّ ، تَسْقِى الحَجِيجَ[2] الأعظم ، مثل نعامٍ جافلٍ[3] لم يُقسَمْ . يَنـذِر فيها ناذِرٌ لمُنعِمْ ، تكون ميراثًا وعقـدًا مُحْكَمْ ، ليسَت كبعض ما قد تَعلَمْ ، وهى بينَ الفرث والدَّمْ[4] .

قال آبن إسحاق : فزعَموا[5] أنه حين قيل له ذلك قال[6] : فأين هى ؟ قيل له عند قَريةِ النَّمْـل ، حيث يَنقُر الغرابُ غدا . فغدا[7] عبدُ المطَّلب ومعـه آبنه الحارث ، فوجَد قريَةَ النَّمـل ، ووجد الغُراب ينقرُ عندَها بين الوثَنَيْن : إسَاف[8] ونائلةَ اللّذَيْن كانت قُرَيش تنحرَ عندَهما ذَبائحَها ، فجاء بالمِعْوَل ، وقام ليحْفِر حيثُ أُمِر ، فقامت

---

(١) كذا فى ابن الأثير ٢ : ٦ ، وفى سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢ : « هلم إلى المـاء » .

(٢) جمع حاج . (٣) جافل : شارد . (٤) قال ابن هشام (١ : ١٥٤) : «وهذا الكلام ، والكلام الذى قبله من حديث على رضى الله عنه فى حفر زمزم ، من قوله : « لا تنزف ولا تذم » إلى قوله : «عند قرية النمل» عندنا سجع وليس شعرا» .

(٥) نقله ابن هشام ١ : ١٥٤ .

(٦) فى ابن هشام ١ : ١٥٤ : « قال : وأين » .

(٧) فى سـيرة ابن هشام ١ : ١٥٤ : « فعدا » بالعين المهملة .

(٨) إساف « بوزن كتاب ، وسحاب » : صنم وضعه عمرو ابن لحى الخزاعى على الصفا ، ووضع نائلة (صنم أيضا) على المروة ، وحولهما قصة تجدها فى كتاب الأصنام ، وتاج العروس (أسف) ، وشرح المواهب للزرقانى ١ : ٩٥ .

إليه قُرَيْش حين رأوا جِدّه فقالوا : والله لا نتركك تحفرُ بين وثَنَيْنا هذَيْن اللذَيْن نحر عندهما، فقال عبد المطّلب لابنه الحارث : ذُدْ عنّي حتى أحفر، فوالله لأمضينّ لما أُمرتُ به ، فلمّا عرفوا أنه غير نازع[1] خلَّوا بينه و بين الحفر وكفُّوا عنه ، فلم يَحفِر إلا يسيرًا حتّى بدَا له الطَّيّ ، فكبّر وعرَف أنه قد صُدِق ، فلما تمادَى به الحفْر وجد فيها غزالَيْن[2] من ذَهَب ، وهما الغزالان اللذان دفنتْ جُرْهُم فيها حين خَرَجَت من مكّة ، ووجَد فيها سُيوفا قَلْعيَّةً[3] وأَدْرَاعا ، فقالت له قُرَيْش : لنا معك في هذا شِرْكٌ[4] وحَقّ ، قال : لا . ولكن هَلُمّ إلى أمرٍ نَصَف[5] بيني و بينكم ؛ نَضربُ عليها بالقِداح[6] ، قالوا : وكيف نصنَع؟ قال : أجعلُ للكعبة قِدْحَيْن ، ولي قِدْحَيْن ، ولكم قِدْحَيْن ، فمَن خرَج قِدحاه على شيء كانَ له ، ومن تخلّف قِدْحاه فلا شيء له ، قالوا : أنصفْت ، فجعل قِدْحَيْن أصفرَيْن للكعبة ، وقدْحَيْن أسودَيْن له ، وقِدْحَيْن أبيضين لقُرَيْش ، ثم أعطَوها صاحبَ القداح الذى يَضرب بها عند هُبَل ، وهُبَلُ صنم في جَوف الكَعبة ، وهوأعظم أصنامهم ، وقام عبد المطّلب يدعو[7] ، وضَرب[8] صاحبُ

(١) نزع عن الأمر : كف عنه ، وفى الزرقانى ١ : ٩٥ : «غير تارك» .

(٢) فى الأصل : «فيها عين البئر من ذهب» ، تحريف .

(٣) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٥٤ ، وابن الأثير ٢ : ٧ : «أسيافا قلعية» ، والقلعية نسبة إلى القلعة بفتح فسكون ، والمسمى بالقلعة موضعان أحدهما بالهند ، والثانى باليمن ، و إليهما معا تنسب السيوف القلعية وانظر تاج العروس (قلع) . وفى ابن سعد ١ : ٥٠ (قسم أول) : «سيوفا قلعية وأظفارا» .

(٤) شرك : أى حصة ونصيب .

(٥) النصف : أن تعطى غيرك من الحق كالذى تأخذ لنفسك .

(٦) جمع قدح (بكسر فسكون) ؛ وهو سهم بغير نصل كانوا يستقسمون به ، وفى كيفية الاستقسام تفصيل تجده فى كتاب الميسر والقداح لابن قتيبة ص ٣٨

(٧) أنظر البداية والنهاية ٢ : ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩١ .

(٨) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٥٥ : «يدعو الله عز وجل ، فضرب» .

القِداح، فخرج الأصفران على الغزالَين [للكعبة](١) ، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطّلب، وتخلّف قدحا قُرَيش؛ فضرب عبدُ المطّلب الأسيافَ بابًا للكعبة، وضربَ فى الباب الغزالَين(٢)، فكان أول ذَهَب حُلِّيَته الكعبة. وقيل إنه جعل القُفل والمفتاح من ذَهَب الغزالَين(٣). وعن محمّد بن عمرو بن واقد قال: كانت جُرهمُ(٤) حين أحسُّوا بالخروج من مكة دفَنوا غزالَين وسبعةَ أسياف قَلْعِيّة، وخمسة أدراعٍ [سوابغ](٥)، فوجدها عبد المطّلب.

هذا خبر حفر زَمزَم وما وُجد فيها، وقد تقدَّم ذكر سبَب خبر رَدْمها فى أثناء أخبار قُصَىّ بن كلاب؛ فلنذكُر من أخبار عبد المطّلب خلافَ ذلك. والله الموفق للصواب.

ذكر خبر استسقاء عبد المطّلب لبنى قَيْس عَيلان(٦) وهُذَيل ومَن معهم

حكى الزُّبَير بن بكّار فى أنساب قُرَيش وبَنى هاشم، وبَنى عبد المطّلب قال: روَى إبراهيم بن محمد الشافعى عن أبيه، عن الوليد بن خالد المخزومىّ، عن سَعد بن حُذَافة الجُمَحىّ، عن محمد بن عَطية العَوْفى، عن رجل من هُذَيل قال: قَحَطتْ بلادُ

(١) تكملة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٥٥ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٤٦ .

(٢) فى البداية والنهاية ٢ : ٢٤٦ وسيرة ابن هشام ١ : ١٥ : «الغزالين من ذهب، فكان» .

(٣) فى طبقات ابن سعد ١ : ٥٠ (قسم أول) : "فضرب الغزالين صفائح فى وجه الكعبة، وكان من ذهب، وعلق الأسياف على البابين يريد أن يحرز به خزانة الكعبة؛ وجعل المفتاح والقفل من ذهب» .

(٤) فى طبقات ابن سعد ١ : ٥٠ (قسم أول) : « قال : وكانت » .

(٥) تكملة عن ابن سعد ١ : ٥٠ (قسم أول) .

(٦) فى الأصل «غيلان» بالمعجمة تصحيف .

قَيس ، وأجدبت فلم تُصبهم سَماء يعقد بها الثَّرى ، ولا ينبُت بها الكَلَأ ، فذاب الشّحم ، وذهب اللحم ، وتهافتوا ضُرًّا وهَزْلا ، فآجتمعوا للشورَة و إجالة الرأى ، وقد عزَموا على الرّحلة وآنتجاع البلاد ، فقالت فرقة منهم : آنتجعوا بلادَ سَعد و بَطْن العُشر (١) ، وقالت فِرقة أُخرى : إنّ تَميا عددٌ كثير لا يفضُل منهـم ما يكفيكم ، وقالت فرقة أُخرى : لينتجع كلُّ ولدِ أبٍ منكم ولدَ أبٍ من غيركم ، وآعقِدوا معهم حِلفا تَشْرُكونهم به فى رَبْعهم (٢) ، فقام رجل حسَن الوَجه ، مجتمع الخَلْق ، جيِّد الرأى ، فقال : يابَنِي عَيـلان (٣) ، إنكم قـد أصبحتُم فى أمرٍ ليس بالهَزْل ، هـذا أمر عظيمٌ خطـرُه ، متباعدٌ أمرُه ، قد بلَغنا أنّ عبد المطّلب بن هاشم سـيّد البَطْحاء آستَسقَى فسُقى ، ودعَا فأُجيب ، وآستُجير به فأَجار ، فآجعَلوا قَصدَكم إليه ، ووفادَتكم عليه ، فإن ذلك أوكَدُ للسّبَب ، وأوجَهُ فى الطّلَب . قالوا : أحسَن الرّأى ، فرحلت قيس وهُذَيل ، ومَن دنَا منهم حتّى أتَوا عبدَالمطّلب ، فقالوا : أفلَحَ الوجهُ أبا الحارث ! نحن ذَووا أرحامك الواشِجات (٤) ، أصابَتنا سِـنُون مُجْدبات ، أَهزَلن السّمين ، وأنفَذن (٥) المَعين ، وقد بلَغنا خبرُك ، و بان لنـا أمرُك (٦) ، وكلامًا نحوَ هذا .

فقال : موعدكم جبلُ عَرَفات ، ثم خرج فى بَنِيه و بَنى أُميّة حتى أتَى جَبَلَ عَرَفات ، فصعِد الجبلَ فقال : اللّهم ربَّ الريح العاصف ، والرّعد القاصف ، والبرق الخاطف ، مُنشِئَ السّحاب ، ومالك الرّقاب ، ذى المِنَن العِظام ، والأيادى الجِسام ، هـذه مُضَر

(١) العشر بضم ففتح : شعب لهذيل قرب مكة ، أو واد فى ديار تميم بين البصرة ومكة . و يقال : بطن ذى عشر . ياقوت ٩ : ١٧٩ ، تاج العروس ٣ : ٤٠٤ ، لسان (عشر) . (٢) الربع : المنزل . وفى الأصل : « ر يعهم » . (٣) فى الأصل : «غيلان» بالمعجمة ، تصحيف .
(٤) أرحام واشجة : متصلة متآلفة . (٥) فى الأصل : « وأنفدنا » ، تصحيف .
(٦) فى الأصل : « وبارلنا » ، ولعل الصواب ما أثبت .

خيرُ البشَر ، تشكو سوءَ الحال ، وشدّة الإمحال ، قد آحدَودَبت ظهورُها ، وغارَت عيونُها ، وشعِثَت شعورُها ، وقد خلفوا نساء ضُلَّعا ، وصِبيانا رُضَّعا ، وبهائم رُتَّعا . فآتهم اللهم ريحًا جَرّارة ، وسحابا درّارة ، تُضحِك أرضَهم ، وتكشِف ضُرَّهم . فما فرغ من كلامه حتى نشأت سَحابة دَكناء فيها ودْق شَديد ، فقال : هى هى ، ثم قال يا معشَر مُضَر ، آرجِعوا فقد سُقِيتم ، فرَجَعوا وآخضرَّت أرضُهم ، وكثُرت مياهُهم .

هذا ما أورده الزُّبير بن بكّار راوِى هذه القصّة ، والله أعلم . [و] كانت بعد أن آستسقى لقُرَيش ، وذلك بعد مَولِد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى مُستَوفًى فى المُبشِّرات برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هـذا . والله تعالى عز وجل أعلم .

ذكر نَذْر عبد المطّلب نحرَ آبنه وخروج القِداح على عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدائه

قال محمد بن سَعد فى طبقاته الكُبرى [1] ، عن محمد بن عمرُ بن واقد الأَسلَمىّ بسنَد رفَعه إلى عبد الله بن عبّاس وغيره رضى الله عنهم : « إن عبدَ المطّلب بنَ هاشم لما رأى قلّةَ أعوانه فى حَفْر زَمزَم نَذَر لئن أكمل الله له عشَرةَ ذكور حتّى يراهم ــ أن يذبَح أحدَهم ، فلما تكاملوا عشَرة [2] وهم : الحارث ، والزّبير [3] ، وأبو طالب ، وعبد الله ، وحَمْزة ، وأبو لَهَب ، والغَيْداق [4] ، والمُقوّم [5] ، وضِرار ، والعبّاس » . هكذا نقَل محمد

(١) ١ : ٥٣ (قسم أول) . (٢) فى طبقات ابن سعد ١ : ٥٣ (قسم أول) : « عشرة ، فهم » .
(٣) الزبير : بفتح الزاى عند البلاذرى وأبى القاسم الوزير ، وضمها عند غيرهما . الزرقانى ١ / ٩٤ .
(٤) اسم الغيداق : جحل ، ولقب بالغيداق لكثرة خيره وسعة ماله . وآنظر الزرقانى ١ : ٩٤ ، وسيرة ابن هشام ١ : ١١٤ . (٥) المقوّم بكسر الواو المشدّدة وفتحها . وآنظر الزرقانى ١ : ٩٤ .

ابن سَعْد، وعد من العشرة حَمْزَةَ والمُقَوِّم؛ويَرُدُّ[١] هذا العددَ ما رُوى أن عبد المطّلب لم يتزوج أمّ حَمْزة إلا بعد الفِداء،وقد عدّ محمد بن السائب الكَلبيّ أولادَ عبد المطلب الذكورَ اثنَى عشَر، فيهـم المُغِيرة ، وقُثَم ؛ وعدّهم الزُّبَير بن بكّار ثلاثةَ عشَر فيهـم عبدُ الكَعبة ، وحَمْزة ، والمُقَوِّم ، والمُغِيرة؛ هؤلاء الثلاثة إخوةٌ أشقّاء كلُّهم لهـالَةَ بنت وُهيب[٢] ، وزواجُ عبدِ المطّلب هالةَ هذه كان بعد الفِداء على ما حكاه ابن سعد أيضا عن الواقدى ، ولعلّ العشرة تَكمُل بقُثَم وعبدِ الكعبة . والله تعالى أعلم .

فلنرجع إلى سِياقة خبر محمد بن سَعد قال : « فلمـا تكاملوا عشَرةً جمعهم ، ثم أخبَرَهم بنَذره ، ودَعاهم إلى الوَفاء لله [به][٣] ، فما اختلَف عليه منهم أحَد ، وقالوا : أَوْفِ بنَـذْرك ، وافعَل ما شئت ، فقال : ليكتُبْ كل رجل منكم اسمَه فى قِدْحِه ففعلوا ، فدخل عبدُ المطّلب فى جَوْف الكعبة وقال للسادن[٤] : اضرب بقِـداحهم فضرب ، فخرج قِدْح عبد الله أولَهـا ، وكان عبدُ المطّلب يحبُّه ، فأخذَ بيده يقوده إلى المذبَح ومعـه المُدْيَة ، فبكَى بنـاتُ عبد المطّلب وكنّ قياما ، وقالت إحداهنّ لأبيها : أعذِر فيـه بأن تَضرب فى إبلك السَّـوائم التى فى الحَرَم ، فقال للسّادِن : اضرب عليه بالقِداح ، وعلى عَشَرة من الإبل[٥] ، وكانت الديّة يومئـذٍ عشرة من الإبل ، فضَرب فخرج القِـدْح على عبـد الله ، فجعل يزيد عشرًا عشرا ، كلُّ ذلك

(١) أورد الزرقانى فى شرح المواهب ١/٩٤ هذا الاعتراض وناقشه .

(٢) فى الأصل : «أهيب» ، والذى أثبت عن المعارف لابن قتيبة ص٥٢ ، والزرقانى ١ : ٩٤ .

(٣) التكملة عن طبقات ابن سعد ١ : ٥٣ (قسم أول) ، وسيرة ابن هشام ١ : ١٦٠ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ١٧٣ .

(٤) السادن : خادم بيت الأصنام .

(٥) فى طبقات ابن سعد ١ : ٥٣ (قسم أول) : « وعلى عشر من الابل ، وكانت الدية يومئذ عشرا من الابل » .

يخرج القِدْح على عبد الله حتى كَمَلَت مائة[1] ، فضرب [بالقِداح][2] فخرج على الإبل ، فكبَّر عبد المطّلب والنــاسُ معه ، واحتمَل بناتُ عبد المطّلب أخاهنّ عبد الله ، وقدَّم عبدُ المطّلب الإبلَ فنحرها بين الصَّفا والمروَة ، وخلّى بينها وبين كلّ مَن وَرَدها من إنسيٍّ أو سَبُعٍ أو طائر، لم يَذُبَّ[3] عنها أحدا، ولم يأكل منها هو ولا أحدٌ من ولده شيئا .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : كانت الدِّيَة[4] يومئــذ عشرا مــن الإبل ، وعبدُ المطّلب أوّلُ من سَنّ ديةَ النّفس مائةً من الإبل ، فجرت فى قُرَيش والعرب مائة[5] ، وأقرّها[6] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ما كانت عليه .

هذا ما أورده محمد بن سَعد فى طبَقاته[7] . وقال أبو محمد عبــد الملك بن هشام فى السّيرة : قال ابن إسحاق : وكان عبدُ المطّلب قد نَذَر حين لَقِيَ من قُرَيش ما لَقِيَ عنــد[8] حَفر زَمزَم : لئن وُلِد له عشَرة نفَر، ثم بلَغــوا معه حتّى يمنعوه ، لينْحرنّ أحدَهم لله تعالى عِنــد الكعبة ، فلمّــا توافى بنوه عشَرة ، وعَرَف أنهم سيَمنعُونه جمَعَهــم ثم أخبرَهم بنَــذْره ، ودَعاهم إلى الوَفاء لله[9] بذلك ، فأطاعوه وقالوا كيف نَصــنَع ؟ قال : ليأخذ كلُّ رجل منكم[10] قِدْحا، ثم ليَكتُبْ[11] فيــه آسمَه، ثم آئتونى[12] ،

(١) رواية ابن سعد ١ : ٥٣ (قسم أول) : «حتى كملت المائة» . (٢) عن طبقات ابن سعد ١ : ٥٣ (قسم أول) . (٣) رواية ابن سعد ١ : ٥٤ (قسم أول) : «أو طائر، لا يذب» . (٤) فى الأصل : «عنهما ، وكانت» ، والمثبت رواية ابن سعد ١ : ٥٤ (قسم أول) . (٥) فى ابن سعد ١ : ٥٤ (قسم أول) : «مائة من الابل ، وأقرها» . (٦) انظر الخبر عن البشر ٣ : ٨٩ (قسم أول) . (٧) السيرة ١ : ١٦٠ . وانظر الطبرى ٢ : ١٧٣ . (٨) فى الطبرى ٢ : ١٧٣ : «ما لقى فى حفر» . (٩) فى البداية والنهاية ٢ : ٢٤٨ : «لله عز وجل بذلك» . (١٠) فى تاريخ الطبرى ٢ : ١٧٣ : «يأخذ كل واحد» . (١١) فى سيرة ابن هشام : «ثم يكتب» ، وفى دلائل النبوة للبيهقى ١ : ورقة ٢١ أ : «قدحا ، فيكتب» . (١٢) فى دلائل النبوة للبيهقى ١ : ورقة ٢٤ أ : «ثم يأتونى» .

فَفعلوا ثم أتوه ، فدَخل بهم على هُبَل فى جَوف الكعبة ، وكان هُبل على بئر[1] فى جَوْف الكَعْبة ، وكانت تلك البئر هى التى يُجمع فيها ما يُهدَى للكعبة ، وكان عند هُبَل قِدَاحٌ سبعة ، كلُّ قِدْح منها فيه كتاب ، قدح فيه « العَقْل » إذا آختلفوا فى «العَقل»[2] من يحمله منهم ضربوا بالقِداح السبعة، فعلَى[3] من خَرَج قدْح «العَقْل» حَمْلُه ؛ وقِدْحٌ فيه « نَعَم » للأمر إذا أرادوه يُضرَب به فى القِدَاح ، فإن خَرج قِدْح « نَعَم » عَمِلوا به ؛ وقِدْحٌ فيه « لا »[4] ، فإن خَرَج ذلك القِدْح لم يفعلوا ذلك الأمر ؛ وقدْح فيه « منكم » ؛ وقِدْح فيه « مُلْصَق » ؛ وقدح فيه « مِن غَيْرِكم » ؛ وقِدْح فيه « المياه » إذا أرادوا أن يَحفِروا للماء ضَربوا بالقِدَاح فيها ذلك القِدْح ، فحيثُما خرج عَمِلوا به .

وكانوا إذا أرادوا أن يَخْتِنوا غلاماً أو يُنْكِحوا مَنْكَحا، أو يَدفَنوا ميّتا، أو شَكّوا فى نَسَب أحدهم ، ذهبوا إلى هُبَل و بمائة درهم وجَزُور ، فأعطوها صاحبَ القِداح الذى يَضْرِب بها[5] ، ثم قرّبوا صاحبَهم الذى يُريدون به ما يُريدون ، ثم قالوا : يا إلهَنا ! هذا فُلانُ بن فلان قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرِج الحقّ فيه ، ثم يقولون لصاحب القِداح : اضرب ! فإن خَرَج عليه « منكم » كان منهم وسيطا[6] ، وإن خَرَج عليه « من غيركم » كان حَليفا ، و إن خَرَج عليه « مُلْصَق » كان على

(١) فى الطبرى ٢ : ١٧٣ : « وكانت هبل أعظم أصنام قريش ، وكانت على بئر فى جوف » . وانظر الزرقانى ١/٩٥ ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٦ (قسم أوّل) . (٢) العقل : الدية .

(٣) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٠ ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٦ (قسم أول) : « السبعة ، فإن خرج العقل فعلى » . (٤) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٠ ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٦ (قسم أوّل) : « فيه « لا » ، إذا أرادوا أمرا ضربوا به فى القداح فإذا » . (٥) فى الطبرى ٢ : ١٧٣ : « الذى يضربها » .

(٦) الوسيط : الخالص النسب ، والشريف فى قومه . ورواية الطبرى : « كان منكم وسيطا » .

منزلته فيهم، لا نَسَب له[(١)] ولا حِلْف[(٢)]، وإن خرج فى شىء[(٣)] مما سوَى هذا ممّا يعملون به «نَعَم» عمِلوا به، وإن خَرَج عليه «لا» أخّروه عامَه ذلك[(٤)] حتى يأتوه به مرّة أُخرَى؛ ينتهون فى أُمورهم إلى ذلك ممّا خَرَجت به القِداح؛ فقال عبد المطّلب لصاحب القِدَاح: اَضرب على بَنِىَّ هؤلاء بقِداحهم هذه، وأخبَره بنَذْره الذى نَذَره، فأعطاه[(٥)] كلُّ رجل منهم قِدْحَه الذى فيه اسمُه، وكان عبد الله بن عبد المطّلب أصغرَ بنى أبيه[(٦)]، وهو أحبُّ ولَده إليه، وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمّا أخَذَ صاحب القِدَاح القِدَاح ليضربَ بها قام عبد المطّلب عند هُبَل يدعُو الله، ثم ضَرَب صاحبُ القِدَاح فخرج القِدْح[(٧)] على عبد الله، فأخذ عبد المطّلب بيده وأخذ الشَّفْرة، ثم أقبل[(٨)] إلى إسَاف ونَائلة ليذبحَه، فقامت إليه قُرَيش من أنْدِيتها فقالوا: ماذا تريد يا عبدَ المطّلب؟ قال: أذبَحُه، فقالت له قُرَيش وبنُوه: والله لا تذبحه[(٩)] حتى تُعذِرَ فيه[(١٠)]؛ لئن فعلتَ هذا لا يزال الرّجل يأتى بابنه حتّى يذبحه، فما بَقَاء

---

(١) فى الطبرى ٢: ١٧٣: «على منزلته منهم».

(٢) عن الطبرى ٢: ١٧٣ وابن هشام ١: ١٦٠، وفى الأصل: «لانسب إليه ولا حلف».

(٣) فى الأصل: «خرج فيه شىء»، تصحيف، والتصويب عن الطبرى ٢: ١٧٣.

(٤) رواية الطبرى ٢: ١٧٣: «أخروه عامهم فى ذلك حتى يأتوا به».

(٥) فى ابن هشام ١: ١٦٠: «الذى نذر، فأعطاه»، وفى الطبرى ١: ١٧٣ «الذى نذر، فأعطى كل». (٦) لعله يريد كان أصغر بنيه حين أراد الوفاء بنذره، ويوجب هذا التوجيه أنه قد سلف له أن عبد المطلب لم يتزوج أم حمزة إلا بعد الفداء، فيكون بذلك ولده منها أصغر من عبد الله. وانظر شرح الزرقانى على المواهب ١: ٩٤، والروض الأنف ١/١٠٣.

(٧) كذا فى الطبرى ٢/١٧٣، وفى رواية ابن هشام ١: ١٦٠: «فأخذه عبد المطلب».

(٨) هذه رواية الطبرى ٢: ١٧٣، وفى سيرة ابن هشام ١: ١٦٢، والبداية والنهاية ٢: ٢٤٨: «ثم أقبل به». (٩) فى تاريخ الطبرى ٢: ١٧٣، وسيرة ابن هشام ١: ١٦٢، والبداية ٢: ٢٤٨: «لا تذبحه أبدا». (١٠) فى الأصل: «تعذر عنه»، تصحيف.

الناس على هذا ؟ ! وقال له المُغيرة بن عبد الله بن عمر[1] بن مَخزوم [بن يَقَظة][2] — وكان عبد الله ٱبن أخت القَوم — : لا تَذْبَحه حتى تُعذِرَ فيه[3] ، فإن كان فِداؤُه بأموالنا فَدَيْناه ، وقالت له قُرَيش وبَنُوه : لاتفعَل ، وٱنطَلِق به إلى الحجاز فإنّ به عَرّافةً لهـا[4] تابِـعٌ فسَلْها ، ثم أنت على رأس أَمْرِك[5] ، إن أَمَرَتك بذبحه ذبحتَه[6] ، وإن أمَرتك بأمرٍ لك وله فيـه مَخْرَج قَبِلته[7] ، فانطلَقُوا حتى قَدِموا المدينَـة فوجدُوها — فيما يزعُمون — بخَيْبَر ، فركبوا [إليها][8] حتى جاءوها فسألوها ، وقصّ عليها عبدُ المطَّلب خَبَره [وخَبَر ابنـه][9] ، فقالت لهم[10] : قد جاءنى الخبَر ، كم الدّيَةُ فيكم ؟ قالوا : عشْرٌ من الإبل[11] ، قالت : فارجِعوا إلى بلادكم[12] وقرِّبوا عشْرًا من الإبل ، ثم ٱضرِبوا عليها وعليه بالقِـدَاح ، فإن خَرجَت على صاحِبكم فزِيدُوا من الإبل[13] حتى يرضَى ربُّكم ،

---

(١) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ : « بن عمرو » ، وفى الطبرى ٢ : ١٧٣ ، وابن الأثير ٢ : ٦ ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٧ (قسم أول) ما يوافق رواية المؤلف . (٢) تكملة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والطبرى ٢ : ١٧٧ . (٣) فى سيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبرى ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٧ (قسم أول) : « القوم ، والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه » . (٤) اسمها قطبة فى قول ، وسجاح فى قول آخر . وانظر السهيلى ١ : ١٠٣ ، والبداية ٢ /٢٤٨ ، وشرح الزرقانى على المواهب ١ : ٩٦ .

(٥) فى الأصل : « ثم آيت » والمثبت عن ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والطبرى ٢ : ١٧٤ ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٧ ، والبداية ٢ : ٢٤٨ . (٦) الطبرى ٢ : ١٧٤ : « أن تذبحه » ، البداية ٢ : ٢٤٨ : « بذبحه فاذبحه » . (٧) ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والطبرى ٢ : ١٧٤ : « وله فيه فرج » .

(٨) فى الأصل : « فركبوا حتى » ، والتكملة عن الطبرى ٢ : ١٧٣ (٩) تكملة عن ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والبداية ٢ : ٢٤٨ . (١٠) اختصر النويرى . والنص كما يرويه ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٧ ، وابن كثير فى البداية ٢ : ٢٤٨ : « ... فقالت لهم ٱرجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله ، فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم غدوا عليها فقالت لهم ... الخ » . (١١) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٧ : « الإبل ، وكانت كذلك ، قالت » . (١٢) فى البداية ٢ : ٢٤٨ : « بلادكم ، ثم قربوا صاحبكم وقربوا » . (١٣) فى الطبرى : « فزيدوا فى الإبل » .

وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه، فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم، فخرجوا حتى قدموا مكة وفعلوا ذلك،[1] والقداح تقع على عبد الله، وعبد المطلب يزيد عشرا عشرا، وهو قائم يدعو حتى بلغت الإبل مائة، فخرج القدح على الإبل، فقالت قريش ومن حضر: قد انتهى، رضى ربك[2] يا عبد المطلب،[3] فقال عبد المطلب: لا والله! حتى أضرب عليه بالقداح[4] ثلاث مرات، فضربوا على عبد الله وعلى الإبل، وعبد المطلب قائم يدعو، فخرج القدح فى كل مرة على الإبل، فنحرت عند ذلك. وذكر نحو ما تقدم.

ذكر زواج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم

روى محمد بن سعد[5] عن محمد بن عمر بن واقد بسند يرفعه، قال: كانت آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة[6] بن كلاب، فى حجر عمها وهيب بن عبد مناف، فمشى إليه عبد المطلب بابنه عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم،

---

(١) اختصر المؤلف نص ابن إسحاق أيضا، وقد ورد مفصلا فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٣، والخبر عن البشر ٣ : ٨٧ (٢) فى تاريخ الطبرى ٢ : ١٧٤، وسيرة ابن هشام ١ : ١٦٤، والخبر عن البشر ٣ : ٨٨ : «قد انتهى رضا ربك» على الإضافة.

(٣) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٤ : «يا عبد المطلب، فزعموا أن عبد المطلب قال ... الخ».

(٤) فى الطبرى ٢ : ١٧٤، وسيرة ابن هشام ١ : ١٦٤، بداية ٢ : ٢٤٩، والخبر عن البشر ٣ : ٨٨ : «اضرب عليها». (٥) طبقات ١ : ٥٨ (قسم أول).

(٦) زهرة بضم الزاى وسكون الهاء، وفى صحاح الجوهرى «زهر»: أن زهرة اسم امرأة عرف بها بنو زهرة. قال السهيلى ١ : ٧٩ : «وهذا منكر غير معروف، وإنما زهرة جدهم كما قال ابن إسحق»، وقال: اسم زهرة المغيرة. وانظر الزرقانى ١ : ١٠٣، وتاج العروس (زهر).

فخطبه عليه آمنةَ فزوّجها عبدَ الله ، وخطب إليه عبدُ المطّلب بنُ هاشم فى مجلسه ذلك ابنتَه هالةَ بنتَ وُهَيب على نفسه ، فزوّجه إياها ، فكان تزوّجهما فى مجلس واحد ، فولدت هالةُ لعبد المطّلب حمزة (١) ، وكان حمزةُ عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النّسب ، وأخاه من الرّضاعة .

٥ ونقل أبو عُمَر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ (٢) رحمه الله : أن عبد الله ابن عبد المطّلب تزوج آمنةَ وهو ابن ثلاثين سنةً (٣) . قال : وقيل بل كان يومئذ ابن خمس وعشرين سنة .

وعن محمد بن السائب الكلبىّ عن أبيه ، وعن أبى الفيّاض الخثعمى قالا : لما تزوج عبدُ الله آمنةَ أقام عندها ثلاثا ، وكانت تلك السُّنّة عندهم .

١٠ وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام (٤) عن محمد بن إسحاق : إن عبد المطلب لما فدى ابنه عبد الله أخذ بيده ، وخرج به حتى أتى وَهْبَ بنَ عبد مَناف بن زُهْرةَ ، وهو يومئذ سيّد بنى زُهرة نَسَبا وشَرَفا ، فزوّجه ابنَته آمنة ، وهى يومئذ أفضلُ امرأةٍ فى قُرَيش نَسَبا ومَوْضِعا ، قال : فزعموا أنه دخل عليها حين أُمْلِكَها (٥) مكانَه فوقع عليها ، فحملت (٦) برسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٥ (١) فى ابن سعد ١ : ٥٨ (قسم أول) : « حمزة . فكان » .

(٢) فى الاستيعاب ١ : ١٦ .

(٣) القائل ابن سعد (١ : ٥٨ قسم أول) .

(٤) السيرة ١ : ١٦٤ .

(٥) أملك المرأة بالبناء للمجهول : تزوجها .

٢٠ (٦) فى البداية ٢ : ٢٤٩ : « فحملت منه برسول الله » .

ذكر خبرَ المرأة التى عَرَضَت نفسها على عبد الله بن عبد المطّلب وما أبدَتْه من سبَب ذلك

قد ٱختُلف فى هذه المرأة، فمنهم من يقول : هى قُتَيلة[1]، بنتُ نَوْفَل، بن أسَد، ابن عَبد العُزّى، بن قُصَىّ[2]، وهى أختُ وَرَقة بن نَوْفل. قال السُّهيلى[3] : اسمها رُقَيقة[4] بنت نَوْفَل تُكنَّى أم قتال، وهى أختُ وَرَقة بن نَوْفَل. ومنهم من يقول[5] : هى فاطمة بنتُ مُرّ الخَثْعَمية، وقيل غيرُها. ونحن نذكر ما قالوه فى ذلك.

(١٨ / ١٤)

فأما عبد الملك بن هشام فقال[6] : لما انصرف عبد المطلب يوم الفداء آخذًا بيد ٱبنه عبد الله، فمرّ به على ٱمرأةٍ من بنى أسَد، وهى أختُ ورَقَة بن نَوْفَل، وهى عند الكعبة، فقالت له حين نظرَت إلى وَجْهه : أين تذهَب يا عبدَ الله؟ قال : مع أبى[7]، قالت : لك مثلُ الإبل التى نُحرت عنك وقَعْ علىّ الآن. قال : أنا مع أبى، ولا أستطيع خِلافَه ولا فِراقَه، فخرج به عبد المطّلب حتى أتى وَهْب ابنَ عبد مَناف. وذكر خبر زواجه بآمنة، وأنه وقَع عليها كما ذكرناه آنفا.

قال : ثم خرج من عندها، فأتى المرأة التى عَرَضت عليه ما عَرَضت، فقال لها : مالكِ لا تَعْرِضين علىّ اليوم ما كنتِ عرضتِ علىّ بالأمس؟ قالت له : فارقَك النُّور الذى كان معك بالأمس، فليس لى بكَ اليوم حاجة.

---

(١) بضم القاف وفتح المثناة الفوقية فتحتية ساكنة.
(٢) فى طبقات ابن سعد ١ : ٥٨ (قسم أول) : « بن قصى : أخت ورقة ». وفى الأصل : « قصى بن أخت ورقة » تصحيف، والمثبت عن الطبرى ٢ : ١٧٣، وانظر السهيلى ١ : ١٠٢.
(٣) فى الروض الأنف ورقة ٥٣ ب.
(٤) فى الأصل : « رفيقة »، تصحيف. وانظر الزرقانى ١ : ١٢٣ (بولاق).
(٥) هو قول أبى نعيم، وابن عساكر رواية عن ابن عباس. وانظر الروض ١ : ١٠٤، ١ : ١٠٢.
(٦) فى السيرة ١ : ١٦٤. وانظر الطبرى ٢ : ١٧٤، البداية ٢ : ٢٤٩.
(٧) فى الطبرى ٢ : ١٧٤، ابن الأثير ٢ : ٧، والبيهق ١ : ٢٤ ب : « إن معى أبى ».

وقال الواقدىّ[1] : هى قُتَيْلَةَ بنتُ نَوْفَل . وعن ابن عبـاس رضى الله عنهما : أنها امرأةٌ من بنى أَسَد ، وهى أخت وَرَقة .

قال الواقدىّ : كانت تنظُر[2] وتَعْتاف[3] ، فمرّ بها عبـدُ الله فدعته يستَبْضِع منها ، ولزمت طرَفَ ثو بِه فأبى وقال : حتى آتيـك ، وخَرَج مُسرِعا[4] حتى دخلَ على آمنةَ فوقع عليها ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم رجَع إلى المرأة وهى تنتظِره فقال : هل لكِ فى الذى عرَضتِ علىّ ؟ فقالت : لا . مررتَ وفى وجهكَ نورٌ ساطع ، ثم رجعتَ وليس فيه ذلك النور .

قال[5] : وقال بعضُهم قالت : مررتَ و بين عينيكَ غُرّة مثـلُ غُرّة الفرَس ، ورجعتَ وليس هى فى وجهك .

وقال[6] محمد بن عُمر بن واقد، عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، عن أبيه ، عن أبى الفَيّاض[7] الخَثْعَمى ، قال : مرّ عبد الله بامرأة من خَثْعَم يُقال لهـا : فاطمة

---

(١) نقله ابن سعد ١ : ٥٨ — ٥٩ (قسم أول) .

(٢) نقله ابن سعد فى الطبقات ١ : ٥٨ (قسم أول) .

(٣) فى دلائل النبوة للبيهق (١ : ورقة ٢٥ أ) : «وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصر واتبـع الكتب ، يقول : إنه لكائن فى هـذه الأمة نبى فى بنى إسمعيل» ، وانظر البداية والنهاية ٢ : ٢٤٩ ، والزرقانى ١ : ١٠١ .

(٤) فى طبقات ابن سعد ١ : ٥٨ (قسم أول) : «وخرج سريعا» .

(٥) القائل الواقدى .

(٦) نقله ابن سعد ١ : ٥٩ (قسم أول) .

(٧) فى طبقات ابن سعد ١ : ٥٩ (قسم أول) : «الكلبى عن أبى الفياض» ، وانظر ابن الأثير ٢ : ٤ ، ودلائل النبوة لأبى نعيم ١ : ٣٩ .

بنتُ مُرّ[1]، وكانت من أجمل الناس وأشبّه وأعفّه[2]، وكانت قد قرأت الكتب[3]، وكان شَباب قُريش يتحدثون إليها، فرأت نور النبوّة فى وجه عبد الله فقالت: يا فتَى! من أنت؟ فأخبرهَا، قالت: هل لك أن تقع علىّ[4] وأُعطيك مائةً من الإبل؟ فنظر إليها وقال:

أمّا الحرامُ فالممَاتُ دونَه * والحِلُّ لا حلَّ فأستَبِينَه

* فكيفَ بالأمرِ[5] الذى تَنوِينَه[6] *

ثم مضَى إلى امرأته آمنة، فكان معها، ثم ذكر الخَثْعَمية وجمالَها، وما عرضت عليه، فأقبل عليها فلم يرَ منها من الإقبال عليه آخرًا كما رآه منها أولا، فقال: هل لكِ فيما قلتِ لى؟ فقالت: «قد كان ذاك مَرَّةً فاليومَ لا»[7]، فذهبت مَثَلا، وقالت: أىّ شىء صنعتَ بعدى؟ قال: وقعت على زوجتى آمنة، قالت: إنى والله لست

---

(١) فى الطبرى ٢ : ١٧٤ : «كاهنة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مر متهودة من أهل تبالة، قد قرأت الكتب». وانظر البداية ٢ : ٢٥٠، وابن الأثير ٢ : ٤، والزرقانى ١ : ١٠٢.

(٢) كذا فى الأصل، وطبقات ابن سعد، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٣٩.

(٣) رواية ابن سعد ١ : ٥٥ (قسم أول): «قرأت الكتب».

(٤) فى دلائل النبوة لأبى نعيم ١ : ٣٩، والبداية ٢ : ٢٥٠ : «تقع على الآن».

(٥) فى الأصل: «فكيف للامر»، وفى دلائل النبوة لأبى نعيم ١ : ٣٩ : «فكيف لى الأمر»، والمثبت عن الطبرى، وابن الأثير ٢ : ٤، والبداية والنهاية ٢ : ٢٥٠، وعيون الأثر ١ : ٢٤.

(٦) هكذا يرويه أيضا الميدانى فى مجمع الأمثال ٢ : ٢٥، وفى ابن الأثير، وأبى نعيم والبداية، وعيون الأثر ١ : ٢٤ : «الذى تبغينه».

(٧) رواية الميدانى ٢ : ٣٤ : «قد كان ذلك مرة». والمثل يضرب فى الندم والإنابة بعد الاجترام.

بصاحبة زنيـة[1]، ولكنى رأيتُ نور النبوّة فى وجهك، فأردت أن يكون ذلك فىّ، وأبَى الله إلا يجعله حيث جعله .

وبلغ شبابَ قُريش ما عرضَت على عبد الله وتأبِّيه عليها، فذكروا ذلك لها، فأنشأت تقول :

٥ إنى رأيتُ مُخيلة[2] عرضَت[3] * فتـــلألأت بحناتم القطر
فلمَأْتُهـا[4] نوراً يضىء له[5] * ما حـــوله كإضاءة الفجْر

* * *

ورأيتــه شرَفا[6] أبـوءُ به * ما كلُّ قادح زنده يُورى
لله ما زُهْرِيةٌ سلَبتْ * ثوبَيْك ما استَلَبَت وما تَدرِى[7]

١٠ وقالت أيضا[8] :

بَنِى هاشم قد غادَرَت من أخيكُمُ * أمينـــة إذ للبـاه يعتلجان[9]
كما غادَر المصباحَ بعـــد خُبوِّه[10] * فتائلُ قـد مِيثَت له بدهَان

(١) فى الطبرى ٢ : ١٧٤، وابن الأثير ٢ : ٤ : « ريبة » .

(٢) المخيلة بالضم : السحابة التى إذا رأيتها حسبتها ماطرة . والمخيلة بالفتح : السحابة .

١٥ (٣) رواية الميدانى : ٢ : ٣٥ « نشأت » .

(٤) لمأتها : أى أبصرتها ولمحتها . وفى الأصل : « فلمائها نور » تصحيف ، وانظر لسان العرب « لمأ » ، والطبرى ٢ : ١٧٤ .

(٥) فى ابن الأثير ٢ : ٤ : « يضىء به » .

(٦) فى الطبرى ٢ : ١٧٤، وابن الأثير ٢ : ٤ : « فرجوته فخرا » .

٢٠ (٧) رواية ابن الأثير ٢ : ٤ : « منك الذى سلبت وما تدرى » .

(٨) فى الأصل : « وقال » ، تصحيف .

(٩) رواية الطبرى، وابن الأثير، وابن كثير : « للباه يعتركان » .

(١٠) هكذا يرويه الميدانى ٢ : ٣٥، وفى ابن الأثير، والبداية : « عند خموده » .

وما كُلُّ ما يَحوِى الفتَى من تِلادِه[1] * بحَـــزْمٍ[2] ولا ما فاتَه لِتَوانِ

فأجْمِــل إذا طالبتَ أمرًا فإنه * سَيكفيكَه جدّانِ يصطرعانِ

سَــتكْفيكَه إمّا يدٌ مُقفَعِــلةٌ[3] * وإمّا يدٌ مبسُــوطَةٌ ببيانِ

ولمــا قَضَت منه أمينة ما قضَت * نبــا بَصَرِى عنــه وكَلَّ لسانى[4]

٥ وعن أبى يَزِيد المَدَنى[5] قال: نُبِّئتُ أن عبدَ الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتَى على آمرأة من خَثْعَم فرأت بينَ عينيه نورًا ساطعًا إلى السماء فقالت: هل لك فىّ؟ قال: نعم حتى أرمِى الجَمْــرة، فآنطلق فرَمَى الجَمْرة، ثم أتى آمرأتَه آمنةَ بنتَ وَهْب، ثم ذكر الخَثْعَمية[6] فأتاها فقالت: هل أتيتَ آمرأةً بعدى؟ قال نعم، آمرأتى آمنــةَ بنتَ وهْب، قالت: فلا حاجةَ لى فيــك، إنك مررتَ وبينَ عينيك نور

١٠ ساطعٌ إلى السماء، فلمــا وقعْتَ عليها ذهَب؛ فأخبِرها أنهــا قد حمَلت بخَيــر[7] أهل الأرض.

وقال محمد بن إسحاق: حدّثنى أبى إسحاقُ بن يَسَار، أنه حُدِّثَ[8] أن عبــدالله إنمــا دَخَل على آمرأة كانت له مع آمِنــةَ بنتِ وَهْب، وقد عَمِل فى طين له، وبه آثار من الطّين، فدعاها إلى نفسه فأبطأت عليه لمــا رأت عليه من آثار الطّين،

١٥ (١) رواية الميدانى ٢: ٣٥: «وما كل ما نال الفتى من نصيبه».

(٢) رواية الطبرى، وابن الأثير: «ملاده * لعزم».

(٣) مقفعلة: متقبضة، متشنجة الأصابع.

(٤) رواية ابن الأثير، والطبرى: «قضت * حوت منه فخرا ما لذلك شانى».

(٥) فى الأصل: «المدينى»، والمثبت عن طبقات ابن سعد ١: ٦٠ (قسم أول).

٢٠ (٦) فى طبقات ابن سعد ١: ٦٠ (قسم أول): «ثم ذكر يعنى الخثعمية».

(٧) فى طبقات ابن سعد: «قد حملت خير أهل».

(٨) فى الأصل: «أنه حدثه»، تصحيف.

فخرَج من عِنـدها فتوضّأ وغسَل ما كان به من ذلك الطّين ، ثم خرَج عامِدًا إلى آمنـةَ فمرّ بها ، فدعَتْه فأبَى عليها[1] ، وعمـد إلى آمنة فدخل عليها ، فأصابَها فحملت بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مَرّ بآمرأته تلك فقال لهـا : هل لكِ؟ قالت : لا . مَررتَ بى و بينَ عينيك غُرة ، فدعوتُك فأبَيت[2] ، ودخلتَ على آمنة فذهَبَتْ بها .

٥

قال ابنُ إسحاق[3] : وزَعَموا أن آمرأتَه تلك كانت تُحَدِّث : أنّه مَرّ بها و بينَ عينيْه مثلُ غُرة الفَرَس ، قالت : فدعوتُه رجاءَ أن تكون تِلكَ بى ، فأبَى علىّ ، ودخل على آمنة فأصابها ، فحملَتْ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوسَطَ قومه نَسَبا ، وأعظمَهُم شَرَفًا من قِبَل أبيه وأُمّه . والله الفعال .

١٠

ذ كرُ حَمْل آمِنَةَ برسول الله صلى الله عليه وسلم
وما رأته ، وما قِيل لهـا

حملت به صلى الله عليه وسلم أيامَ التّشريق فى شِعْب أبى طالب عنـد الجَمْرة الوُسْطَى ، رواه أبو عُمر بن عبد البرّ[4] عن الزبير بن بَكّار ، وحكاه غيرُه أيضا .

وقيل حَمَلتْ به فى دار وُهَيب[5] بن عبد مَنَاف بن زُهْرة بن كِلاب .

١٥

ورَوَى محمد بن عُمر بن واقد الأسلمى[6] قال : حدّثنى علىّ بنُ يزيد ، بن عبد الله ، بن وهب بن زمعة عن أبيه ، عن عمته قالت : كنا نسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ : « فدعته إلى نفسها فأبى » .

(٢) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ : «غرة بيضاء ؛ فدعوتك فأبيت على ، ودخلت » .

(٣) نقله ابن هشام ١ : ١٦٥ . (٤) فى الاستيعاب ١ : ١٦ .

٢٠

(٥) فى الأصل : « وهب بن عبد مناف » تصحيف ، والتصويب عن الاستيعاب ١ : ١٦ .

(٦) ورواه ابن سعد فى الطبقات ١ : ٦٠ (قسم أول) ، وانظر الزرقانى ١ : ١٠٦ .

لمّا حَمَلَت به آمنةُ بنت وهب كانت تقول: ما شَعَرتُ أنى حَمَلت به، ولاوجدتُ له ثَقَلة[1] كما تجد النساء، إلا أنى قد أنكرتُ رفعَ حِيضتى، فربمـا كانت ترفَعُنى وتعود؛ وأتانى آتٍ، وأنا بين النائم واليَقْظان فقال: هل شَعَرتِ أنّكِ حَمَلتِ؟ فكأنى أقول ما أدرى، فقال: إنكِ قد حَمَلتِ بسيّد هذه الأمّة ونبيّها، وذلك يومَ الإثنين، قالت: فكان ذلك مما يَقَّن عندى الحَمْل، ثم أمهلَنى حتى إذا دنَت ولادتى[2] أتانى ذلك الآتى فقال: قولى: «أُعيذه بالواحد الصَّمَد، من شَرّ كلّ حاسِد». قالت: فكنتُ أقول ذلك.

وفى رواية محمـد بن إسحاق[3] أنه قيل لهـا: إنك قد حَملتِ بسيِّد هـذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولى: «أُعيذُه بالواحد، من شر كل حاسد، ثم سميه محمدا»[4].

وفى رواية أُخرى: امِرت أمُّه وهى حاملٌ برسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُسمِّيَه أحمـد. قالت أمه: فذكرتُ ذلك لنسائى، فقلن لى: تَعلَّقِى حديدا فى عَضُدَيك وفى عُنُقك، قالت: ففعلتُ، فلم يكن يُتْرَك علىّ إلا أياما، فأجدَه قد قُطِع، فكنت لا أتعلقه.

وعن الزُّهْرِىّ قال: قالت آمنة: لقد عَلِقتُ به، فما وجَدتُ له مَشَقّة حتى وضعتُهُ.

قال ابن إسحـاق: ورأت[5] حين حَمَلت به أنه خَرَج[6] منهـا نورٌ رأت به قُصُور بُصْرَى من أرض الشام. قد تواتَرتْ الأخبارُ الصحيحةُ بذلك.

---

(١) الثقلة بفتح المثلثة والقاف: الثقل، عن الزرقانى ١: ١٠٦.

(٢) فى الأصل: «دنا ولادتى» تصحيف، والمثبت عن الزرقانى ١: ١٠٦ وعيون الأثر ١: ٢٤.

(٣) نقله ابن هشام ١: ١٦٦. (٤) أنظر الزرقانى ١: ١٠٨.

(٥) سيرة ابن هشام ١: ١٦٦. (٦) فى الأصل: «ورأيت»، تصحيف.

وحكى الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القُرْطُبى فى كتاب "الأعلام" له عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال[1] : وكان من دلائل حَمْل آمنةَ برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كُلّ دابّة كانت لقُرَيش نطقت تلك الليلة وقالت : حُمِل بمحمد وربِّ الكعبة ، وهو إمامُ الدنيا وسِراج أهلها ؛ ولم تَبقَ كاهنةٌ فى قُريش ولا فى قبيلة من قبائل العَرَب إلا حُجِبت عن صاحِبها ؛ وانتُزِع عِلْمُ الكَهَنة منهم ولم يَبق سريرٌ لمَلِك من ملوك الدُّنيا إلا أصبحَ منكوسا .

قال : وقال كعبُ الأحبار : وأصبحَتْ يومئذ أصنامُ الدنيا كلُّها منكوسةً مضْغوطة فيها شياطينُها ، وأصبحَ عرشُ إبليسَ عدوِّ الله منكوسا .

قال : وقال ابنَ عباس رضى الله عنهما : وأصبح كلُّ مَلِكٍ أخرس[2] لا ينطق يومَه ذلك ، وفرّت[3] وحوش المشرق إلى وحُوش[4] المغرب بالبِشارات ، وكذلك أهل البِحار [صار][5] يبشّر بعضُهم بعضا ؛ وله فى كلّ شهر من شهوره[6] نداءٌ فى الأرض ، ونداءٌ فى السماء : أن أبشِروا ، فقد آن لأبى القاسم أن يَخْرُجَ[7] إلى الأرض ميمونا مباركا .

والله الموفّق الفعّال .

(١) انظر الزرقانى ١ : ١٠٨ .

(٢) فى الزرقانى ١ : ١٠٨ : « وكانت الملوك حتى لم يقدروا فى ذلك اليوم على التكلم » .

(٣) فى الأصل : « ومرت وحش » تصحيف ، والتصويب عن الزرقانى ١ : ١٠٨ .

(٤) فى الأصل : « وحش » تصحيف .

(٥) عن شرح الزرقانى على المواهب ١ : ١٠٨ .

(٦) فى الزرقانى ١ : ١٠٨ : « من شهور حمله » .

(٧) فى الزرقانى ١ : ١٠٨ : «فقد آن أن يظهر أبو القاسم » .

ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطّلب

روَى أبو عبد الله محمد بن سَعْد، بسنَدٍ يرفعه إلى محمد بن كَعب، وأيوبَ بن عبد الرحمن بن أبي صَعصَعة، قالا : خرج عبد الله بن عبد المطّلب إلى الشام إلى غَزّة في عِير من عِيرات قُريش يَحمِلون تِجارات، ففَرَغوا من تجاراتهم ثم آنصرفُوا فمرّوا بالمدينة وعبدُ الله يومئذٍ مريضٌ فقال : أنا أتخلّف عند أخوالي بني عديّ ابن النجّار، فأقام عندهم مريضًا شهْرا، ومضَى أصحابُه فقدِموا مكة، فسألَهم عبدُ المطّلب عن عبد الله، فقالوا : خلّفناه عند أخواله وهو مريض، فبعث إليه عبد المطلب ولدَه الحارث[1]، فوجَده قد تُوفّي ودُفِن في دار النابغة[2]، وهو رجل من بني عَديّ بن النّجار، فرجَع إلى أبيه فأخبرَه، فوجد عليه عبدُ المطلب وإخوته وأخَواته وجدا شديدا، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حَمْلٌ.

ولعبد الله يومَ تُوفّي خمس وعشرون سنة.

قال الواقدي : هذا هو أثبتُ الأقاويل، والرواية في وفاةِ عبدالله وسِنّه عندنا.

وعن هشام بن السائب الكلبيّ عن أبيه، وعن عَوانة بن الحَكَم قالا : توفي عبدُ الله بن عبد المطّلب بعد ما أتَى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانيةٌ وعشرون شهرا، ويقال سبعةُ أشهر، وقيل شهران.

قال محمد بن سَعْد : والأول أثبت. وقال السُّهَيليّ[3] : «وأكثر العلماء على أنه كان في المهد»، قال : «ذكره الدّولابي[4] وغيرُه». والله تعالى أعلم.

---

(١) في ابن الأثير ٢ : ٣ : أن المبعوث كان الزبير لا الحارث. (٢) هذه إحدى روايتي الطبري؛ وفي ابن الأثير ٢ : ٤ : «النابغة الجعدي»؛ ورواية الطبري الأخرى وعليها اقتصر الزرقاني ١ : ٢١٠ : «التابعة» بالتاء المثناة ثم الموحدة بعد الألف، ثم العين المهملة؛ والتابعة رجل من بني عدي بن النجار.

(٣) الروض الأنف ١ : ١٠٧. (٤) الدولابي بفتح الدال وضمها هو محمد بن أحمد ابن حماد بن سعيد الأنصاري أبو بشر. انظر الأنساب للسمعاني ٢٣٣ ب.

قال الواقدى : وترك عبدُ الله بن عبد المطّلب أُمّ أيْمَن، واْسمُها بَرَكة ، وخَمْسَةَ أجمالٍ أوَارِك ، يعنى تأكل الأراك ، وقطعة غنم ؛ فورِث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . والله خير الوارثين .

ذكر مَولِد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وُلد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة شرفها الله تعالى؛ قال الزَّبَير بن بكّار:[1] ولد صلى الله عليه وسلم فى الدار التى كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجّاج . قال القُرطبى رحمه الله فى كتاب «الأعلام» له : إنّ الدار كانت فى الزُّقاق المعروف بزُقاق المولِد،[2] وكانت فى مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يد عَقيل بن أبى طالب ثم فى أيدى ولده، ثم آشتراها محمد بن يوسف الثَّقَفىّ من ولد عَقيل ، فأدخل البيت[3] فى دارٍ بناها وسمّاها البيضاء ، فكان البيت فى الدار إلى أن حجّت الخَيْزُران[4] أمّ الهادى والرشيد ، فأخرجتْ البيت وجعلته مسجِدا يشرع فى زُقاق المولد .

وكان مولده صلى الله عليه وسلم عام الفيل بعد قدُوم أصحاب الفيل بخمس وخمسين ليلة[5]، فى يوم الآثنين من شهر ربيع الأوّل ، قيل لليلتين خلتا منه ، وقيل

---

(١) انظر البداية والنهاية ٢ : ٢٦١ ، وعيون الأثر ١ : ٢٦ .

(٢) فى شرح الزرقانى على المواهب ١ : ١٣٦ : « ... بزقاق المدكك » بدال مهملة .

(٣) فى شرح المواهب ١ : ١٣٦ : « فأدخل البيت الذى ولد فيه المصطفى فى داره التى يقال لها البيضاء » . وسميت البيضاء لأنها بنيت بالجص وطليت به . السيرة الحلبية ١ : ٦٢ .

(٤) هكذا فى الكامل لابن الأثير ١ : ١٨٦ . وفى الروض الأنف ١ : ١٠٧ ، والزرقانى ١ : ١٣٦ : « وأما الدار التى لمحمد بن يوسف فقد بنتها زبيدة، يعنى زوجة هارون الرشيد مسجدا حين حجت، وهى عند الصفا » . وانظر شرح المقامات للشريشى ٢ : ٢٤٤ . وفى السيرة الحلبية ١ : ٦٢ محاولة للتوفيق بين النصين .

(٥) هو قول حكاه الدمياطى وآخرون . وانظر الزرقانى ١ : ١٣٠ .

أوّل اثنين منه من غير تعيين ، وقيل وُلِد فى شهر رمضان لاثنتى عشرةَ ليلةً خلت منه[1]، وهو العشرون من نيسان سنة ثمانمائة واثنتين للإسكندر ذى القرنين .

والمشهور أنه ولد فى شهر ربيع الأوّل ؛ فيقول القائل : كيف يمكن أن تكون حملت به فى أيام التّشريق ، وولِد فى شهر ربيع الأوّل ، والمدّة بينهما إمّا أربعة أشهر، أو ستة عشر شهرا، ولم يُنقل إلينا أنه صلى الله عليه وسلم وُلِد لأقل من تسعة أشهر ولا أكثر منها؟ فالجواب أن الحج إذ ذاك لم يكن محصورا فى ذى الحجّة، بل قد ثبت أنّ أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه حج بالناس فى السنة التاسعة من الهجرة، ووافق الحج فى ذى القِعْدة ، فلما حجّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم حجّة الوداع فى السنة العاشرة، خطب فقال فى خطبتة : «ألا إنّ الزمان قد آستدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض[2]، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم : ثلاثةٌ متواليات ، ذو القِعدة، وذو الحِجّة، والمُحَرّم، ورجبُ مُضرِ[3] الذى بين جُمادى وشعبان» ، فيمكن أن يكون الحجُّ لمّا حملت آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم وافق فى جُمادى الآخرة ؛ ولا يمتنع هذا والله أعلم .

ورُوِى عن آبن عباس رضى الله عنهما أن آمنة بنت وهب قالت : لقد علِقْتُ به ، تعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما وجدتُ له مشقّة حتى وضعتُه،

(١) فى شرح الزرقانى على المواهب ١ : ١٣٠ — ١٣٢ ، تفصيل هذه الأقوال ، مع نسبتها لقائليها . وانظر الروض الأنف ١ : ١٠٧ ، وعيون الأثر ١ : ٢٦ .

(٢) فى الروض الأنف ٢ : ٣٥١ : «والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا» .

(٣) فى لسان العرب (رجب) : «إنما قيل رجب مضر إضافة إليهم ، لأنهم كانوا أشد تعظيما له من غيرهم، فكأنهم اختصوا به» ، وفى الروض الأنف ٢ : ٣٥١ : «إنما قال رجب مضر، لأن ربيعة كانت تحرم فى رمضان وتسميه رجبا ... فبين صلى الله عليه وسلم أنه رجب مضر، لا رجب ربيعة ، وأنه الذى بين جمادى وشعبان» .

فلما[1] فَصَل منّى خرج منه نورٌ أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب ، ثم وقع على الأرض على يديه ، ثم أخذ قبضة من تراب فقبضها، ورفع رأسه إلى السماء .

وقال بعضهم : وقع جاثيا على ركبتيه رافعا رأسه إلى السماء ، وخرج معه نورٌ أضاءت له قصور الشّام وأسواقُها ، حتى رأيت أعناق الإبل ببُصْرى[2] . وعن حسّان ابن عطية : أن النبي صلى الله عليه وسلم لمّا وُلِد وقع على كفّيْه وركبتيه[3] شاخصا بصرُه إلى السماء .

قالت أُمّه : فولدتُه نظيفا والله كما يولد السَّخْل ما به قَذَر . وقالت فاطمة بنتُ عبد الله أمّ عثمان بن [أبي] العاصي[4]، وكانت شهِدتْ وِلادة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضعته أمّه آمنة وذلك ليلا، قالت : فما شيءٌ أنظر إليه من البيت إلا نور ، وإنى لأنظر إلى النُّجوم تَدنُو حتى إنى لأقول لتَقعنّ علىّ[5] .

وذكر الخطيب أبو بكر بن ثابت رحمه الله، عن آمنةَ قالت : لمّا ولدت محمدا صلى الله عليه وسلم ثم خرج من بطنى نظرت إليه ، فإذا هو ساجد لله عزّ وجلّ رافعٌ يديه إلى السماء كالمتضرِّع المبْتَهِل[6]، ثم رأيتُ سحابةً بيضاءَ قد أقبلت تنزل من السماء حتى غشِيَتْه ، فغيَّبَتْه عن عينى برهَة ، فسمعتُ قائلا يقول : طوفوا بمحمد مشارقَ الأرض ومغاربَها ، وأَدخلوه البِحار كلَّها ليعرِف جميعُ الخلائق كلها باسمه

(١) انظر إنسان العيون ١ : ٤٦

(٢) انظر الروض الأنف ١ : ١١١ — ١١٢ ، والسيرة الحلبية ١ : ٥٦ .

(٣) انظر السيرة الحلبية ١ : ٥٦ .

(٤) فى الأصل : « عثمان بن العاص » ، والمثبت عن عيون الأثر ١ : ٢٧ ، والسيرة الحلبية ١ : ٥٨ ، وشرح المواهب ١ : ١١٦ .

(٥) فى صحة هذا الحديث كلام لهم . انظره فى إنسان العيون ١ : ٥٨ .

(٦) فى السيرة الحلبية ١ : ٥٤ ، والزرقانى ١ : ١١٢ : « ساجد قد رفع أصبعيه كالمتضرع » .

وصفته ، ويعرفوا بركته، إنه حبيب لى،لا يبقَ شىءٌ من الشِّرك إلا ذهب به . قالت[1]: ثم انجلت عنى فى أسرعَ من طَرْفة عين، فإذا أنا به مُدرَجٌ فى ثوب أبيض أشدَّ بياضا من اللبن ، وتحته حريرة خضراءُ قد قَبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرَّطبِ الأبيض ، وإذا قائلٌ يقول : قد قبض محمدٌ صلى الله عليه وسلم مفاتيحَ النُّصْرَة ، ومفاتيح الدنيا ، ومفاتيح النبوّة .

وذكر الخطيب أيضا عنها فى شأن المَوْلِد : قالت : رأيت سَحابة أعظمَ من الأولى ولها نور[2]، أسمَعُ فيها صهيل الخيل، وخَفَقان الأجنحة، وكلامَ الرجال[3]، حتى غشِيَتْه، قالت: وغُيِّبَتْ[4] عنى وجهه أطولَ وأكثر من المرة الأولى، فسمعتُ مناديًا ينادى: طوفوا بمحمد جميع الأرَضين، وعلى مَوالد النبيّين، واعرضوه على كل روْحانىّ من الجنّ، والإنس، والملائكة، والطير، والوحوش، وأعطوه خَلْقَ آدم، ومعرفةَ شيث ، وشَجاعةَ نوح ، وخُلَّة[5] إبراهيم ، ولسان إسماعيل ، ورِضا إسحاق وفصاحة صالح ، وحكمة لوط ، وبُشْرَى يعقوب ، وجمال يُوسف ، وشِدّة موسى وطاعة يونس ، وجهاد يوشَع ، وصوت داود ، وحُبَّ دانيال ، ووقار إلياس وعصمة يحيَى، وزُهْد عيسى، واغْمِسوه فى جميع أخلاق[6] النبيّين عليه وعليهم السلام . ثم انجلتْ[7] عنّى فى أسرعَ من طَرْفَة العين ، فإذا به قد قَبَض على حَريرةٍ خضراء

(١) فى الأصل : « قال » . (٢) فى شرح الزرقانى ١ : ١١٣ : « ... رأيت سحابة عظيمة لها نور » . (٣) تريد الملائكة المتشكلين بصفة الرجال . وانظر الزرقانى ١ : ١١٣ .

(٤) فى الزرقانى ١ : ١١٣ : « وغيب عنى فسمعت مناديا » .

(٥) فى الأصل : « وحكمة إبراهيم » تصحيف، والتصويب عن الزرقانى ١ : ١١٣ ، والإشارة إلى الآية : « واتخذ الله إبراهيم خليلا » .

(٦) فى الزرقانى ١ : ١١٤ : « فى أخلاق النبيين » .

(٧) رواية الزرقانى ١ : ١١٤ : « قالت ، ثم انجلى عنى فإذا به » .

مطويّة طيًّا شديدا، ينبع من تلك الحريرة ماءٌ مَعين، وإذا قائل[1] يقول: بَخٍ بَخٍ! قَبَض محمدٌ صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلِّها، لم يَبق خلقٌ كثيرٌ[2] من أهلها إلا دخل في قبضته طائعا بإذن الله . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن أبيه، قال: ولد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَختُونًا[3] مَسْرورا، قال: وأعجب ذلك عبدَ المطّلب، وحَظِي عنده، فقال: ليكوننّ لابني هذا شأن .

وفى رواية: لمّا ولَدت آمنةُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، أرسلتْ إلى جدّه عبدِ المطلب، فجاء البشيرُ وهو جالس فى الحِجْر مع ولَده ورجالٍ من قومه، فأخبره أن آمنة ولَدت غلاما، فسُرَّ بذلك، وقام هو ومن معه، فدخل عليها، فأخبرته بكل ما رأت، وما قِيل لها فيه، وما أُمِرتْ أن تُسَمِّيَه . قال: فأخذه عبدُ المطلب فأدخله الكعبة، وقام عندها يدعو الله، ويشكر ما أعطاه . قال الواقدىّ: وأُخْبِرت أنّ عبد المطلب قال يومئذ:

الحمـــد لله الذى أعطانِى * هــذا الغلامَ الطيِّبَ الأردانِ
قد ساد فى المهدِ على الغِلمانِ * أُعيذُه بالبيت ذِى الأركانِ
حــتى أراه بالغَ البنيانِ * اعيــذُه مِن شرّ ذى شَــنانِ
* من حاسدٍ مضطربِ العِنانِ *

وقال القُرطبيّ: وقال أبوطالب: كنت تِلك الليلة التى وُلد فيها محمد فى الكعبة أُصلِح فيها ما تَهدَّم منها، فلما انتصف الليل، إذا أنا بالبيت الحرام قد مال بجوانبه

(١) فى شرح المواهب ١ : ١١٤ : « وإذا بقائل » .
(٢) رواية الزرقانى ١ : ١١٤ : « لم يبق خلق من أهلها إلا » .
(٣) أى مقطوع السرة . عن الزرقانى ١ : ١٢٤ .

الأربعة ، نخرّ ساجدا فى مقام إبراهيم عليه السلام ، كالرجُل الساجد ، ثم آستوى قائمـا ، وأنا أسمع له تكبيرا عجيبا ينـادى : الله أكبر ! الله ربُّ محمد المصطفى ! الآن طهَّرنى ربى من أنجاس المشركين ، وحَمِيّـة الجاهلية ! ونظرت إلى الأصنام كلها تنتَفِض كما ينتفض الثوب ، ونظرت إلى الصنم الأعظم « هُبَل » قد انكبّ فى الحِجْر ، وسمعت مناديا ينادِى : ألا إن آمنة قد ولَدَت محمدا ! وقد سُكِبَتْ عليها سحائبُ الرحمة ، هذا طسْتُ الفِردوس قد انزِلَ ليُغسَل فيه الثّانية .

وعن حسّان بن ثابت الأنصارىّ ، قال : والله إنى لَغلامٌ يفَعَةٌ[1] ابن سبع سنين أو ثمان ، أعقِل كلَّ ماسمِعت ، إذ سمعتُ يهوديا يَصرُخ على أُطَمَة[2] يثْرِب : يا معشَرَ يهود ! حتى إذا اجتمعوا إليه ، قالوا له : ويلَك ! مالَك ؟ قال : طلع الليـلةَ نجمُ أحمدَ الذى وُلِد به[3] .

ذكر أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكُناه

وأسماؤه صلى الله عليه وسلم كثيرة ، منها ماجاء بنصّ القرآن ، ومنها مانُقل إلينا من الكتب السالفـة والصُّحُف المنْزَلة ، ومنهـا ما جاء فى الأحاديث الصـحيحة ومنها ما آشتهر على ألسنة الأئمة من الأمّة رضوانُ الله عليهم .

رُوِى عن جُبَيْر بن مُطْعِم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] : «لى خمسة[5]

---

(١) رواه البيهقى وأبو نعيم . وانظر الزرقانى ١ : ١٢٠ .

(٢) الأطمة : الحصن ، أنث على معنى البقعة .

(٣) فى شرح المواهب ١ : ١٢٠ : « طلع نجم أحمد الذى ولد به فى هذه الليلة » .

(٤) انظر شرح المواهب ٣ : ١١٥ .

(٥) هى رواية مالك فى الموطأ ، والبخارى عن طريقه ؛ وفى رواية الأكثر : « إن لى خمسة أسماء » . وانظر الزرقانى ٣ : ١١٥ .

أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يُحشَر الناس على قدمى [١] ، وأنا العاقب » . قيل لأنه عقب غيره من الأنبياء .

ورُوى عنه عليه السلام : « لى عشرة أسماء » ، فذكر الخمسة هذه ، قال : « وأنا رسول الرحمة ، ورسول الرّاحة ، ورسول الملاحم ، وأنا المقفّى ، قفّيت النبيين ، وأنا قيّم » .

قال القاضى عياض : والقيّم [٢] : الجامع الكامل ، قال : كذا وجدته ولم أروه وأرى صوابه : قُثَم [٣] بالثاء ، وروى النقّاش [٤] عنه عليه [الصلاة و] السلام [٥] « لى فى القرآن سبعة أسماء : محمد ، وأحمد ، ويس ، وطه ، والمدّثّر ، والمزّمّل ، وعبدُ الله » . وفى حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه : أنه كان عليه السلام يسمّى لنا نفسه أسماء ، فيقول : أنا محمد ، وأحمد ، والمقفّى ، والحاشر ، ونبىّ التوبة ونبىّ المَلْحَمة ، ويروى المَرْحمة ، والرحمة ، ومعنى المقفّى : معنى العاقب .

وقد جاءت من ألقابه وأسمائه صلى الله عليه وسلم فى القرآن عدّةٌ كثيرة سوى ماذكرناه ، منها النُّور ، لقوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ ، والسِّراج المنير ، والشاهد ، والمبشّر والنذير ، وداعى الله ، قال الله تعالى ﴿ يأيُّهَا النَّبِيّ إنا أَرْسَلْنَاكَ شاهِدًا ومُبَشِّرا ونَذِيرًا وداعِيًا إلى الله بإذْنِهِ وسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾

(١) روى « قدمى » بكسر الميم ، و بفتحها على التثنية ، ومعناه على الروايتين : يحشرون بعد الزمان الذى بعث فيه ، وفى رواية : يحشرون على عقبى . وانظر الزرقانى ٣ : ١١٦

(٢) فى شرح المواهب ٣ : ١٤١ : أن « القيم » اسم آخر غير « قثم » ، ورد فى كتب الأحاديث .

(٣) فسره الزرقانى ٣ : ١٢٠ نقلا عن القاضى عياض بأنه الجامع للخير ، أو الجواد .

(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلى المتوفى سنة ٣٥١ . متروك الحديث . وانظر الزرقانى ٣ : ١١٨

(٥) عن شرح المواهب ٣ : ١١٨ ، حيث يروى هذا الحديث .

والبشير لقوله تعالى : ﴿ وبَشِّرِ المُؤْمِنِين ﴾ ، والمنذر لقوله : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴾ ، والمذكِّر لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ ، والشهيد لقوله : ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ، والخبير لقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ قال القاضى بكر بن العلاء[1] : المأمورُ بالسؤال غيرُ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، والمسئول الخبير هو النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ والحق المبين لقوله تعالى : ﴿ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ ، وقوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ، وقوله : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ ، قيل : محمد وقيل : القرآن ، والرءوف الرحيم ؛ لقوله تعالى : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ، والكريم ، والمكين ، والأمين ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ ، والرسول ، والنبي الأُمّيّ ؛ لقوله : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾ ، والوليّ ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ ، والفاتح ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم ، فى حديث الإسراء عن ربه تعالى : «وجعلتك فاتحا وخاتما» ، وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فاتحا وخاتما ، وقَدَم الصدق ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ؛ قال قَتادةُ والحسَن وزيد بن أَسلَم : قَدَمُ صِدق هو محمد صلى الله عليه وسلم ؛ والعُروةُ الوثقى قيل : محمد ، وقيل : القرآن ؛ والهادى ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

---

(١) هو بكر بن محمد بن العلاء بن زياد القشيرى أبو الفضل البصرىّ ثم المصرىّ المتوفى سنة ٣٤٤ . وانظر شرح المواهب ٣ : ١٦٧ .

ذكر ما جاء فى تسميته صلّى الله عليه وسلّم محمدا وأحمد
ومن تسمّى بمحمد قبله صلى الله عليه وسلم من العرب ، وآشتقاق ذلك

أما اشتقاق هذه التسمية ، فمحمد آسمٌ عَلَم ، وهو منقول من صفة من قولهم: رجلٌ محمّـد ؛ وهو الكثير الخصال المحمودة ؛ والمحمَّد فى لغـة العرب : هو الذى يُحَمد حمدا بعدَ حمد مرةً بعـد مرة. قال السهيلى[1] : « لم يكن محمد حتى كان أحمـد حمِـد ربَّه فنبّأه وشرّفه؛ فلذلك تقـدّم آسم أحمـد على [الاسم الذى هـو] محمد[2] فذكره عيسى عليه السلام باسمه أحمد » .

٢٣/١٤

وهو صلى الله عليه وسلم أولُ من سُمّى بأحمد، ولم يُسَمَّ به أحد قبلَه من سائر الناس؛ وفى هـذا حكمة عظيمة باهرة؛ لأن عيسى عليه السلام قال : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى ٱسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾، فمَنَع اللهُ تعـالى بحكمته أن يُسَـمَّى أحدٌ به ولا يُدعَى به مَدْعُوٌّ قبلَه ، حتى لا يدْخُلَ لَبس على ضعيف القلب .

وأما محمد[3] ، فإن الله تعالى حَمَى أن يُسَـمّى به أحدٌ من العرَب، ولا من غيرِهم إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده صلى الله عليـه وسلم : أن نَبِيًّـا يُبعَث آسْمه محمد قد قَرُب إبّانُ مولده ، فسَمَّى قوم من العرب أبناءهم .

قال أبو جعفر محمد بن حبيب[4] : وهم سِتة لاسابع لهم : محمد بن سُفيان بن مُجاشِع جَدُّ الفرزدَق الشاعر ، وهو أوّل من سُمّى محمـدا[5] ، ومحمـد بن أُحَيحة[6] بن الجُلَاح

---

(١) فى الروض الأنف ١ : ١٠٦ . (٢) عن السهيلى ١ : ١٠٦ . (٣) هذا قول للقاضى عياض ، نقله عنه البغدادى فى الخزانة ٢ : ٢٤ . (٤) انظر المحبر ص ١٣٠ .

(٥) فى خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٢٤ : « وذكر عبدان المروزى أن محمد بن أحيحة بن الجلاح أول من سمى محمدا فى الجاهلية » . (٦) ذكر البلاذرى منهم : محمد بن عقبة بن أحيحة . وهو محمد ابن أحيحة ، ينسب إلى أبيه مرة ، وإلى جده مرة أخرى . انظر الخزانة ٢ : ٢٤ ، والمحبر ص ١٣٠ .

الأوسىّ ، ومحمد بن حسّان الجُعْفىّ ، ومحمد بن مَسْلَمة الأنصارى[١] ، ومحمد بن بَرَاء البَكرىّ ، ومحمد بن خُزَاعِىّ السُّلَمى ، وذكر فيهم أيضا محمد بن اليَحْمَدىّ من الأزد واليمنُ تقول : إنه أوّل من تَسَمَّى بمحمد . وذكر أبو الخطّاب بن دحية فيهم : محمد بن عِتْوَارة[٢] اللَّيثى الكِنَانىّ ، ومحمدَ بن حرْماز[٣] بن مالك التَّميمى[٤] المَعْمَرىّ . وقال أبو بكر بن فورَك : « لا يُعْرَف فى العرب من تَسَمَّى قبله بمحمد سِوى محمد بن سُفيَان ، ومحمد بن أُحَيْحَة ، ومحمد بن حُمْران[٥] ، وإن آباءَ[٦] هؤلاء الثلاثة وفَدوا على بعض الملوك ، وكان عنده علم من الكتاب الأوّل ، فأخبرهم بمَبعَث النبى صلى الله عليه وسلم وبآسمِه ، وكان كل واحدٍ منهم قد خلّف آمرأته حاملا[٧] ، فطمِع فى ذلك فنذَر كل واحد منهم إن وُلد له ولد ذكر أن يُسَمِّيه محمدا » .

---

(١) يقول ابن حجر : إن محمد بن مسلمة ولد بعد ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فعدّه من بين هؤلاء خطأ . وقال زين الدين العراقى : العدّ صحيح من حيث إن النبوّة لم تكن ظهرت بعد . وانظر خزانة الأدب ٢ : ٢٤ .

(٢) فى المحبر ص ١٣٠ : « محمد بن بر بن عتوارة » ؛ وضبط البلاذرى اسم أبيه فقال : محمد بن بر بتشديد الراء ليس بعدها ألف ابن طريف بن عتوارة ، ويقال فى نسبته العتوارى . وقد غفل ابن دحية حيث عدّ فيهم محمد بن عتوارة وهو هو ، نسب إلى جده الأعلى . انظر الخزانة ٢ : ٢٤ .

(٣) كذا فى الخزانة ٢ : ٢٤ ، وفى المحبر ص ١٣٠ : « الحرماز بن مالك بن عمرو بن تميم » .

(٤) فى الأصل : « التيمى » ؛ والتصويب من نص المحبر ص ١٣٠ .

(٥) فى الخزانة ٢ : ٢٤ : « محمد بن حمران بن أبى حمران ؛ واسمه ربيعة بن مالك الجعفى » وفى الروض الأنف ١ : ١٠٦ : « محمد بن حمران بن ربيعة » .

(٦) فى الروض ١ : ١٠٦ نقلا عن ابن فورك : « وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا » .

(٧) فى الروض الأنف ١ : ١٠٦ نقلا عن ابن فورك : « حاملا ، فنذر » .

وذكر ابن سعد فيهم: محمد الجُشَمىّ . وقال ابن الأثير[1] : محمد بن عَدِىّ بن ربيعة بن سعد بن سَواد بن جُشَم بن سعد ، عِدادُه فى أهل المدينة[2] . وروى عبد الملك بن أبى سُوَيد المِنقرىّ[3] عن جد أبيه خليفة ، قال : سألت محمد بن عَدِىّ كيف سمّاك أبوك محمدا ؟ فضحك ، ثم قال : أخبرنى أبى عَدِىّ بن ربيعة ، قال : خرجت أنا وسفيان بن مُجاشِع ، ويزيد بن ربيعة بن[4] كِنانة ، بن حُرقُوص ابن مازن ، وأسامة بن مالك بن العنبر[5] نريد ابنَ جَفنة ، فلما قربنا منه نزلنا إلى شجرات وغدير ، فأشرف علينا ديرانىّ فقال : إنى لأسمع لغة ليست لغة أهل هذه البلاد فقلنا : نعم ! نحن من مُضَر ، قال : أى المُضَرَيْن ؟ قلنا : خِندِف ، فقال : إنه يُبعَث وَشيكًا نبىّ منكم ، فخذوا نصيبكم منه تَسعَدوا ، قلنا ما اسمه ؟ قال : محمد فأتينا ابن جَفنَة ، فلما انصرفنا وُلِد لكل منا ابن فسمّاه محمدا .

وقال محمد بن سعد : « أخبرنا محمد بن على ، عن مَسلَمة ، عن عَلقَمة ، عن قَتادة بن السَّكَن[6] ، قال : كان فى بنى تميم محمد بن سُفيان بن مُجاشِع ، ومحمد الجُشَمىّ فى بنى سَواد ، ومحمد الأُسَيِّدى[7] ، ومحمد الفُقَيمىّ[8] ؛ سمَّوهم طمعا فى النبوّة ؛ ثم حمَى الله تعالى كل من تَسمّى بمحمد أن يدّعِى النبوّة ، أو يدّعيها أحد له ، أو يَظهَر عليه سبب يُشكِّك أحدًا فى أمره ، حتى تحقّق ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

والله أعلم بالصواب و إليه المرجع .

(١) أسد الغابة ٤ : ٣٥٢ . (٢) فى خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٢٤ عن ابن سعد : « عداده فى أهل الكوفة » . (٣) انظر خزانة الأدب ٢ : ٢٤ . (٤) فى خزانة الأدب ٢ : ٢٤ : « و يزيد بن عمرو بن ربيعة » . (٥) فى الخزانة أيضا : « ابن مالك بن حبيب ابن العنبر » . (٦) فى الخزانة ٢ : ٢٤ ، ٢٥ نقلا عن ابن سعد : « ابن سعد عن على بن محمد عن مسلمة بن محارب عن قتادة » . (٧) فى شرح المواهب ٣ : ١٦٠ : « محمد بن الأسيدى » ، قال : « وهو بضم الهمزة وفتح السين المهملة وكسر التحتية الثقيلة » . (٨) انظر شرح المواهب ٣ : ١٦٠

ومن أسمائه فى الكتب المنزلة صلّى الله عليه وسلم

« العظيم » ، وقع فى أوّل سِفر من التوراة عن إسماعيل : وسيلد عظيما لأمّة عظيمة[1] .

و « الجبّار » ، سُمّى بذلك فى كتاب داود عليه السلام ، فقال : تَقلَّد أيها الجبّار سيفك فإن ناموسك وشرائعك[2] مقرونة بهيبة يمينك . قالوا[3] : ومعناه فى حق النبى صلى الله عليه وسلم : إما لإصلاحه الأمة بالهِداية[4] والتعليم ، أو لقهره أعداءه ، أو لعلو منزلته على البشر ، وعظيم خَطَره[5] . ونفَى الله عز وجل عنه جَبْرِية التكبُّر فى القرآن فقال : ﴿ وما أنتَ عليهمْ بجبّارٍ ﴾ .

ومن أسمائه فيها[6] : «المتوكّل» ، و «المختار» ، و «مُقيم السُّنّة»[7] ، و«المقدّس»[8] ، و «روح الحق» ، وهو معنى البارَقْليط[9] فى الإنجيل ، وقال ثعلب : البارَقْليط : الذى يفرق بين الحق والباطل .

---

(١) انظر شرح المواهب ٣ : ١٦٧ و١٦٨ . (٢) فى شرح المواهب للزرقانى ٣ : ١٧٢ : « ... وأما الجبار فسمى به فى مزامير داود فى قوله من مزمورة ٤٤ تقلد سيفك الخ » ، وانظر الكتاب المقدس (مزامير ٤٥) . (٣) نسب هذا القول فى شرح المواهب ٣ : ١٢٥ إلى القاضى عياض ، وابن دحية ، وعنهما نقله . (٤) فى شرح المواهب ٣ : ١٢٥ : « لإصلاحه للأمة » . (٥) فى شرح المواهب ٣ : ١٢٥ : «... وعظيم خطره» . (٦) أى التوراة ، وانظر شرح المواهب ٣ : ١٤٣ . (٧) فى شرح المواهب ٣ : ١٤٦ : «مقيم السنة بعد الفترة كما هو نص الزبور ، ... ومعناه فى التوراة» . (٨) فى شرح المواهب ٣ : ١٤٦ : « سماه الله به فى الكتب السالفة» . (٩) البارقليط ، بالموحدة والفارقليط و بالفاء بدلها ، وفتح الراء والقاف بعدها لام مكسورة ، فتحتية ساكنة ، فطاء مهملة ؛ وبسكون الراء مع فتح القاف بعدها اللام المكسورة ، وبفتح الراء مع سكون القاف ، وبكسر الراء وسكون القاف ؛ قال فى المقتفى : وهو الصحيح — وقع فى إنجيل يوحنا ومعناه روح الحق . وفى النهاية لابن الأثير أن اسمه فى الكتب السالفة بارقليطا . انظر الزرقانى ٣ : ١٣٢ ، ١٧٨

ومنها مَاذ ماذ[1]؛ ومعناه طيّب طيّب، وحَمْطايا[2]، والخاتِم والخاتَم؛ حكاه كعب الأحبار، قال: فقلت فالخاتِم الذى خُتِم به الأنبياء، والخاتَم أحسن الأنبياء خَلْقًا وخُلُقًا، ويُسَمّى بالسريانية مُشَفَّح[3]، والمُنْحَمِنّا[4]، واسمه أيضا فى التوراة: أُحِيّد[5]، ورُوِى ذلك عن ابن سيرين رحمه الله.

٢٤/١٤

٥ ومن اسمائه ونعوته عليه السلام التى جرت على ألسنة أئمّة الأمّة

المصطفَى، والمجتبَى، والحبيب، ورسول ربّ العالمين، والشفيع المشفَّع والمتّقِى، والمُصلِح، والطاهر، والمُهَيْمِن، والصادق، والضَّحوك، والقتّال[6]، وسيّد ولد آدم، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغُرّ المُحَجَّلين، وحبيب الله وخليل الرحمن، وصاحب الحوض المورود، واللواء المعقود، والشفاعة والمقام ١٠ المحمود، وصاحب الوسيلة والفضيلة، والدرجة الرَّفيعة، وصاحب التاج والمِعراج والقَضيب، وراكب البُراق والناقة والنَّجيب، وصاحب الحجّة والسلطان، والخاتَم والعلامة والبُرهان، وصاحب الهِراوة والنّعلَين. صلى الله عليه وسلم.

(١) بميم مفتوحة، فألف غير مهموزة، فذال معجمة منونة، ثم ميم فألف فذال معجمة. وانظر الزرقانى ٣: ١٤٠ و١٦٩ و١٩٠. (٢) بفتح الحاء وسكون الميم، وطاء مهملة مخففة، وألفين بينهما تحتية. وفى شرح الشفاء للشمنى: بفتح الحاء وفتح الميم. قال الهروى: معناه حامى الحرم. وانظر الزرقانى ١٥ ٣: ١٨٨. (٣) بشين معجمة وفاء مشدّدة مفتوحة، ثم حاء مهملة بوزن محمد؛ ويروى بالقاف بدل الفاء مفتوحة ومكسورة. انظر الزرقانى ٣: ١٨٨ و١٨٩. (٤) بضم الميم الأولى وكسر الثانية، وقيل بفتحهما، وسكون النون الأولى وفتح الحاء المهملة وتشديد النون الثانية بعد الألف؛ ومعناه كما فى الزرقانى ٣: ١٨٨ روح القدس. (٥) قيل: بهمزة مضمومة، وحاء مكسورة ٢٠ فياء ساكنة بعدها دال، وقيل بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية، وقيل بفتح الهمزة وسكون الياء. وفى تهذيب الأسماء واللغات للنووى ١: ٢٢: «أن النبى صلى الله عليه وسلم. قال: وإنما سميت أحيد لأنى أحيد عن أمتى نار جهنم»، وانظر الزرقانى ٣: ١٨٨.

(٦) قال ابن فارس: سمى به لحرصه على الجهاد، ومسارعته إلى القتال. وانظر الزرقانى ٣: ١٤٠.

قالوا : ومعنى صاحب القضيب : السّيف ، وقع ذلك مفسّرا فى الإنجيل ؛ قال : معه قضيب من حديد يقاتِل به ، وأمّته كذلك[1] ؛ وأما الهراوة التى وصف بها[2]، فهى فى اللّغة العَصا، ولعلها القضيب الممشوق الذى انتقل إلى الخلفاء ؛ وأما صاحب التاج، فالمراد به العمامة، ولم تكن حينئذٍ إلا للعرب .

٥ وكانت كُنيته المشهورة أبا القاسم، وعن أنس أنه لما ولِد له إبراهيم ، جاءه جبريل فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم[3] .

ذكر مَراضع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وإخوته من الرّضاعة، وما ظهر من معجزاته فى زمن رضاعه وحال طفوليته صلى الله عليه وسلم

١٠ قال محمد بن عمر بن واقد الأسلَمى : أوّل من أرضع رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم ثُوَيْبَة[4]، وهى جارية أبى لَهَب، أرضعَتْه بلبن ابنها مَسْروح[5] أياما قبل أن تَقدمَ حَليمة السّعدية، وكانت قد أرضعت قبله عمه حمزة بن عبد المطلب، وأرضعَتْ بعده أبا سلَمة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومى ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصِلها وهو بمكّة، وكانت خَديجة تُكرمها وهى يومئذ مملوكة، وطلَبَت إلى أبى لَهَب أن تبتاعها منه لتُعتقَها فأبَى أبو لَهَب ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه ١٥ وسلم إلى المدينة أعتقها أبو لَهَب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها

---

(١) انظر شرح المواهب للزرقانى ٣ : ١٨٤ . (٢) انظر شرح المواهب ٣ : ١٨٤ .

(٣) للرسول صلى الله عليه وسلم كنى أخر . انظرها فى شرح المواهب ٣ : ١٥١ .

(٤) بضم المثلثة وفتح الواو، وسكون التحتية . توفيت سنة سبع من الهجرة . وفى إسلامها خلاف ٢٠ مذكور فى شرح المواهب ١ : ١٣٧ . (٥) بفتح الميم وسكون السين المهملة، وذكر فى السيرة الحلبية ١ : ٨٥، أنه بضم الميم أيضا، وانظر شرح المواهب ١ : ١٣٧ .

بصلة وكسوة ، حتى جاء خبرها أنها قد ماتت سنة سبع عند مرجعه من خيبر ، فقال : ما فعل ابنها مسروح ؟ فقيل : مات قبلها ولم يبق من قرابتها أحد .

ثم أرضعته حليمة بنت أبى ذؤيب ، وأبو ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة[١] ، ابن جابر بن رزام بن ناصرة بن فصية[٢][٣] بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان[٤] بن مضر ؛ واسم أبيه الذى أرضعه : الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان[٥] بن ناصرة ؛ ويقال هلال[٦] بن ناصرة بن فصية[٣] بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن .

وإخوته من الرضاعة منها : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة بنت الحارث ، وحذافة[٧] بنت الحارث وهى الشيماء[٨] ، وكانت الشيماء تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمها .

قال أبو عبد الله محمد بن إسحاق[٩] كانت حليمة بنت أبى ذؤيب تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر تلتمس الرضعاء

(١) شجنة ، بكسر الشين المعجمة فجيم ساكنة فنون مفتوحة فتاء للتأنيث ، ويروى « سجنة » بالسين المهملة . وانظر شرح المواهب ١ : ١٤٤ . (٢) كذا فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٩ ، وفى شرح المواهب ١ : ١٤٤ : « بن ناصر » . (٣) بضم الفاء ، وفتح الصاد بوزن « سمية » فى ضبط ابن دريد ؛ وبفتح الفاء وكسر الصاد فى ضبط ابن سيده . وانظر تاج العروس (فصى) . (٤) رواية ابن هشام ١ : ١٦٩ : « بن قيس بن عيلان » . (٥) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٧٠ : « ١٧٠ : « واسم أبيه الذى أرضعه صلى الله عليه وسلم : الحارث » . (٦) كذا فى سيرة ابن هشام ١ : ١٧٠ ، وفى الأصل : « ملال » تصحيف . (٧) بضم الحاء المهملة ، وفتح الذال المعجمة بعدها ألف مد ، ثم فاء كما فى شرح السيرة لأبى ذر الخشنى ١ : ٥٥ نقلا عن ابن عبد البر ؛ ويروى « جذامة » بالجيم ، و « خذامة » بالخاء المعجمة . وانظر شرح المواهب ١ : ١٤٦ . (٨) بفتح الشين المعجمة وسكون التحتية المثناة ، ويقال لها أيضا : الشماء . وانظر الزرقانى ١ : ١٤٦

(٩) نقله ابن هشام فى السيرة ١ : ١٧١ ، وانظر شرح المواهب ١ : ١٤١

قال الواقدى : إنهن كنّ عشرا، قالت : فى سنة شهباء[1] لم تُبق شيئا[2]، فخرجتُ على أتان لى قمراء[3] معنا شارف[4] لنا، والله ماتُبِضُّ[5] بقطرة، وما تنام لنا ليلتنا أجمع مع صَبِيّنا الذى معى من بكائه من الجوع، ما فى ثديىّ ما يُغنيه، وما فى شارفنا مايغذّيه[6]، ولكنا نرجو[7] الغيث والفرج، فخرجتُ على أتانى تلك، فلقد أذَمَّتْ[8] بالرَّكْب حتى شقّ ذلك عليهم ضعفا وعَجَفا[9] حتى قدِمنا مكة، فما منّا امرأة إلا وقد عُرِض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك أنا كنا[10] نرجو المعروف من أبى الصّبىّ؛ فكنا نقول : يتيم، ماعسى أن تصنع أمُّه وجدّه ؟ فما بقيت امرأة قدِمتْ معى إلا أخذتْ رضيعا غيرى، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى : والله إنى لأكره أن أرجع من بين صَواحبى ولم آخذ رضيعا، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه[11]؛ قال : لا عليك أن تفعلى، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة . قال[12] : فذهَبْتُ إليه فأخَذْتُه، وما حملنى على أخذه إلا أنى لم أجد غيره ؛ فلما أخذتُه رجعت به إلى رحلى، فلما وضعتُه فى حِجرى، أقبل عليه ثدياى بما شاء الله من لبن، فشرب حتى رَوِى، وشرب معه

(١) شهباء : ذات جدب وقحط، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٨٩ . (٢) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٧١ : « لم تبق لنا شيئا » . (٣) أتان قمراء : لونها بياض فيه كدرة، وفى السيرة الحلبية ١ : ٨٩ : قمراء : شديدة البياض . (٤) الشارف : الناقة المسنة . (٥) ما تبض : ما ترشح بشىء . (٦) فى السيرة لابن هشام ١ : ١٧١، وشرح المواهب ١ : ١٤٢ : « وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا » . (٧) رواية ابن هشام ٢ : ١٧١ : « ولكنا كنا نرجو » . (٨) فى السيرة الحلبية ١ : ٨٩ : أذمت بالذال المعجمة : أى جاءت بما تذم عليه، وفى شرح السيرة للخشنى ١ : ٥٥ : « ومن رواه أذمت فمعناه تأخرت بالركب أى تأخر الركب بسببها » . (٩) العجف : الهزال . (١٠) رواية ابن هشام ١ : ١٧٢ : « إنا إنما كنا » .

(١١) فى شرح المواهب ١ : ١٤٣ : « صواحبى ليس معى رضيع، لأنطلقن إلى » .

(١٢) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٧٢، وشرح المواهب ١ : ١٤٣ : «قالت»، ولعل تذكير الفعل على إرادة معنى الشخص .

أخوه حتى رَوِى، ثم ناما، وما كنّا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجى إلى شارفنا تلك فإذا بها حافل، فحلب منها ماشرب وشربتُ، حتى آنتهينا رِيًّا وشِبعا، فبتنا بخير ليلة.

٢٥
١٤

قالت : يقول صاحبي حين أصبحنا : تعلّمى والله ياحليمة لقد أخذتِ نسمةً مباركة، قالت : قلت والله إنى لأرجو ذلك، قالت : ثم خرجنا فركبتُ أتانى وحملتُه عليها معى، فوالله لقطعتْ بالرَّكب ما يقدر عليها شىء من حُمُرهم،[1] حتى إن صواحبي ليقُلْن لى : ويْحك يا بنتَ أبى ذؤيب [ويحك][2] ! اربعى[3] علينا. أليسَت هذه أتانَك التى كنتِ خرجتِ عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله ! إنها لهى هى، فيقلن : والله إن لها لشأناً. قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بَنى سَعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدبَ منها، فكانت غَنَمى تروح على حين قدمنا به معنا شِباعا لُبَّناً،[4] فنحلُب ونشرب، وما يحلُب إنسان قطرة لبن وما يجدها فى ضَرع حتى كان الحاضرُ[5] من قومنا يقولون لرُعْيانهم : ويلكم ! اسرَحوا حيث يسرَح راعى بنت أبى ذُؤَيب، قالت : فلم نزل نتعرّف من الله الزيادة والخيرة حتى مضت سنتاه وفصَلتُه، وكان يشِبّ شبابا لا يُشبه الغِلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جَفرا،[6] قالت : فقدِمنا به على أمه ونحن أحرَصُ شىء على مكثه فينا لما كنّا نرى من بركته، فكلّمنا أمّه. وقلت لها : لو تركت بُنَيَّ عندى حتى يغلُظ، فإنى أخشى عليه وَباءَ مكة ؛[7] قالت : فلم نزل به حتى ردّته معنا فرجعنا به

(١) فى الأصل : « ما لا يقدر علىّ شىء » ، والمثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ١٧٣ .
(٢) عن ابن هشام ١ : ١٧٣ . (٣) اربعى : انتظرى . وفى السيرة الحلبية ١ : ٩٠ : اربعى : اعطفى علينا بالرفق وعدم الشدّة فى السير . (٤) فى السيرة لابن هشام ١ : ١٧٣، وشرح المواهب ١ : ١٤٥ : « ولا يجدها » . (٥) الحاضر : المقيم فى المنزل ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٩٠ . (٦) الجفر : الشديد الغليظ . (٧) فى سيرة ابن هشام ١ ١٧٣ : « قالت : فلم نزل بها » .

فوالله إنه بعد مقدمنا بأشهر مع أخيه لفى بَهْمٍ[1] لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتد[2]، فقال لى ولأبيه : ذاك أخى القرشىّ قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقّا بطنه ، فهما يَسُوطانه[3]، قالت : فخرجت[4] أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائما منتقعا[5] وجهه ، فالتزمتُه والتزمه أبوه ، فقلنا : مالك يا بنىّ ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعانى فشقّا بطنى، فالتمسا فيه شيئا لا أدرى ما هو؟ قالت : فرجعنا إلى خبائنا ،فقال لى أبوه : يا حليمة ،لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أُصيب ، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه فقدمنا به على أمّه ، فقالت : ما أقدمك يا ظئر وقد كنتِ حريصةً عليه وعلى مكثه عندك ؟ فقلت: قد بلغ الله بابنى ، وقضيتُ الذى علىّ ، وتخوفت الأحداث عليه ، فأدّيتُه[6] عليكِ كما تحبّين ، قالت : ما هذا شأنك فاصدُقينى خبرك ! فلم تدعنى حتى أخبرتها؛ قالت : أفتخوفت عليه الشيطان؟ قلت نعم . قالت كلّا والله! ما للشيطان عليه من سبيل،وإن لبُنَىّ لشأنا ، أفلا أخبرك خبره؟ قلت : بلى! قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج منّى نور أضاء له قصور بُصْرَى[7] من أرض الشام ، ثم حملتُ به، فوالله ما رأيتُ من حمل قطُّ كان أخفَّ ولا أيسرَ منه ،ووقع حين ولدتُه وإنه لواضعٌ يديه بالأرض، ورافعٌ رأسه إلى السّماء؛ دعيه عنكِ وانطلقِ راشدةً.

هكذا نقل ابن هشام فى سيرته عن ابن إسحاق .

---

(١) البهم : الصغار من أولاد الضأن . (٢) اشتد فى عدوه : أسرع . (٣) فى السيرة الحلبية ١ : ٩٣ : « يسوطانه : يدخلان يديهما فى بطنه » ، وفى شرح الخشنى ١ : ٥٦ : « يقال سطت اللبن أو الدم أو غيرهما أسوطه : إذا ضربت بعضه ببعض ، واسم العود الذى يضرب به السوط » .

(٤) فى الأصل : « قال : فخرجت » ، والمثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ١٧٤ .

(٥) انتقع لونه : تغيرت جلدة وجهه من خوف أو مرض ، وذهب دمه . (٦) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٧٤ : «فأديته إليك» . (٧) فى الأصل : «أضاء له قصرى و بصرى من أرض الشام» ، والمثبت عن شرح المواهب ١ : ١٥٠ ؛ وفى سيرة ابن هشام ١ : ١٧٤ : « أضاء لى قصور بصرى » .

وقال محمد بن سعد فى كتابه المترجَم بالطّبقات عن الواقدىّ : كان عمره يوم شُقَّ بطنُه أربع سنين، وإن حَليمة أتت به أمّه آمنة بنتَ وهب وأخبرتها خبره وقالت : إنا لا نردّه إلّا على جَدْع أنفنا ؛ ثم رجعَت به أيضا، فكان عندها سنة أونحوها، لا تَدَعُه يذهب مكانا بعيدا، ثم رأت غمامة تُظلّه ، إذا وقفَ وقفتْ، وإذا سار سارت، فأفزَعها ذلك من أمره، فقدمت به إلى أمّه لتردّه وهو ابن خمس سنين، فأضلّها[(1)] فى الناس، فالتمسَتْه فلم تجده، فأتت عبد المطّلب فأخبرته، فالتمسه فلم يجده، فقام عند الكعبة فقال :

لا هُمَّ رُدّ راكبى محمّدا * أُرْدُدْه ربّى واصطَنِع عندى يدا
أنت الذى جعلتَه لى عَضُدا * لا يبعد الدهرُ به فيبعدا
* أنت الذى سمّيته محمّدا *

قال ابن اسحاق : يزعمون أنه وجده[(2)] ورَقَةُ بن نَوفَل بن أسد ورجل آخر من قُريش، فأتيا به عبد المطّلب، فقالا : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكّة، فأخذه عبد المطلب فجعله على عُنقه وهو يطوف بالكعبة يعوّذه ويدعو له، ثم أرسل به إلى أمّه آمنة .
وعن خالد بن مَعْدان الكَلَاعىّ[(3)] : أنّ نفرا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا له : يارسول الله ! أَخْبِرنا[(4)] عن نفسك، قال : نعم . أنا دعوة أبى إبراهيم، وبُشْرَى عيسى ورأت أمى حين حملَت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام، واسترضعتُ فى بنى سَعد بن بكر، فبينما أنا مع أخ لى خَلْف بيوتنا نرعَى بَهْما لنا، إذ أتانى رجلان

(١) كذا فى سيرة ابن هشام ١ : ١٧٦، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٩٤ .
(٢) نقله ابن هشام ١ : ١٧٦ . (٣) ترجمته فى تهذيب التهذيب ٣ : ١١٨ . وقد روى هذا الخبر ابن هشام فى السيرة ١ : ١٧٥ . (٤) انظر عيون الأثر ١ : ٣٥ .

عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا[1]، فأخذاني فشقّا بطني، ثم آستخرجا قلبي فشقّاه، فاستخرجا منه علقةً سوداء فطرحاها، ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثّلج حتى أنقياه، ثم قال أحدهما لصاحبه: زِنْه بعشَرة من أمّته، فوزنني بهم فوزَنتهُم، ثم قال: زِنْه بمائة من أمّته، فوزنني بهم فوزَنتهُم، ثم قال: زِنْه بألف من أمّته، فوزنني بهم فوزَنتهُم، فقال: دعه عنك، فلو وزنته بأمّته لوَزَنها.

قال محمد بن إسحاق[2]: وحدّثني بعض أهل العلم أن مما هاج أمّه السّعدية على ردّه إلى أمه، مع ما ذكرتْ لأمه مما أخبرتْها عنه، أن نفرا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فِطامه، فنظروا إليه وسألوها عنه وقلّبوه ثم قالوا لها: لنأخُذنّ هــذا الغلام فلنذهبنّ به إلى مَلِكنا وبلدنا، فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره، فلم تكد تَنفَلِت به منهم.

ونقل محمــد بن سعد[3]: أن آمنة أمّ النبي صلى الله عليه وسلم لمـّا دفعتْه لحليمة السعديّة قالت لهـا: اِحفظى آبني، وأخبرتْها بمـا رأت، فمرّ بها اليهود فقالت: ألا تحدّثوني عن آبني هذا؟ فإنّي حملتُه كذا، ووضعتُه كذا، ورأيتُ كذا، كما وصفت آمنة[4]، فقال بعضهم لبعض: اُقتلوه! ثم قالوا: أيتيم هو؟ فقالت: لا. هذا أبوه وأنا أمه، فقالوا: لو كان يتيما لقتلناه[5]، قالت: فذهبت به.

وحَضَنَتْه صلى الله عليه وسلم أمّ أيمن [بَرَكة][6] الحبشيّة حتى كَبِر، فأعتقها وزوّجها زيد بن حارثة، فولدتْ له أُسـامة بن زيد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسـلم ورِثها من أبيه. والله أعلم.

---

(١) كذا في عيون الأثر ١ : ٣٥، وفي سيرة ابن هشام ١ : ١٧٥ : «ثم أخذاني فشقا بطني واستخرجا».
(٢) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ١٧٧.
(٣) الطبقات ١ : ٧١ (قسم أوّل)، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٩٠.
(٤) في السيرة الحلبية ١ : ٩٥ : «لها أمّه».
(٥) في السيرة الحلبية ١ : ٩٥ : «يتيما قتلناه».
(٦) عن السيرة الحلبية ١ : ١٠٥.

ذكر وفاة آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الواقدىّ وغيره من أهل العلم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما بلغتْ سنُّه ستَّ سنين خرجتْ به إلى أخواله بنى عَدىّ بن النّجار بالمدينة تزورهم به ، ومعه أمّ أَيْمَن تحضنُه ، وهم على بعيرَيْن ، فنزلتْ به فى دار النابغة[1] ، فأقامت به عندهم شهرا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أمورا كانت فى مُقامه ذلك لمـّا نظر إلى أُطُم بنى عَدىّ بنِ النجار عرفَه وقال : كنت ألاعب أُنيسَة جاريةً من الأنصار على هذا الأُطُم ، وكنتُ مع غِلمانٍ من أخوالى ؛ ونظر إلى الدار فقال : هاهنا نزلتْ بى أمّى ، وفى هذه الدار قبرُ أبى عبد الله ، وأحسنتُ العَوْمَ فى بئر بنى عدىّ بنَ النجّار ، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه[2] ، فقالت أمّ أيمن : فسمعتُ أحدَهم يقول : هـذا نبِىُّ هذه الأمّة ، وهـذه دارُ هِجْرَتِه ، فوَعيتُ ذلك كلَّه من كلامه ؛ ثم رجعتُ به إلى مكّة ، فلمّا كانوا بالأَبْواء[3] [تُوفِّيتْ آمنةُ بنتُ وهب فقبرُها هناك ، فرجعتْ به أمّ أيمن على البعيرين اللَّذَين قدموا عليهما إلى مكّة ، وكانت تحضنه مع أمّه ثم بعد أن ماتت ، فلما مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]] فى عمرة الحُدَيْبية قال : "إن الله أذِن لمحمدٍ فى زيارة قبر أمّه" فأتاه صلى الله عليه وسلم فأصلحه وبكى عنده ، وبكى المسلمون لبكائه ، فقيل له[5] ، فقال : أدركتْنى رحمتُها فبكيتُ .

والله الرحمن .

(١) فى الأصل ، وطبقات ابن سعد : «النابغة» بالنون ، وفى شرح المواهب للزرقانى ١ : ١٦٣ : « التابعة بفوقية فوحدة فمهملة : رجل من بنى عدى بن النجار » .

(٢) فى الزرقانى ١ : ١٤٦ : « ينظرون إلىّ ، قالت أم » .

(٣) الأبواء بفتح الهمزة : موضع بين مكة والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب . معجم البلدان ١ : ٩٢

(٤) مابين المربعين عن الزرقانى ١ : ١٦٤ ، وطبقات ابن سعد ١ : ٧٧ (قسم أول) .

(٥) فى السيرة الحلبية ١ : ١٠٥ : « فقيل له فى ذلك » .

ذكر كفالة عبد المطلب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

قال: ولما تُوُفِّيَتْ أمّه آمنةُ قبضه إليه جدُّه عبدُ المطلب وضَمَّه إليه ورَقّ عليه رِقّة لم يرِقَّها على وَلَدِه، وكان يقرِّبه منه ويدنيه، ويَدخُل عليه إذا خلا وإذا نام، ويجلس على فراشه؛ وكان يوضَع لعبد المطّلب فراشٌ فى ظِلّ الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فِراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بَنِيه إجلالا له، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهو غلامٌ حتى يجلس عليه، فيأخذَه أعمامُه ليؤخِّروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابنى، فوالله إنّ له لشأنا، ثم يُجلسه معه عليه، ويمسَح ظهرَه بيده، ويَسُرُّه ما يراه يصنع.

وقال قوم من بنى مُدْلِج[1] لعبد المطلب: اِحتفِظ به، فإنّا لم نَر قدما أشبه بالقدم التى فى المقام منه؛ فقال عبد المطلب لأبى طالب: اِسمع ما يقول هؤلاء.

وسنذكر إن شاء الله خبرَ سيف بنِ ذى يَزَن مع عبد المطلب، وما بَشَّره من أمر النبي صلى الله عليه وسلم.

قالوا: وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما إلا قال: علىّ بابنى فيؤتَى به إليه فلما بلغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ثمانى سنين، هلك عبدُ المطّلب بنُ هاشم؛ ولما حضرته الوَفاة أَوصَى ابنَه أباطالب بحفظه وكَفالته؛ [وكانت][2] وفاة عبد المطّلب ابن هاشم لثمانٍ مضين من عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون، وهو يومئذ

(١) بنو مدلج: قبيلة من كنانة، وهم القافة العارفون بالآثار والعلامات، وانظر السيرة الحلبية ١: ١٠٩.

(٢) سقطت من الأصل.

٢٧
١٤

ابن اثنتين وثمانين سنة ، وقيل ابن مائة وعشر سنين حكاه السُّهيليّ؛ قال : « وهو أوّل من خَضَب بالسّواد من العَرَب » .

قال ابن قتيبة : إنّه كَبِرَ وعَمِيَ، وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش فى رءوس الجبال، ويقال له الفيّاض لجُوده، ومُطْعِم طيرِ السماء . قال ابن الأثير: « وهو أوّل من تحنَّثَ بحِراء ، فكان إذا دخل شهر رمضان صعِد حِراءَ وأطعَم المساكين » .
وسئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أتذكر موتَ عبد المطّلب ؟ قال : نعم . أنا يومئذ ابن ثمانِى سنين ، قالت أمّ أيمن : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم يومئذ يَبكِى خَلْفَ سريرِ عبد المطّلب .

قال : ولمـا هلك عبد المطلب وَلِىَ زمزَمَ والسقايةَ عليها بَعده ابنُه العبّاس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ من أحدث إخوته سنّا ، فلم تزل إليه حتى قام الإسلام وهى بيده، فأقرّها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على ما مضى .

وعن عبدالله بن عبّاس وغيره، قالوا : لمـا تُوفّى عبدالمطلب قَبَض رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم عمُّه أبوطالب، قيل بوصيةٍ من عبد المطلب، فأحبّه حبّا شديدا، وكان لايفارقه ، وكان يَخُصّه بالطعام ، وكان إذا أكل عيالُ أبى طالب جميعا أوفُرَادى

(١) فى عمر عبدالمطلب أقوال أخرى تجدها فى السيرة الحلبية ١ : ١١٢، وشرح المواهب ١ : ١٨٩ .
(٢) الذى حكاه السهيلى ١ : ٥ ، ونقله عنه الزرقانى ١ : ١٨٩ : أنه عاش مائة وأربعين سنة . فلعل هذا القول سقط من نص النويرى .
(٣) فى المعارف ص ٣٣
(٤) فى الكامل ٢ : ٦
(٥) فى السيرة الحلبية ١ : ١١٤ : « وكان يخصه بأحسن الطعام » .
(٦) هو قول حكاه الواقدى . ونقله الزرقانى ١ : ١٨٩ .

لم يَشبعوا[1]، وإذا أكل معهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم شَبِعوا؛ فكان إذا أراد أن يغدّيهم[2] قال: كما أنتم حتّى يحضرَ ابني؛ فيأتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم، فيُفضِلون من طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يَشبَعوا، فيقول أبو طالب: إنك لمُبارك؛ وكان الصِّبيان يُصبِحون رُمْصًا شُعْثا، ويُصبح عليه السلام دَهِينا كَحِيلا[3].

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام مع عمّه أبي طالب، وخبر بَحِيرا الراهب

قالوا: لما بلغ رسول الله صلّى الله عليه وسلم آثنتَىْ عشرةَ سنةً وعشرةَ أيّام، خرج أبو طالب فى رَكْبٍ تاجرا إلى الشأم، فلما تهيّأ للرحيل تعلّق به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم؛ فرقّ له أبو طالب وقال: والله لأخرجنّ به[4]، ولا يفارقُنى ولا أفارقُه أبدا، فخرج به معه، فلما نزل الرَّكْب بُصْرَى من أرض الشام، وبها راهبٌ يقال له بَحِيرًا فى صَوْمَعةٍ له، وكان إليه عِلمُ أهل النصرانية، ولم يزل فى تلك الصَّومَعة راهبٌ إليه يصير عِلمُهم عن كتابٍ فيها يتوارثونه كابرًا عن كابرٍ، فلما نزلوا ذلك العام بَحِيرا وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك، وهو لا يكلمهم، فصنع لهم طعاما كثيرا[5]، وذلك أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو فى صومعته، فى الرَّكْب حين أقبلوا، وغمامةٌ تظلُّه من بين القوم،

(١) ذلك لأن أبا طالب كان مقلا من المال. انظر السيرة الحلبية ١ : ١١٤

(٢) فى السيرة الحلبية ١ : ١١٤ : « ... أن يغذيهم أو يعشيهم يقول لهم » .

(٣) فى النهاية لابن الأثير ٣ : ١٧١ : « يصبحون غمصا رمصا ، و يصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم صقيلا ، دهينا كحيلا » . وانظر الزرقانى ١ : ١٨٩

(٤) انظر السيرة الحلبية ١ : ١١٤

(٥) فى السيرة الحلبية ١ : ١١٨ : « حتى كان ذلك العام صنع لهم » .

فلما نزلوا فى ظل شجرة قريبا منه ، نظر إلى الغَمامة وقد أظلّت الشجرة، وتهصّرت[(١)] أغصانُها على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظَلّ تحتها[(٢)] ، فلما رأى بَحيرا ذلك نزل من صَوْمَعته، وقد أمر بذلك الطعام فصُنع، ثم أرسل إلى القوم فقال : إنى قد صنعتُ لكم طعاما يا معشر قريش ، فأنا أحِبّ أن[(٣)] تَحضرُوا كلّكم؛ صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحُرّكم ؛ فقال له رجل منهم : يا بَحيرا إنّ لك لشأنا اليوم : قال له بحيرا : صدقتَ، قد كان ما تقول فاجتمعوا إليه ، وتخلّف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سِنّه فى رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بَحيرا فى القوم لم يَرَ الصِّفةَ التى يعرِف ، فقال : يا معشر قُرَيش لا يتخلّف منكم أحد عن طعامى، قالوا : ما تخلّف عنك أحد ينبغى أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدث القوم سِنًّا تخلف فى رحالهم، قال : لا تفعلوا اُدْعوه فليَحْضر،فقال رجل من قريش: واللّاتَ والعُزّى إن كان لَلُؤمًا بنا أن يتخلّف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام فاحتضنه[(٤)] وأجلسه مع القوم،فلما رآه بَحيرا جعل يلحَظه لحظا شديدا و ينظُر إلى أشياءَ من جسده قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرّقوا قام إليه بحيرا فقال له : يا غلام ، أسألك بحق اللّاتَ والعُزّى إلا ما أخبرتَنى عما أسألك عنه ، فقال : لا تسألنى بهما ! فوالله ما أبغضت شيئا قط بُغْضَهما، فقال له : فبِالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ! فقال : سَلْنى

(١) تهصرت : تهدلت عليه .

(٢) فى السيرة الحلبية ١ : ١١٨ : «وكان صلى الله عليه وسلم وجدهم قد سبقوه إلى فئ الشجرة، فلما جلس مال فئ الشجرة عليه » .

(٣) فى السيرة الحلبية ١ : ١١٨ : « .. قريش، وأحب أن تحضروا » .

(٤) فى السيرة الحلبية ١ : ١١٩ : « ثم قام إليه فاحتضنه» ، وفى شرح المواهب ١ : ١٩٤ : « فقال رجل من قريش ... ... ثم قام الحارث بن عبد المطلب فأتى به » .

عمّا بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله فى نومه،[1] وهيئته، وأموره، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يُخبره، فيوافق ذلك ما عند بَحيرا من صفته، ثمّ نظر إلى خاتم النبوة بين كتفَيه، وكان مثل أَثَر المِحْجَم، فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال له: ما هذا الغلامُ منك؟ قال: ابنى؟ قال له بَحيرا: ما هو بابنك،[2] وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا؛ قال: فإنه ابن أخى، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمّه حُبْلَى به، قال: صدقتَ ارجع بابن أخيك إلى بلده فاحذر عليه اليهود،[3] فوالله لئن رأَوه وعَرَفوا منه ما عَرفت، ليَبْغُنَّهُ شَرّا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأَسرِعْ به إلى بلاده، فخرج أبو طالب سريعا حتّى أقدمه مكّة حين فرغ من تجارته بالشام.

ورُوِىَ أنّ زُرَيْرًا وتَمّاما ودَرِيسا، وهم نفر من أهل الكتاب، قد كانوا رأَوا من رسول الله صلى الله عليه وسلّم مِثلَ ما رأَى بَحيرَا فى ذلك السَّفَر الّذى كان فيه مع عمّه أبى طالب، فأرادوه، فردَّهم[4] عنه بَحيرا، وذكَّرهم اللهَ وما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لا يخلُصوا إليه،[5] فعرَّفهم ما قال لهم فتركوه وآنصرفوا عنه؛ قال: فَشبّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يكلؤه الله ويَحفظُه ويَحوطُه لما يريد به من كرامته وآصطفائه إنّه خيرُ الحافظين. والله المُعين.

---

(١) فى شرح المواهب ١ : ١٩٦ : «عن أشياء من حاله ونومه .. الخ».

(٢) هذه رواية ابن هشام ١ : ١٩٣ أيضا، وفى السيرة الحلبية ١ : ١١٩ : «ما هو ابنك».

(٣) فى عيون الأثر ١ : ٤٢، والسيرة الحلبية ١ : ١١٩ : «إلى بلاده، واحذر».

(٤) كذا فى عيون الأثر ١ : ٤٢. وفى السيرة الحلبية ١ : ١١٩ : «وأرادوا به سوءا فردّهم عنه بحيرا».

(٥) فى السيرة الحلبية ١ : ١١٩ : «يخلصوا إليه، فعند ذلك تركوه وانصرفوا عنه»، وفى سيرة ابن هشام ١ : ١٩٤ : «ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم، وصدّقوا بما قال فتركوه».

ذكر رَعْيتِه[1] صلّى الله عليه وسلّم الغَنَم

عن عبد الله بنِ عُمير رضى الله عنه، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ما من نبىّ إلا قد رَعَى الغنم، قالوا : وأنتَ يارسول الله ؟ قال : وأنا . وعن أبى هُريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بعث الله نبيًا إلا راعِىَ غَنَم"، قال له أصحابه : وأنت يا رسولَ الله ؟ قال : وأنا، رعيتُها لأهل مكّة بالقراريط[2] .

وعن أبى سَلَمة بن عبد الرحمن، قال : مَرُّوا على النّبى صلّى الله عليه وسلّم بثَمَر الأَراك فقال : عليكم بما اسودّ منه، فإنّى كنتُ إذ أنا راعى الغنم، قالوا : يا رسول الله، رعيتَها ؟ قال : نعم . وما من نبىّ إلّا قد رَعاها .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه نحوه .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام[3] : ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة، وقيل ابن عشرين، هاجت حَرْب الفِجار[4]، فشَهِدها صلّى الله عليه وسلّم، وكان يُنَبِّل على أعمامه أى يردّ عليهم النَّبْل[5] .

(١) رعيته : بفتح الراء بمعنى رعيه، وانظر السيرة الحلبية ١ : ١٢٥ .

(٢) فى معنى « القراريط » فى هذا الحديث خلاف؛ قيل : هى أجزاء من الدراهم والدنانير؛ قال سويد بن سعيد : يعنى كل شاة بقيراط؛ وقيل : القراريط موضع بمكة، ولم يقصد فى الحديث القراريط من الذهب والفضة؛ لأن العرب لم تكن تعرف القراريط بهذا المعنى . وانظر السيرة الحلبية ١ : ١٢٦ .

(٣) السيرة ١ : ١٩٥ .

(٤) قال ابن هشام ١ : ١٩٨، نقلا عن ابن إسحاق : « وإنما سمى يوم الفجار بما استحل هذان الحيان، كنانة وقيس عيلان، فيه من المحارم » .

(٥) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٩٨ : « ... كنت أنبل على أعمامى : أى أردّ عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها » .

وقد تقـدّم ذِكْرُ حَرْب الفِجار فى وقائع العرَب ، وذلك فى الباب الخامس من القسم الرابع من الفن الخامس من كتابنا هـذا ، وهو فى السفر الثالث عشر من هذه النسخة والله الموفّق للصّواب وإليه المَرْجع .

ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم حِلف الفُضُول

قال محمّـد بنُ عمرَ بنِ واقد [بسـند] يرفعه إلى حَكيم بنِ حِزام : كان حِلفُ الفضولِ مُنصَرَفَ قُرَيش من حَرْب الفِجار ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذٍ ابن عشرين سنة ، وكان الفِجار فى شوّال ، وهذا الحِلفُ فى ذِى القِعدة[1] ، وكان أشرفَ حِلْفٍ كان قطّ ، وأوّل من دعا إليـه الزُّبَيْر بن عبد المطّلب ، فآجتمعتْ بنو هاشم وزُهْرة ، وبنو أَسَد بن عبد العُزّى وبنو تَيْم فى دار عبد الله بن جُدْعان ، فصنعَ لهم طعاما ، فتعاقَدوا وتَعاهَدوا بالله لَيكونُنّ مع المظلوم حتّى يؤدّى إليه حقُّه "ما بَلَّ بحرٌ صُوفَة" ، فسمَّت قريشٌ ذلك الحِلْفَ حِلْفَ الفُضول .

وقال آبن هشام[2] : تعاقَدوا وتَعاهدوا على ألا يجـدوا بمكة مظلوما من أهلها ، وغيرهم ممن دخَلَها من سائر النـاس إلّا قاموا معـه ؛ وكانوا على مَن ظَلَمه حتى تُرَدَّ عليه مظلمتُه .

وعن جُبيْر بن مُطْعِم ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ما أُحبُّ أنّ لى بحِلفٍ حَضَرتُه فى دار آبنِ جُدْعانَ حُمْرَ النَّعَم وأَنّى أَغدر به[3] ؛ هاشمٌ وزُهرةُ وتَيْم تحالَفوا أن يكونوا مع المظلوم "ما بَلّ بحرٌ صُوفة" ، ولو دُعيتُ به لأجبتُ[4] ، وهـو حِلْفُ الفُضول .

---

(١) انظر السيرة الحلبية ١ : ١٢٩ (٢) السيرة ١ : ١٤١

(٣) أى أنى لا أحب الغدر به وإن أعطيت حمر النعم فى ذلك .

(٤) يعنى لو قال قائل من المظلومين فى الإسلام : يآل حلف الفضول لأجبت .

قال الواقدىّ : ولا نعلم أحدا سَبق بنى هاشم بهذا الحِلف . وحكى أبو الفرج الأصفهانىّ[(١)] فى سبب تسمية هذا الحِلف حِلْفَ الفُضول : أن قوما من قريش قالوا فى هذا الحلف : هــذا والله فضل من الحلف ، فسمى حِلْفَ الفُضول ؛ قال : وقال آخرون : تحالَفوا على مِثل حِلْفٍ تحالَف عليــه قوم من جُرْهُم[(٢)] فى هذا الأمر لا يقرون[(٣)] ظُلْما ببطن مكّة إلا غيّروه؛ وأسماؤهم : الفَضْل بن شراعة، والفَضْل بن قضاعة، والفضل بن سماعة .

وروى أيضا بسنده[(٤)] إلى أبى إسحاق بن الفضل قال : إنّمــا سَمَّتْ قريش هــذا الحِلْفَ حِلْفَ الفُضول لأنّ نَفَرا من جُرْهم يقال لهم الفضل والفضال والفضيل تحالفوا على مثل ما تحالفتْ عليــه قريش، قال : وقال الواقدىّ : والصحيح[(٥)] أنّ قوما من جُرْهم يقال لهم فضل وفضالة وفضال ومفضل تَحالَفوا على مِثل هــذا[(٦)] فلما تحالفت قريشٌ بهذا الحِلف سَمَّوه بذلك . والله الموفّق للصواب .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام المرة الثانية فى التجارة وحديث نسطور

قال : ولمّــا بلغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة قال له عمّه أبو طالب : أنا رجل لا مال لى ، وقد آشــتدّ الزمان علينا ، وهذه عِيرُ قومك قد

(١) الأغانى بولاق ١٦ : ٦٥

(٢) فى السيرة الحلبية ١ : ١٣١ : «هم ثلاثة من جرهم كل واحد منهم يقال له الفضل ، وهم الفضل ابن فضالة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن الحارث » .

(٣) فى الأغانى ١٦ : ٦٥ : « الأمر أن لا يقروا » .

(٤) الأغانى ١٦ : ٦٧

(٥) الأغانى ١٦ : ٧٠

(٦) فى الأغانى ١٦ : ٧٠ : « على مثل هذا فى أيامهم ، فلما » .

حضَر خروجُها إلى الشام، وخديجةُ بنت خُوَيْلِد تبعثُ رجالا من قومك فى عِيرَاتها[(١)]، فلو جئتَها فعرضتَ نفسَكَ عليها لأسرعتْ إليك، وبلغ خديجةَ ذلك، فأرسلتْ إليه تقول: أنا أعطيك ضِعفَ ما أُعطى رجلا من قومك، فقال أبو طالب: هذا رزق ساقه الله إليك، فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه مَيْسَرة غلام خديجة، وجعل عُمومتُه يُوصُون به أهلَ العِير، فساروا حتى قَدِموا بُصْرى[(٢)]، فنزَلا فى ظلّ شجرة، فقال نَسْطُورا[(٣)] الراهب: ما نزل تحت هـذه الشجرة قطّ إلّا نبىّ. ثم سأل مَيْسرةَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أفى عينيه حُمْرة[(٤)]؟ قال: نعم لا تفارقه؛ قال: هو نبىّ[(٥)]، وهو آخر الأنبياء؛ ثم باع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سلعةً فوقع بينه وبين رجل تلاحٍ، فقال له: احلف باللّاتَ والعُزّى، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ما حلفتُ بهما قطّ، وإنّى لأمُرّ فأعرِض عنهما، فقال الرجل القولُ قولُك، ثم قال لميسرة[(٦)]: هذا والله نبىّ تجده أحبارنا منعوتا فى كتبهم؛ وكان مَيْسَرة إذا كانت الهاجرة واشتدّ الحرّ يرى مَلكين يُظِلّان رسول الله صلّى الله عليه وسلم من الشمس، فوعَى ذلك كلَّه، وباعوا تجارتَهم، وربِحوا ضِعفَ ما كانوا يَربحون؛ فلما رجعوا وكانوا بمَرّ الظَّهْران[(٧)] قال ميسرة: يا محمّد! انطلق إلى خديجة فأخبرها

(١) جمع الجمع لعير.

(٢) بضم الموحدة: مدينة حوران فتحت صلحا سنة ١٣ هـ، وهى أول مدينة فتحت بالشام. انظر الزرقانى ١ : ١٩٤.

(٣) بفتح النون وسكون السين وضم الطاء وألف مقصورة. عن الزرقانى ١ : ١٩٨.

(٤) كانت هذه الحمرة فى بياض عينه، وهى الشكلة، وجاء فى وصفه أنه كان أشكل العينين.

(٥) رواية الزرقانى ١ : ١٩٩، والسيرة الحلبية ١ : ١٣٣: «هو هو، وهو آخر الأنبياء».

(٦) فى السيرة الحلبية ١ : ١٣٤: «ثم قال الرجل لميسرة».

(٧) مر الظهران: واد بين مكة وعسفان، وهو الذى تسميه العامة بطن مرو، وهو المعروف الآن بوادى فاطمة. عن السيرة الحلبية ١ : ١٣٥

بمـا صنع الله على وجهك، فإنّها تعرف[1] [لك][2] ذلك، فتقدّم رسول الله صلّى الله عليه وسلم حتى دخل مكّة فى ساعة الظَّهيرة وخديجةُ فى عُلْيَة[3] لها، فرأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهوعلى بعيره، ومَلَكان يُظلّان عليه، فأرَتْه نساءَها، فعجبن لذلك، ودخل رسـول الله صلى الله عليـه وسلم عليها نخبَّرها[4] بمـا ربحوا فى وَجْههم ذلك، فسُرّت به، فلمّا دخل مَيْسرة عليها أخبرَتْه بمـا رأت، فقال: قد رأيت هذا مذ خرجنا من الشام، وأخبرها بما قال نَسْطُورا، و بما قال الآخَر الذى حالفه[5] فى البيع، وقَدِم رسـول الله صلى الله عليـه وسلم بتجارتها، فربحتْ ضعفَ ما كانت تربح، وأَضعفتْ له ما سَمَّت له. والله المعين.

ذكر تزويج رسولِ الله صلى الله عليه وسلم خديجةَ بنت خُوَيْلد

قال الواقدى بسـند يرفعه إلى نَفيسة بنت مُنْية[6]، قالت: كانت خديجة بنتُ خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ امرأةً حازمة جَلْدة شريفة لبيبة، وهى يومئذ أوسط[7] قريش نَسَبا، وأعظمُهم شَرَفا، وأكثرُهم مالا، وكُلُّ قومها كان حريصا على نكاحها لو قَدَر على ذلك، قد طلبوها و بَذلوا[8] لها الأموال، فأرسلَتْنى دسيسا[9] إلى محمد بعد أن رجع فى عِيرها من الشام، فقلتُ: يا محمد، ما يمنعُك أن تتزوّج؟ فقال: ما بِيَدى ما أتزوّج به، قلتُ: فإن كُفيتَ ذلك، ودُعيتَ إلى الجَمَال والمـال والشَّرَف والكَفاءةِ ألا تجيب؟ قال: فمن هى؟ قلت خديجـة، قال: وكيف لى بذلك؟

(١) الوجه: الوجهة. (٢) عن طبقات ابن سعد ١: ٨١٢ (قسم أوّل).
(٣) العلية: الغرفة. (٤) فى الأصل: «بخيرها»، والمثبت عن ابن سعد، والسيرة الحلبية ١: ١٣٥، وفى شرح المواهب ١: ١٩٩: «فأخبرها». (٥) حالفه: استحلفه.
(٦) فى الأصل: «بنت منبه»، تصحيف. (٧) فى السيرة الحلبية ١: ١٣٧: «أوسط نساء قريش نسبا». (٨) فى السيرة الحلبية ١: ١٣٧: «وذكروا لهـا الأموال فلم تقبل». (٩) الدسيس: من تدسه ليأتيك بالأخبار.

قالت على(١)، فأنا أفعل، فذهبتُ فأخبرتُها، فأرسلتْ إليه: أن آئت لِساعةِ كذا وكذا، وأرسلَتْ إلى عمّها عمرو بن أسد ليزوّجها . وقيل: إنّها أرسلتْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول : يا بن العمّ ! إنى قد رغِبتُ فيك لقرابتك منّى ، وشرفِك فى قومك، وسِطَتِك(٢) وأمانتِك عندهم، وحُسْنِ خُلُقك وصدقِ حديثك؛ ثم عرضتْ نفسَها عليه ، فذكر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ذلك لأعمامه، فخرج معه حمزة آبنُ عبد المطّلب حتى دخل على خُوَيلد بن أَسَد، وقيل: بل عمرو بن خُوَيلد بن أَسَد، وقيل : بل عمرو بن أُمية عمِّها، وكان شيخًا كبيرا وهو الصحيح ، فخطبَها إليه . قيل : وحضَر أبو طالب ورؤساء مُضَر، فخطب أبو طالب فقال :

"الحمدلله الذى جعلَنا من ذرّية إبراهيم، وزرعِ إسماعيل، وضِئضِئِ معدّ(٣)، وعنصرِ مُضَر(٤)، وجعلَنا حَضَنة بيته، وسُوّاس حَرَمه، وجعل لنا بيتا محجُوجا، وحَرَما آمِنا، وجعلنا الحكّام على الناس؛ ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبدالله، لا يوزَن به رجل إلا رجَح به، فإن كان فى المال قُلٌّ فإن المال ظِلٌّ زائل، وأمر حائل، ومحمد من قد عرفتم(٥) قرابتَه؛ وقد خطَب خَديجةَ بنت خُوَيلد، وبذَل لها من الصَّداق ما آجِلُه وعاجِله من مالى كذا ، وهو واللهِ بعدَ هذا له نبأ عظيم، وخَطْب جليل(٦)". فتزوّجها صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام ، وخديجةُ يومئذ بنت ثمان وعشرين سنة ، وقيل : بنت أربعين سنة ، وأَصدَقَها صلى الله عليه

(١) فى السيرة الحلبية ١ : ١٣٧ : « بذلك، فقلت بلى وأنا أفعل » .

(٢) سطتك : شرفك .

(٣) ضئضئ معدّ : أى معدنه وأصله .

(٤) عنصر مضر : أى أصله .

(٥) فى شرح المواهب ١ : ٢٠١ : « ومحمد ممن قد عرفتم » .

(٦) فى السيرة الحلبية ١ : ١٣٩، وشرح المواهب ١ : ٢٠٢ : « عظيم، وخطر جليل » .

وسلم ثِنْتَى عشرة أُوقيــة ونَشًّا ذهبا ؛ الأُوقيــة أربعون ، والنَّشّ عشرون ، فذلك خمسمائة درهم .

وروى ابن هشام[1] : أنه أصدقها صلى الله عليه وسلم عشرين بَكْرَة .

ذكرُ حضورِ رسول الله صلى الله عليه وسلم هَدْمَ الكعبة وبناءَها

٥ قالوا : ولمـا بلغ رسـول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة شهد هَدْم الكعبة وبنـاءَها ، وتَراضَت قريش بحُكمه فيها ؛ وكان سببُ هدم الكعبة وبنـائها ما رُوِى عن ابن عباس ، ومحمد بن جُبير بن مُطْعِم ، قالا : كانت الجُرُوف[2] مُطِلَّة على مكة ، وكان السَّـيل يدخل من أعلاها حتى يدخُل البيتَ فانصـدع ، فخـافوا أن ينهدم ، وسُرِق منه حَلْيُه وغَزَال من ذهَب كان عليه دُرٌّ وجوهر .

١٠ قال محمـد بن إسحق[3] : وكان كنز الكعبة فى بئرٍ فى جوفها ، فوُجِد عند دُوَيْك مولًى لبنى مُلَيح بن عمرو من خُزاعة . قال ابن هشام : فقطعَت قريش يده ، وزَعمت قريش أن الذين سرَقوه وضَعوه عند دُوَيك .

وكانت الكعبة فوق القـامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ، وكانوا يهمّون بذلك ويهابون هَدمَها ، فلمـا سُرق الكنز حمَلهـم ذلك على هدمها وبنـائها ؛ قال[4] :

١٥ وكان البحـر قـد رَمَى بسفينةٍ إلى جُدّة لرجل من تجّار الروم فتحطمَت . قال الواقدى : كان رأسُ أصحاب السفينة رجلا روميا اسمـه باقُوم[5] ، فجَّتها[6] الريح إلى

(١) السيرة ١ : ٢٠١ . (٢) فى الأصل وطبقات ابن سعد ١ : ٩٣ (قسم أول) : «الجرف مطلة» . (٣) نقله ابن هشام فى السيرة ١ : ٢٠٥ ، وعبارته : «وذلك أن نفرا سرقوا كنز الكعبة ، وإنمـا كان يكون فى بئر» الخ . (٤) القائل ابن إسحق ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٥ .

٢٠ (٥) باقوم ، بموحدة فألف فقاف مضمومة فواو ساكنة فميم ؛ ويقال : باقول باللام ؛ وهو نجار قبطىّ ، وقيل رومىّ . وانظر الزرقانىّ ١ : ٢٠٣ . (٦) فجتها : أى دفعتها .

الشُّعَيبة[1] ، وكانت مرفأ السفُن قبلَ جُدَّة فتحطّمت ؛ فخرج الوليد بن المغيرة فى نفَر من قريش فابتاعوا خَشَبها ، وقدم معهم بَاقُوم الرومىّ .

قال ابن اسحق[2] : فأعدّوا الخشب لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قِبطىّ نجار ، فتهيأ لهم فى أنفسهم بعضُ ما يُصلِحها ؛ وكانت حيةٌ تخرج من بئر الكعبة التى كان يُطرَح فيها ما يُهدَى لها ، فتتشرَّق[3] كل يوم على جدار الكعبة ، ولا يدنو منها أحد إلا احْزَألّت[4] أى رفعت رأسها وكَشّت[5] وفتحت فاها ، فكانوا يهابونها ؛ فبينَا هى يوما تَتَشرَّقُ بعث اللهُ طائرا فاختَطفَها فذهب بها ، فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله قد رضى ما أردْنا ؛ عندنا عاملٌ رفيق ، وعندنا خشَب ، وقد كفانا الله عز وجل الحية .

فلما أَجْمعُوا أمْرَهم[6] على هدمها و بنائها ، قام أبو وَهب بن عمـرو بن عائذ بن عِمران بن مَخزوم ، وهو خال أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتناول من الكعبة حجَرًا ، فوثَب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال : يامعشر قريش ، لا تُدخِلوا فى بنائها من كَسْبكم إلا طيّبا ، لا يدخل فيها مَهْر بَغِىّ ، ولا بيـع رِبًا ، ولا مَظلَمة أحدٍ من الناس . ويقال إن الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم هو الذى قال هذا القول .

قال الواقدىّ : فأمَروا بجمع الحجارة ، و ببناء الكعبة منها ؛ فبينَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم ، وكانوا يضَعون أُزُرَهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ، ففعل

(١) معجم البلدان ٥ : ٢٧٥ . (٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٥ .

(٣) تشرق : تبرز للشمس . عن الخشنى ١ : ٦٣ .

(٤) فى شرح الخشنى على سيرة ابن هشام ١ : ٦٣ : « أحزألت : رفعت ذنبها » .

(٥) صوتت باحتكاك بعض جلدها ببعض . عن الخشنى ١ : ٦٣ .

(٦) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٥ : « أمرهم فى » .

ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَلُبِط به: أى سقَط من قيام، ونودى: عورَتَك! فكان ذلك أوّلَ ما نُودِى، فقال له أبو طالب: يابنَ أخى اجعل إزارك على رأسك، فقال: ما أصابنى [ما أصابنى] (١) إلا من التّعَرِّى؛ فما رؤيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عورةٌ بعد ذلك.

٥ قال ابن إسحاق (٢): ثم إن قريشا جَزَّأت (٣) الكعبة، فكان شق (٤) الباب لبنى عبد مَناف وزُهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليمانىّ لبنى مَخزوم وقبائلَ من قُريش انضمّوا إليهم، وكان ظَهْرُ الكعبة لبنى جُمَح وسَهم، وكان شقّ الحِجر لبنى عبد الدّار ابن قُصَىّ وبنى أَسَد بن عبد العُزَّى وبنى عَدىّ بن كعب، وهو الحَطِيم (٥).

٣١/١٤

وقال الواقدىّ: وقَع لبنى عبد مَناف وزُهرة وجهُ البيت، وهو ما بين الركن الأسود إلى ركن الحِجْر، ووقع لبنى أَسَد بن عبد العُزّى وبنى عبد الدار ما بين ركن ١٠ الحِجْر إلى ركن الحِجْر الآخر، ووقَع لتَيْم ومَخزوم ما بين ركن الحِجر إلى الرّكن اليمانىّ، ووقع لسَهْم وجُمَح وعَدىّ وعامر بن لُؤىّ ما بين الركن إلى الركن الأسود.

قال ابن إسحاق (٦): ثمّ إن الناس هابوا هَدْمَها، وفَرِقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدأكم فى هدمها، فأخذ المِعْوَل، ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم تُرَعْ (٧)،

---

١٥ (١) فى الأصل: «ما أصابنى إلا فى تعرى»، والتكملة والتصويب عن الزرقانىّ ١: ٢٠٦، والسيرة الحلبية ١: ١٤٣. (٢) نقله ابن هشام ١: ٢٠٧، والطبرى ٢: ٢٠٠، ٢٠١.
(٣) فى الأصل والطبرى ٢: ٢٠٠: «تجزأت»، والمثبت عن سيرة ابن هشام ١: ٢٠٧.
(٤) الشق: الناحية. (٥) سمى حطيما لأن الناس يزدحمون فيه حتى يحطم بعضهم بعضا. وانظر شرح السيرة للخشنى ١: ٦٣. (٦) نقله ابن هشام. (٧) لم ترع: لم تفزع.
٢٠ قال السهيلى ١: ١٣١: «وهى كلمة تقال عند تسكين الروع والتأنيس، وإظهار اللين والبر فى القول، ولا روع فى هذا الموطن فينفى، ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر، فلذلك تكلموا بها».

ويقال : لم تَزِغْ[1] ، اللّهم إنا لا نريد إلا الخير؛ ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربّص الناس به تلكَ الليـلة[2] ، وقالوا : ننظر ، فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ، ورددناها كما كانت ، وإن لم يُصِبْه شيء فقد رضى الله ما صنعنا فنهدم ، فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله ، فهدّم وهـدّم الناس معه حتى انتهى الهـدم بهم إلى أساس إبراهيم عليه السلام ، فأفضَوا إلى حجارة خُضْر كالأسِنّة[3] آخذٍ بعضُها بعضا ، فأدخل رجل من قريش عتلة بين حجرَيْن منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تنقّضَت مكّةُ[4] بأسرها ، فانتهوا عن ذلك الأساس .

قال[5] : ثم إن القبائل جمعت الحجارة لبنائها ، كلُّ قبيلة تجمع على حدة ، وبنَـوا حتى بلغ البنيان موضع الركْن[6] . والله المستعان .

ذكر اختلاف قريش فى رفع الرُّكن وتراضيهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وخبر التحدّى

قال ابن إسحـاق[7] : ولمـا بلغ البنيان إلى موضع الركن اختصموا فيـه ، كلّ قبيلة تريد أن ترفعـه إلى موضعه دون الأُخرَى ، حتى تحاوزوا وتخالفوا واعتدّوا للقتال[8] ، فقرّبت بنو عبد الدار جَفنةً مملوءة دَما ، ثم تعاقدوا هم وبنو عَدىّ بن كعب

(١) لم تزغ : لم تمل عن دينك ، ولاخرجنا عنه ، وانظر الخشنى ١ : ٦٣ . (٢) عن الطبرى ٢ : ٢٠١ . (٣) جمع سنان ، شبهها بأسنة الرماح فى الخضرة ، وتروى : « كالأسنمة » . وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٧ ، وشرح المواهب ١ : ٢٠٤ ، والروض الأنف ١ : ١٣٢ .

(٤) تنقضت : اهتزت ، ورواية الطبرى ٢ : ٢٠١ : « انتقضت » .

(٥) القائل ابن إسحق ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٩ ، والطبرى ٢ : ٢٠١ .

(٦) يريد الحجر الأسود لأنه مبنىّ بالركن فسمى ركنا ، وفى تاريخ الطبرى ٢ : ٢٠١ : « حتى إذا بلغ البنيان موضع الركن » . (٧) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٩ . (٨) فى سيرة ابن هشام ، والطبرى ٢ : ٢٠١ : « حتى تحاوزوا [انحاز كل إلى قبيله] ، وتحالفوا وأعدّوا للقتال » .

ابن لُؤىّ على الموت ، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم ، فسُمُّوا لعقة الدَّم؛ فمكثت قُريش على ذلك أربعَ ليال أو خمسا ، ثم اجتمعوا فى المسجد فتشاوروا وتناصفوا ، فقال أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم ، وكان إذ ذاك أسَنَّ قريش كلِّها : يا معشرَ قُريش ! اجعَلوا بينَكم فيما تَختلفون فيه أوّلَ داخل يدخل[1]؛ فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، هذا محمد ، رضينا به ؛ فلما انتهى إليهم وأَخبَروه الخبر ، قال صلى الله عليه وسلم : هَلُمَّ إلىّ ثوبا فأُتِي به ، وقيل : بل بَسَط رداءه فى الأرض ، وأخذ الركن فوَضعه فيه بيده ، ثم قال : ليأت[2] من كل رُبع من أرباع قريش رجل ، فكان من رُبع بنى عبد مَنَاف عُتْبة بن رَبيعة ، وفى الربع الثانى أبو زَمْعة ، والربع الثالث أبو حذيفة بن المغيرة ، والربع الرابع قيس بن عَدىّ .

هكذا نقل الواقدى ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليأخذْ كلُّ رجل منكم بزاوية من زوايا الثّوب ثم ٱرفعوه جميعا ففعلوا ، ثم وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فى موضعه ، فذهب رجل من أهل نجد ليُناول النبىّ صلى الله عليه وسلم حجرا يَشُدّ به الركن ، فقال العباس بن عبد المطلب : لا . ونحّاه ، وناول [العباس][3] رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حجراً ، فشَدّ به الركنَ ، فغضب النّجدىّ حين نُحِّى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إنه ليس يَبْنِى معنا فى البيت إلا منّا ؛ فقال النّجدىّ : يا عَجَبا لقوم أهل شَرَف ، وعقول ، وسِنٍّ ، وأموال ، عمدوا إلى أصغرهم سِنًّا ، وأَقلِّهم مالا ، فرأسوه عليهم فى مَكرُمَتهم وجُودِهم كأنهم

(١) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٩ : « ... فيه أوّل من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ففعلوا ، فكان أوّل داخل » ، وانظر الطبرى ٢ : ٢٠١ .

(٢) فى الأصل وطبقات ابن سعد ١ : ٩٤ (قسم أوّل) : « ليأتى » تصحيف .

(٣) عن طبقات ابن سعد ١ : ٩٤ (قسم أوّل) .

خَدَم له ، أما والله لَيُفرقنّهم شِيَعا[1] ، وليقسِمَنّ بينهم حظوظا وجدودا . ويقال إن النَّجدىّ إبليسُ[2] لعنه الله . فقال أبو طالب :

إن لنا أولَه وآخِرَه في الحكم والعدل الذى لانُنكرَه

وقد جهدنا جهده لنعمُرَه وقد عمرنا خيرَه وأكثره[3]

* فإن يكن حقًّا ففينا أوفَرَه *

قال : ثم بنوا حتى انتهوا إلى موضع الخشَب ، وكان خمسة عشر جائزا[4] سَقَفوا البيت عليه ، وبنَوه على ستة أعمِدة ، وأخرجوا الحِجْر من البيت ، قالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن قومك استقصروا[5] فى بنيان الكعبة ، ولولا حَداثة عهدهم بالشِّرك أعدتُ فيه ما تركوا منه ، فإن بدَا لقومك من بعدى أن يبنوه ، فهلُمّ أُرِيكِ ما تركوا منه ، فأَراها قريبا من سبعة أذرع[6] فى الحِجر ، وقال صلى الله عليه وسلم : ولجعلت لها بابَين شَرقيًّا وغربيا ، أتدرين لم كان قومك رفعوا بابها ؟ قالت : فقلت : لا أدرى . قال : تعزُّزًا أن لا يدخلها إلا من أرادوا .

قال ابن هشام : وكانت الكعبة على عَهد[7] النبىّ صلى الله عليه وسلم ثمانى عشْرةَ ذراعا ، وكانت تُكسَى القَباطِىّ[8] ثم كُسيت البرود[9] ، وأوّلُ من كساها الديباج الحجّاج ابن يوسف[10] .

(١) فى الأصل : «ليفوتهم سبقا ، وليقيمنّ بينهم خطوطا وحدودا» . وانظر السيرة الحلبية ١ : ١٤٥ ، وطبقات ابن سعد ١ : ٩٤ (قسم أول) . (٢) انظر الروض الأنف ١ : ١٣٢ .
(٣) فى طبقات ابن سعد : «وأكبره» . (٤) الجائز : هو الخشبة التى توضع عليها أطراف العوارض فى سقف البيت . وفى الأصل : «حابرا» تصحيف . (٥) فى الأصل : «استعصروا من» ، وانظر صحيح البخارى ٢ : ١٤٦ . (٦) فى صحيح البخارى ٢ : ١٤٧ : «قال جرير : فحزرت من الحجر ستة أذرع أو نحوها» . (٧) فى السيرة ١ : ٢١١ . (٨) القباطى : ثياب بيض كانت تصنع بمصر . (٩) البرود : ثياب يمنية . (١٠) فى الروض الأنف ١ : ١٣٠ : أن ابن الزبير كساها الديباج قبله ، وكان خالد بن جعفر بن كلاب ممن كساها الديباج قبل الإسلام .

وحيث انتهينا إلى هـذه الغاية من أخبار رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ، فلنذكر من بشّر به .

ذكر المبشِّرات برسول الله صلى الله عليه وسلم قبلَ مولده ومبعثه وبعدَ ذلك

جاءت البشائر برسـول الله صلى الله عليه وسـلم فى كتب الله تعالى المنزّلة على أنبيائه صلواتُ الله عليهم ، وفيما نُقِل[1] إلينا من كلامهم ، ووُجِد بخطّهم ، و بشّر به أحبارُ يهود ، وعلماءُ النّصارَى ، عما انتهى إليهم من العلوم التى تلقّوها عن الأنبياء صلوات الله عليهم ، ونَقلوها من صُحُفهم ، ومُخَبَّئات كتبهم ، وذخائر أسرارهم ، حتى اعترف قوم بنبوّته صلى الله عليه وسلم قبلَ مولدِه وظهوره بما شاء الله من السنين ، وأَوْصوا به مَن بَعدَهم ؛ ﴿ فَمِنْهُم مَن آمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُم مَن صَدَّ عَنْـه ﴾ ؛ و بشّر به أيضا قبلَ مَبْعَثِه كُهّان العرب ، عما كان يأتيهم من أخبار السّماء على لِسان شياطينهم الذين كانوا يَستَرِقون السّمْع ومُنِعوا بالشُّهُب ، كما أخبرنا الله تعالى فى قوله : ﴿ وإنَّا كُنَّا نَقعُدُ مِنها مَقَاعِد للسَّمْع فَمَنْ يَستَمِع الآنَ يَجِدْ لَه شِهَاباً رَصَدًا ﴾ ، ونطَق الجانُّ من أجواف الأصنام بالبِشارة به ، فكان ذلك سبباً لإسلام من سمِـع أصواتها ممن سبقت له من الله الحُسْنَى ، وهداه وأَرشده إلى اتّباع الحق ، والإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم ، و بما جاء به مِن عند الله ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى مواضعه .

فأما ما جاءت به الكتب المنزلة من الله تعالى مما يدل على نبوة سيدنا رسول الله صـلى الله عليه وسلم فقد جاء ذلك فى القرآن العزيز ، وفى التوراة ، والإنجيل ، وزبور داود ، وكتُب الأنبياء : شِعْيا ، وشَمْعُون ، وحزقيل عليهم السلام .

---

(١) فى الأصل : « وما نقل » .

فأما ما جاء فى القرآن العزيز فقد قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذ قَالَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مصدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِن التَّوراةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى ٱسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُم لَتُؤمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّه ، قَالَ أَأَقرَرْتُم وَأَخَذْتُم عَلَى ذَلِكُم إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ . قال أهل التفسير : أخذ الله الميثاق بالوحى، فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا ونعته (١) ، وأخذ عليه ميثاقه : إن أدركه ليؤمنَنّ به ؛ وقيل : أن يُبيِّنه لقومه، و يأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم ؛ وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُم رَسُولٌ ﴾ الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم .

وعن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه (٢) ، أنه قال : لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده ، إلا أخذ عليهم العهود فى محمد صلى الله عليه وسلم : لئن بُعث وهو حى ليؤمنَنّ به ولينصُرَنَّه و يأخذ العهد بذلك على قومه . ونحوه عن السُّدِّى وقتادة .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾ . روى عن قتادة : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : كنتُ أولَ الأنبياء فى الخلق ، وآخرَهم فى البَعث . قال القاضى عياض : فلذلك وقع ذِكره مقدّما هنا قبل نوح وغيره، صلى الله عليهم أجمعين .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنا دعوة أبى إبراهيم، وبشرى عيسى» الحديث . يشير بدعوة إبراهيم عليه السلام إلى قوله تعالى إخبارا عنه : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيهِم آيَاتِك وَيُعَلِّمُهُم الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِم إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ .

(١) فى الأصل : «عليهم» ، وانظر شرح المواهب ٦ : ١٦٣ (٢) انظر شرح المواهب ٦ : ١٦٣

وأما ما جاء فى كتب الله السالفة ، فقد علمنا قطعًا أن أهل الكتاب بدّلوا فى كُتب الله تعالى المنزّلة على أنبيائهم ، وحرّفوا كَلِمها عن مواضعه ، وحذَفوا منها أشياء فيها صريح ذِكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بَغْيًا منهم وحسَدًا وجُحودا ونَكالا وافتراء على الله تعالى . هذا لا مِرية عندنا فيه ولا خلاف ، وقد اتّفقوا على أشياء فى كُتبهم وتَرجَموا عنها بالعربية ، تدل على نبوّة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نحن نذكرها إن شاء الله ، وكتموا فيها ما أَخبَر به من أسلَم من أحبار يهود وغيرهم ، وعُرِضَ ذلك على من استمَرّ على كفره ، فلم يسَعه إنكارُه بل أقرّ به ، على ما نذكر إن شاء الله تعالى فى مواضعه .

فأما ما اتفقوا عليه مما جاء فى التوراة وترجموه بالعربية ورَضُوا ترجمته فمن ذلك قوله : « جاء الله من طور سيناء ، وأشرق لنا من سَاعِير ، واستَعلَن من جِبال فَارَان »[1] . وفى ترجمة أخرى كذلك : « تجلى الله من طور سيناء ، وأشرق من سَاعِير ، واستعلن من جبال فاران » . قال العلماء : وفى هذا تَصريح بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن الطُّور هو[2] الجبل الذى اصطفى الله تعالى موسى عليه بتكليمه ، وسَاعِير : جبل بالشام منه ظهرت نبوّة عيسى بن مَريم ، وبالقرب منه قرية الناصرة التى وُلد فيها ، وفَاران : هى مكة شرفها الله تعالى .

---

(١) فى معجم البلدان ٦ : ٣٢٣ : « ... وفى التوراة : جاء الله من سينا ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من فاران » ، فجيئه من سيناء ، تكليمه لموسى ، وإشراقه من ساعير (وهى جبال فلسطين معجم ٥ : ١٠) : إنزاله الإنجيل على عيسى ، واستعلانه من جبال فاران : إنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم . وفاران : جبال مكة .

(٢) فى الأصل : « الطور وهو » . وانظر « خير البشر » لابن ظفر ص ٩ .

قال الشيخ حجة الدين أبو هاشم[1] محمد بن ظَفَر فى كتابه المترجم بخير البشر[2] : لا يخالف فى هذا أحد من أهل الكتاب . قال : « وأما قوله : جاء الله من طور سيناء فإن مجىء[3] الله هو مجىء كتابه وأمره كما قال الله تعالى :﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾، أى أتاهم أمرُه . وقوله : « وأشرق لنا من سَاعير » كنايةٌ عن ظهور أمرِه وكلامه[4]، قال : وكذلك قوله : « واستعلن من جبال فاران »، أى ظهر أمره ، وكتابه ، وتوحيده ، وحمدُه ، وما شرعه رسولُه من ذكره بالأذان والتلبية[5] وغير ذلك ؛ قال ابن ظَفر[6] : « وقرأت فى ترجمةٍ للتوراة خطابا لموسى عليه السلام، والمرادُ به الذين اختارهم لميقات ربه فأخذتهم الرَّجفة خصوصا، ثم سائر بنى إسرائيل عموما : والله ربك يقيم نبيا من إخوتك، فآستمع له كالذى سمعت ربّك فى حُوربت يوم الآجتماع حين قلت : لا أعود أسمع صوت الله[7] ربى لئلا أموت، فقال الله لى[8] : نِعْمَ ما قالوا، وسأقيم لهم نبيا مثلك من إخوتهم، وأجعل كلامى فى فمه، فيقول لهم : كلَّ شىء آمره به ، وأيُّما رجلٍ لم يُطع من تكلم باسمى فإنى أنتقم منه .

وفى هذا أدلّة[9] على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم، منها قوله : « من إخوتهم »، وموسى وقومُه من بنى إسحاق ، وإخوتهم بنو إسماعيل ، ولو كان الموعود من[10]

---

(١) فى الأصل : « هشام » تصحيف . (٢) ص ٩ .

(٣) فى خير البشر : « سيناء ، فجىء » . (٤) فى الأصل : « ظهور أنوار كلامه » والمثبت عن ابن ظفر . (٥) فى خير البشر (ورقة ٥ أ من النسخة المخطوطة) : « وما شرعه لرسوله من الآداب والتلبية » . (٦) فى خير البشر ص ١٠ وانظر الزرقانى ٦ : ٢٠٠ (٧) فى خير البشر ص ١٠ من المطبوعة : « قلت لا أسمع صوت الله » ، وفى المخطوطة (ق ٥ ب) : « أسمع كلام الله ربى » .

(٨) فى المخطوطة من خير البشر (ق ٥ ب) : « فقال الله لى : نعم ، نعم » .

(٩) فى خير البشر (ق ٥ ب) : « وفى هذا الكلام أدلة » .

(١٠) فى خير البشر (ق ٥ ب) : « ولو كان هذا النبى الموعود » .

بنى إسحاق ، لكان من أنفسهم ، لا من إخوتهم ، كما قال تعالى إخبارا عن إبراهيم في دعوته : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ ، وكما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ؛ ومنها قوله : «نبيا مثلك» ، وقد قال فى التوراة : «لا يقوم فى بنى إسرائيل أحدٌ مثلُ موسى » ، وفى ترجمةٍ أخرى : « مثلُ موسَى لا يقوم فى بنى إسرائيل أبدا » ؛ ومنها قوله : « أَجعلُ كلامى فى فمه » ، فهو واضح أن المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن معناه : أوحى إليه بكلامى فينطق به ؛ وقوله : « أيُّما رجلٍ لم يُطِع من تكلّم باسمى فإنى أنتقم منه » دليل على كذب اليهود فى قولهم : إن الله أمرنا بمعصية كلِّ نبى دعا إلى دين سُمِّى نسخًا لبعض ما شرعه موسى صلى الله عليه وسلم . والله تعالى أعلم .

وأما ما اتفقوا عليه ، ورضوا ترجمته مما فى الإنجيل فمن ذلك ما ترجموه فى الإنجيل : أن عيسى عليه السلام قال : « إن أحْبَبتمونى فآحفظوا وصيتى ، وأنا أطلب إلى أبى فيعطيكم بارَقْليط آخر يكون معكم الدهرَ كلَّه » ، فهذا تصريح بأن الله سيبعث إليهم من يقوم مَقامه ، وينوب عنه فى تبليغ رسالات ربه ، وسياسة خلقه مَنابَه ، وتكون شريعته باقيةً مخلَّدة أبدا » ، ولم يأت بذلك بعد عيسى إلا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومنه ما ترجموه : « إن هذا الكلام الذى سمعتُموه ليس هو لى ، بل للأب الذى أرسلنى ، كلَّمكم بهذا وأنا معكم ، فأما البارَقْليط : روحُ القدس الذى يُرسل أبى باسمى ، فهو يعلّمكم كلّ شىء ، ويُذَكِّركم جميعَ ما أقول لكم » .

قال ابن ظَفَر : قولهم : « أبى » : فهذه اللفظة عندنا مبدلة محرَّفة ، وليست مُنكَرة الاستعمال عند أهل الكتابَين إشارةً إلى الرب سبحانه ، لأنها عندهم لفظة

تعظيم يخاطب بها المتعلّم مُعَلِّمه الذى يستمدّ العلمَ منه؛ قال : ومن المشهور مخاطبة النصارى عظماءَ دينهم بالآباء الروحانية؛ قال : وأما قوله : « يرسله أبى باسمى » فهو إشارة إلى شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالصّدق والرسالة، وما تضمّنه القرآن من مَدحه وتنزيهه عما افتراه اليهودُ فى أمره .

٥ ومما ترجموه ورَضُوا ترجمته قولهم : إنه قال : « إذْ قال البارَقْلِيط الذى أرسل إليكم من عند أبى، روح الحق الذى يخرج من الأب ، فهو يشهَد لى، وأنتم تشهدون لى أيضا لكينونتكم معى من أول أمرى » .

قال : قوله « روح الحق الذى يخرج من الأب » كنايةٌ عن كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ .

١٠ وقوله : « يشهد لى » تصريح بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، إذ لم يشهد للسيح عليه السلام بالنبوّة ، والنزاهة عما افتُرى عليه، وبأنه روحُ الله وكلمتُه وصفيُّه ورسولُه ، كتابٌ سوى القرآن ، ولم تزل الأممُ تكذّب المتّبِعين للسيح ، واليهودُ يفترون العظائم من البهتان، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فشهِد للسيح بما شهِد به حَواريُّوه الذين كانوا معه من أول أمره، والمهتدون من أمته .

١٥ قال : ومما رَضُوه من الترجمة أيضا عن الإنجيل قوله فيه : « إن انطلاقى خير لكم، لأنى إن لم أنطلق لم يأتكم البارَقْلِيط، فإذا انطلقتُ أرسلتُ به إليكم، فإذا جاء فنّد أهلَ العلم » . قال : فهذا ظاهر، وقولُه : « أرسلت بِه إليكم » إن كان سالما من التحريف، فمعناه مثل معنى قوله : « إن لم أنطلق لم يأتكم » ، وقوله : « فنّد » وصفٌ صريح للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فهو الذى فنّد علماءَ اليهود والنَّصارَى فيما أطبقوا عليه من أن المسيح قُتِل وصُلب بعد أن عُذِّب، وما انفرد ٢٠

به علماءُ اليهود من بُهتانهم فى الطّعن على المسيح ، وما انفردَ به علماءُ النّصارَى من الدعوة إلى ألوهية المسيح ، فرسول الله صلى الله عليه وسلّم فنّد جميعَهم . والتّفنيدُ : التخطئةُ وتقبيحُ القول والرأى .

قال ابن ظَفَر : وقرأت فى ترجمة أخرى لِلإنجيل : أنه قال : « البارَقْلِيط لا يجيئكم ما لم أذهَب ، فإذا جاء وبّخ العالم على الخطيئة ، ولا يقول من تلقاءِ نفسه ، ولكنه ما يَسمع يكلّمهم به ، ويَسوسُهم بالحق ، ويخبرهم بالحوادث والغيوب » . ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى وبّخ العلماءَ من أهل الكتاب على كتمان الحق ، وتحريف الكَلِم عن مواضعه ، و بيع الدِّين بالثمن البَخْس من عَرَض الدنيا[1] ، وهو الذى أخبر بالحوادث والغيوب .

وقال ابن ظفر : والذى صح عندى فى معنى البارَقْلِيط : أنه الحكيم الذى يَعرِف السِّر ، وقد تقدّم ما يدلّ على أنه الرسول .

وأما ماجاء فى زَبور داود عليه السلام ممّا ترجمه أهل الكتاب ، فمن ذلك قوله : « اللهم ٱجعل جاعلَ السُّنة يحيَا ، يعلِّم الناسَ أنه بشر » ؛ ويفهم من هذا : أن داود عليه السلام أطلعه الله تعالى على ما سيقوله النصارَى فى المسيح إذا أرسله ، من أنه إلهٌ معبود ، فدعا الله سبحانه بأن يبعث محمدا صلى الله عليه وسلم فيعلّمهم أن المسيح بشَر .

وفيه أيضا ممّا ترجموه : « أنه فاضت الرحمةُ على شفتيك ، من أجل ذلك أُبارك عليك ، إلى الأبد ، فتقلّد السَّيف ، فإن بهاءك وحمدَك الغالب ، واركَب كلمة الحق ، فإن ناموسك وشرائعَك مقرونةٌ بهيبة يمينك ؛ والأممَ يخرون تحتَك » ؛ قال : فالذى قُرنت شريعته بهيبة يمينه ، وخرّت الأمم تحتَه ، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) فى الأصل : « مواضعه ، وسطه بغض » ، وانظر الزرقانى ٦ : ٢٠٢

ومنها، وذكر رجلا فقال : «فإذا قام جاز من[1] البحر إلى البحر، ومن عند الأنهار إلى مُنقطَع البرّ، وخرّ أهل الجزائر قدّامه على وجوههم وركَبهم، ولحس أعداؤه التراب لهيبته، وجاءته الملوك بالقرابين، ودانت له الأمم بالطاعة؛ لأنه يخلّص الضعيف المغلوب البائس ممن هو أقوى منه، ويقوّى الضعيف الذى لا ناصرَ له، ويرحَم المساكين، ويصلِّى ويبارَكُ عليه فى كلّ وقت، ويدوم ذكرُه إلى الأبد» .

فهذا فى غاية الظّهور أن المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما ماترجموه من كتاب شعيا[2] عليه السلام ورَضُوا ترجمتَه فقوله[3] : «عبدى الذى سُرّت به نفسى أنزِل عليه وحيى، فيُظْهِر فى الأمم عدلى، ويوصيهم بالوصايا، لا يضحك، ولا يُسمَع صوتُه فى الأسواق[4]؛ يفتح العيون العُور، والآذان الصُّمّ، ويحيى القلوب الغُلْف؛ وما أُعطيه لا أُعطى أحدا[5]، مُشَقَّح[6] يَحمد الله حمدا جديدا، يأتى من أقصى الأرض، تَفْرح البرية وسكانها يهلّلون الله على كلّ شَرَف، ويكررونه على كل رابية، ولا يضعُف ولا يُغلَب، ولا يميل إلى الهوَى ولا يُذِلّ الصالحين الذين هم كالقصَبة الضعيفة، بل يقوِّى الصدّيقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذى لا يطفأ، أثَرُ سلطانه على كتِفَيه» .

(١) فى خير البشر لابن ظفر ص ١٩ : «فقال فإذا جاز من البحر» .

(٢) ويقال أيضا : «سعيا» بسين مهملة، و«أشعياء» . وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢١٣، ٢١٨، وتاج العروس ١٠ : ١٨٨ . (٣) فى الأصل : «قوله» .

(٤) فى السيرة الحلبية ١ : ٢١٩ : «... ولايسمع صوته فى الأصوات لأن ضحكه كان التبسم» .

(٥) فى السيرة الحلبية ١ : ٢١٩ : «... وما أعطيته لا أعطيه أحدا» .

(٦) فى السيرة الحلبية ١ : ٢١٩ : مشقح بالشين المعجمة والحاء المهملة : أى زاهى» وانظر الزرقانى ٦ : ١٨٩ .

قال ابن ظَفَر[1] : هذه ترجمة السريانيين، وعبّر العبرانيون عنه بأن قالوا : «على كتفيه علامة النبوّة» ؛ فهذا كلّه صريح فى البشارة به صلى الله عليه وسلم، مع ما فيه من ذكر قيام دولة العرب بقوله : «تفرَح البريّة وسكّانها» ؛ وأما قوله : [مُشَقَّح][2] فهو محمد، لأن الشَّقْح بلُغَتهم الحمد .

ومما ترجموه منه أن شعياء عليه السلام قال : «قم نَظَّارا فانظر ما ترى، فأخبِر به، فقلت : أرى راكبَين مقبلين، أحدهما على حمار، والآخر على جَمَل؛ يقول أحدهما لصاحبه : سقطَت بابِل وأصنامُها»[3] فهذه بشارة صريحة بمحمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه راكب الجَمَل لا محالة، ولأن مُلْك بابلَ إنما ذهب بنبوّته صلى الله عليه وسلم وعلى يد أصحابه، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

قال[4] : وقد كان على باب من أبواب الإسكندرية صورة جَمَل من نحاس، عليه راكب من نحاس، فى هيئة العرب مؤتزِر مُرتدٍ، عليه عمامة، وفى رجليه نعلان، كلُّ ذلك من نحاس؛ وكانوا إذا تظالموا يقول المظلوم للظالم : أعطنى حقّى قبل أن يخرج هذا فيأخذَ لى بحقّى منك، شئت أو أبيت، ولم يزل الصّنَمُ على ذلك حتى ٱفتتح عمرو بن العاص أرضَ مصر، فغيَّبوا الصنم .

ومنه : «أيتُها العاقر ! ٱفرحى وٱهتزّى وانطلِقى بالتسبيح، فإن أهلَكِ يكونون أكثر من أهلى» . قال : فالعاقر مكة، لأنها بوادٍ غيرِ ذى زَرْع، أو لأن الله لم يبعث

(١) كذا فى خير البشر ص ١٤ ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢١٩ .

(٢) فى الأصل : « وأما قوله فهو محمد » ، والتكملة عن خير البشر لابن ظفر ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢١٩ .

(٣) ورد هذا الخبر فى السيرة الحلبية ١ : ٢١٨ بصورة تختلف عما هنا .

(٤) القائل ابن ظفر فى خير البشر ص ١٧ .

بها نبيا فى ذلك الزمن دون غيرها، فهى عاقر، وقوله : « انطلق بالتسبيح » إشارة إلى عمارتها بأهل ذكر الله ، وقوله : « يكون أهلك أكثر من أهلى » ، قال : إن سلِم من التحريف وسوء العبارة «فمِنْ» زائدة، والمعنى أن المسلمين يكونون أكثر أهل طاعة الله وتوحيده[1] ، وقد أخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم أن أمّته أكثر أهل الجنة. والآل والأهلُ يُكنّى بهما عن [الجماعة] الخاصّة[2]، قال عبد المطلب بن هاشم :

نحن آلُ الله فى بلدَتنا ... لم نزل آلًا[3] على عهدِ إرَمْ

ولمّا روجع أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى استخلافه عُمَر بن الخطّاب وقيل له : ماذا تقول لربك وقد استخلفْتَ علينا فظّا غليظا ؟ فقال : أقول تركتُ على أهلك خيرَ أهلك . والله الفعّال .

ومن كتاب شمعون عليه السلام ممّا ترجموه ورَضُوا ترجمته قوله : « جاء الله بالبيّنات[4] من جبال فاران، وامتلاءت السمواتُ والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته» ، وقد تقدّم أن جبال فاران هى جبال مكّة شرّفها الله، ومجىء الله هو مجىء كتابه .

ومن كتاب حزقيل عليه السلام ممّا ترجموه من قصة ذُكر فيها ظهورُ اليهود وعزّتُهم ، وكفرانُهم للنعم، فشبّههم فيها بالكَرْمة حيث قال[5] : « لم تلبث تلك الكرمة أن قُلِعت[6] بالسخطة، ورُمى بها على الأرض، فأحرقَت السمائمُ أثرها، فعند ذلك غُرِس غرس فى البدو ، وفى الأرض المهملة العَطْشَى ، فخرجت من أغصانه الفاضلة نارَ فأكلت تلك الكرمة حتى لم يوجد فيها قضيب » .

(١) فى خير البشر : « يكونون أكثر طاعة لله وتوحيدا له » . (٢) فى الأصل : « بهما عن الخاصة » ، والتكملة عن خير البشر . (٣) فى الأصل ، وخير البشر ص ٩ : « إلا » .

(٤) لا يزال المؤلف ينقل عن ابن ظفر ، والرواية عنده : « جاء الله بالبيان » .

(٥) فى الأصل : « بالكرمة ثم قال » . والمثبت عن خير البشر .

(٦) فى خير البشر : « أن قطعت » .

قال : فلا شك أن أرض البــدو المهملة العَطْشَى هى أرض العرب ، وغَرْسُ الله الذى غَرَسه فيهــا هو محمد صــلى الله عليــه وسلم ، وقــد أخزى الله به اليهــود والله أعلم .

٣٦
١٤

وممّــا نقل من كلام حَبْقُوق، وهو الذى زعمت اليهود أنه ادَّعى النبوّة فى عهد بُخْتُنَصَّر، وحكَوا عنه أنه قال: « إذا جاءت الأمَّة الآخِرة يسبِّح بهم صاحبُ الجَمَل — أو قال: راكبُ الجَمَل — تسبيحا جديدا فى الكنائس الجُدُد، فافرحوا، وسيروا إلى صَهْيون بقلوب آمنــة ، وأصوات عالية ، بالتسبيحة الجديدة التى أعطاكم الله فى الأيام الآخرة، أُمَّة جديدة بأيديهم سيوف ذوات شُفرتين، فينتقمون من الأمم الكافرة فى جميع الأقطار » . ولا شكّ أن راكب الجَمَل أو صاحب الجَمَل من الأنبياء هو محمد صلى الله عليــه وسلم ، والأمّة الجديدة هى العرب ، والكنائس الجدد هى المساجد ، وصَهْيون : مكة ، والتسبيحة الجديدة : "لبّيك اللّهم لبّيك" .

١٠

ونقل أيضا عن حَبْقُوق هذا أنه قال : «جاء الله من اليَمَن ، وظهر القُدس على جبــال فاران ، وامتلأت الأرض من تحميد أحمــد ، وملك بيمينه رقاب الأمم ، وأضاءت الأرض لنوره ، وحُمِلت خيلُه فى البحر» . والله أعلم .

١٥

ومما وجد بخط موسى بن عمران عليــه السلام ما رَوَى مَعمَر عن الزُّهرى أنه قال : أشخصنى هشام بن عبد الملك إلى الشام ، فلما كنتُ بالبَلْقاء وجدتُ حجرا مكتوبا عليه بالخط العِبرانىّ ، فطلبتُ مَنْ يقرؤه ، فأُرشِدت إلى شيخ، فانطلقتُ به إلى الحجر، فقرأه وضحك، فقلت: ممّ تضحك؟ قال : أمر عجيب، مكتوب على هذا الحجر : باسمك اللهــم جاء الحقُّ من ربك، لسان عربىّ مبين، لا إله إلا الله محمد رسول الله . وكتبه موسى بن عمران بخطّ يده .

٢٠

وإنما ألحقنا هذا الخبر بما قبله لأن موسى صلى الله عليه وسلم إنما يكتب بخطه ما تلقّاه عن الله تعالى ، أو عن كُتبه المنْزَلة ؛ وهذا الذى أوردناه مما جاء فى كتب الله السالفة هو الذى أبداه أهل الكتاب وأثبتوه ، وترجموه ورضُوا ترجمته فى تحريفهم وتبديلهم .

وأما مَا كتَمه أهلُ الكتاب ممّا فيه صريح ذِكر النبي صلى الله عليه وسلم ودلَّنا عليه وأخبرنا به من أسلم منهم[1] ممّن جاز لنا أن نروى عنه ونَقبَل روايته ؛ مثل وَهْب ، وكَعب الأحبار ، وأبى ثعلبة بن أبى مالك .

فأما[2] ما جاء عن وهب بن منبّه . فإنه رُوِى عنه أنه قال : قرأت فى بعض كتب الله المنزلة على نبيّ من بنى إسرائيل : « أن قم فى قومك، فقل يا سماء آسمعى ، ويا أرض أنصتى ؛ لأن الله يريد أن يقصَّ شأن بنى إسرائيل : أنى ربّيتُهم بنِعمتى، وآثرتُهم بكرامتى، واخترتُهم لنفسى، وأنى وجدتُ بنى إسرائيل كالغنَم الشاردة التى لا راعى لها، فردَدتُ شاردَها، وجمعتُ ضالّتها، وداويتُ مريضها ، وجبرتُ كسيرها ، وحفظت سمينها ؛ فلما فعلت بها ذلك بَطِرت، فتناطَحت كِباشُها، فقتل بعضها بعضا . فويل لهذه الأمّة الخاطئة، ويل لهؤلاء القوم الظالمين؛ إنى قضيت يومَ خلقتُ السموات والأرض قضاء حتما، وجعلت له أجلا مؤجّلا لا بدّ منه ، فإن كانوا يعلمون الغيب فليخبروك متى حتمتُه، وفى أى زمان يكون ذلك، فإنى مُظْهِره على الدين كله، فليخبروك متى يكون هذا، ومَن القيِّم به، ومَن أعوانه وأنصاره، إن كانوا يعلمون الغيب فإنى باعث بذلك رسولا من الأمّيّين ليس بفَظّ ولا غليظ، ولا صخّاب فى الأسواق ، ولا قوّال بالهُجْر والخَنَى، أسدّده

(١) فى الأصل : « به ابن أسلم » تصحيف .
(٢) فى الأصل : « وأما » .

بكل جميـل ، وأَهَب له كلَّ خُلق كريم ، وأجعل السكينة على لسانه ، والتقـوَى ضميرَه ، والحكمة منطقَه ، والصـدقَ والوفاء طبيعته ، والعفـو والمعروفَ خُلُقـه والحقَّ شريعَته ، والعدل سيرته ، والإسلام ملّته ، أرفع به من الوضـيعة ، وأغْنِي به من العَيْـلة ، وأَهدِى به من الضـلالة، وأؤلّف به بين قلوب متفرّقة، وأهواء مختلفة، وأجعل أمّته خير الأمم إيمانا بى وتوحيدا لى[1]، وإخلاصا بما جاء به رسولى، أُلْهِمهُم التسبيح والتحميد والتمجيد لى فى صلواتهم[2] ومساجدهم ومنقلَبهم ومثواهم ، يخرجون من ديارهم وأموالهم ٱبتغاء مرضاتى يقاتلون فى سبيلى صُفوفا، ويصلّون لى[3] قياما وركوعا وسجودا، يكبّرونى على كلّ شَرَف، رهبان بالليل، أُسد بالنهار، ذلك فضلى أوتيه من أشاء ، وأنا ذو الفضل العظيم» .

٣٧ / ١٤

ومنه ما روى عنه أنه قال : قرأت فى بعض الكتب القديمة: «قال الله تبارك وتعـالى : وعزّتى وجَلالى لأُنزِلنّ على جبال العـرب نورا يمـلأ ما بين المشرق والمغرب ، ولأُخرِجن من ولد إسماعيل نبيا عربيا أُمّيا يؤمن به عدد نجـوم السماء ونبات الأرض، كلهم يؤمن بى ربّا، وبه رسولا، ويكفرون بمِلَل آبائهم، ويفرّون منها . قال موسى : سبحانك وتقدّست أسماؤك ! لقد كرّمت هـذا النبى وشرّفته، قال الله عز وجل : يا موسى إنى أنتقم من عدوّه فى الدنيا والآخرة، وأُظهِر دعوته على كل دعوة، وسلطانَه ومَن معه[4] على البر والبحر، وأُخرِج لهم من كنوز الأرض، وأُذِلّ من خالف شريعتَـه ؛ يا موسى : بالعدل ربّيتـه[5] ، وبالقسط أخرجتُـه ؛

---

(١) فى خير البشر لابن ظفر : « . . وتوحيدا بى ، وإخلاصا لما جاء به » .

(٢) فى الأصل : « والتمجيد فى صلواتهم » . والمثبت عن خير البشر .

(٣) فى الأصل : « ويصلون قياما » ، والتكملة عن ابن ظفر حيث النقل عنه .

(٤) فى خير البشر : « ومن اتبعه » . (٥) فى خير البشر : « بالعدل زينته » .

وعزتى لأستنقذن به أمما من النار ، فتحتُ الدنيا بإبراهيم ، وختمتُها بمحمد ، مثلِ كتابه الذى يجىء به ، فاعقلوه يا بنى إسرائيل مثل السقاء المملوء لبنا يُمخَض فيخرج زُبدا ، بكتابه أختِم الكتب ، وبشريعته أختِم الشرائع ، فمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل فى شريعته فهو من الله برىء ، أجعل أمّتَه يبنون فى مشارق الأرض ومغاربها مساجد ، إذا ذكر آسمى فيها ذكر آسم ذلك النبىّ معى ، لا يزول ذكره من الدنيا حتى تزول .

وأما ما جاء عن كعب الأحبار رحمه الله ، فمن ذلك ما رُوِى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : يا كعب ، أدركتَ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقد علمتَ أن موسى بنَ عمران تمنّى أن يكون فى أيامه فلم تَسلَم على يده ، ثم أدركتَ أبا بكر وهو خيرٌ منّى فلم تَسلَم على يده ، ثم أسلمتَ فى أيّامى ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تعجل علىّ ، فإنى كنت أتثبّت حتى أنظر كيف الأمر ؟ فوجدته كالذى هو فى التوراة . قال عمر : كيف هو فيها ؟ قال : رأيت فى التوراة أن سيد الخلق ، والصفوةَ من ولد آدم ، يظهر من جبال فاران من منابت القَرَظ من الوادى المقدّس ، فيُظهر التوحيد والحق ، ثم يَنتقِل إلى طيبة ، فتكون حروبه وأيامه بها ، ثم يُقبَض فيها ، ويُدفَن بها . قال عمر : ثم ماذا يا كعب ؟ قال كعب : ثم يلى بعده الشيخ الصالح . قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يموت متّبعا . قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يلى بعده القرن الحديد — وفى لفظ : مدرع من حديد — قال عمر : وادَفْراه[1] ! ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يُقتل شهيدًا ؛ قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يلى صاحب

(١) الدفر بالدال المهملة : النتن ، وقصد عمر التواضع ، فذكر رائحة الحديد وأعرض عن صفاته الحسنة من القوة والقطع .

الحياء والكرم ، قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يُقتل مظلوما ، قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يلى صاحب المحجّة البيضاء ، والعدل والسواء ، صاحب الشّرَف التامّ ، والعلم الجام[1] ، قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يموت شهيدا سعيدا ، قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم ينتقل الأمر إلى الشام؛ قال عمر : حَسبُك يا كعب .

ومما جاء عنه ما رُوِى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أن رجلا جاء إلى كعب الأحبار من بلاد اليَمَن فقال له : إن فلانا الحبر اليهودىّ أرسلنى إليك برسالة ، قال كعب : هاتها ! فقال : إنه يقول لك : ألم تكن فينا سيّدا شريفا مطاعا ؟ فما الذى أخرجك من دينك إلى أمّة محمد[2] ؟ فقال له كعب : أتراك راجعا ؟ قال : نعم ، قال : فإن رجعت إليه فخذ بطَرَف ثوبه لئلا يفرّ منك وقل له : يقول لك كعب : أسألك بالذى ردّ موسى إلى أمه ، وأسألك بالذى فلق البحر لموسى[3] ، وأسألك بالذى ألقَى الألواح إلى موسى بن عمران فيها علمُ كلّ شىء ، ألست تجد فى كتاب الله أن أمة محمد ثلاثة أثلاث ، فثلث يدخلون الجنّة بغير حساب ، وثلث يدخلون الجنة برحمة الله ، وثلث يحاسَبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة ؛ فإنه سيقول لك : نعم . فقل له : يقول لك كعب : اِجعلنى فى أىّ هذه الثلاثة شئت .

ومنه ما رواه عطاء بن يسار وأبو صالح عنه[4] أنه قال : أجد فى التوراة : أحمد عبدى المختار ، لا فَظّ ، ولا غليظ ، ولا صخّاب فى الأسواق ، ولا يُجْزِ

(١) كذا فى خير البشر ص ٢٧ . والمعروف : «الجم» . (٢) فى خير البشر ص ٢٨ : «أمة أحمد» . (٣) فى خير البشر ص ٢٥ : «فرق البحر لموسى» . (٤) فى خير البشر ص ٢٨ : «أبو صالح عن كعب الأحبار» .

بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ويغفر ، أمّته الحمّادون ؛ يحمدون الله على كلّ حال ، ويسبّحونه فى كلّ منزلة ، ويكبّرونه على كل شَرَف ، يأتزرون على أوساطهم ، ويصونون أطرافهم[1] ، وهم رُعاة الشمس ، ومؤذّنهم ينادى فى جوّ السماء ، وصفُّهم فى الصلاة سواء؛ رهبان بالليل ، أُسْدٌ بالنهار ، لهم بالليل دَوِىٌّ كدوىّ النحل ، يصلّون الصلاة حيثما أدركتهم من الأرض ؛ مولده مكّة ، مُهاجَره طابة ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الأمّة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح الله به أعيُنا عُميا ، وآذانا صُمّا ، وقلوبا غُلْفا .

ومنه ما روى أن معاوية بن أبى سفيان قال لكعب : دُلّنى على أعلم الناس بما أنزل الله على موسى لأسمع كلامك معه ، فذكر له رجلا من اليهود باليمن ، فأشخصه إليه ، فجمع معاوية بينهما ، فقال له كعب : أسألك بالذى فرق البحر لموسى أتجد فى كتاب الله المُنزَل أن موسى نظر فى التوراة فقال : يا رب إنى أجد أمة مرحومة ، وهى خير أمّة أخرجت للنّاس ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأوّل[2] ، ويؤمنون بالكتاب الآخِر[3] ، ويقاتلون أهل الضلالة ، حتى يقاتلوا الأعور الكذّاب ، فاجعلهم يا ربّ أمّتى ، قال : هم أمّة أحمد ؟ قال الحبر : نعم أجد ذلك ، ثم قال : كعب للحبر : أنشدك الله الذى فرق البحر لموسى ، أتجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال : رب إنى أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شَرَف كبّر ، وإذا هبط واديا حمد الله ، الصعيد

(١) فى شرح المواهب ١ : ٣٦١ : « يشدون أوساطهم ، ويطهرون أطرافهم » ، وشد الوسط عبارة عن الاجتهاد فى العبادة ، وتطهير الأطراف كناية عن الوضوء .

(٢) قيل : الكتاب الأول هو التوراة ، وقيل : المراد جنس الكتب السابقة . انظر السيرة الحلبية ١ : ٢١٧ .

(٣) هو القرآن . انظر السيرة الحلبية ١ : ٢١٧ .

لهم طهور ، يتطهّرون به من الجنابة كطهورهم بالمـاء حيث لا يجـدون المـاء ، حيث كانوا فلهم مسجد ، غُرٌّ مُحَجَّلون من الوضوء ، فاجعلهم أمتى . قال : هم أمة أحـمـد ؟ فقـال الحبر : نعم أجد ذلك ؛ قال : أنشـدك الله الذى فرق البحر لموسى ، أتجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال : رب إنى أجد أمّة إذا هَمَّ أحدُهم بحسـنة ولم يعملها كُتبتْ له حسنة مِثلُها ، و إذا عملها أُضعِفت له بعشر أمثالها إلى سـبعمائة ضعف ، و إذا هَمَّ بسيئة ولم يعملها لم تُكتَب عليه ، فإذا عَمِلها كُتبت عليه سيئة مِثلُها ، فاجعلهم أمّتى ، قال : هم أمّة أحمد ؟ قال الحـبر : نعم ، أجد ذلك ؛ قال كعب : أنشدك الله الذى فرق البحر لموسى ، أتجـد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التـوراة فقال : يا رب إنى أجد أمّة يأكلون كفّاراتهم وصدقاتهم ، إنهـم يُطعمونها مساكينَهم ولا يُحرِقونها كما كان غيرهم من الأمم يفعل ؟ . وجاء فى حديث آخر غير هذا ممّا هو منسوب إلى كتب الله السالفة : « يأكلون قرابينهم[1] فى بطونهم » . والمراد الضحايا .

ومنـه ما روى عنـه أنه قال : كان لأبى سِفرٌ من التوراة يجعـله فى تابوت ويختم عليـه ، فلما مات أبى فتحتُه ، فإذا فيـه : إن نبيا يخرج فى آخر الزمان هو خير[2] الأنبياء ، وأمّته خير الأمم ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، يكبّرون الله على كل شَرَف ، و يصفُّون فى الصـلاة كصفوفهم فى القتال ، قلوبهم مصاحفهم ، يأتون يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلين ، اسمُه أحمد ، وأُمته الحمّادون ، يحمدون الله على كل شِـدّة ورخاء ، مولدُه مكة ، ودارُ هجرته طابَة ، لا يَلقَون عدوًّا إلا و بينَ أيديهم

---

(١) فى خير البشر : « قرباتهم » .

(٢) فى الأصل : « آخر الأنبياء » .

ملائكةٌ معهم رِماح ، تحنَّن الله عليهم كتحنُّن(١) الطير على فِراخها ، يدخُلون الجنّـة ؛ يأتى ثُلث منهم يدخلون(٢) الجنة بغير حساب ، ثم يأتى ثُلث منهم بذنوب وخَطايا ، فيُغفَر لهم ، و يأتى ثلث(٣) بذنوب وخَطايا عظام ، فيقول الله : اذهَبوا بهـم فزِنوهم وانظروا إلى أعمالهم ، فيَزِنونهم(٤) و يقولون : ربنا ! وجدناهم قد أَسرَفوا على أنفُسهم ، ووجَدنا أعمالهم من الذنوب أمثالَ الجبال ، غيرَ أنهم كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله ، فيقول الله : وعِزّتى لا أجعل مَن أخلص لى الشهادة كَمن كفَر بى ؛ قال كعب : فأنا أرجو أن أكون مِن هذه الثلاثة إن شاء الله تعالى .

ومنه ما روى أن رجلَين جلسا يتحدّثان وكعبُ الأحبـار قريبٌ منهما ، فقال أحدهما : رأيت فيما يرى النائم كأن الناس حُشِروا ، فرأيت النبيّين كلَّهم لهم نوران نوران ، ورأيت لأشياعهم(٥) نورًا نورا ، ورأيتُ محمدا صـلى الله عليه وسـلم وما من شَعرة فى رأسِه ولا جسدِه إلا وفيها نور ، ورأيت أتباعَه ولهم نوران نوران ، فقال له كعب : اتق الله تعـالى يا عبدَ الله ! وانظر ما تحدّث(٦) به ، فقال الرجل : إنمـا هى رؤيا مَنام أَخبَرتُ بها على ما أُرِيتُها ، فقال كعب : والذى بعث محمدًا بالحـق صلى الله عليه وسلم ، وأَنزل التوراة على موسى بن عِمران ، إنّ هـذا لفى كتاب الله المنزل على موسى بن عِمران كما ذكرت .

وأما ما جاء عن أبى ثَعْلَبة(٧) وهو أبو مالك ، وكان من أحبار يهود ، فقد روَى الواقـدىّ أن عمـر بن الخطاب رضى الله عنـه قال له : يا أبا مالك ! أخبِرنى

---

(١) فى الأصل : «كحنين» .
(٢) فى خير البشر : « تأتى ثلة منهم فيدخلون » .
(٣) فى خير البشر : « تأتى ثلة » .
(٤) فى الأصل : « فيزنوهم » تصحيف .
(٥) فى خير البشر : « لأتباعهم » .
(٦) فى خير البشر : « ما تحدّث » .
(٧) انظر خير البشر لابن ظفر ص ١٠ .

بصفَة النبيّ صلّى الله عليه وسلم فى التّوراة[١]، فقال : إن صفته فى توراة بنى إسرائيل التى لم تُبَدَّل ولم تُغيَّر أحمدُ، من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وهو آخر الأنبياء ، وهو النبيّ العربىّ ، يأتى بدين إبراهيمَ الحنيف، يأتزر على وسَطه ، و يغسل أطرافَه، فى عينَيه حُمْرة ، و بين كتفيه خاتمُ النبوّة ، ليس بالقصير ولا بالطويل ، يلبَس الشّملة ، ويجتزئ بالبلْغة ويركب الحمار[٢] ، ويمشى فى الأسواق ، سيفُه على عاتقه ، لا يبالى مَن لَقِى من الناس ، معه صلاةٌ لو كانت فى قوم نوح ما أُهلِكوا بالطُّوفان ، ولو كانت فى قوم عادٍ ما أُهلِكوا بالرّيح ، ولو كانت فى ثمودَ ما أُهلِكوا بالصَّيحة ، مَولِدُه مكّة ، ومَنشؤه وبدءُ نبوّته بها ، ودارُ هجرته يَثرِب بين لابَتَى حَرَّة ونخلٍ وسبخة ، وهو أُمّىٌّ لا يكتُب ولا يقرأ المكتوب ، وهو الحمّاد يحمدُ الله على كلّ شدّة ورخاء ، سلطانُه بالشام ، وصاحبُه من الملائكة جبريلُ ، يلَقَى من قومه أذًى شديدا ، ثم يُدَال عليهم فيحصُدهم حَصْدا ، تكون له وقَعات بيَثْرِب ، منها له ومنها عليه ، ثم له العاقِبة ، معه قومٌ هم إلى الموت أسرعُ من الماء من رأس الجبل إلى أسفلِه ، صدورُهم أناجيلُهم ، وقُربانُهم دماؤهم ، لُيوثُ النهار رهبانُ الليل ، يُرعَب عدوّه منه مسيرةَ شهر، يباشر القتال بنفسه حتى يُجرَح ويُكلَم ، لا شُرطةَ معه ولا حَرَس ، الله يحرسه .

وكان من هؤلاء أيضا عبد الله بن سَلَام[٣] ومُخَيرِيق[٤] ؛ وسَنذكر أخبارهما إن شاء الله تعالى عند ذكر إسلامهما بعد الهجرة على ما تقف عليه هنالك .

هذه روايةُ من أسلَم من أهل الكتاب .

(١) فى خير البشر ص ١٠ : « بنى هارون » .

(٢) فى خير البشر : « ويحارب على البغلة ، ويركب الجمل » .

(٣) بتخفيف اللام كما فى الروض الأنف ٢ : ٢٥ ، وانظر شرح الشفا للخفاجى ٣ : ٢٦٤ .

(٤) فى الأصل : « مخيرق » تصحيف ، والتصحيح عن سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٤ ، وانظر الروض الأنف ٢ : ٢٦ ، ونسيم الرياض ٣ : ٢٦٥ .

وأما مَن بشَّر به صلّى الله عليه وسلم من أهل الكتابين ممّن لم يسلم ظاهرا، ولا عُلِم لهم إسلام، ومن أقرّ بنبوّته صلى الله عليه وسلم ولم يُدرَ له مكان .

فمَن[1] هؤلاء من بَشَّر به وأَخبر بنبوّته قبل مَولِده، ومنهم من ذكر ذلك حالَ مَولِدِه لقرائنَ كان يَرقُب وقوعَها تدلّ على مَولِده فوقعت؛ ومنهم من بشَّر به فى حال طفوليّته، ومنهم من بَشَّر به قبل مَبعَثِه، ومنهم من ذكر صِفتَه بعد مَبعثِه ورُؤيته له، وذكَّر قَومه بها وحقّق عندهم أنه هو، ودليلُ كلٍّ منهم ما كان يجده عندَه من أخباره فى الكتُب السالفة التى تلقّاها عن أسلافه، ومنهم من أظهرَ صُحُفا كانت عنده فيها صريحُ ذكره وصِفتِه، ومنهم من أظهرَ تِمثالَ صورته، وصُورَ بعض أصحابه وهيئتهم، وكان ذلك مصوّرا فى بيوتٍ فى بِيَعهم على ما نذكر ذلك مُسهِبا[2] إن شاء الله .

فأما من بشّر به وأخبر بنبوّته وصفته صلّى الله عليه وسلم قبل مولِده؛ فمن ذلك ما حكاه ابن إسحاق فى خبر تُبَّع الأوّل[3]، قال : وكان من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا بأسرها، وكان له وزراء، واختار منهم واحدا، وأخرجه معه، وكان يسمّى عماريشا[4]، وأخذه لينظر فى مملكته، وخرج معه مائة ألف من الفرسان، وثلاثة وثلاثون ألفا، ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرَّجّالة، وكان إذا أتى بلدةً يختار منها عشرة رجال من حكمائها، حتى جاء إلى مكة، فكان معه مائة ألف رجل من العلماء والحكماء الذين اختارهم من البلدان، فلم يَهَبْه أهل مكة

(١) فى الأصل : « من » .
(٢) فى الأصل : « سببا » .
(٣) وردت هذه البشرى فى ثمرات الأوراق ص ١١٠ .
(٤) فى ثمرات الأوراق هنا وفيما يأتى : «عماريا» .

ولم يعظّموه ، فغضب لذلك ، ثم دعا وزيره عماريشا[١] وقال : كيف شأن أهل
هذه البلدة ؟ فإنهم لم يهابونى ، ولم يخافوا عسكرى ، فقال : أيها الملك إنهم قوم
عَرب[٢] جاهلون لا يعرفون شيئا ، وإن لهم بيتا يقال له كعبة ، وهم مُعجَبون
بهذا البيت ، وهم قوم يعبدون الطّواغيت ، ويسجدون للأصنام . فقال الملك :
٥ وهم مُعجَبون بهذا البيت ؟ قال : نعم ، فنزل بعسكره ببطحاء مكّة ، وفكر فى نفسه
دون الوزير ، وعزَم على هدم الكعبة ، وتسميتها خربة ، وأن يقتلَ رجالهم ،
ويَسبِى نساءهم ، فأخذه الله بالصُّداع ، وتفجّر من عينَيه وأُذنَيه ومُنخُرَيه وفمه ماء
مُنتِن ، فلم يَصبِر عنه أحد طرفَة عين من نتن الريح ، فاستيقظ لذلك وقال
لوزيره : اجمع العلماء والحكماء والأطبّاء وشاوِرْهم فى أمرى ، فاجتمع عنده
١٠ الأطبّاء والعلماء والحكماء ، فلم يقدروا على المُقام عنده ، ولم يمكنهم مداواته ،
فقال : إنى جمعت الأَطبّاء والعلماء والحكماء من جميع البلدان ، وقد وقعتُ
فى هذه الحادثة ولم يقدروا على مُداواتى ، فقالوا بأجمعهم : إنا نَقدِر على مُداواة
ما يَعرِض من أمور الأرض ، وهذا شىء من السماء لا نستطيع ردّ أمر السماء ،
ثم اشتدّ أمرُه ، وتفرّق الناس عنه ، ولم يزل أمرُه فى شِدّة حتى أقبل الليل ،
١٥ فجاء أحَدُ العلماء إلى الوزير وقال : إن بينى وبينك سرا ، وهو إن كان الملك
يَصْدُقنى فى حديثه عالجته ، فاستبشر الوزير بذلك وأخذ بيده ، وحمله إلى الملك ،
وأخبره بما قال الحكيم ، وما التمسه من صِدق الملك ، حتى يعالجَ علّته ، فاستبشر
الملك بذلك ، وأذن له فى الدُّخول ، فلما دخل قال : أريد الخلوة ، فأُخلِى له
المكان ، فقال : نويتَ لهذا البيت سوءا ؟ قال : نعم ؛ إنى نويتُ خرابه ، وقتل

---

٢٠ (١) فى ثمرات الأوراق : « عماريا ، وقال كيف شاهدت هذه البلدة » .
(٢) فى الأصل : « عربيون » ، والتصويب عن ثمرات الأوراق .

رجالهم ، وسبى ذراريهم ، فقال له : إنّ وجعك وما بُليتَ به من هذا . اعلم أن صاحب هذا البيت قوىٌّ يعلم الأسرار ، فبادر وأَخرِج من قلبك ما هممتَ به من أذى هـذا البيت ولك خيرُ الدنيا والآخرة ، قال الملك : أفعل ، قد أخرجتُ من قلبي جميـع المكروهات ، ونويت جميع الخيرات ، فلم يخرج العالِم من عنـده حتى برِئَ من عِلّته ، وعافاه الله بقدرته ، فآمن بالله من ساعته ، وخرج من منزله صحيحا ٥ على دين إبراهيم عليه السلام ، وخلع على الكعبة سبعة أثواب ، وهـو أوّل من كسا الكعبة ، ودعا أهلَ مكة ، وأَمَرهم بحفظ الكعبة ، وخرَج إلى يَثرِب ، وهى يومئذٍ بُقعةٌ فيها عينُ ماء ليس فيها بيتٌ مبنىّ ولا بنـاء ، فنزَل على رأسِ العين هو وعسكرُه وجميعُ العلماء الذين كانوا معه ، ومعهم رئيسُهم عماريشا الذى كان يَرى برأيه .

١٠ ثم إن العلماءَ والحكماء اجتَمعوا ، وكانوا أربعةَ آلاف ، فأَخرَجوا من بينهم أربعمائة هم أَعلمُهم ، وبايَع كلُّ واحدٍ منهم صاحبَه أن لا يَخرُجوا من ذلك المقام وإن ضَرَبهم الملِك أو قتَلهم ، فلما علِم الملكُ ما قد عَزَموا عليه ، قال للوزير : ما شأنُهم يمتنعون عن الخُروج معِى ، وأنا محتاج إليهم ؟ وأىّ حِكمة فى نزولهم فى هذا المكان ، واختيارِهم إياه على سائر النّواحى ، فلمـا أتاهم الوزير وسألَهم عما عَزَموا عليـه ، ١٥ واختيارَهم المقـام بهذه البُقعة ، قالوا له : أيها الوزير ! إن شَرَف ذلك البيت ، وشَرَف هذه البُقعة التى نحن فيها بِشَرف رجل يُبعَث فى آخر الزمان ، يقال له محمد ووصفوه ، ثم قالوا : طُوبَى لمن أدركه وآمن به ، وقـد كنّا على رجاء أن نُدرِكه أو يُدرِكه أولادُنا ، فلما سمع الوزير مقالتَهم همَّ بالمُقام معهم ، فلما جاء وقت الرحيل أمَرَهم الملك أن يرتحلوا ، فقالوا : لا نفعل ، وقد أعلَمْنا الوزيرَ بحكمة مُقامنا ، فدعا ٢٠ الوزيرَ فأخبره بما سمع منهم ، فتفكّر الملك وهمّ أن يقيم معهم سنةً رجاءَ أن يدرِك محمدا صلى الله عليه وسلم ، فأقام وأمر الناس أن يبنوا أربعمائة دار ، لكل رجل من العلماء

دار ، واشترى لكل واحد منهم جارية وأعتقها وزوّجها برجل منهم ، وأعطى كلّ واحد منهم عطاءً جزيلا ، وأمرهم أن يُقيموا فى ذلك الموضع إلى أن يجىء زمانُ النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم كتب كتابا وختَمه بخاتَم من ذهب ، ودفعه إلى العالِم الكبير، وأمره أن يدفع الكتاب إلى محمد صلى الله عليه وسلم إن أدركه ، و إلا أوصَى به أولادَه بمثل ما أوصاه به ، وكذلك أولاده حتّى ينتهى أمرُه إلى محمد صلى الله عليه وسلم . وكان فى الكتاب : أما بعد فانى آمنتُ بك و بكتابك الذى أُنزِل عليك، وأنا على دينك وسُنّتك ، وآمنتُ بربك وربِّ كلّ شىء، وآمنتُ بكل ما جاء من ربِّك من شرائع الإيمان والإسلام ، فإن أدركتُك فبها ونِعْمت ، و إن لم أُدركك فاشفَع لى، ولا تنسَنى يومَ القيامة، فإنى من أمّتك الأوّلين، وتابِعيك[(١)] قبلَ مجيئك، وأنا على ملّتك وملّة أبيك إبراهيم عليه السلام . ثم ختَم الكتاب ونقش عليه : ﴿لِلهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ وكتب على عنوانه إلى محمد بن عبدالله نبيّ الله ورسوله ، وخاتم النبيين ،ورسول رب العالمين ،صلّى الله عليه وسلّم ، من تُبَّع الأوّل حِمْير بن حِمْيَر ابن وردع[(٢)] أمانةٌ لله فى يد من وقع اليه إلى أن يوصله إلى صاحبه ، ودفع الكتابَ إلى الرجل العالم الذى أبرأه من علّته . وصار تُبَّع من يَثرب حتى مات بقلسان[(٢)] من بلاد الهند .

وكان من اليوم الذى مات فيه تُبَّع الى اليوم الذى بُعِث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنةٍ لا تزيد ولا تنقص، وكان الأنصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم من أولاد أولئك العلماء والحكماء ، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة، سأله أهلُ القبائل أن يَنزِل عليهم على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى؛ فكانوا يتعلّقون بناقته وهو يقول : خَلّوا الناقة فإنها مأمورة، حتى جاءت الى دارَ أبى أيّوب، وكان من أولاد العالم الذى أبرأ تُبعا برأيه .

(١) فى ثمرات الأوراق : «وقد بايعتك» . (٢) كذا فى الأصل .

قال ابن إسحاق : واستشار الأنصارُ عبدَ الرحمن بنَ عوف فى إيصال الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم لمّـا ظهر خبره قبلَ هجرته ، فأشار عبد الرحمن أن يدفعوه الى رجل ثقة ، فاختاروا رجلا يقال له أبو لَيلَى وكان من الأنصار، فدفعوا الكتاب إليه وأوصَوْه بحفظه ، فأخذ الكتاب وخرج من المدينـة على طريق مكة ، فوجد النبيّ صلى الله عليه وسلم فى قبيلة من بنى سُلَيم ، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه وقال : أنت أبو لَيلَى؟ فقال: نعم ، قال : معك كتاب تُبَّع الأول؟ قال: نعم ، فبقى الرجل متفكّرا ، وقال فى نفسه : إن هذا من العجائب ، ثم قال له أبو لَيلَى : مَن أنت ، فإنى لست أعرفك؟ إن فى وجهك أثرَ السحر ، وتوهَّم أنه ساحر ، فقال له : بل أنا محمد رسول الله ، هات الكتاب ، فأخرجه ودفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ودَفعه الى علىّ كرم الله وجهه ، فقرأه عليه ، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم كلام تُبَّع قال: مرحبا بالأخ الصالح ثلاثَ مرّات ، ثم أمرَ أبا لَيْلَى بالرجوع الى المدينة ، فرجع وبشّر القوم بقدوم النبي صلى الله عليه وسلّم .

ومن ذلك ما روى أن أبا كَرِب تبان بن أسـعد ملك اليمن[1] أحد التبابعة لمـا قصد بلاد الشرق[2] ، جعـل طريقه على يَـثرب ، فلم يهج أهلَها ، وخلّف بين أظهرهم ابنـا له ، فقُتل غِيـلَة ، فقدِمها وهـو مُجمِع لإخرابهـا واستئصال أهلِها وقطْع نخلِها ، فجمع له أهل المدينة ورئيسُهم يومئذ عمرو بنُ طَلَّة أحد بنى النجار ؛ وهو عمرو بن مُعاوية بن عَمرو بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن النجّار ، وطَلَّة أمّـه ؛ وهى بنت عامر بن زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة[3] .

(١) انظر الكامل لابن الأثير فى « ذكر حوادث العرب أيام قباذ » .

(٢) فى التيجان ص ٢٩٤ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٢١ : « المشرق » .

(٣) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٢١ .

قال محمد بن إسحاق (١) :

وكان رجل من بنى عَدىّ بن النجّار ويقال له أحمر، عَدا على رجل من أصحاب تُبَّع حين نزل بهم فقتله، وذلك أنه وجَده فى عَذْقٍ له يَجُدُّه، فضربه بمنجَله فقتله، وقال : إنما التَّمر لمن أبّره، فزاد ذلك تُبَّعا حَنَقا عليهم فاقتتلوا، فكان أهلُ المدينة، وهم هـذا الحىّ من الأنصار يقاتلونه بالنهار ويَقْرُونَه بالليـل، فيُعجبه ذلك منهم ويقول : والله إن قومنا لَكِرام . وفى ذلك يقول حسّان بن ثابت من قصيدة لم يذكُر فيها قومَه :

قَرَوْا تُبَّعا بيضَ المواضِى ضَحَاةً   وكومَ عِشارٍ بالعشيات نُهَّض

قال فبينما تُبَّع على ذلك من حربهم (٢) إذ جاءه حَبْران من أحبار يهود من بنى قُرَيظة عالمـان راسخان، حين سمعا بمـا يُريد من إهلاك يثرب وأهلها، فقالا له : أيهـا الملك، لا تفعَل، فإنك إن أبيتَ إلا ما تُريد حِيلَ بينَك وبينهـا، ولم نأمَن عليك عاجلَ العقوبة، فقال لهما : ولم ذلك ؟ قالا : هى مُهاجَر نبىّ يخرج من هذا الحَرَم من قُرَيش آخرَ الزمان، تكون دارَه وقرارَه، فرأى تُبَّع أن لهما علْما، فانصرف عن المدينة واتَّبعهما على دينهما .

ومن ذلك خبر سَلمان الفارسىّ (٣) وقصته فى سبَب إسلامه وهجرته إلى المدينة . رُوى عن عبـد الله بن عبـاس رضى الله عنهما، قال : حدثنى سَـلمان الفارسىّ من فِيه، قال : كنتُ رجلا فارسيا من أهل أصْبَهان، من أهل قَرية يقال لها جَىّ،

(١) نقله ابن هشام فى السيرة ١ : ٢١، وانظر الخميس للديار بكرى ١ : ٢٧ .

(٢) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٢ : «فبينا تبع على ذلك من قتالهم» .

(٣) انظر البداية والنهاية ٢ : ٣١٠، سيرة ابن هشام ١ : ٢٢٨ .

وكان أبي دِهْقانَ[1] قريته، وكنت أحَبَّ خلق الله إليه، ثم لم يزل به حبُّهُ إياى حتى حَبَسنى[2] فى بيته كما تُحبَس الجارية، واجتهدتُ فى المجوسية حتى كنت قَطِنَ النار الذى يوقِدُها لا يتركها تخبُو ساعة؛ قال: وكان لأبى ضَيْعَة عظيمة، فشُغِل فى بنيان له يوما، فقال يابنى: إنى قد شُغلت فى بنيانى هذا اليوم عن ضَيْعتى، فاذهب إليها، فأمَرنى فيها ببعض ما يريد ثم قال: ولا تحتبس عنى، فإنك إن احتبستَ عنّى كنتَ أهمّ إلىّ من ضيعتى وشغلتَنى عن كل شىء من أمرى؛ قال: فخرجت أريدُ ضيعته التى بعثنى إليها، فمررتُ بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعتُ أصواتهم فيها وهم يُصلُّون، وكنت لا أدرى ما أمر الناس بحَبْس[3] أبى إياى فى بيته، فلما سمعتُ أصواتهم دخلت عليهم أنظرُ ما يصنعون، فلما رأيتُهم أعجبتنى صلاتهم، ورغبتُ فى أمرهم وقلت: هذا والله خيرٌ من الدين الذى نحنُ عليه، فوالله ما بَرِحتُهم حتى غربت الشمس، وتركت ضَيعة أبى فلم آتِها، ثم قلتُ لهم: أين أصل هذا الدِّين؟ قالوا: بالشام، فرجعتُ إلى أبى وقد بعثَ فى طلبى، وشغلتُه عن عَمله كلّه، فلما جئتُه قال: أى بُنَىّ! أين كنت؟ ألم أكن عهدتُ إليك ما عهدت؟ قلتُ: يا أبت! مررتُ بأناس يُصلُّون فى كَنيسة لهم، فأعجَبنى ما رأيتُ من دينهم، فوالله ما زلتُ من عندهم حتى غَربت الشَّمس، قال: أى بُنى! ليس فى ذلك الدين خيرٌ، دينُك ودينُ آبائك خيرٌ منه، قلتُ له: كلا والله! إنه لخَيرٌ من ديننا، قال: فخافنى فجعل فى رجلى قَيْدًا ثم حبَسنى فى بيته، فبعثتُ إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدِم عليكم رَكْبٌ من الشام تجّار فأخبرونى بهم، قال: فقدم عليهم رَكب من الشام تجار من النّصارَى فأخبَرونى بهم، فقلت: إذا قضوا حوائجَهم، وأرادوا الرّجعة

(١) الدهقان رئيس الإقليم، أو مقدم القرية أو زعيم فلاحى العجم (تاج — دهقن).
(٢) قطن النار: خادمها. (٣) فى السيرة ١: ٢٢٩: «لحبس».

إلى بلادهم، فآذِنُونى بهم ، فلما أرادوا الرَّجعة أخبَرونى بهم ، فألقيت الحـديد من رجلى، ثم خرجت معهم حتى قدمتُ الشام، فلما قدِمتها قلتُ : مَن أفضلُ أهل هذا الدين عِلْما ؟ قالوا الأُسْقُفُ فى الكَنيسة ، فجئتُه فقلت : إنى رغبت فى هذا الدين ، وأحببتُ أن أكون معَـك وأخدُمَك وكنيستَك ، وأتعـلّمَ منك ، وأصلِّى معـك ، قال : آدخل ، فدخلت معـه ، فكان رجُلَ سُـوء ، يأمرهم بالصَّدقة ويُرغِّبهم فيها ، فإذا جَمعوا إليـه شيئا منها اكتنَزه لنفسه ولم يُعْطِه المساكين، حتى جَمع سَبْع قِلالٍ من ذهب ووَرِق، قال : وأبغضتُه بُغضًا شديدا لمـا رأيتُه يصنع، ثم مات واجتمعَتْ له النّصارَى ليدفنوه فقلت لهم : إن هـذا رجل سُوء، يأمركم بالصّدقَة ويرغّبكم فيها ، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه، ولم يُعطِ المساكين منهـا شـيئا، فقالوا لى : وما علمكُ بذلك ؟ قلت : أنا أدلّكم على كنزه ، قالوا : فدُلَّنا عليه ، فأريتُهم موضعَه ، فآستخرجوا سـبعَ قلال مملوءة ذهبا ووَرِقا ، فلما رأوها قالوا : والله لا نَدفنُه أبدا ، فصَلبوه ورجَمـوه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر فجعَلوه مكانَه . قال : يقول سَلْمان : فما رأيت رجلًا لا يصلِّى الخمسَ أُرَى أنه أفضلَ منه، وأزهد فى الدنيا، ولا أرغب فى الآخرة، ولا أدأب ليلًا ونهاراً منه، قال: فأحببتُه حبا لم أحبّه شيئا قبلَه ، فأقمتُ معـه زمانا، ثم حضرَتْه الوفاة فقلت له : يا فلان إنى قد كنتُ معك وأحببتُك حبا لم أُحِبّه شيئا قبلك ، وقـد حضَرك ما ترَى من أمر الله، فإلى مَنـ تُوصِى بى وبِمَ تأمُرُنى؟ قال : أى بُنَىّ، والله ما أعلم اليوم أحدًا على ما كنتُ عليه ، لقد هلك الناس ، وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليـه ، إلا رجلًا بالموصل، وهو فلان، وهو على ما كنتُ عليه، فالْحَق به . قال : فلمـا مات وغُيِّب لحقتُ بصاحب الموصل فقلت له : يا فلانـ إن فلانا أوصانى عندَ موته أن ألحَق بك، وأخبَرنى أنك على أمره، فقال لى : أقِم عندى، فأقمت عنده

فوجدتُه خير رجل على أثر[1] صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرتْه الوفاة قلت له :
يا فلان إنّ فلانا أوصَى بى إليك ، وأمَرنى باللُّحوق بك، وقد حضرك من أمر
الله ما ترَى، فإلى من توصى بى وبِمَ تأمُرنى ؟ قال : يا بُنَىّ والله ما أعلم رجلا
على مِثل ما كنّا عليه إلا رجلا بنَصيبين، وهو فلان ، فالحق به ، فلما مات وغُيِّب
لحقتُ بصاحب نَصيبين ، فأخبرتُه خبرى ، وما أمَرنى به صاحبى ، فقال : أقِم
عندى ، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله
ما لبث أن نزل به الموت، فلما حُضِر قلت له : يا فلان إن فلانا كان أوصى
بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى من تُوصِى بى وبِمَ تأمرنى ؟
قال يا بُنَىّ والله ما أعلَمُه بقِىَ أحد على أمرنا ، فلما مات وغُيِّب لحقتُ بصاحب
عَمّورية، فأخبرته خَبَرى ، فقال : أقِم عندى ، فأقمتُ عند خيرِ رجل على هَدْى
أصحابه وأمْرِهم ، قال : واكتسبتُ حتى كانت لى بقَرات وغُنَيْمة، قال : ثم نزل
به أمرُ الله ، فلما حُضِر قلت له : يا فلان إنى كنتُ مع فلان فأوصَى بى إلى
فلان ، ثم أوصَى بى فلان إلى فلان ، ثم أوصَى بى فلان إلى فلان ، ثم أوصَى
بى فلان إليك، فإلى من تُوصِى بى وبِمَ تأمُرُنى؟ قال : يا بُنَىّ والله ما أعلمه
أصبحَ أحدٌ على مثل ما كنّا عليه من الناس آمرك أن تأتيَه ، ولكنه قد أظلَّ زمانُ
نبىّ هو مبعوثٌ بدِين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مُهاجَرُه إلى
أرضٍ بين حَرَّتين بينهما نخل ، به علامات لا تَخفَى ، يأكل الهَدِيّة ولا يأكل
الصَّدَقة ، بين كتفَيْه خاتَم النبوّة ، فإن استطعتَ أن تلحق بتلك البلاد فافعل ،
قال : ثم مات وغُيِّب ، ومكثتُ بعَمّورية ما شاء الله أن أمكُث، ثم مرّ بى نفَر
من كَلْب تُجّار فقلت لهم: احملونى إلى أرض العَرَب، وأُعطيكم بقَراتى هذه ،

(١) فى السيرة لابن هشام ١ : ٢٣١ : « على أمر » .

وغُنَيمتى هذه، قالوا : نعم . وأعطيتُهموها وحملونى معهم، حتى [إذا] بلغوا وادى القُرى ظلمونى فباعونى من رجل يَهُودىّ عبدًا ، فكنت عنده، ورأيتُ النخل ، ورجوت أن يكون البلد الذى وَصَف لى صاحبى ، ولم يَحِق فى نفسى ؛ فبينا أنا عنده ، إذ قدِم عليه ابنُ عمٍّ له من بنى قُرَيظة من المدينة ، فابتاعنى منه، فحملنى إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتُها فعرفتُها بصفة صاحبى، فأقمت بها . وبُعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بمكة ما أقام، لا أسمع له بذكرٍ معَ ما أنا فيه من شُغْل الرِّقّ، ثم هاجرَ إلى المدينة ، فوالله إنى لَفى رأس عَذْقٍ لسيدى أعمل له فيه بعضَ العمَل، وسيدى جالس تحتى إذ أقبل ابنُ عمٍّ له ، حتى وقف عليه فقال : يا فلان ، قاتل الله بنى قَيْلة [1] ، إنهم والله الآن لَمُجتمعون بقُباء [2] ، على رَجُل قدِم عليهم من مكة اليوم يزعُمون أنه نبىّ ، قال : فلما سمعتُه أخذتنى العُرَواء [3] حتى ظننت أنى ساقط [4] على سيدى، فنزلتُ عن النخلة فجعلتُ أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ فغضب سيدى ولكمنى لَكمةً شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبِل على عملك ، فقلت لا شىءَ إنما أردتُ أن أستثبته عما قال . قال سلْمان : وكان عندى شىء قد جمعتُه ، فلما أمسيتُ أخذتُه ثم ذهبتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقُباء ، فدخلت عليه فقلتُ له : إنه قد بلغَنى أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غُرَباء ذَوو حاجة ، وهذا شىء كان عندى للصَّدقة، فرأيتكم أحقّ به من غيركم ، قال : فقرّبتُه إليه ، فقال لأصحابه : كلوا ! وأمسك يده

(١) يريد الأوس والخزرج ؛ لأن قيلة بنت كامل أم الأوس والخزرج . وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٣٢ .

(٢) قباء بالضم : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة .

(٣) العرواء : الرعدة والانتفاض من الحمى والبرد .

(٤) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٣٣ : « أنى سأسقط » .

فلم يأكل . قال : قلتُ فى نفسى : هذه واحدة ، ثم انصرفتُ عنه فجمعتُ شيئا ، وتحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم جئتُه به ، فقلت : إنى قد رأيتُك لا تأكل الصَّدَقة ، وهذه هَدية أكرمتُك بها ، قال : فأكَل منها ، وأمر أصحابَه فأكلوا معه ، قال : قلت فى نفسى : هاتان ثِنتان . قال : ثم جئتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ببَقيع الغَرْقد[1] قد تبِع جنازَة رجل من أصحابه ، علىَّ شَمْلتان لى ، وهو جالس فى أصحابه ، فسلّمت عليه ثم استدَرت أنظر إلى ظَهره ، هل أرَى الخاتَم الذى وُصِف لى ، فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرتُه ، عرَف أنى أستَثْبِت من شيء وُصف لى ، فألقى رداءه عن ظَهره فنظرتُ إلى الخاتَم فعرفتُه فأكبَبت عليه أُقبِّله وأبكى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تحوّل ! فتحولتُ فجلستُ بين يديه ، فقصَصت عليه حديثى كما حدثتُك يابنَ عباس ، فأَعجَب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يسمَع ذلك أصحابُه .

ثم شغَل سلمانَ الرِّق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرٌ وأُحُد . قال سَلمان : ثم قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كاتِبْ يا سَلْمان ، فكَاتَبتُ صاحِبى على ثلاثمِائة نخلَةٍ أُحْيِيها له بالفقير ، يعنى الآبار الصِّغار ، وأربعين أُوقية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أَعينوا أخاكم ، فأعانونى بالنَّخل ؛ الرجلُ بثلاثين وَدِيّة[2] ، والرّجل بعشرين وَدِية ، والرجل بخمسَ عَشْرة وَدِية ، والرجلُ بعشْر ، يُعين الرجُل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعَتْ لى ثلاثُمائة وَدِية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آذهب يا سَلْمان فَفَقِّر لها[3] ، فإذا فرغتَ فأتنى ، أكن أنا

(١) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة .

(٢) الودىّ : صغار النخل واحدتها ودية .

(٣) فقرلها : أى احفر لها .

أضعها بيـدى . قال : ففقّرت، وأعانى أصحابى حتى إذا فرغتُ جئتُه فأخبرتُه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معى إليها، فجعلْنا نقرّب إليه الوَدِىّ ، و يضعُه رسولُ الله صـلى الله عليه وسـلم بيده حتى إذا فرَغنا(١)، فوالذى نفسُ سَلْمان بيده ما مات منها وَدِية واحدة، فأدّيتُ النخل، و بقى علىَّ المـال ، فأُتَى رسول الله صلى الله عليـه وسلم بمثل بَيْضة الدَّجاجة من ذَهب من بعض المعادن ، فقال : ما فعل الفارسىّ المُكَاتَب ؟ قال : فدُعيت، فقال : خذ هذه فأدِّها ممـا عليك يا سَلْمان، قال: وقلت وأين تقع هذه يا رسول الله ممـا علىّ؟ فقال : خذها، فإن الله سيؤدّى بها عنك، وفى رواية : فأخذَها رسول صلى الله عليه وسلم فقلَّبها على لسانه ثم قال : خذها فأوفهم منها. قال : فأخذتُها فوزنتُ لهم منها — والذى نَفسُ سَلْمان بيده — أربعين أُوقيةً ، فأوفَيتُهم حقهم منها، وعتَق سَلمانُ . فشهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخَندَق حُرّا ، ثم لم يفُتنى معه مَشْهد .

قال محمـد بن إسحاق(٢) بسند رفعـه إلى عُمر بن عبد العزيز، أنه قال : حُدِّثتُ عن سَلمان أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسـلم حين أخبره : إن صاحب عَمُّورية قال له : آئت كذا وكذا من أرض الشام، فإن بها رجلا بين غَيْضَتين(٣) يخرج فى كل سـنة من هذه الغَيْضة إلى هـذه الغَيْضة يعترضه(٤) ذَوُوا الأسقام، فلا يدعو لأحَدٍ منهم إلا شُفِى ، فآسأله عن هذا الدِّين الذى تبتغى ، فهو يُخبرك عنه، قال سَلمان: فخرجتُ حتى جئت حيثُ وَصف لى، فوجدتُ الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك،

(١) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٣٥ : « حتى فرغنا » .

(٢) نقله ابن هشام ١ : ٢٣٦ .

(٣) الغيضة : الشجر الملتف .

(٤) فى الأصل : « من هـذه الغيضة مستجيزا دواء الأسقام » ، والمثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٣٦ .

ومنه ما رُوِىَ أن حسّان بن ثابت قال : والله إنى لعلى أُطُمِى[(1)] فارع فى السَّحر إذ سمعت صوتا لم أسمع قط صوتا أنفذَ[(2)] منه ، و إذا هو[(3)] صوت يهودىّ على أُطُم من آطام اليهود معه شُعلة نار ، فاجتمع النـاس إليه وأنكروا صُراخه فقالوا : مالك و يلك ! قال حسّان : فسمعتُه يقول : هذا كوكبٌ أحمر قد طَلع ، وهو كوكب لا يطلُع إلّا بالنبوّة ، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد ، قال حسّان : فجعل النـاس يضحَكون منـه و يعجَبون لمـا أتَى به ، قال : وكان أبو قَيْس أحدُ بنى عدىّ بن النجّار قد ترهّب ولبس المُسوح ، فقيل له يا أبا قيس ! انظر ما قال هذا اليهودى ! قال : صدَق و إن انتظار أحمـد هو الذى صنَع به ما صنَع ، ولعلِّى أن أُدرِكه فأومنَ به ، فلما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم بمكّة آمن به ، وقدم النبيُّ صلى الله عليه وسلم المدينة وقد نالَت السنّ من أبى قَيْس .

وقـد أشرنا إلى خبرَ حسّان هـذا عند ذكرنا لمولد رسـول الله صلى الله عليه وسلم . والأخبار فى هذا الباب كثيرة ، فلا نطوّل بسردها .

وأما من بشَّر به صلى الله عليه بعد مَوْلِدِه فى حال طفوليته وحَداثة سنه :

فمن ذلك خبر سَيف بن ذِى يَزَن ، وقصّته مع عبـد المطلب ، وكان من خَبَره ما رواه الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البَيْهَقىّ رحمه الله فى كتابه المترجم بدلائل النبوّة قال : أخبرنا أبو سهل محمد بن نَصْرَوَيْه بن أحمد المَرْوزىّ بنيسابور ، قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن صالح المَعَافرىّ ، قال : حدثنا أبو يَزَن الحِمْيَرىّ إبراهيم ابن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عُفَير بن زُرْعة بن سيف بن ذى يَزَن ، قال :

(١) الأطم : حصن مبنى بحجارة ، أو كل بيت مربع مسطح .
(٢) فى خير البشر ص ٥ : « أنقذ منه » .
(٣) فى الأصل : « و إذا صوت يهودى » ، والمثبت عن ابن ظفر ص ٥ .

حدّثنى عمّى أحمد بن حبيش بن عبد العزيز ، قال : حدّثنى أبى عُفير ، قال : حدّثنى أبى زرْعَة بن سيف بن ذى يَزَن ، قال : لما ظهر سيف بن ذى يَزَن على الحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين أتته وفود العرب وأشرافُها وشعراؤُها لتهنئته ، وتذكُّر ما كان من بَلائه وطلبه بثأر قومه ، وأتاه وَفدُ قريش ، منهم : عبد المطّلب بن هاشم ، وأُمَيّةُ بن عبد شمس ، وعبد الله ابن جُدْعان ، وأسَد بن عبد العُزّى ، ووَهْب بن عبد مَناف ، وقُصَىّ بن عبد الدار ، فدخل عليه آذِنُه وهو فى قَصرٍ يقال له غُمْدان ، والملك مُضمَّخ بالعَبِير ، وعليه بُردان أخضَران ، مُرتدٍ بأحدهما متَّزِرٌ بالآخر ، سيفُه بين يدَيه ، وعن يمينه وشماله الملوك ، فأخبر بمكانهم فأذن لهم ، فدخلوا عليه ، فدنا منه عبد المطّلب فاستأذنه فى الكلام ، فقال : إن كنتَ ممن يتكلّم بين يدى الملوك فقد أذِنّا لك ، فقال : إن الله عز وجل أحَلَّك أيها الملك محَلا رفيعا شامخا منيعا ، وأَنبتَك نباتا طابت أُرومَتُه ، وعظُمت جُرثومتُه ، وثَبت أصلُه ، وبَسَق فرعُه ، فى أطيب موضع وأكرم مَعدن ، وأنت — أبيتَ اللّعن — مَلِكُ العرب الذى عليه الاعتماد ، ومَعقِلها الذى تلجأ إليه العباد ، سلفُك خير سَلَف ، وأنت لنا منهم خيرُ خلَف ، فلن يَهلِك ذِكر من أنتَ خلفُه[1] ، ولن يخمُل ذكرُ من أنت سلفُه ، نحن أهل حَرَم الله وسَدَنَة بيت الله ، أشخَصَنا إليك الذى أبهجَنا من كشفك الكَرْب الذى فدَحَنا ، فنحن وَفد التَّهنئة ، لا وَفدُ المَرزِئة .

قال له الملك : من أنتَ[2] أيها المتكلّم ؟ فقال : أنا عبدُ المطّلب بن هاشم ، قال : ابنُ أخينا ؟ قال : نعَم ، قال : اُدنُهْ ، ثم أقبَل عليه وعلى القوم فقال :

(١) فى دلائل النبوّة للبيهقى (ق ٩٥ و) : « ولن يخمل من » .

(٢) فى دلائل النبوّة للبيهقى : « الملك ومن » .

مرحبًا وأهلًا [وأرسلها مثلا] (١) ، وكان أوّل من تكلّم بها ، وناقةً ورحلا ، ومُسْتَناخًا سهلا ، ومَلِكا رِبَحْلا (٢) ، يُعطى عطاءً جزلا ، قد سمع الملكُ مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فإنكم أهلُ الليل والنهار ، ولكم الكرامة ما أقمتم ، والحباء إذا ظعنتم ، ثم أنهضوا إلى دار الضيافة والوفود ، وأجريت عليهم الأنزال (٣) ، فأقاموا بذلك شهرا لا يصلون إليه ، ولا يؤذن لهم فى الانصراف ، ثم انتبه لهم انتباهةً فأرسل إلى عبد المطّلب فأدناه ثم قال له : يا عبدالمطّلب ، إنى مُفْضٍ إليكَ من سِرّ علمى أمرًا لو غيرُك يكون لم أبُح به ، ولكنّى رأيتُك مَعدِنَه ، فأطلعتك عليه (٤) ، فليكن عندك مُخَبًّا (٥) حتى يأذن الله عز وجل فيه ؛ إنى أجد فى الكتاب المكنون ، والعلم المخزون الذى ادّخرناه لأنفسنا ، واحتجنّاه (٦) دون غيرنا ، خبرًا عظيمًا وخطرًا جسيمًا ، فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة للناس عامّة ، ولرهطك كافة (٧) ، ولك خاصّة ، فقال له عبد المطلب : مثلك أيها الملك سرّ وبرّ ، فما هذا فداك (٨) أهل الوبر زُمَرًا بعد زُمر؟ قال : إذا وُلد بتهامة ، غلام بين كتفيه شامة (٩) ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزّعامة ، إلى يوم القيامة . قال عبد المطلب : أيُّها الملك ، لقد أُبتُ بخبرٍ ما آب بمثله وافد قوم ، ولولا هيبةُ الملك وإجلالُه وإعظامُه ، لسألته من بشارته (١٠) إياى ما أزداد به سرورا . قال له الملك : هذا حينه الذى يولَد فيه أو قد وُلد ، اسمه محمد ، يموت أبوه وأمه ، ويكفُله جدّه وعمه ، قد ولدناه مرارا ، والله باعثه جِهارا ، وجاعلٌ له منا

(١) عن دلائل النبوّة للبيهقى . (٢) الربحل بكسر الراء وفتح الباء : الكثير العطاء .
(٣) الأنزال جمع نزل ، وهو قرى الضيف وإكرامه . (٤) فى دلائل النبوّة للبيهقى : « أطلعتك طلعه » . (٥) فى دلائل النبوّة للبيهقى : « مخبيا » . (٦) فى الأصل : « واحتجبناه » والمثبت عن البداية ١ : ٣٢٩ . (٧) فى الأصل : « وأن يبطل » تصحيف .
(٨) فى دلائل النبوة للبيهقى : « فما هو » . (٩) فى البداية ١ : ٣٢٩ : « غلام به علامة ، بين كتفيه » . (١٠) فى الأصل : « من سارّه » .

أنصارا يُعَزُّ بهم أولياءَه، ويُذل بهم أعداءَه، ويَضرب بهم الناس عن عَرض، ويستفتح[1] بهم كرائم الأرض، يَعبُد الرحمن، ويَدْحَض أو يدحر الشيطان، وتخمد النيران وتكسر الأوثان، قولُه فَصْل، وحكمُه عَدْل، يأمر بالمعروف ويفعلُه، وينهَى عن المُنْكر ويبطِله. قال له عبد المطلب: عز جدّك، ودام مُلكُك، وعلا كعبُك، فهل الملك سارّنى بإفصاح؟ فقد أوضح لى بعض الإيضاح، قال له سيف [ابن ذى يَزَن][2]: والبيت ذى الحُجُب، والعلامات على النُّصُب[3]، إنك لجدّه يا عبدَ المطلب غير كذب، قال: فخر عبدُ المطّلب ساجدا، فقال له سيف ارفع رأسك، ثَلج صدرُك، وعَلا كعبُك[4]، فهل أحسستَ بشىء مما ذكرتُ؟ قال: نعم أيها الملك، إنه كان لى ابن وكنت به معجبا، وعليه رفيقا، وإنى زوجته كريمةً من كرائم قومى[5] آمنةَ بنتَ وَهْب بن عبد مناف، فجاءت بغلام وسميتُه محمدا، مات أبوه وأمه، وكفلتُه أنا وعمُّه. قال له ابن ذى يَزَن: إن الذى قلتُ لك كما قلتُ، فاحتفظ بابنك[6] واحذر عليه اليهود، فإنهم أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا، واطْوِ ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإنى لست آمَن أن تُداخلهم النَّفاسَة، من أن تكون لكم الرياسَة، فينصبون لَه الحبائل، ويبغون[7] له الغوائل، وهم فاعلون ذلك أو أبناؤهم من غير شك[8]، ولولا أنى أعلم أن الموت مجتاحى قبلَ مَبعثِه، لسرت

---

(١) فى البداية ٢ : ٣٢٩ : « ويستبيح بهم » .

(٢) عن دلائل النبوة للبيهق ، وفى البداية ١ : ٣٣٠ : « فقال ابن ذى يزن » .

(٣) فى البداية ، ودلائل النبوة للبيهق : « على النقب » .

(٤) فى البداية ١ : ٣٣٠ : « وعلا أمرك » .

(٥) البداية : « كرائم قومه » . (٦) فى الأصل : « فاحتفظ من ابنك » .

(٧) فى الأصل : « وينمون له » ، تصحيف .

(٨) فى الأصل : « وأبناؤهم عن شك » .

بخيلى ورَجْلى حتى أجىء يثربَ دارَ مُلكه[(١)]، فإنى أجد فى الكتاب الناطق، والعلم السابق، أن بيثربَ استحكامَ أمرِه، وأهلَ نُصرتِه، وموضعَ قبرِه، ولولا أنى أقيه الآفات، وأحذَر عليه العاهات، لأعليتُ على حداثة سِنّه أمرَه، ولأوطأتُ على أسنان العرب كعبه[(٢)]، ولكن سأصرفُ ذلك إليك من غير تقصيرٍ بمن معك، ثم دعا بالقوم، وأمر لكل رجل منهم بعشرة أعبُدٍ سود، وعشر إماء سود، وحلّتين من حلل البرود، وخمسة أرطال ذهب، وعشرة ارطالٍ فضة، ومائةٍ من الإبل، وكَرِش مملوء عنبرا، ولعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك، وقال [له[(٣)]] : إذا حال الحول فأتنى بخبرَه، قال : فمات سيف بن ذى يَزَن قبل أن يحولَ عليه الحَوْل، وكان عبدُ المطلب كثيرًا ما يقول : يا معشر قريش، لا يَغبِطنى رجلٌ منكم بجزيل عطاء المَلِك، وإن كثُر، فإنه إلى نَفاد، ولكن يَغبطنى بما يَبقَى لى ولعقبى ذِكرُه ونخره، فإذا قيل وما هو ؟ قال : سيُعلَم ما أقول ولو بعدَ حين .

قال البيهقى[(٤)] وقد رُوِى هذا الحديث أيضا عن الكلبى أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما .

ومن ذلك رؤيا رقيقة بنت أبى صيفى وقصة استسقاء عبد المطلب بن هاشم وكان من خبرها ما رواه أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى[(٤)] رحمه الله بسند عن مَخْرمة بن نَوْفل عن أمه رقيقة بنت أبى صَيفى بن هاشم، وكانت لِدَةَ عبد المطلب، قالت : تتابعت على قريش سنون أخلت الضرع[(٥)]، وأرقّت العظم[(٦)]، قالت :

---

(١) فى دلائل النبوة للبيهق : «حتى أصير يثرب دار ملكى» . وفى الأصل : «حتى أجىء ثرب» .

(٢) فى البداية ١ : ٣٣٠ : «ولأوطأت أسنان العرب عقبه» .

(٣) عن البداية ١ : ٣٣٠ . (٤) فى دلائل النبوة (ورقة ٩٧ و) .

(٥) فى دلائل النبوة : «أقحلت الجلد» . (٦) فى الأصل : «العظم فبينا» .

فبينما أنا نائمة اللّهم أو مُهَوِّمة إذا هاتفٌ يصرخ بصوت صَحِلٍ صَيِّت يقول : معشر قريش، إن هذا النبي المبعوث منكم قد أظلّكم أيامه، وهذا إبان نجومه، وفى رواية عنها : مبعوث منكم، وهذا إبان مَخرجه بَجَّهلا بالخير والخصْب، وفى رواية بالحيا والخصْب ، ألا فانظروا رجلا منكم وَسِيطا عُظّاما جُسّاما أبيض بَضّا ، أوطَف الأهداب ، سهل الخَدّين ، أشم العرنين ، له فخر يكظم عليه ، وسنة تهدى إليه ، ألا فليخلُص هو وولدُه وليَهبِط[1] إليه من كل بطن رجلٌ فليشُنّوا[2] من المـاء، وليمَسّوا من الطيب ، ثم ليستلموا الركن . وفى رواية وليَطُوفُوا بالبيت سبعا ، ثم ليرتقوا أبا قُبَيس فليَسْتَسقِ الرجل ، وليؤمِّن القوم [ألا وفيهم الطاهر والطيب لذاته ، ألا بُعِثتم شئتم وعشتم[3]]، قالت : فأصبحتُ — علِم الله — مذعورةً قد اقشعرَّ جلدى ، ووَلِه عَقلى ، واقتصصْتُ رؤياى ، فوالحُرْمَة والحَرَم مابقى أبطحِىٌّ إلا قال : هذا شَيْبَة الحمد ، هذا شيبة ، وتتامَّت[4] إليه رجالات قُريش ، وهَبَط إليه من كل بَطْن رجل ، فشنُّوا وطَيَّبوا[5] ، واستلموا وطافوا ، ثم ارتَقَوا أبا قُبَيس ، وطفَقوا جَنـابَيْه ما يَبْلُغ سَعيُهم مَهْلَة ، حتى إذا استوَى بذِرْوة الجبل ، قام عبد المطلب ومَعه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام قد أيفَعَ أو كَرِب ، فقال عبد المطلب : اللهم سادَّ الخلّة ، وكاشف الكُرْبة ، أنت مُعْلِم ، وفى رواية عالم غير مُعَلَّم ومسئول غير مُبَخَّل ، وهذه عِبِدّاؤك وإماؤك عذرات حرمك[6] يشكون إليك سَنَتَهم[7] أذهبت الخُفّ والظلف ، اللهم فأمطرن غَيثًا مُغدِقا مَريعا ، فوالكعبة ماراُموا حتى تفجّرت السماء بمائها ، واكتظ[8]

(١) فى دلائل النبوة : «وليدلف إليه» . (٢) الشن : الصب المتقطع . وفى رواية للبيهقى أيضا : « فليشربوا من المـاء » . (٣) عن دلائل النبوة للبيهقى ورقة ٩٦ ظ . (٤) فى الأصل : « الحمـد وتناقت » . (٥) فى الأصـل : « فشنوا ومشوا » . (٦) فى الأصل : « بعد حرمك » ، والمثبت عن البيهقى . (٧) فى دلائل النبوة للبيهقى : « سنتهم الّى قد أقحلت » . (٨) كذا فى الأصل ، وفى حاشية دلائل النبوة للبيهقى ورقة ٩٦ ظ : « وكظ » .

الوادى بثجيجه ، فسمعتُ شيخانَ(١) قريش وجِلّتها : عبدَ الله بن جُدْعان ، وحَرْبَ ابن أمية ، وهشامَ بن المغيرة ، يقولون لعبد المطلب : هنيئا لك أبا البطحاء أى عاش بك أهل البطحاء ، وفى ذلك تقول رُقَيْقَة :

بشيبةَ الحمدِ أسقَى الله بلدتَنا * لما فقدنا(٢) الحيا واجلوَّد المطرُ

فجادَ بالماء جَونىٌّ له سَبَل * دانٍ فعاشت به الأنعام(٣) والشجر

مَنًّا من(٤) الله بالميمون طائرُهُ * وخيرِ من بُشِّرت يوما به مُضَرُ

مبارَكِ الأمرِ يُستسقَى الغَمامُ به * ما فى الأنام له عِدْل ولا خَطَر

وأما مَن بشّر به صلى الله عليه وسلم قبيل مَبعثه ، فمن ذلك خبر اليهودىّ الذى هو من بنى عبد الأشهَل . وكان مِن خَبره ما رواه أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى بسنَده عن سَلَمة بن سلامة بن وقش ، قال : كان بين أبياتنا يهودىّ ، فخرج على نادِى قومه بنى عبد الأشهَل ذات غداةٍ ، فذكَرَ البعثَ والقيامة والجنةَ والنارَ والحسابَ والميزان ، فقال ذلك لأصحاب وثَنٍ لا يُرَون أنّ بعثًا كائن بعدَ الموت ، وذلك قبلَ مَبعثِ النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ويحك يا فلان ، وهذا كائن ؟ إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دارٍ فيها جنة ونار ، يُجزَوْن من أعمالهم ؟ قال : نعم ، والذى يحلف به ، لوددتُ أن حَظّى من تلك النار أن تُوقِدوا أعظمَ تَنُّورٍ فى داركم فتَحْمونَه ، ثم تَقذِفونى فيه ، ثم تُطبِقوا علىّ ، وأنّى أنجُو من النار غدا فقيل له يا فلان ، فما علامة ذلك ؟ قال : نبى يُبعَث من ناحية هذه البلاد ، وأشار بيده نحو مكة

(١) فى الأصل : « شيخان من » ، والمثبت عن البيهقى (ورقة ٩٦ ظ) .

(٢) رواية البيهقى (ق ٩٧ و) : « وقد فقدنا » .

(٣) رواية البيهقى : « به الأمصار » .

(٤) رواية البيهقى : « سيل من » .

واليمن . قالوا : فتى تُراه ؟ فرمى بطرفه، فرآنى وأنا مضطجع بفناء باب أهلى، وأنا أحدث القوم [فقال] : إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لحىّ بين أظهرهم فآمنّا به وصدّقناه، وكفرَ به بغيا وحسَدا، فقلنا له : يا فلان ، ألستَ الذى قلتَ ما قلت وأخبرتنا ؟ فقال : بلى . ولكن لا أومن به .

ومنه خبر إسلام أَسِيد[1] وثَعْلَبة ابنَى سَعْيَة وراشد بن عُبَيد .

روَى البيهقى[2] رحمه الله عن عاصم بن عُمر بن قَتادة، عن شيخ من بنى قُرَيظَة ، قال : هل تدرون عمّ كان إسلام أَسِيد وثَعْلَبة ابنى سَعْيَة، وأسد[3] بن عُبيد ، نَفَرٍ من بنى هَدْل[4] لم يكونوا من بنى قُرَيظة، ولا النضير[5]، كانوا فوق ذلك ؟ فقلت : لا . قال : فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهودَ يقال ابن الهَيَّبان ، وكنيته أبو عُمير، كذا ذكره الواقدى ، فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلا قطُّ لا يُصلِّى الخمسَ خيرا منه ، فقَدِم علينا قبل مَبعَث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين، فكنّا إذا أَقْحَطْنا وقلّ علينا المطر نقول : يابن الهَيَّبان ، اخرج فاستَسْقِ لنا ، فيقول : لا والله، حتى تُقدِّموا أمامَ مَخْرجكم صَدَقة ؛ فنقول : كم ؟ فيقول : صاعٌ من تمر[6] أو مُدَّين من شَعير

(١) أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة كما فى الروض الأنف .

(٢) روى حديث إسلامهما ابن هشام فى السيرة ١ : ٢٢٦ بالسند نفسه ، وابن كثير فى البداية ٢ : ٣٠٩ وانظر خير البشر ص ٣٥ ومابعدها .

(٣) فى الأصل : « وراشد بن عبيد » تصحيف . والتصويب عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٦ .

(٤) هدل بفتح الهاء والدال أيضا ، وقيل بسكون الدال . انظر السيرة الحلبية ١ : ١٨٥ .

(٥) فى تاريخ الطبرى : «وهم نفر من بنى هدل ليسوا من بنى قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك ، هم بنوعم القوم » . وفى سيرة ابن هشام ١ : ٢٢٧ «هدل إخوة بنى قريظة ، كانوا معهم فى جاهليتهم ثم كانوا سادتهم فى الإسلام » .

(٦) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٢٧ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٨٥ : « صاعا من تمر » .

فنُخرِجه، ثم يخرُج إلى ظَاهر حَرّتنا[1] ونحن معه، فيستَسْقِي، فوالله مايقوم من مجلسه حتى يمرّ السَّحاب[2]؛ قد فعَل ذلك غيرَ مَرَّة ولا مرَّتين، ولا ثلاثة، فحضرَتْه الوفاة، واجتمعنا إليه، فقال: يامعشَر يهود، ماتُرَوْنَهُ أخرجَنى من أرض الخَمر[3] والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قالوا: أنت أعلم، قال: إنه إنما أخرجنى [أنى][4] أتوقَّع خروجَ نبىّ قد أظَلَّ زمانُه، هذه البلاد مُهاجرَهُ، [وكنت أرجو أن يبعث][4] فأتَّبِعه، [وقد أظلكم زمانه][4] فلا تُسْبَقُنَّ إليه إذا خرجَ يا معشَر يهود، فإنه يُبعَث بسفك الدِّماء، وسَبْى الذَّرارىّ والنساء ممن خالفه، فلا يمنعْكم ذلك منه. ثم مات؛ فلما كانت الليلة التى فُتحت فيها قُرَيظَة قال أولئك الثلاثة الفِتية، وكانوا شبابا أحداثا: يامعشَر يهود: والله إنه لَلنَّبىُّ الذى ذكَر لكم ابن الهَيَّبان، فقالوا: ما هو به، قالوا: بلى والله! إنها لصِفته[5]، ثم نزلوا فأسلَموا، وخلَّوا أموالَهم وأولادَهم وأهاليهم؛ فلما فتَح رسول الله الحِصن ردَّ ذلك عليهم.

ومنه ماروى أن عبدَ الله بن مسعود كان يُحدِّث[6] عن أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنهما، قال[7]: خرجتُ إلى اليمن فى تجارة قبل أن يُبعث النبى صلى الله عليه وسلم، فنزلتُ على شيخ من الأزد عالم، قد قرأ الكُتُب وحوَى علمًا كثيرا، وأتى عليه من

(١) فى سيرة ابن هشام، والسيرة الحلبية: «فنخرجها ثم يخرج بنا ... فيستسق».

(٢) فى سيرة ابن هشام، والسيرة الحلبية: «حتى يمر السحاب، ونسق».

(٣) فى السيرة الحلبية ١: ١٨٥: «من أهل الخمر»، بالتحريك، وبإسكان الميم، وهو الشجر الملتف.

(٤) عن سيرة ابن هشام ١: ٢٢٧.

(٥) فى سيرة ابن هشام ١: ٢٢٨: «والله إنه لهو بصفته».

(٦) انظر خير البشر لابن ظفر ص ٥٨ — ٥٩، والسيرة الحلبية ١: ٢٧٤.

(٧) رواية ابن ظفر ص ٥٨: «عنه أنه قال».

السن ثلاثمائة وتسعون سنة[١]، فلما تأملنى قال: أحسبك تيميا[٢] فقلت : نعم، أنا من تيم ابن مُرَّة، أنا عبدُ الله بن عُثمان بن عامرِ و بن عمرو بن كعب بن سعد[٣] بن تَيْم بن مُرَّة، قال: بَقيت[٤] لى فيك واحدة، قلت : ماهى؟ قال: اكشف لى عن بَطنك، قلت: لا أفعل أو تُخبرَنى لم ذلك، فقال : إنى لأجد فى العِلم الصَّحيح الصادق أن نبيّا يُبعَث بالحرَم يعاونه على أمره فتًى وكهل، فأما الفتَى فخوّاض غَمرات، وكشّاف مُعضِلات، وأما الكَهْل فأبيض نحيف، على بطنه شامة، وعلى فخِذه اليُسرى علامة، ولا عليك[٥] أن تُرِيَنى ماخفى علىّ؛ قال أبو بكر رضى الله عنه : فكشفتُ له عن بَطنى، فرأى شامةً سوداء فوق سُرَّتى، فقال : هو أنت[٦] وربِّ الكَعْبة، وإنى مُتقدِّم إليك فى أمرٍ فاحذره، قلت : وماهو ؟ قال إياك والميلَ عن الهُدَى وتمسَّك بالطريقة المُثْلى، وخَفِ الله عزّ وجلّ فيما أعطاك وخوّلك .

قال أبو بكر رضى الله عنه : فقضَيتُ باليمن أَرَبى، ثم أتيتُ الشيخَ لأودّعه، فقال[٧] : أحامِلٌ أنت مِنّى أنباءً إلى ذلك النّبىّ؟ قلت[٨] : نعم، فأنشأ يقول :

---

(١) ابن ظفر : « من السن ثلاثة وتسعون » .

(٢) فى خير البشر لابن ظفر : « أحسبك حرميا ، فقال أبو بكر : فقلت » ، وفى السيرة الحلبية ١ : ٢٧٥ : « أحسبك حرميا ، أحسبك قرشيا ، أحسبك تيميا » . وانظر الزرقانى ١ : ٢٤٠ .

(٣) فى خير البشر : « بن سعيد » .

(٤) فى الأصل : « لقيت » ، تصحيف . والتصويب عن خير البشر، والسيرة الحلبية ١ : ٢٧٥ .

(٥) فى خير البشر : « فلا عليك » .

(٦) فى خير البشر والسيرة الحلبية ١ : ٢٧٥ وشرح المواهب ١ : ٢٤٠ : « أنت هو » .

(٧) كذا فى السيرة الحلبية ١ : ٢٧٥ ، ورواية ابن ظفر فى خير البشر : « الشيخ أودّعه » .

(٨) فى خير البشر ، وشرح المواهب ١ : ٢٤٠ : « أحامل أنت منى أبياتا إلى ذلك النبى ، فقلت » ، وفى السيرة الحلبية : « أحافظ عنى أبياتا فى الشعر قلتها فى ذلك النبى ، قلت نعم » .

ألم تَرَ أنّى قد سئمت معاشرى * ونفسى وقد أصبحتُ فى الحىّ راهنا[1]
حَيِيتُ وفى الأيام للمرء عِبرةٌ * ثلاث مئين ثم تسعين آمِنا[2]
وصاحبتُ أحبارًا[3] أناروا بعلمِهم * غياهِبَ جَهلٍ ما ترى فيه طابِنا[4]
وكم راهب فوق عنشبيل[5] قائمٍ * لقيت وما غادرتُ فى البحث كاهِنا
وكلُّهم لما تعطّشتُ قال لى * بأن نَبيًّا سوف تلقاه دائنا[6]
بمكّةَ والأوثانُ فيها عزيزةٌ * فيركسها حتى تراها كوامِنا[7]
فما زلتُ أدعو الله فى كل حاضرٍ * حَلَلتُ به سِرًّا وجهرًا معالنا
وقد خمدت منّى شرارة قوّتى * وأُلفيتُ شيخًا لا أُطيق الشّواجنا[8]
وأنتَ وربِّ البيتِ تلقى محمّدًا * بعامِك هذا قد أقام البَراهِنا
فحىّ رسولَ الله عنّى فإننى * على دينِه أحيا و إن كنتُ واهنا[9]
فيا ليتنى أدركتُه فى شبيبتى * فكنتُ له عبدًا و إلا العُجَاهنا[10]
عليه سلام الله ما ذرَّ شارقٌ * تألّق هنّافا من النور هافنا[11]

(١) فى خير البشر ص ٦٢ : « الراهن : المقيم الثابت » . (٢) رواية ابن ظفر : « ثلاث سنين ثم تسعين » . (٣) فى مخطوط خير البشر ١٤ ظ : « وصافيت » .
(٤) الطابن : العارف بالشىء . (٥) كذا فى الأصل .
(٦) فى مخطوطة خير البشر : « كائنا » .
(٧) فى الأصل : « ... والأوثان منها ... كواهنا » .
(٨) الشواجن : الطرق المتداخلة المتخالفة ؛ أى لا أطيق السير فى هذه الأرض ، عن ابن ظفر .
(٩) الواهن : الضعيف . (١٠) العجاهن : الخادم .
(١١) كذا . وفى خير البشر ص ٦٢ : «وقوله : هافنا هو الضعيف» . ولم أجد فى معاجم اللغة ما يؤيده ، ولعلها : « آفنا » .

قال أبو بكر رضى الله عنه : فحفظتُ وصيتَه وشِعرَه وقدمتُ مكة، فجاءنى شَيْبةُ بن ربيعة، وأبو جَهل بن هشام، وأبو البَخْتَرى، وعُقبةُ بن أبى مُعَيط، ورِجالاتُ قريش مسلّمين علىّ، فقلت : هل حدَث أمر؟ فقالوا[1] : حدَث أمر عظيم، هذا محمد بن عبد الله يَزعُم أنه نَبىّ أرسله الله إلى النّاس، ولولا أنتَ ما انتظرنا به، فإذْ جئتَ فأنتَ البغيةُ والنُّهيةُ[2]، قال : فأظهرتُ لهم تعجُّبًا وصرفتُهم على أحسن شىء[3]، وذهبتُ أسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل لى : هو فى مَنزِل خَديجة، فقرعتُ الباب عليه فخرج إلىّ فقلتُ : يا محمّد، فقدت من نادِى قومك فاتهموك بالغيبة وتركت دين آبائك، فقال يا أبابكر، إنى رسول الله إليك وإلى الناس كلهم [فآمِن بالله][4]، فقلتُ وما آيتُك؟ قال : الشيخ الذى لقيتَه باليمن، قلت : وكم من شيخ قد لقيت، وبعت منه واشتريت، وأخذت وأعطيت! قال : الشيخ الذى أخبرك عنى، وأفادك الأبيات، قلت : من أخبرك بهذا يا حبيبى؟ قال : المَلَك العظيم الذى كان يأتى الأنبياءَ قبلى، فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . قال أبو بكر رضى الله عنه : فانصرفت وما أحد أشدّ سرورا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامى .

وأما من ذكر صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مَبعَثِه ورؤيته له، وذكَر قومه بها، وحقّق عندهم أنه هو، لما كان يجد عنده من العلم بصفته صلى الله عليه وسلم .

(١) فى خير البشر : « قالوا حدث » .

(٢) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٧٥ : « فأنت الغاية والكفاية » .

(٣) فى الأصل : « فصرفتهم فى حس مس » ، والمثبت عن السيرة الحلبية ١ : ٢٧٥ ، وانظر شرح المواهب ١ : ٢٤٠ .

(٤) عن السيرة الحلبية ١ : ٢٧٥ ، وخير البشر (ورقة ١٥ ظ) وشرح المواهب ١ : ٢٤٠ .

فمن ذلك ما رُوِى[1] أن صفية بنت حُيَىّ بن أَخطَب قالت : كنت أحبَّ الناس إلى أبى ، وكان عَمى أشدَّ حُبّاً لِى ، فأتيا النبىّ صلى الله عليه وسلم بقُبَاء ، ثم رجَعا من عنده ثقيلَيْن لا يلتفتان نحوى ، ولا يَنظران إلىّ ، فسمعتُ عَمّى يقول لأبى : هل تعرفُه؟ قال : نعم . قال فماذا عندك فيه؟ قال : عَداوتُه إلى آخر الدّهر ، قال عمى لأبى : أُنشِدُك اللهَ أن تطيعنى يأخى فى هذا ، ثم اَعصِنى فيما سواه ، هلُمَّ نتبعه ، فقال أبى : لا ؛ والله لا أُراك له عدوّا ، فقال عمى : إنك تُهلِكنا ، وتُهلِك نفسك ، إن هذا نبىّ السَّيف ، وجعل عَمى يكلّمه وهو يأبى إلا كلامَه الأول ، قالت صفية : فلما كان الليل ، وجدت نِسوةً من بنى النَّضير جالسات يقلن : والله ما أحسن حُيَىّ ابن أخطب بخلاف أخيه ، إنا لنعلم أن هذا نبىّ مذكور فى الكتب ، وقالت عَجوز منهنّ : سمعتُ أبى يقول لإخوتى : إن نَبيا من العرب يقال له أحمد ، مولِده بمكة ، ودار هجرته يثرب ، وهو خير الأنبياء ، فإن خرج وأنتم أحياء ، فاتّبِعوه ؛ قالت صَفِية : وإذا هن كلهنّ يُزرِين على أبى ، ويتعتَّبن عليْه فعلَه .

ومنه ما قاله كعب بن عَمرو لبنى قُرَيظة عند حِصارهم . وسنذكر ذلك إن شاء الله فى الغزوات ، وقد تقدّم خبر بَحيرا ، ونَسْطُور ، فلا فائدة فى إعادته هنا .

وأما من أظهر صُحُفا كانت عنده فيها صريح ذكره صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك ما رُوِى أن رجلاً أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم بورَقةٍ ورِثها عن أبيه عن جدّه ، وذكر أن سلفَه كانوا يتوارثونها على وجه الدهر ، فإذا فيها : « اسمُ الله وقوله الحق ، وقول الظالمين فى تَبارٍ ، هذا ذكرٌ لأمّةٍ تأتى فى آخر الزّمان ، يأتزِرون على أوسَاطهم ، ويغسلون أطرافَهم ، ويخوضُون البَحر إلى أعدائهم ، فيهم صلاة

(١) روى ابن هشام هذا الخبر بمعناه مختصرا فى السيرة ٢ : ١٦٥ .

لو كانت فى قَوم نُوح ما هلَكوا فى الطوفان ؛ أو فى ثمود ما أهلكوا بالصَّيْحة » ، قال : فقُرِئت الورقةُ على الناس ، وأمَر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظِها .

ومنه ما رُوِى أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه نزل بالبَلِيح[1] إلى جانب دير ، فأتاه قَيِّم الدير فقال يا أمير المؤمنين : إنى وَرِثت عن آبائى كتاباً قديما كتَبه أصحابُ المسيح عليه السلام ؛ فإن شئتَ قرأتُه عليك ؛ قال : نَعَم ، هات كتابك ؛ فجاء بكتاب فإذا فيه : الحمد لله الذى قضَى ما قضَى ، وسَطَّر ما سَطَّر ، إنّه باعث فى الأمّيين رسولًا يعلِّمهم الكتابَ والحكمة ، ويَدُلُّهم على سبيل الجنة ، لا فَظٌّ ولا غَليظ ، ولا صَخّاب فى الأسواق ، ولا يَجْزِى بالسيئةِ السّيئة ، ولكن يعفو و يصفَح ، أمتُه الحَمَّادُون لله فى كل هُبوط ونَشْزٍ وصُعود ، تذلل ألسنتهم بالتكبير والتهليل ، يُنْصَر دينهم على كل من ناوأه .

ومنه ما روى أن أبا ذُؤيب الزَّاهد قال : دخلت فى سياحتى ديرا فقلت للراهب القَيِّم عليه : أعندك فائدة ؟ قال : نعم . لك يا عربىّ ، قلت : هاتها ! قال : فأخرج لى ورقةً فيها أربعةُ أسطر ، فذكر أنها من الكتب المنْزَلة ؛ ففى السطر الأوّل منها : يقول الجبّار تبارك وتعالى : أنا الله لا إله إلا أنا وَحْدى لا شريك لى ؛ والسطر الثانى : محمد المختار عبدى ورسولى ؛ والسطر الثالث : أمته الحَمَّادون ، أمته الحَمَّادون ، أُمَّتُه الحَمَّادون ؛ والسطر الرابع : رعاة الشمس ، رعاة الشمس ، رعاة الشمس .

وأما من أظهر تِمثال صُورته صلى الله عليه وسلم وصُوَر بعض أصحابه رضى الله عنهم ، وذلك مصوّر عندهم فى بيوت فى بِيَعهم .

---

(١) معجم البلدان ٢ : ٢٨٢ .

فمن ذلك ما روى عن دِحية بن خليفة الكلبيّ رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر أنه قال : لقيت قيصر بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدمشق ، فأُدخلت عليه خاليا ، فناولته الكتاب فقبّل خاتمه وفضّه وقرأه ، ثم وضعه على وسادة أمامه ، ثم دعا بطارقته وزُعماء دينه فقام فيهم على وسائد بُنيت له ، ثم خطبهم فقال : هذا كتاب النبيّ الذى بشّر به عيسى المسيح ، وأخبر أنه من ولد إسماعيل ، قال : فنخروا نخرة عظيمة ، وحاصُوا فأومى إليهم بيده أن اسكتُوا ، ثم قال : إنما جرّبتُكم لأرى غضبكم لدينكم ، ونصركم له ، وصرفهم[1] ، ثم استدعانى من الغد فأخلانى ، وأنّسنى بحديثه ، وأدخلنى بيتا عظيما فيه ثلاثمائة وثلاثة عشر صورة ، فإذا هى صور الأنبياء المرسلين صلى الله عليهم[2] وسلم فقال : انظر مَن صاحبك مِن هؤلاء ، فنظرتُ فإذا صورة النبيّ صلى الله عليه وسلم كأنما ينطق ، فقلت : هو هذا ، فقال : صدقت ، ثم أرانى صورة عن يمينه فقال : من هذا ؟ قلت : هذه صورة رجل من قومه آسمه أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ، فأشار إلى صورة أخرى عن يساره ، فقلت : هذه صورة رجل من قومه يقال له عمر رضى الله عنه ، فقال : إنا نجد فى الكتاب أن بصاحبيه هذين يُتمّ الله أمره . قال دِحْية : فلما قدمتُ على النبيّ صلى الله عليه وسلم أخبرتُه ، قال : صدق ، بأبى بكر وعمر يُتمّ الله هذا الأمر بعدى . والله الموفق .

ومنه ما رُوِى عن حَكيم بن حِزام[3] قال : دخلتُ الشام للتجارة[4] قبل أن أسلم ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكّة ، فأرسل قيصرُ إلينا[5] ، فجئناه ومعنا أميّةُ بن

(١) فى الأصل : «وصرفه» . (٢) فى الأصل : «صلى الله عليه» . (٣) حديث حكيم هذا مروى فى السيرة الحلبية ١ : ١٨٦ . (٤) فى السيرة الحلبية ١ : ١٨٦ : «الشام لتجارة» .
(٥) فى السيرة الحلبية ١ : ١٨٦ : «فأرسل إلينا ملك الروم» .

أبى الصَّلت الثَّقَفىّ ، فقال : من أى العرب أنتم ؟ وما قرابتكُم من هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ فقال حكيم : فقلت أنا ابن عمه ، يجمعنى وإياه الأب الخامس ، فقال : هل أنتم صادقىَّ فيما أُرِيكُمُوه وأسألكم عنه ؟ قلنا : نعم ، نَصدُقك أيها المَلك ، فقال : أنتم ممن اتَّبعه أو ممن ردّ عليه؟ قلنا : ممن ردّ عليه ما جاء به وعاداه ، ولكنّا نَصْدُقك مع هذا ، قال : آحلفوا لى بآلهتكم لتَصدُقُنّى فى جميع ما أسألكم عنه وأَعرِضه عليكم ، فحلفنا له وأعطيناه من المواثيق ما أرضاه ، فسألنا عن أشياء مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بها ، ثم نهض واستنهَضنا معه ، فأتى كنيسة فى قصره ، فأمر بفتحها ودخل ونحن معه ، وجاء إلى سترٍ وأمر بكشفه فإذا صورة رجل ، قال : أتعرفون مَن هذه صورتُه ؟ قلنا : لا . قال : هذه صورة آدم ، ثم تتبّع أبواباً يفتحُها ويكشِف عن صور الأنبياء واحدا بعد واحد ، ويقول : هذا صاحبكم[(١)] ؟ فنقول : لا . حتى فتَح باباً وكشف لنا سترا عن صورة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم ، هذه صورة صاحبنا ، فقال : أتدرون منذ كم صُوِّرت ؟ قلنا : لا . قال : منذ أكثر من ألف سنة ، فإن صاحبكَم نبىٌّ مرسل فآتّبِعوه[(٢)] ، ولودِدت أنى عنده فأشرب ما يغسِل من قدميه[(٣)] .

وقد ورد فى الصحيحين[(٤)] خبرُ قيصَر مع أبى سُفيان لمّا سأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

---

(١) فى السيرة الحلبية ١ : ١٨٦ : « أما هذا صاحبكم » .

(٢) فى السيرة الحلبية : « وإن صاحبكم لنبى » .

(٣) فى الأصل : « قدميه » .

(٤) صحيح البخارى ١ : ٤ ، ٨ : ٤٩ .

ومنه ما روى عن جُبَير بن مُطْعِم (١) أنه قال : لما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم: خرجتُ تاجرا إلى الشام ، فأرسل إلىّ عظيمُ الأساقفة فأتيته فقال : هل تعرف هذا الرجل الذى ظهر بمكة ، يزعم أنه نبىّ ؟ قال : فقلت هو آبن عمى ، فأخذ بيدى وأدخلَنى بيتًا فيه تماثيلُ وقال : انظر ترى صورته ههنا ؟ فنظرتُ فلم أر شيئا فأخرجنى من ذلك البيت ، وأدخلَنى بيتا أكبرَ منه فيه مثلها ، وقال: انظر هل تراه ههنا ، فنظرت فإذا صورة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وإذا صورة أبى بكر وهو آخِذٌ بعَقِب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وإذا صورةُ عمر وهو آخِذٌ بعَقِب أبى بكر، فقال : هل رأيته ؟ فقلت : نعم هوذا، قال : أتعرف الذى أخذ بعقبه؟ قلت : نعم، هو آبن أبى قُحَافَة، قال: وهل تعرف الذى هو آخِذٌ بَعقبه ؟ قلت نَعم، هذا عمر بن الخطاب آبن عمّنا ، فقال : أشهَد أنه رسول الله، وأن هذا هو الخليفة من بَعدِه ، وأن هذا هو الخليفة من بعدِ هذا .

وهذا باب متسع لو استقصيناه لطال، ولو سطرنا ما وقفنا عليه منه لانبسطت هذه السيرة ، وخرجت عن حدّ الاختصار ، وفيما أوردناه كفاية .

فلنذكر بشائر كُهّان العرب والله أعلم .

وأما من بَشّر به صلى الله عليه وسلم من كُهّان العرب فقد قدمنا فى الباب الثالث من القسم الثانى من الفن الثانى من كتابنا هذا أخبارَ الكهنة، وذكرنا طَرَفا من إخبارهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، مما نستثنيه فى هذا الموضع ، ونَذكُر ما عداه ، ولا يُشترَط الاستيعاب لتعذُّره، ولا إثباتُ جميع ما وقَفنا عليه أيضا من ذلك لأنه يُوجِب البَسط والإطالة ، بل نذكُر من ذلك ما نقف إن شاء الله تعالى عليه مما فيه الكفاية ، وإن كانت نبوّة نبيّنا صلى الله عليه وسلم أظهرَ

(١) نقله فى السيرة الحلبية مختصرا ١ : ١٨٦ .

وأشهر وأقطع من أن يُحتاج فيهـا إلى ذكر ما ذكرناه ، وما نذكره ، وإنمـا نُورد ما أورَدناه ليقف عليه من لم يتتبع أحوالَه صلى الله عليه وسلم ،ولا طالَع سِيرَه،وليعلم أن امره صلى الله عليه وسلم لم يَفجأ الناس ، بل جاءهم على بيِّنـةٍ واستبصار، وآثار وأخبار، ومعجزات ظهرت ، نذكرها بعد إن شاء الله تعالى .

فمن بَشائر الكُهّان رؤيا رَبيعة بن نصر وتأويل سَطيح وشِقّ لهـا .

قال محمـد بن إسحاق بن يَسار المطَّلبيّ[1] : كان ربيعـة بن نصر ملِك اليمن بين أضعاف ملوك التَّابعـة ، فرأى رؤيا هالته [وفَظِع بها][2]، فلم يدَع كاهنا ولا ساحرا ولا [عائفـا ولا][2] مُنجِّما من أهل مملكته إلا جمعَه إليه ، فقال لهم : إنى قد رأيت رؤيا هالتنى وفظِعتُ بها ، فأخبرونى بها وبتأويلها ، قالوا له : اقصُصها علينا نخبرْك بتأويلها ، قال : إنى إن أخبرتُكم بهـا لم أطمئنّ إلى خَبَركم عن تأويلها ، فإنه لا يعرفُ تأويلها إلا من عَرفَها قبلَ أن أُخبره بها ، فقال له رجل منهم : فإن كان المَلِك يريد هـذا فليبعث إلى سَطيح وشِـق[3] ، فإنه ليس أحدٌ أعلم منهما ، فإنهما يُخبرانه بمـا سأل عنه .

قال ابن هشام : واسم سَطِيح[4] : رَبيع بن رَبيعة بن مسعود بن مَازن بن ذِئب ابن عَدىّ بن مَازن بن غَسّان[5] . وشِقّ بن صَعب بن يَشكُر بن رُهم بن أفرَك بن قَيْس ابن عَبْقَر بن أنْمار بن نزار .

(١) نقله ابن هشام فى السيرة ١ : ١٥ ، وانظر دلائل أبى نعيم ص ٨٦ . (٢) زيادة عن ابن هشام ١ : ١٥ ، وفظع بالأمر : اشتدّ عليه . (٣) يذكر عن وهب ابن منبه أنه قال لسطيح أنى لك هذا العلم ، فقال : لى صاحب من الجن استمع إلى أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله موسى . فهو يؤدّى إلىّ من ذلك ما يؤدّيه . انظر الروض الأنف ١ : ١٨ . (٤) فى المعمرين ص ٤ — ٥ ذكر لسطيح ، ومولده ، وانظر الروض الأنف ١ : ١٩ ، والخشى ١ : ٧ .
(٥) فى الأصل : «بن حسان» والمثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ١٦ .

قال ابن إسحاق :

فبعث إليهما ، فقدم عليه سَطِيح قبل شِق ، فقال له : إنى رأيتُ رؤيا هالتنى وفَظِعت بها فأخبرنى بها ، فإنك إن قضيتها أصبتَ تأويلها[1] ، قال : أفعل ؛ رأيتَ حُمَمة[2] ، خرجت من ظُلُمَة ، فوقعت بأرض تَهَمة[3] ، فأكلت منها كلَّ ذات جُمْجُمة[4] ؛ فقال له الملك : ما أخطأتَ منها شيئًا يا سَطِيح ، فما عندك فى تأويلها ؟ قال : أَحلِفُ بما بين الحَرَّتين[5] من حَنَش ، لتهبِطُنّ أرضَكم الحَبَش ، فليَملكُنَّ ما بين أَبْيَن[6] إلى جُرَش[7] ، فقال الملك : وأبيك يا سَطِيح إن هذا لنا لَغائظ مُوجِع ، فمتى هو كائن ، أفى زَمانى أم بعدَه ؟ قال : لا ، بل بعدَه بحين ، أكثر من ستّين أو سبعين ، يمضين من السنين ، قال : أفيَدوم ذلك من مُلكهم أم ينقطِع ؟ قال : لا ، بل ينقطع لبِضع وسَبعين من السنين[8] ، ثم يُقتَلون ويُخرَجون منها هاربين ، قال : ومن يلى ذلك من قَتلِهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إِرَم[9] ذى يَزَن ، يخرُج عليهم من عَدَن ، فلا يترُك منهم أحدا باليمن ، قال : أفيَدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع ، قال : ومَن يقطعه ؟ قال : نبىّ زكىّ ، يأتيه الوَحى من قِبَل العلىّ ، قال : وممن هذا النبىّ ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر ، يكون المُلك فى قومه إلى آخر الدَّهر ، قال : وهل للدهر من آخِر ؟ قال : نعم ، يوم يُجمَع فيه الأوَّلون

(١) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦ : « فإنك إن أصبتها أصبت » . (٢) الحممة : قطعة من نار ، وفى الأصل : « جمجمة » تصحيف . (٣) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦ : « بأرض تهمة » . والتهمة : الأرض المنخفضة ، انظر السهيلى ١ : ١٩ . (٤) الجمجمة : الرأس . (٥) الحرة : أرض فيها حجارة سود . خشنى ١ : ٨ . (٦) أبين بفتح الهمزة وتكسر : بلد باليمن . انظر السهيلى ١ : ١٩ ، والخشنى ١ : ٨ . (٧) جرش بضم الجيم وفتح الراء : من مخاليف اليمن من جهة مكة ، وقيل مدينة باليمن . (٨) فى دلائل أبى نعيم ص ٨٧ : « لبضع وستين » . (٩) رواية أبى نعيم : « يليه ابن ذى يزن » .

والآخرون، يَسعَد فيه المُحسنون ، ويَشقَى فيه المسيئون، قال : أحقٌّ ما تُخبرنى ؟ قال : نَعم، والشَّفَق والغَسَق، والفلَق إذا اتَّسق، إن ما أنبأتُك به لحَق .

ثم قدِم عليه شِقٌّ فقال له كقوله لسَطيح ، وكتَمه ما قال سَطيح ، لينظر أيتَّفقان أمْ يختلفان ؟ فقال[1] : نعم، رأيتَ حُمَمة[2]، خرجت من ظُلُمة، فوقعت بين روضةٍ وأَكَمة ، فأكلت منها كل ذات نَسَمَة .

فلما قال ذلك عرف أنهما قد اتَّفقا ، وأن قولهما واحدٌ، فقال له الملك : ما أخطأتَ ياشِقّ منها شيئا ، فما عندك فى تأويلها ؟ فقال : أَحلِفُ بما بين الحرَّتين من إنسان، لينزلُنَّ أرضكم السودان، فليغلبُنَّ على كلِّ طَفلة[3] البَنان، وليملكُنّ ما بين أَبيَنَ إلى نَجْران، فقال له الملك : وأبيك ياشِقّ، إن هذا لنا لغائظٌ موجع، فمتى هو كائن أفى زمانى أم بعدَه؟ قال: لا، بل بعدَه بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذُو شان ، ويذيقهم أشدَّ الهوان ، قال : ومن هذا العظيم الشان ؟ قال : غلام ليس بدَنِىٍّ[4] ولا مُدَنٍّ[5] يخرج عليهم من بيت ذى يَزَن، قال: أفيدوم سلطانُه أم ينقطع؟ قال : بل ينقطع برسول مُرسَل ، يأتى بالحق والعَدْل بين أهل الدين والفضْل ، يكون المُلْك فى قومه إلى يوم الفَصْل، قال : وما يومُ الفَصْل ؟ قال : يوم تُجزَى فيه الوُلاة، يدعَى فيه من السماء بدَعَوات، يُسمع فيها الأحياء والأموات ، ويُجمَع فيها الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتَّقى الفوزُ والخيرات ، قال : أَحَقٌّ ما تقول ؟ قال: إى وربِّ السماء والأرض، وما بينهما من رَفع وخَفْض، إنّ ما أنبأتُك به لحق ما فيه أَمَض[6] ، قال : فوقع فى نفس رَبيعةَ بن نَصر ما قالا ، فجهّز بنيه وأهلَ بيته

(١) فى الأصل : « قال » . (٢) فى دلائل أبى نعيم ص ٨٧ : « جمجمة » تصحيف .
(٣) الطفلة : الناعمة الرخصة . (٤) الدنىّ : المقصر فى الأمور أو الذى يتبع خسيسها .
(٥) المدنى : الذى جمع الضعف مع الدناءة . وانظر الروض الأنف ١ : ١٩ .
(٦) الأمض : الشك أو الباطل . خشنى ١ : ٨ . وانظر ابن هشام ١ : ١٩ .

إلى العـراق بمـا يُصلحهم ، وكتب إلى مَلِكٍ من ملوك فارس يقـال له سابور ، فأسكنهم فى الحيرة ، فمن بقيةٍ ولد رَبيعة بن نَصر النُّعمانُ المنذر .

ومن ذلك ما رُوى أن مَرْثَد بن عبـد كَلال قفَل من غَزاة غزاها بغنائمَ عظيمة، فوفَد عليه زعماء العَرَب وشعراؤها وخطباؤها يُهنّونه، فرفع الحجـابَ عن الوافدين، فأوسَعهم عطاءً، واشتدّ سرورُه بتقريظ الخطباء والشعراء، فبينا هو على ذلك أُرِىَ فى المنام رؤيا أَخافته وذعَرَتْه وهالَتْه فى حال مَنامه ، فلما انتبـه أُنسيهَا حـتى ما تذكَّر منها شيئا ، وثبَت ارتياعُه فى نفسه لهـا ، فانقلب سرورُه حزنا ، فاحتجَب عن الوفود حتى أساءوا الظن به، ثم حشَد الكُهّان، فجعل يخلو بكاهن كاهن ثم يقول : أخبِرْنى عما أريد أن أسألك ، فيجيبُه الكاهن بأن لا علمَ عندى، حتى لم يدَع كاهنًا علمه، فتضاعف قلقُه، فقالت له أمُّه، وكانت قد تكهّنت : أبيتَ اللعن ! إن الكواهن أهـدَى إلى ما تسألُ عنـه ، لأن أتباع الكواهن من الجن ألطَف من أتباع الكُهّان ، فأمَرَ بحشر الكواهن إليه ، وسألهن كما سأل الكُهّـان فلم يجد عند واحدة منهن علمَ ما أراد علمَه ، فلما يئس من طَلِبته سلا عنها ؛ ثم إنه بعد ذلك ذهَب يتصيّد فأوغَل فى الصيد ، وانفرد عن أصحابه ، فرُفِعت له أبياتٌ فى ذُرَى جبل وقـد لفَحه الهجير، فعدل إلى الأبيات ، وقصَد منها بيتا منها كان مُنفردًا عنهـا ، فبرزَت إليه منه عجـوزٌ فقالت : انزل بالرَّحب والسَّعة ، والأمن والدَّعة ، والجفنة المدعْدعة ، والعلبـة المترعة ، فنزل عن جواده ودخل البيت ، فلمـا احتجبَ عن الشمس وخفَقَت عليـه الأرواح نام فـلم يستيقظ حتى تَصرَّم الهجير، فجلس يمسح عينيـه فإذا بين يديه فتـاة لم ير مثلها جمـالا وقَواما ، فقالت له : أَبيتَ اللَّعن أيها الملك الُهمام ! هل لك فى الطعام ؟ فاشـتدّ إشفاقه ، وخاف على نفسه لمـا رأى أنهـا قد عرفَتْـه ، وتصامم عن كلمتها ، فقالت له :

لا حذَر ، فِـدَاك البشر ، بجَـدّك الأكبر ، وحظُّنا بك الأوفر ، ثم قرّبت إليـه ثريدا وقديدا وحَيْسًا ، وقامت تذب عنـه حتى انتهى أكله ثم سقته لبنـا صريفا وضَريبا فشرب ما شاء ، وجعل يتأمّلها مقبلة ومدبرة فملأت عينيه حُسنا ، وقلبَه هَوًى ، ثم قال لها : ما اسمك ياجارية ؟ قالت : اسمى عُفَيراء ، قال لها : من الذى دعوته الملِك الهمام ؟ قالت : مرثد العظِيم الشان ، الحاشرُ الكواهِنِ والكُهّان ، لمعضلة يُعَلّ بها الجان ، قال يا عُفيراء : أتعلمين ما تلك المعضلة؟ قالت : أجل أيها الملك الهُمام ، إنها رؤيا مَنام ، ليست بأضغاث أحلام ، قال : أصبت يا عُفيراء ، فما تلك الرؤيا ؟ قالت : رأيت أعاصير زوابع ، بعضها لبعض تابع ، فيها لهب لامع ، ولها دُخان ساطع ، يقفوها نهر مُتدافع ، وسمعتَ فيما أنت سامع ، دعاء ذى جرس صادع : هلمّوا إلى المشارع ، هَـلُمُوا إلى المشارع ، رَوِىٌّ جارع ، وغَرِق كارع . قال الملك : أجل هذه رؤياى ! فما تأويلها يا عفيراء ؟ قالت : الأعاصير[1] الزوابع ، ملوكُ تَبـابع ، والنهر علم واسـع ، والداعى نبى شافع ، والجـارع ولىٌ له تابع ، والكارع عدو له منازع . قال : يا عفيراء أَسَلْمٌ هذا النبىّ أم حرب ؟ قالت : أقسم برافع السماء ، ومُنزِل المـاء من العَماء[2] ، إنه لمُبطِـل الدماء ، ومُنطـق العقائل نطق الإماء . قال الملك : إلام يدعو يا عُفَيراء ؟ قالت : إلى صلاة وصيام ، وصِـلة أرحام ، وكسر أصنام ، وتعطيل أزلام ، واجتناب آثام . قال الملك : يا عفيراء ، مَن قومُه ؟ قالت : مضر بن نِزار ، ولهم منه نقع مثار ، يتجَلَّى عن ذَبح و إسار ، قال : يا عُفيراء : إذا ذَبح قومه فمن أَعضادُه؟ قالت : أَعضادُه غطاريف يمانون ، طائرهم به ميمون ، يعزبهم فيعزون[3] ، ويُدمّث بهم الحـزون ، فإلى نَصره يعتزون ، فأطرق

(١) فى الأصل : « قالت : الزوابع » . (٢) فى الأصل : « ومنزل العماء » ، والذى أثبت عن تاريخ الخميس ١ : ٢٩ . (٣) فى تاريخ الخميس : « يغزو بهم فيغزون » .

الملك يؤامر نفسه فى خِطبتها، فقالت : أبيتَ اللَّعن ! إن تابعى غَيور، ولأمرى صبور، وناكحى مقبور، والكَلَف بى ثُبور . فنهَض الملك مُبادرا، بجَال فى صهوة جَواده، وانطلق فبعث إليها بمائة ناقة كوماء .

ويشبه ما ذكرناه رؤيا المو بذان وقد تقدّمت فى أخبار الكهان .

٥ ومن ذلك ما روى عن لهيب بن مالك اللّهبى أنه قال : حضرتُ عند[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت الكهانة[2] فقلت : بأبى أنت وأمى يا رسولَ الله! نحن أوّلُ من عرف حِراسة السماء وزجر الشياطين ، ومنعَهم من استراق السمع عند القذف بالنجوم؛ وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له خَطَر بن مالك، وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائة سنة وثمانون سنة ، وكان أعلم كُهّاننا[3]، فقلنا له :

١٠ يا خطر[4]، هل عندك علم من هذه النجوم التى يُرْمى بها؟ فإنا قد فزعنا لها، وقد خفنا سوءَ عاقبتها، فقال : ائتونى بسَحَر[5]، أخبرْكم الخبرَ[6]، بخيرٍ أم ضرر ، وأمْنٍ أم حَذَر؛ قال : فانصرفنا عنه يومَنا، فلما كان من غدٍ فى وجه السحَر أتيناه ، فإذا هو قائم على قدمَيه شاخص إلى السماء بعينَيه ، فناديناه يا خطر ، فأومأ إلينا أنِ آمسكوا

---

(١) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ : « حضرت مع » .

١٥ (٢) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ : « فذكرت عنده الكهانة » .

(٣) رواية السيرة الحلبية : «وقد أتت عليه مائتا سنة ... وكان من أعلم» . وفى الخميس ١ : ٣٠ : « قد أتى عليه من العمر مائة وثمانون سنة ، وكان من أعلم » .

(٤) خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة والراء ، عن السيرة الحلبية .

(٥) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ : « ائتونى قبيل الفجر » .

٢٠ (٦) هكذا رواية الديار بكرى فى الخميس ١ : ٣٠ ، وفى السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ : « الخبر، الخير أم الضرر » .

فأمسكنا، فانقضّ نجم من السماء عظيم، فصرَخ الكاهن : أصابَه إصابُه[١]، خامَره عقابُه، عاجلَه عذابه، أحرقَه شهابُه، زايلَه جوابُه، يا ويله ما حالُه، بَلْبَلَه بَلبالُه[٢]، عاوده خَبالُه، تقطعت حِباله، وغيرت أحواله؛ ثم أمسك طويلا، ثم قال : يا معشر بنى قَحطان، أخبركم بالحق والبيان، أقسمتُ بالكعبة ذاتِ الأركان، والبلَد المؤتمن السكان[٣]. قد منع السمعَ عتاةُ الجان، بثاقبٍ بكفّ ذى سلطان، من أجل مبعوثٍ عظيم الشان، يبعث بالتنزيل والقرآن، وبالهُدَى وفاضل الفرقان، تبطل به عبادة الأوثان. قال : قلنا يا خَطَر، إنك لتذكر أمرا عجيبا، فماذا ترى لقومك؟ فقال :

أرى لقومى ما أرى لنفسى * أن يتبعوا خير نبى الإنس

برهانه مثل شعاع الشمس * يبعث من مكةَ دار الحمس[٤]

* بمحكم التنزيل غير اللبس *

قلنا : ياخطر، وممّ[٥] هو؟ فقال : والحياةِ والعيْش، إنه لمن قُريش. ما فى حكمه طيش، ولا فى خُلُقه هيش[٦]، يكون فى جيش وأىّ جيش، من آل قحطان وآل رَيْش[٧]. قال : قلنا بيّن لنا من أىّ قريش هو، قال : والبيتِ ذى الدّعائم، والرُّكن

(١) إصابه : جمع وصب بحمل وجمال، فالهمزة بدل من الواو. عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨. والمعروف أن جمع وصب أوصاب.

(٢) البلبال : الغم.

(٣) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ : «السدان»، والسدان : الخدم.

(٤) الحمس : بضم الحاء المهملة وإسكان الميم : هم قريش، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢٠٩.

(٥) فى تاريخ الخميس : «وممن».

(٦) هيش : أى ليس فى طبيعته وسجيته قول قبيح. عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٩.

(٧) إيش، ويقال : ريش، وهى قبيلة من الجن. عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٩.

والأحائم[1]، إنه لمن نَجل هاشم، من معشرٍ أكارم، يُبعث بالملاحم، وقتلِ كلّ ظالم؛ ثم قال : هذا هو البيان، أخبرَني به رئيس الجانّ؛ ثم قال : الله أكبر، جاء الحق وظهَر، وانقطع عن الجنّ الخبرَ؛ ثم سكَت[2] فأُغمى عليه، فما أفاق إلا بعد ثلاث[3] فقال : لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد نطق عن مثل نُبوّة، وإنه ليُبعث يوم القيامة أمّةً وحده » . والله أعلم .

ومنه ما روِى أن سفيان بن مُجاشع بن دارِم احتمل دياتِ دماءٍ كانت من قومه، فخرج يستعين فيها، فدفع إلى حَىّ من تميم، فإذاهم مجتمعون إلى كاهنة تقول : « العزيزُ من وَالَاه، والذَّليل من خالاه، والموفورُ من مَالاه، والموتُور من عَاداه » ؛ قال سفيان : من تذكُرين لله أبوك ؟ فقالت : « صاحبَ حِلّ وحرم، وهدى وعلم وبطشٍ وحِلم، وحرب وسَلْم، رأس رءوس، ورائض يمسوس[4]، وماحِى بوس، وماهد وُعُوس، «وناعِش منعوس»[5]؛ قال سفيان : من هو لله أبوك؟ قالت : « نبىّ مؤيّد، قد آن حين يوجد، ودنا أوان يولد، يبعث إلى الأحمر والأسود، بكتاب لا يفنّد، اسمه محمد» ؛ قال سفيان : لله أبوك، أعربىّ هو أم عجمىّ؟ قالت : «أما والسماء ذات العَنان، والشجر ذاتِ الأفنان، إنه لمن مَعَدّ بن عدنان، فقدْك يا سفيان » ؛ فأمسك سفيان عن سؤالها، ثم إن سفيان وُلِد له غلام فسماه محمدًا لما رجاه من أن يكون النبيَّ الموصوف .

ومنه ما رُوى أن عَمرو بن مَعديكرب عوتب على ارتداده عن الإسلام فقال : واللهِ ما هو إلا الشّقاء، ولقد علِمت أن محمدًا رسولُ الله قبل أن يوحَى إليه، قيل : كيف كان ذلك يا أبا ثور؟ قال : حدَث بين بنى زُبَيد تَناجُش وتَظالُم، ونما

(١) الأحائم جمع الجمع لـ « حوم » ، ويريد بها بئر زمزم . وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢٠٩ .
(٢) فى السيرة الحلبية : «ثم سكن وأغمى» . (٣) فى السيرة الحلبية : «بعد ثلاثة أيام» .
(٤) كذا . ولعله « يسوس » . (٥) فى النص كلمات غير واضحة لم نهتد إلى تصويبها .

إلى أن سفك بعضهم دماء بعض ، ففزع حلماؤهم إلى كاهنٍ لهم رَجَوا أن يكون عنده المخرَج مما نزل بهم ، فقال الكاهن : « أُقسِم بالسماء ذات الأبراج ، والأرض ذات الأدراج ، والريح ذات العَجاج ، والبِحار ذات الأمواج ، والجبال ذات الفِجاج ، إنّ هـذا الإمراج والارتجاج ، لِلَقاح ذو نَتاج » ؛ قالوا : وما نَتاجُه ؟ قال : « ظهور نبيّ صادق ، بكتاب ناطق ، وحسام وافِق[1] » ، قالوا : أين يظهر؟ وإلامَ يدعو ؟ قال : « يظهر بصلاح ، ويدعو إلى الفَلاح ، ويُعطِّل القداح ، وينهَى عن الرَّاح والسِّفاح ، وعن كل أمر قُباح » ؛ قالوا : ممن هو؟ قال : « من وَلد الشيخ الأكرم ، حافرِ زَمزَم ، ومُطعِم الطير الحُوَّم ، والسباع الصُوَّم » ؛ قالوا : وما آسمه ؟ قال : « آسمه محمد ، وعزّه سَرمَد ، وخَصمه مُكمَد » .

فهذه جملة كافية من أخبار الكُهّان . فلنذكر ما نطق به الجانّ من أجواف الأصنام ، وما سُمِع من الهواتف ، والله المستعان .

وأما مَن بشّر به عليه الصلاة والسلام من الجانّ الذين نطقوا من أجواف الأصنام وما سمع من العتائر .

فمن ذلك ما رُوِى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى سبب إسلام عمر ، وأنه كان قد ضمِن لقريش قتلَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وخرج لذلك ، فمرّ بقومٍ من خُزاعة وقد اعتمدوا صنَمًا لهم يريدون أن يتحاكموا إليه ، فقالوا لعمر : أُدخل لتشهد الحكم[2] ، فدخل معهم ، فلما مثلوا بين يدى الصّنَم سمعوا هاتفًا من جوفه يقول :

يأيها الناس ذوو الأجسامِ[3] * ما أنتمُ وطائش الأحلامِ

(١) رواية السيرة الحلبية ١ : ١٩٦ : « وحسام فالق » . (٢) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠٢ : « كان أبو هريرة يحدث أن قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا ، وكانوا يتحاكمون إلى أصنامهم ، فبينا الخثعميون عند صنم لهم إذ سمعوا هاتفا يهتف ويقول » . وانظر شرح المواهب ١ : ٢٧٦

(٣) رواية الأبيات بهـذه الصورة فى شرح المواهب ١ : ٢٧٦ ، وفى السيرة الحلبية ١ : ٢٠٣ تختلف روايتها عما هنا زيادة ونقصا ، وانظر دلائل أبى نعيم ص ٧٨ .

ومُسند الحكم إلى الأصنامِ[1] * أصبحتمُ كراتِع الأنعامِ
أما ترون ما أرى أمامى * من ساطِع يجلو دُجى الظلامِ
قد لاحَ للناظر من تهامِ * وقد بدا للناظرِ الشآمى
محمد ذو البرّ والإكرامِ * أكرَمه الرحمنُ من إمامِ
قدجاء بعدَ الشِّرك بالإسلامِ * يأمر بالصلاة والصيامِ ٥
والبِرِّ والصِّلات للأرحام * ويزجرُ الناسَ عن الآثام
فبادِروا سَبقًا إلى الإسلام * بلا فتورٍ وبلا إحجام

قال : فتفرّق القوم عن الصنم ولم يحضُره يومئذٍ أحد إلّا أسلم ؛ ثم ذكر ابن عباس انطلاقَ عمر إلى منزلِ أخته على ما نذكر ذلك أو نحوَه عِند ذكرنا إسلامَ عمر رضى الله عنه . ١٠

قال : ثم خرج لقصد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فلقيه رجال من بنى سُليم[2] قد تنافروا إلى صَنَم لهم ليحكم بينهم اسمه الضِّمار[3] ، فدعَوا عمر إلى الدخول معهم إليه ففعل ، فلما وقَفوا بين يدى الصَّنَم سمِعوا هاتفا من جوفه يقول :

أودَى الضِّمار وكان يُعبَد مرّةً[4] * قبلَ الكتاب وقبلَ بعث محمد
إن الذى ورِث النبوّة والهدَى * بعد ابن مريمَ من قُريش مهتدِى ١٥
سَيقولُ من عَبَد الضِّمار ومثله * ليت الضِّمار ومثله لم يُعبَد

(١) رواية السيرة الحلبية ١ : ٣٠٢ : « ومسندوا » ، وانظر دلائل أبى نعيم ص ٧٨ .
(٢) فى السيرة الحلبية ١ : ٣٠٠ : « ... عباس بن مرداس قال : كان لمرداس السلمى وثن يعبده يقال له ضمار » ، وانظر دلائل أبى نعيم ص ٧٩ .
(٣) ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم مخففة بعدها ألف ثم راء مهملة ، عن السيرة الحلبية ١ : ٣٠٠ ٢٠
(٤) فى السيرة الحلبية ١ : ٣٠٠ ، وشرح المواهب ١ : ٢٧٧ « يعبد مدة » .

أبشر أبا حفصٍ بدينٍ صادقٍ * تهدى إليه بالكتاب المرشد
واصبر أبا حفصٍ قليلا إنه * يأتيك عن فَرَق أعزُّ بنى عدى
لا تعجلنّ فأنت ناصرُ دينه * حقًّا يقينا باللسان وباليد

قال : فعجب القوم منه ونكّسه عمر، وغيّر الله ما فى صدره من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥

ومنه ماروى أن وائلَ بن حُجْر وكان ملِكًا مطاعا[1]، وكان له صنَم من العقيق الأحمر يعبده ويحبّه حبّا شديدا، ولم يكن يُكَلَّم منه، إلا أنه كان يرجو ذلك، فيكثر له السجود، ويَعْتِر له العتائر، فبينا هو نائم فى الظهيرة أيقظه صوت مُنكَر من المخدع الذى فيه الصّنَم، فقام من مَضجعه وأتاه فسجد أمامه، فإذا قائل[2] يقول :

٥٥ / ١٤

يا عجبا[3] لوائل بن حُجْر * يُخَال يدرى وهو ليس يدرى
ماذا يرجّى من نَحيت صخر * ليس بذى عُرْف ولا ذى نكر
ولا بذى نفع ولا ذى ضرّ * لو كان ذا حِجْرٍ[4] أطاع أمرى

١٠

قال وائل : فرفعت رأسى واستويتُ جالسا، ثم قلت : قد أسمعتَ أيها الناصح[5]، فماذا تأمرنى ؟ فقال :

ارحل إلى يثرب ذات النّخل * وسر إليها سيرَ مُشمعلّ
تدن بدين[6] الصائم المصلّى * محمدٍ[7] المرسَل خيرِ الرُّسُل

١٥

(١) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : «وكان قيلا من أقيال حضرموت، وكان أبوه من ملوكهم» .
(٢) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « وإذا قائل» .
(٣) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « وا عجبا » .
(٤) الحجر : العقل . (٥) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « أيها الهاتف الناصح » .
(٦) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « تدين دين » .
(٧) فى السيرة الحلبية : « محمد النبى » .

٢٠

قال وائل : ثم خرّ الصنم لوجهه فانكسر أنفه، واندقّت عنقه ، فقمت إليه فجعلته رُفاتا ، ثم سرت مسرعًا حتى أتيت المدينة ؛ وذكر إسلامَه بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم . والله المعين .

ومنه خبر مازن الطائى فى سبب إسلامه

٥ رواه البيهقى فى دلائل النبوّة بسندٍ قال : كان مازن الطائىّ[1] بأرض عمان بقرية تدعى سمايل[2]، وكان يسدن الأصنام لأهله ، وكان له صنمٌ يقال له باجَر[3]، قال مازن: فعتَرت[4] ذات يوم عَتيرة، والعَتيرة : الذبيحة[5]، فسمعتُ صوتا من الصنم يقول : يا مازن : أقبِل إلىّ أقبِل، تسمع ما لا يجهل، هذا نبى مرسل، جاء بحق منزل، فآمِنْ به كى تعدل، عن حرّ نار تُشعل، وقودها بالجندل .

١٠ قال مازن : فقلت والله إن هذا لعجَب ، ثم عترت بعد عشرة أيام عتيرة أخرى، فسمعت صوتا آخرَ أبينَ من الأوّل وهو يقول : يا مازن اسمع تسرّ ، ظَهَر خير وبَطَن شرّ ، بعث نبىّ من مضر، بدين الله الكُبر[6]، فدع نَحيتا من حجر ، تسلم من حَرّ سَقَر ؛ قال مازن : فقلت إن هذا والله لعجَب ، إنه لخيرٌ يُراد بى ؛ وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا : ما الخبر وراءك ؟ قال[7] :

---

١٥ (١) له ترجمة فى أسد الغابة ٤ : ٢٦٩ ، وخبره هذا فى دلائل أبى نعيم ص ٧٦ .

(٢) فى دلائل أبى نعيم ص ٧٦ : «سمايا» ، وفى تاج العروس (سمل ، شمل) : «وسمائل : اسم قرية ويقال بالشين ، وهى من أرض عمان» . (٣) باجر، بفتح الجيم ويكسر، ويقال بالحاء المهملة . وانظر تاج العروس (بجر) . (٤) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : «فعترنا» .

(٥) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : «وهى الذبيحة مطلقا ، وقيل فى رجب خاصة» .

٢٠ (٦) رواية أبى نعيم ص ٧٦ : «الله الأكبر» . (٧) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ ، ودلائل أبى نعيم ص ٧٧ : «قال : قد ظهر رجل يقال له أحمد يقول لمن أتاه» .

خرج رجل بتهامة يقول لمن أتاه : أجيبوا داعى الله عز وجل ، يقال له أحمد ، قال : فقلت هذا والله نبأ ما سمعت ، فثرت (١) إلى الصنم فكسّرته أجذاذا ، وشددت راحلتى ورحلت ، حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشرح إلىّ الإسلام فأسلمت ، وأنشأت أقول :

كسرتُ باجر أجذاذا وكان لنا * ربا نطيف به ضلّا بتضلال ٥

فالهاشمىّ هدانا من ضلالتنا * ولم يكن دينه منّى (٢) على بال

ياراكبا بلّغن عمرا وإخوته (٣) * أنى لما قال ربّى باجَرٌ قالى

قال مازن : فقلت يا رسول الله ، إنى امرؤ مولَع بالطرَب وشرب الخمر ، وبالهلوك (٤) من النساء ، وألحّت علينا السنون (٥) فأذهبن الأموال ، وأهزلن الذرارى والرجال ، وليس لى ولد ، فادْعُ الله أن يذهب عنى ما أجد ، ويأتينى بالحيا ، ويهب لى ولدا ، ١٠ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم أبدله بالطّرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، [وبالخمر رِيًّا لا إثم فيه ، وبالعُهر عِفّة الفَرْج (٦)] وائته بالحيا ، وهب له ولدا . قال مازن : فأذهب الله عنى كل ما أجد ، وأخصبت عمان ، وتزوجت أربع حرائر (٧) ، ووُهب لى حيان بن مازن ، وأنشأت أقول :

(١) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « فنزلت إلى الصنم » . ١٥

(٢) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « دينه شيئا » .

(٣) فى دلائل أبى نعيم ص ٧٧ ، والسيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : «عمرا وإخوتها» ؛ ويعنى بعمرو وإخوتها بنى الصامت وبنى خطامة ، وهى بطن من طيء .

(٤) الهلوك من النساء : الفاجرة .

(٥) ألحت علينا السنون : دامت علينا أيام القحط .

(٦) عن عيون الأثر ١ : ٧٦ ، والسيرة الحلبية ١ : ٢٠١ . ٢٠

(٧) فى دلائل أبى نعيم ص ٧٧ : « حرائر ، وحفظت شطر القرآن » ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ ، وعيون الأثر ١ : ٧٦ .

إليك رسولَ الله خبَّت مطيّتى * تجوب الفَيافى من عُمانَ إلى العَرْج

لتشفع لى ياخيرَ من وطِئ الحصا * فيغفرَ لى ربى فأرجِعَ بالفُلْج(1)

إلى معشرٍ خالفتُ فى الله دينَهم * فلا رأيهم رأيى ولا شَرجُهم شَرْجى(2)

وكنت آمرأً بالعُهْر(3) والخمر مولَعا * شبابىَ حتى آذنَ الجسم بالنَّهج(4)

فبدّلنى بالخمـر خوفًا وخشية * وبالعُهْر إحصانا وحَصَّن لى فرجى

فأصبحتُ همِّى فى جهادٍ ونيّتى * فللّه ما صَومى ولله ما حجّى

قال مازن: فلما رجعت إلى قومى أنّبونى وشتمونى، وأمروا شاعرهم فهجانى، فقلت إن هجوتهم فإنما أهجو نفسى، فتركتهم، قال: ثم إن القوم ندموا وكنت القيِّم بأمورهم، فقالوا ما عسى أن نصنَع به، فجاءنى منهم أَزْفَلة(5) عظيمة فقالوا: يابن عمّ، عِبْنا عليك أمرا فنهيناك عنه، فإذْ أبيتَ فنحن تاركوك، آرجع معنا، فرجعتُ معهم، فأسلموا بعدُ كلّهم.

ومازن هذا هو الذى أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض عمان.

ومنه ما روى عن جبير بن مُطْعِم عن أبيه قال: كنا جلوسا عند صنَم لنا، فإذا صائح يصيح من جوفه: اسمعوا إلى العَجَب، وتوقّعوا حادثا قد اقترب، استراق السمع ذهب، وتُرمَى [الجنُّ] بالشهُب، لنبيّ من العرب، هاشمىّ النسب،

---

(1) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠١، ٢٠٢ : « ليغفر لى ذنبى » . والفلج : الفوز والظفر .

(2) الشرج، بالشين : الشكل والطريق . عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٢ ؛ وفى الأصل : « سرجهم مرجى » . (3) فى الأصل : « بالرعب » والتصويب عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٢ ودلائل أبى نعيم ص ٧٨ . (4) النهج : البلى . وانظر النهاية ٤ : ١٨٥ .

(5) الأزفلة بفتح الهمزة والفاء : الجماعة من الناس ؛ وفى الأصل : « إن قلة » تصحيف .

مولده بمكّة ، ومُهاجَره يَثرب ؛ قال : وهذا قبل أن يظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنه ماروى عن عبد الله بن ساعدة الهذلى أنه قال : كنا نعبد صنما يقال له سُواع ، وكانت لى غَنَم بخِربت فسقُتها إليه وأدنيتها منه أرجو بركته ، فسمعت مناديا من جوف الصَّنم يقول: العجب كل العجَب ، سُدلت الحجب ، ورميت الجن بالشُّهب ، وسقطت النُّصُب ، ونزل خير الكُتب ، على خير العرب ؛ قال : فسقت غنمى وعدتُ إلى أهلى ، وقد بُغّضَت إلىّ الأوثان ، فجعلت أنقِّب عن الحوادث حتى بلَغنى ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيته فأسلمت .

وسنذكر إن شاء الله تعالى فى خبر إسلام الجن ماهتفوا به فأسلم بسببه من أسلَم لمّا سمِعوا — ما تَقِف عليه هناك .

وحيث ذكرنا ماذكرنا من المبشّرات ، فلنذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم .

ذكر مَبعَث رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بدئ به من النبوّة

روِى عن عائشة أمِّ المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوّة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة[(١)] ، لا يَرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رُؤيا فى نوم إلا جاءت كفَلَق الصُّبح[(٢)] ، وحبب الله إليه الخلوة ، فلم يكن شىء أحب إليه من أن يخلو وحده .

---

(١) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٣٣ : « الرؤيا الصالحة » ، قال : فالمراد بالصالحة الصادقة . وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٤٩

(٢) فلق الصبح : ضياؤه .

وروى محمد بن إسحاق بن يسار المطّلبي عن عبد الملك بن عبيد الله[(١)] بن أبي سفيان ابن العلاء بن حارثة الثقفيّ ، وكان واعيةً[(٣)] ، عن بعض أهل العلم[(٢)] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراده الله بكرامته ، وابتدأه بالنبوّة ؛ كان إذا خرج لحاجته أبعَدَ حتى تحسر[(٤)] عنه البيوت ، ويُفضِى إلى شِعاب[(٥)] مكّة وبطون[(٦)] أوديتها ، فلا يمرّ بحجَرٍ ولا شجرٍ إلا قال : السلام عليك يا رسولَ الله ، فيلتفتُ حوله عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة ؛ فمكث صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحِراء فى شهر رمضان .

وعن البَراء بن عازب رضى الله عنه قال : بعث اللهُ محمدا صلى الله عليه وسلم وله يومئذٍ أربعون سنة ويوم ، فأتاه جبريل ليلةَ السبت وليلةَ الأحد ، ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة ليلةً خلت من شهر رمضان فى حِراء ، وهو أوّل موضع نزل فيه القرآن .

وحكى أبو عمر بن عبد البرّ أن محمدَ بن موسى الخُوارزميّ قال : بُعث نبينا صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثمانٍ خلت من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وأربعين من عام الفيل . فكان من مَولِده إلى أن بعثه الله عزّ وجل أربعون سنة ويوم .

(١) فى الأصل : « بن عبد الله » ، والذى أثبت عن ابن هشام ١ : ٢٥٠

(٢) فى سيرة ابن هشام : « جارية » .

(٣) الواعية : الحافظ الفقيه ، والتاء للمبالغة .

(٤) تحسر : تبعد عنه ، وتخلى عنها . عن الخشنى ١ : ٧٥ .

(٥) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال . عن الخشنى ١ : ٥٧ .

(٦) فى الأصل : « وتطوف » ، وصححت عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٠

وعن عبد الله بن الزبير وغيره : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور فى حراء [شهرا][1] من كل سنة ، يطعم مَنْ جاءه من المساكين، فإذا قضى صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك، كان أولَ مايبدأ به — إذا انصرف من جواره — الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله به فيه من كرامته ما أراد، من السنة التى بعثه فيها، وذلك فى شهر رمضان، خرج صلى الله عليه وسلم إلى حراء[2] كما كان يخرج لجواره ومعه أهلُه، حتى إذا كانت الليلةُ التى أكرمه الله فيها برسالته ، ورحم العبادَ بها ، جاءه جبريل بأمر الله ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاءنى وأنا نائم بنمط[3] من ديباج فيه كتاب، فقال : اقرأ؛ [قال][4]: قلت : ما أقرأ؟ قال: فغتّنى[5] به حتى ظننتُ أنه الموت، ثم أرسلنى فقال : اقرأ؛ قلت : ما أقرأ؟ قال : فغتّنى به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلنى فقال: اقرأ؛ قلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداءً منه أن يعود لى بمثل ما صنع . فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذى خَلَقَ خَلَقَ الإنسانَ مِن عَلَقٍ اقْرأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الذى عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الإنسانَ مالم يَعْلَمْ﴾ . قال : فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنى ، وهببت من نومى ، فكأنّما كُتب[6] فى قلبى كتابا؛ قال : فخرجت حتى إذا كنتُ فى وسطٍ من الجبل سمعتُ صوتًا من السماء يقول : يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل، قال: فرفعت رأسى أنظر [إلى السماء][4]، فإذا جبريل فى صورة رجُل صافّ قدميه فى أفق السماء يقول : يا محمد، أنت رسول الله، وأنا

(١) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٠ . (٢) حراء : جبل على ثلاثة أميال من مكة . معجم البلدان ٣ : ٢٣٩ . (٣) النمط : ضرب من الثياب المصبغة .

(٤) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٢ ، ٢٥٣

(٥) فغتنى، وفى رواية : غطنى، أى عصرنى عصرا شديدا حتى وجدت منه المشقة .

(٦) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٣ : « فكأنما كتبت » .

جبريل، [قال] (١) : فوقفتُ أنظر إليه، فما أتقدّم وما أتأخر، وجعلتُ أصرف وجهى [عنه (١)] فى آفاق السماء، فما أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفا ما أتقدّم أمامى وما أرجع ورائى حتى بَعَثَت خديجة رُسلَها فى طلبى، فبلغوا [أعلى] (١) مكة ورجعوا إليها، وأنا واقف فى مكانى ذلك؛ ثم انصرف عنى .

٥ وانصرفت راجعًا إلى أهلى حتى أتيت خديجة، فجلست إلى فخذها [مضيفا إليها] (٢) فقالت : ياأبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا [أعلى (١)] مكة و رجعوا إلىّ ، فحدّثتها (٣) بالذى رأيت ، فقالت : أبشر يابنَ عمّ واثبُت ، فوالذى نفسُ خديجةَ بيده إنى لأرجوَ (٤) أن تكون نبىّ هذه الأمة .

ثم قامت فجمعتْ عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى وَرَقَة بن نَوفل بن أسَد بن ١٠ عبد العُزّى (٥) ، وهو ابن عمها ، وكان قد تنصر فى الجاهلية وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبَرَتْه بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قُدُّوس قُدُّوس، والذى نفسُ ورقةَ بيده ، لئن كنتِ صدَقْتِنى ياخديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى، و إنه لنبىّ هذه الأمة ، فقولى له فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٥ فأخبرته بقول ورَقة بن نَوفَل ، فلما قضَى رسول الله صلى الله عليه وسلم جِواره وانصرف صنع كما كان يصنع ؛ بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقيه ورقة بن نوفل وهو

(١) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٢ ، ٢٥٣ . (٢) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٣ . و يقال أضفت إلى الرجل : إذا ملت نحوه ولصقت به ، عن الخشنى ١ : ٧٦ .

(٣) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٣ : « ثم حدثتها » .

٢٠ (٤) ابن هشام ، وعيون الأثر ١ : ٨٦ : « إنى لأرجو » .

(٥) فى سيرة ابن هشام : « العزى بن قصى وهو ابن عمها وكان ورقة قد » .

يطوف بالكعبة فقال: يابن أخى، أخبرنى بما رأيت وسمعت، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له ورقة : والذى نفسى بيده إنك لنبىُّ هـذه الأمة ، ولقد جاءك النـاموس الأكبر الذى جاء موسى ، ولتكذَّبَنّـه ، وَلَتُؤْذَيَنَّهْ ، وَلَتُخرجَنَّهْ ، وَلَتُقَاتَلَنَّهْ[(١)] ، ولئن أنا أدركتُ ذلك اليوم ، لأنصُرنَّ الله نصراً يعلمُهُ ، ثم أدنى رأسه منه فقبَّل يافوخَه، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله . ٥

وذكر الإمام العـدل سليمان التّيمى فى سِيَره[(٢)] أن النبي صلى الله عليه وسـلم حين أخبر خديجةَ عن جبريل، ولم تكن سَمِعت باسمه قط، ركِبت[(٣)] إلى بَحِيرا الرّاهب إلى الشام ، قال الزهرىّ هو حَبر من يهود تيماء، فسألَتْه عن جبريل، فقال لها: قدّوس قدّوس، يا سيدة نِساء قُريش، أنَّى لكِ بهذا الاسم؟ فقالت: بَعْلى ابن عمِّى أخبرنى أنه يأتيه، فقال: قدّوس قدّوس ماعَلِم به إلا نبىّ، فإنه السفير بين الله و بين أنبيائه، و إن الشياطين لا تجترئُ أن تمثَّل به ولا تتسمَّى به[(٤)] . ١٠

وكان غلامٌ لعتبة بن ربيعـة بن عبد شمس آسمه عدّاس من أهل نِينَوَى[(٥)] مدينة يونس عليه السلام، عنده عِلم من الكتاب أرسلت تسأله عن جبريل فقال : قدّوس [قدّوس][(٦)] أنَّى لهذه البلاد يذكر جبريل يا سيدةَ نِساء قُريش؟ فأخبرته بقول النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عدّاس مثلَ قول الراهب . ١٥

(١) الهاء المتصلة بهذه الأفعال للسكت .

(٢) نقله فى السيرة الحلبية ١ : ٢٤٤ عن ابن دحية . وانظر ترجمة سليمان بن بلال التيمى فى تهذيب التهذيب لابن حجر ٤ : ١٧٥ .

(٣) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٤٤ : « كتبت إلى بحيرا » .

(٤) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٤٤ : « فان الشيطان لا يجترئ أن يتمثل به، ولا أن يتسمى » . ٢٠

(٥) معجم البلدان ٨ : ٣٦٨ .

(٦) عن السيرة الحلبية ١ : ٢٤٣ .

وروى البخاريّ — رحمه الله — فى صحيحه[1] بإسناده عن هشام بن عُروة عن أبيه، عن عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها : أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، كيف يأتيك الوحى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحيانا يأتينى مثل صَلْصَلة[2] الجرس وهو أشدّه علىّ ، فيفصِم عنى[3] وقد وعَيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لى المَلَك رجلا فيكلّمنى فأعى ما يقول. قالت عائشة : ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد، فيفصِم عنه و إنّ جبينه ليتفصّد[4] عَرَقا .

٥٨
١٤

و بسنده[5] عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : أوّلُ ما بدِئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكانَ لا يَرى رؤيا إلا جاءت مثل فلَق الصُّبح ، ثم حُبّب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حِراء، فيتحنّث فيه، وهو التعبُّد الليالى ذواتِ العدد قبل أن ينزِع إلى أهله ، و يتزوّد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتى جاء الحق وهو فى غار حِراء، فجاءه المَلَك فقال : اقرأ، قال : قلت : ما أنا بقارئ، قال : فأخذنى فغطّنى حتى بلغ منى الجَهْد، ثم أرسلنى فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطّنى الثانيةَ حتى بلغ منى الجَهد، ثم أرسلنى فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطّنى الثالثة، ثم أرسلنى فقال : ﴿ ٱقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِن عَلَقٍ اقْـرأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يَرجُف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خُوَيلد، فقال : زمِّلونى زمِّلونى، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد

(١) صحيح البخارى ١ : ٦ . (٢) الصلصلة : صوت الحديد إذا حرّك .

(٣) يفصم عنى : يقلع . (٤) يتفصد : يسيل عرقا . (٥) صحيح البخارى ١ : ٧، ٤ : ١٥١، وانظر ٦ : ١٧٣ .

خشيت على نفسى، فقالت خديجة: كلّا والله، ما يُخزِيك الله أبدا، إنك لتصل الرَّحم، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتَقرِى الضيف، وتُعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقةَ بن نوفَل بن أسَد بن عبد العُزَّى ابن عم خديجة، وكان آمرءًا تنصّر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العِبرانىّ[1]، فيكتب من الإنجيل بالعِبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرا قد عمِى، فقالت له خديجة: يابن عم آسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يابن أخى، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرَ ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذى أنزل الله على موسَى، ياليتنى فيها جذعا، ليتنى أكون حيا إذ يُخرجك قومُك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوَمُخْرِجِىّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئتَ به إلا عُودِى، وإن يُدرِكْنى يومُك أنصُرك نصرًا مؤزَّرا، ثم لم ينشَب ورقة أن تُوفى، وفتَر الوحى.

قال ابن شهاب[2]: وأخبرنى أبو سلَمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصارىّ قال وهو يحدّث عن فترة الوحى، فقال فى حديثه: بينا أنا أمشى إذ سمعتُ صوتا من السماء، فرفعت بصرى فإذا الملَك الذى جاءنى بحِراء جالس على كرسىّ بين السماء والأرض، فرعِبت منه، فرجعت فقلت: زَمِّلونى زَمِّلونى، فأنزل الله: ﴿ يٰأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾، فحمِى الوحى وتتابع.

قال محمد بن إسحاق[3]:

وحدّثنى إسماعيل بن أبى حكيم مولَى آل الزُّبير أنه حُدِّث عن خديجة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أى ابن عم، أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا

(١) رواية البخارى ٦: ١٧٤: «وكان يكتب الكتاب العربىّ، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله». (٢) لا يزال النقل عن صحيح البخارى ١: ٧.

(٣) نقله ابن هشام فى السيرة عنه ١: ٢٥٤.

الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال نعم ، قالت : فإذا جاءك فأخبرنى به ، فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياخديجة ، هـذا جبريل قد جاءنى قالت : قم يابن عم فاجلس على فخـذى اليُسْرَى ، فقـام فجلس عليها ، قالت : هل تراه؟ قال : نعم ، قالت : فتحوّلْ فاْقعد على فخذى ايمنى ،(١) قال : فتحوّل فقعد على فخذها اليمنَى ، فقالت : هل تراه؟ قال : نعم ، قالت : فتحوّل(٢) فاجلس فى حِجرى ، فتحوّل فجلس فى حِجرها ، ثم قالت : هل تراه ؟ قال : نعم : قال : فَحَسَرَتْ وألقت خِمارها ورسـولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس فى حجرها ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا . قالت يابن عمّ : اُثْبُت وأبشِر ، فوالله إنه لملَك ، ما هذا بشيطان .

وكانت خديجة رضى الله عنها أوّل من آمن بالله و برسوله وصدّق بمـا جاء به . وحكى أبو عمر بن عبد البر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرّ أمره ثلاث سنين ثم أمره الله تعالى بإظهار دينه والدعاءِ إليه ، فأظهره بعد ثلاث سنين من مبعثه . قال : وقال الشعبي : أُخْبِرتُ أن إسرافيل تراءى له ثلاثَ سنين . وروَى ابن عبدالبر بسنده إلى الشعبي قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين ، ووُكّل به إسرافيل عليه السلام ثلاثَ سنين ، ثم وُكّل به جبريل عليه السلام . وفى روايةٍ عنه : ثم بُعث إليه جبريل بالرسالة . وعنه أيضا قال : أنزلت عليه النبوّةُ وهو ابن أربعين ، فقرن نبوّتَه إسرافيل عليه السلام ثلاثَ سنين ، وكان يعلّمه الكلمةَ والشيء ، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوّته جبريل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة .

---

(١) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٥ : « فاجلس » .
(٢) رواية ابن هشام : « فجلس » .

٥٩
١٤

ذكر فترة الوحى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم وما أُنزل بعد فترته

قال[(١)] : وفتر الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترةً[(٢)] حتى شَقّ ذلك عليه وأحزنه . واختُلف فى مدة فترة الوَحى ، فقال ابن جُرَيج : احتبَس عنه الوحى اثنى عشر يوما ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خمسةَ عشر يوما ، وقيل : خمسة وعشرين . وقال مُقاتل : أربعين يوما . والله أعلم .

رَوَى البخارىّ[(٣)] — رحمه الله — عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وساق الحديث بنحو ما تقدّم ، قال : وفتر الوحى فترة حتى حزِن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غَدا منه مِرارًا كى يتردَّى من رءوس شواهق الجبال ، فكلما أَوفَى بذِروة جبل لكى يُلقِى نفسه منه تبدَّى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه ، و تقرّ نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفَى بذِروة جبل تبدّى له جبريل وقال له مثل ذلك . قال : وتكلم المشركون عند فَترة الوحى بكلام ، فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَالضُّحَى واللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ السورةَ بكمالها ، وقيل فى سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تَرك قيام الليل ليلتَيْن أو ثلاثاً لشكوى[(٤)] أصابتْه ، فجاءت امرأة فقالت : يا محمد ، إنى لأرجو أن يكون شيطانُك قد تَركك لم أره قَرَبَك منذ ليلتين أو ثلاث[(٥)] ، فأنزل الله تعالى السورة .

(١) القائل ابن إسحاق . وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٧ .

(٢) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٧ : « فترة فى ذلك حتى » .

(٣) الجامع الصحيح ٦ : ١٧٢ ، ١٧٤ ، وانظر عيون الأثر ١ : ٨٥ .

(٤) الشكوى : المرض . (٥) فى الأصل : « أو ثلاثا » .

قال القاضى أبو الفضل عياض بن موسى رحمه الله فى كتابه المترجم (بالشفا بتعريف حقوق المصطفى)[١] : تضمّنت هذه السّورة من كرامة الله تعالى لنبيّه وتنويهه به وتعظيمه إياه ستّة وجوه :

الأوّل — القَسَم له عما أخبر به من حاله بقوله : ﴿ والضُّحى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجى ﴾ أى وربِّ الضحى ، وهذا لَمِنْ عِظَمِ درجات المبرّة .

الثانى — بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلى ﴾ أى ما تركك وما أبغضك ، وقيل ما أهملك بعد أن اصطفاك .

الثالث — قوله : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ .

قال ابن إسحاق : أى مالك فى مَرجعك عند الله أعظم مما أعطاك الله من كرامة الدنيا . وقال سهل : أى ما ذخرتُ لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما أعطيتك فى الدنيا .

الرابع — قوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾، وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة وشتات الإنعام فى الدّارين والزّيادة .

قال ابن إسحاق[٢] : يُرضيه بالفَلَج فى الدّنيا والثواب فى الآخرة . وقيل : يُعطيه الحوضَ والشفاعة، ورُوِى عن بعض آل النبى[٣] صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ليس فى القرآن آية أرجى منها . ولا يَرضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يدخلَ أحد من أُمّته النار» .

(١) انظر شرح الخفاجى على الشفا ١ : ٢٠٤ وما بعدها .

(٢) نقله ابن هشام فى السيرة ١ : ٢٥٩ ، وعبارته « فترضى من الفلج فى الدنيا والثواب » . وانظر نسيم الرياض ١ : ٢٠٧ . والفلج : الفوز والظفر .

(٣) هو على بن أبى طالب، أو الحسن بن محمد بن الحنفية . وانظر نسيم الرياض ١ : ٢٠٧

الخامس — ما عدّه الله تعالى عليه من نِعمه، وقرّره من آلائه قِبَله فى بقية السورة، من هدايته إلى ما هداه له، أو هدايةِ النـاس به على اختلاف التفاسير، ولا مالَ له فأغناه بمـا آتاه، أو بما جعله فى قلبه من القناعة والغنى، ويتيما فحَدِب عليه عمُّه وآواه إليه، وقيل: آواه إلى الله، وقيل: يتيما لا مثالَ لك فآواك إليه، وقيل المعنى ألم يجِدْك فهدى بك ضَالّا، وأغنى بك عائلا، وآوى بك يتيما، ذكَّره بهذه المِنَن، وأنه — على المعلوم من التفسير — لم يهمِله فى حالِ صغره وعَيلته ويُتْمِه، وقبل معرفتِه به ولا ودّعه ولا قلاه، فكيف بعد اختصاصِه واصطفائه. والله أعلم

السادس — أمْرُه بإظهار نعمته عليه، وشكرِ ما شرّفه به بِنشره وإشادة ذكره بقوله: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾، فإنّ مِنْ شكر النعمة التحدُّثَ بها، وهـذا خاصّ له، عامّ لأمته.

وقال ابن إسحاق[1]: أى بمـا جاءك مِن الله من نعمته وكرامتِه من النبوّة، فحدّث بهـا أى اذكرها وادْعُ إليها. قال: فجعل رسـولُ الله صلى الله عليـه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العبادِ به من النبوّة سِرّا[2] إلى من يَطمئنُّ إليـه من أهله. قال: ثم فُرضت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم. والله الموفِّق لطاعته.

ذكر فَرض الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

رُوِى عن عائشة أمِّ المؤمنين — رضى الله عنها — أنها قالت[3]: افترُضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترُضت ركعتَين ركعتَين[4] كلَّ صلاة، ثم إن الله تعالى أتمّها فى الحضَر أربعا، وأقرها فى السَّفَر على فرضها الأول ركعتين.

قال محمد بن إسحاق:

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٩. (٢) فى الأصل: «النبوة بسرى»، والتصويب عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٩. (٣) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٠. (٤) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٠ : «افترضت عليه ركعتين».

وحدّثنى بعضُ أهل العلم أن الصلاة حين افتُرِضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقِبه فى ناحية الوادى، فانفجرت منه عينٌ فتوضأ جبريل[١] ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر [إليه][٢] ليُرِيَه كيف الطُّهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريلَ توضأ، ثم قام به جبريل فصلَّى به، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته، ثم انصرف جبريل، فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم[٣] إلى خَديجة فتوضأ لها لِيُرِيَها كيف الطُّهور للصلاة كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ [لها][٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صلَّى بها كما صلى به جبريل، فصلَّت بصلاته[٥].

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال[٦]: "لما فُرِضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فصلَّى به الظُّهر حين مالت الشمس، ثم صلَّى به العصر حين كان ظِلُّه مثلَه، ثم صلّى به المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشَّفَق، ثم صلّى به الصبح حين طلع الفجر، ثم جاء فصلّى به الظهر من غدٍ حين كان ظِلّه مثله[٧]، ثم صلى به العصر حين كان ظِلّه مثليْه، ثم صلّى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلثُ الليل الأوّل، ثم صلّى به الصبح مُسفِرا غير مشرِقٍ، ثم قال: يا محمد الصلاة فيما بين صلاتِك اليومَ وصلاتِك بالأمس[٨]".

(١) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٠ : «جبريل عليه السلام و رسول». (٢) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٠. (٣) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٦١ : «جبريل عليه السلام فجاء».

(٤) عن ابن هشام، والسيرة الحلبية ١ : ٢٦٤. (٥) للسهيلى فى الروض الأنف ١ : ١٦٢ كلام فى هذا الحديث وسنده يحسن الوقوف عليه. وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢٦٤.

(٦) رواه ابن هشام ١ : ٢٦١.

(٧) فى الأصل: «الفجر ثم صلى به الظهر حين كان» والذى أثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٢.

(٨) ناقش السهيلى فى الروض الأنف ١ : ١٦٣ إيراد هذا الحديث هنا، لأن هذه القصة كانت فى الغد من ليلة الإسراء، وذلك بعد ما نبئ النبى صلى الله عليه وسلم بخمسة أعوام. ثم ذكر كلامهم فى ذلك.

ذكر أول من أسلم وآمن بالله تعالى وبرسوله

صلى الله عليه وسلم وصدّق بما جاء به من عند الله

قد تقدّم أن أول من آمن خديجة رضى الله عنها، وذهب محمد بن إسحاق[١] إلى أن أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلّى وصدّق بما جاء به[٢] من الله تعالى علىّ بن أبى طالب، ثم زيد بن حارثة[٣] مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أبو بكر الصدّيق[٤] رضى الله عنهم. وسنذكر إن شاء الله إسلام كل واحد منهم.

أما إسلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه فالذى عليه الأكثرون أنه أول من أسلم من الذكور، وقد روى أبو الفرج بن الجَوْزىّ رحمه الله فى كتابه المترجم (بصفة الصفوة) عن ابن عبّاس، وحسّان بن ثابت، وأسماءَ بنت أبى بكر، وإبراهيم النَّخَعىّ[٥]، قالوا كلُّهم: أوّل من أسلم أبو بكر، قال: وقال يوسف بن يعقوب بن الماجشون: أدركت أبى ومَشيختنا محمدَ بن المنكدر، وربيعةَ بن أبى عبد الرحمن، وصالح ابن كَيْسان، وسعد بن إبراهيم، وعثمان بن محمد الأخنسى، وهم لا يشكّون أن أوّل القوم [إسلاما][٦] أبو بكرٍ.

وروَى أبو الفرج[٧] بسنده عن ابن عباس أنه قال: "أوّل من صلى أبو بكرٍ رضى الله عنه"، ثم تمثّل بأبياتِ حسّان بن ثابت:

إذا تذكَّرت شجوًا من أخى ثِقَةٍ * فاذكُر أخاك أبا بكرٍ بما فعَلا
خيرَ البرية أتقاها وأعدلَها * إلا النبىّ، وأولاها بما حملا
الثانى التالى المحمود مشهدُه * وأوّل الناس حقا صدَّق الرسُلا

والله يهدى من يشاء.

(١) نقله ابن هشام فى السيرة ١ : ٢٦٢. (٢) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٢: «بما جاءه».
(٣) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٤، وأسد الغابة ٢ : ٢٢٤. (٤) سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٦.
(٥) ١ : ٨٩. (٦) عن صفة الصفوة ١ : ٨٩. (٧) صفة الصفوة ١ : ٨٩.

٦١ / ١٤

وأما إسلام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه — فقد اختلف فى سنّه حالَ إسلامه ؛ فقيل : أسلَم وهو آبن عشر سنين(١)، وقيل : تِسع سنين، وقيل اثنتى عشرة سنة، وقيل أكثر من ذلك إلى عشرين سنة، وهو بعيد، لأنه آمن فى آبتداء الأمر وظهور النبوّة . والله أعلم .

٥ وكان من حديث إسلامه ما رواه محمد بن إسحاق(٢) عن عبد الله بن أبى نَجيح عن مُجاهد بن جَبْر بن أبى الحجّاج، قال : كان من نعمة الله على علىّ بن أبى طالب ومما صنع الله له وأراده به من الخير أن قريشا أصابتهم أَزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عِيال كثير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمّه العباس، وكان من أيسر بنى هاشم : يا عبّاس، إن أخاك أبا طالب كثيرُ العيال، وقد أصاب الناسَ

١٠ ماترى من هذه الأزمة، فانطلِق بنا إليه فلنخفّف [عنه](٣) من عياله ؛ آخُذُ من بنيه رجلا، وتأخذ أنت(٤) رجلا فنكفلهما(٥) عنه، فقال العباس : نعم، فانطلقا حتى لقيا(٦) أبا طالب، فقالا [له](٧) : إنا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما [أبو طالب](٨) : إذا تركتُما لى عَقيلا فاصنعا ما شئتما ؛ ويقال قال : عقيلا وطالبا ؛ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّا فضمه إليه، وأخذ العبّاس

---

١٥ (١) نقل ابن عبد البر فى الاستيعاب ص ٢٧١ هذا القول عن ابن إسحاق، ثم ذكر بقية الأقوال فى سنه يوم أسلم .

(٢) نقله ابن هشام فى السيرة ١ : ٢٦٢ .

(٣) فى الأصل : « فلنخفف من عياله »، والذى أثبت عن ابن هشام ١ : ٢٦٣ .

(٤) فى الأصل : « وتأخذ رجلا »، والمثبت عن ابن هشام ١ : ٢٦٣ .

(٥) فى الأصل : « فنكفهما »، والمثبت عن ابن هشام ص ١٥٩ (طبعة أوربا) .

٢٠ (٦) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٣ : « حتى أتيا » .

(٧) فى الأصل : « فقالا إنا نريد »، والمثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٣ .

(٨) فى الأصل : « فقال لهما إذا »، والمثبت عن ابن هشام ١ : ٢٦٣ .

جعفرا [فضمّه إليه][1]، فلم يزل علىّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبيا فاتّبعه علىّ وآمن به وصدّقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم[2] .

قال ابن إسحاق :

وذكر بعضُ أهل العلم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضَرت الصلاة خرج إلى شِعاب مكّة وخرج معه علىّ بن أبى طالب مُستخفيا من عمه أبى طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصلّيان الصلوات فيها[3]، فإذا أمسَيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكُثا، ثم إن أبا طالب عثَر عليهما يوما وهمـا يصَلّيان، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يابن أخى، ما هذا الدين الذى أَراك تَدِين به ؟ قال : أى عَمِّ، هذا دينُ الله ودين ملائكته ودين رسـله ودين أبينـا إبراهيم[4]، بعثنى الله به رسولا إلى العباد، وأنت أَىْ عمّ أحقّ من بذَلتُ له النصيحة، ودعوتُه إلى الهُدَى، وأحقّ من أجابنى إليه، وأعاننى عليه، أو كما قال. فقال أبو طالب: أى ابنَ أخى، إنى والله[5] لا أستطيع أن أفارق دين آبائى وما كانوا عليـه ، ولكن واللهِ لا يخْلُصُ إليك شئٌ تكرهه ما بقيت .

وذكروا أنه قال لابنه علىّ : أى بُنَىّ ما هذا الدين الذى أنتَ عليه ؟ فقال : يا أبت ، آمنت برسـول الله صلى الله عليه وسـلم وصدّقتُه بمـا جاء به ، وصليت معه لله واتّبعته . فزعموا أنه قال له : أَمَا إنه لم يدعُك إلا إلى خيرٍ فالزمْه .

---

(١) فى الأصل : « جعفرا فلم يزل » ، والتكملة عن ابن هشام ١ : ٢٦٣ .
(٢) فى سيرة ابن هشام : « حتى أسلم واستغنى عنه » .
(٣) فى الأصل : « فيصليان الصلاة » ، والمثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٣ .
(٤) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٣ : « أبينا إبراهيم أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى » .
(٥) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٤ : « إنى لا أستطيع » .

وأما إسلام زيد بن حارثة(١) رضى الله عنه — فقال(٢) محمد بن إسحاق :

ثم أسلم زيد بن حارثة بن شُرَحْبِيل بن كعب بن عبد العُزَّى بن امرئ القيس الكلْبي مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد نسبه ابن الكلبيّ فقال : زيد ابن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العُزَّى(٣) بن يزيد بن آمرئ القيس بن عامر ابن النُّعمان بن عبدوُدّ بن امرئ القيس بن نعمان بن عمران بن عبد عوف بن عوف ابن كِنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زَيد اللّات بن رُفَيدة بن ثَور بن كلب ابن وَبْرة بن تَغلِب بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة بن مالك بن عمرو ابن مرة بن مالك بن حِمْير بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعرُب بن قحطان .

قال أبو عمر(٤) : وربّما اختلفوا فى الأسماء وتقديم بعضها على بعض وزيادة شىء فيها(٥) . قال(٦) : ولم يتابَع ابن إسحاق على قوله « شرحبيل »(٧) وإنما « شَراحيل » .

وقال ابن الكلبي : وأمّ زيد سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر بن أفلت، من بنى معن من طيئ(٨) .

(١) ترجمة زيد بن حارثة فى الاستيعاب ١٩١ ، وأسد الغابة ١ : ٢٣٤ .

(٢) فى الأصل : « قال » .

(٣) هـذه رواية ابن عبد البر فى الاستيعاب، وفى سيرة ابن هشام ١ : ٦٢٤ : « العزى بن امرئ القيس » .

(٤) فى الاستيعاب ص ١٩١ .

(٥) فى الأصل : « وزيادة فى شىء منها » . والمثبت عن الاستيعاب ص ١٩١ ، حيث النقل عنه .

(٦) القائل ابن عبد البر .

(٧) فى الأصل : « على شىء منها ، وإنما هو شاحيل » تصحيف ، والتصويب عن الاستيعاب ص ١٩١ ، وانظر أسد الغابة ٢ : ٢٢٤ .

(٨) فى الأصل : « عامر بن طيء » ، والذى أثبت عن الاستيعاب ص ١٩١ ، وأسد الغابة ٢ : ٢٢٤ .

قال ابن إسحاق : وصلّى زيد بعد عليّ بن أبي طالب[1] . قال أبو محمد عبد الملك ابن هشام : وكان حكيم بن حِزام بن خُوَيلد قدِم من الشام برقيق منه زيد بن حارثة[2] ، وصيفٌ ، فدخلتْ عليه عمّتُه خديجة بنت خُوَيلد ، وهي يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : اختاري يا عمّة ، أيّ هؤلاء الغلمان شِئت فهو لكِ ، فاختارت زَيدا ، فأخذَتْه ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها ، فاستوهَبه منها ، فوهبَتْه له ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبنّاه ، وذلك قبل أن يوحَى إليه ، وكان أبوه حارثة قد جزِع عليه جَزعا شديدا وبكى عليه حين فَقَده ، ثم قدِم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن شئتَ فأقِم عندى ، وإن شئتَ فانطلق مع أبيك" ؛ قال : بل أُقيم عندك ؛ فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله ، فصدّقه وأسلم وصلّى معه ، فلما أنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ أُدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾ قال : أنا زيد ابن حارثة . وقد روَى أبو عمر وغيرُه أن حارثة لما فقد ابنَه زيدا قال :

بكيت على زيدٍ ولم أدرِ ما فعلْ * أحيّ يرجّى[3] أم أتى دونه الأجلْ
فوالله ما أدرى وإن كنتُ سائلا * أغالَك سَهْلُ الأرض[4] أم غالك الجبلْ
فياليت شعرى هل لك الدهرَ رجعةٌ[5] * فحسبي من الدنيا رجوعك لى بجَلْ[6]

(١) نقله ابن هشام ١ : ١٦٤ .

(٢) فى سيرة ابن هشام : « فيهم زيد » .

(٣) كذا فى الاستيعاب ص ١٩٢ ، وفى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ : « أحى فيرجى » .

(٤) فى سيرة ابن هشام :

« ... أدرى وإنى لسائل * أغالك بعدى السهل ... »

ورواية المؤلف عن ابن عبد البر فى الاستيعاب .

(٥) ابن هشام : « أوبة » .

(٦) بجل بمعنى حسب . وفى أسد الغابة ٢ : ١٩٥ : « لى علل » .

تذكّرنيهِ الشمسُ عنـــد طلوعها * وتَعرِض ذِكراه إذا قاربَ الطَّفَلْ[1]

وإن هبّت الأرواح هيَّجن ذِكرَه * فيا طولَ ما حُزنى عليــه وما وجِلْ

سأُعمِلَ نصَ العِيسِ فى الأرض جاهدا * ولا أسأم التّطْوافَ أو تسأَم الإبلْ

حيـــاتىَ أو تأتى علىّ منيَّـــتى * وكلّ آمرِئٍ فانٍ[2] وإن غرّه الأملْ

٥ سأُوصى به قيسا وعمْـــرا كليهما * وأُوصِى يزيدا ثم من بعـــده جبَلْ[3]

يعـنى جبلةَ بن حارثة أخا زيد ، ويزيدَ أخا زيد لأمّه ، وهـــو يزيد بن كعب ابن شَراحيل .

قال[4] : فحجّ ناسٌ من كَلْب[5] فرأوا زيدا فعرفَهـــم وعرفوه ، وقال لهم : أبلغوا أهلى[6] هذه الأبيات ، فإنى أعلم أنهم قد جزِعوا علىّ ، فقال :

١٠ أحِنُّ إلى قـــومى وإن كنتُ نائيًا * فإنّى قَعيـــدُ البيتِ عنـــد المشَاعِرِ

فكفّوا من الوجْد الذى قد شجاكُمُ * ولا تُعمِلوا فى الأرضِ نَصَّ الأباعِرِ

فإنّى بحمـــد الله فى خيرِ أُسْـــرَةٍ * كِرامِ مَعَدٍّ كـــابرا بعـــد كـــابرِ

فانطلق الكلبيّون فأعلَموا أباه ، فقـــال : ابنى وربِ الكعبة ، فوصـــفوا له موضعَه وعند مَنْ هو ، فخرج حارثة وكعب ابنا شَراحيل لفدائه ، وقدِما مكّة[7] ، فسألا عن النبى

١٥ صلى الله عليه وسلم ، فقيل : هُوَ فى المسجد ، فدخَلَا عليه فقالا : يابن عبد المطّلب ،

---

(١) رواية ابن هشام : « ... ذكراه إذا غربها أفل » .

(٢) ابن هشام : « فكل امرئ » .

(٣) هذا البيت لم يورده ابن هشام .

(٤) القائل ابن عبد البر فى الاستيعاب ص ١٩٢

٢٠ (٥) فى الأصل « أناس من كعب » ، والتصويب عن الاستيعاب ص ١٩٢

(٦) فى الاستيعاب ص ١٩٢ : « أبلغوا عنى أهلى » .

(٧) فى الاستيعاب ص ١٩٢ ، وأسد الغابة ٢ : ٢٢٥ : « فقدما » .

يآ بن هاشم، يآ بن سيّد قومه، أنتم أهلُ حرم الله وجيرانُه، تفكّون العانِى، وتُطعمون الأسير، جئناك فى ابننا عندك، فامنُنْ علينا وأحسِن إلينا فى فدائه؛ قال: ومن هو؟ قالا: زيد بن حارثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فهلّا غير ذلك"؟[1] قالوا: وما هو؟ قال: "ادعوه فأخيّره[2]، فإن آختاركم فهو لكم، و إن اختارنى فهو لِى، فوالله ما أنا بالذى أختار على مَن اختارنى أحدا". قالوا[3]: قد زِدْتنا على النَّصَف وأحسنت إلينا[4]، فدعاه فقال: "هل تعرف هؤلاء"؟ قال: نعم، قال "مَنْ هذا"[5]؟ قال: أبى، وهذا عمى، قال: "فأنا مَنْ قد علمت[6]، وقد رأيتَ صحبتى لك، فاخترنى أو اخترهما"، فقال زيد: ما أنا بالذى أختار عليك أحداً[7]، أنت منى مكان الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد! أتختار العبودية على الحرّية، وعلى أبيك وعمك وأهلِ[8] بيتك؟ قال: نعم، قد رأيت مِنْ هذا الرجل شيئا ما أنا بالذى أختار عليه أحدا أبدا. فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخرجه إلى الحِجر فقال: يا معشرَ مَنْ حضر، اشهدوا أنّ زيداً آبنى يرِثنى وأرِثه". فلما رأى ذلك أبوه وعمُّه طابت نفوسُهما وانصرفا.

ودُعِىَ زيدَ بنَ محمد حتى جاء الله بالإسلام، فنزلت: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾، فدُعِىَ يومئذ زيدَ بنَ حارثة، ودُعى الأدعياءُ إلى آبائهم. والله أعلم.

---

(١) فى الأصل: «من هو قال» والمثبت عن أسد الغابة، والاستيعاب.

(٢) فى الأصل: «فأخيروه».

(٣) فى الاستيعاب وأسد الغابة: «قالا».

(٤) فى الاستيعاب ١ : ٥٢٨: «وأحسنت فدعاه».

(٥) عن الاستيعاب، وانظر أسد الغابة ٢ : ٢٢٥.

(٦) فى أسد الغابة ٢ : ٢٢٥: «قد عرفت».

(٧) فى أسد الغابة ٢ : ٢٢٥: «فقال: ما أريدهما، وما أنا بالذى».

(٨) فى الاستيعاب ص ١٩٢: «وعلى أهل».

٦٣/١٤

ذكر من أسلم بدعاء أبى بكر الصدّيق — رضوان الله عليهم —

قال محمد بن إسحاق [(١)]:

لما أسلم أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه أظهر إسلامه، ودعا إلى الله تعالى و إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو بكر رجلا مألفًا [(٢)] لقومه محببًا سهلا، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلمَ قريش بها و بما كان فيها من خير وشرّ، وكان رجلا تاجرا ذا خُلُق ومعروف، وكان رجالُ قومه يأتونه و يألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحُسن مجالسته .

فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه ممّنْ يغشاه و يجلس إليه [(٣)]، فأسلم بدعائه رضى الله عنه، عثمانُ بن عفّان [(٤)]، والزُّبير بن العوّام [(٥)]، وعبد الرحمن بن عوف [(٦)]، وسعد بن أبى وقّاص [(٧)]، وطلحةُ بن عُبيد الله [(٨)]، فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استجابوا له [(٩)]، فأسلموا وصلّوا، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما دعوتُ أحدا إلى الاسلام إلا كانت عنده كَبْوة [(١٠)] ونظر وتردّد، إلا ما كان من أبى بكر بن أبى قُحافة، ما عكَم [(١١)] عنه حين ذكرته له وما تردّد فيه " .

(١) نقله ابن هشام فى السيرة ١ : ١٦٥

(٢) المألف : الموضع الذى يألفه الناس، ووصف أبى بكر به على نوع من التجوّز .

(٣) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ : « إلى الله و إلى الاسلام » .

(٤) الخليفة الثالث قتل سنة ٣٥ . ترجمته فى الاستيعاب ١ : ٤٨٧ والخلاصة للخزرجى ص ١٢١، وغيرهما .

(٥) ابن عمة رسول الله، توفى سنة ٣٦ بعد وقعة الجمل . وانظر الاستيعاب ٢٠٧

(٦) المتوفى سنة ٣٢ على خلاف، وانظر الاستيعاب ٤٠٢

(٧) آخر العشرة المبشّرين موتا، مات بالعقيق بقصره على عشرة أميال من المدينة سنة ٥٦ على خلاف . وانظر الاستيعاب ٥٥٨

(٨) أحد العشرة أيضا، وكان الرسول يسميه طلحة الجود، وطلحة الخير . مات يوم الجمل سنة ٣٦ . وانظر الاستيعاب ٢١٣

(٩) فى الأصل : « وسلم حتى » .

(١٠) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٩ : « كانت فيه عنده كبوة» .

(١١) ماعكم : ماتلبث .

قال ابن إسحاق : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا بالإسلام النَّاسَ فصلّوا وصدَّقوا بما جاء من الله .

ثم أسلم أبو عُبيدة[(١)]، وآسمه عامر بن عبد الله بن الجرّاح ، وأبو سلَمة، واسمه عبد الله بن عبد الأسد[(٢)]، والأَرقم بن أبى الأَرقم ، واسم أبى الأرقم عبدُ مَناف بن أسد ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم[(٣)]، وعثمان بن مَظعون[(٤)]، وأخواه قُدامة[(٥)]، وعبد الله[(٦)] ابنا مَظعون ، وعُبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مَناف بن قُصىّ بن كلاب بن مُرّة ابن كَعب بن لُؤىّ[(٧)]، وسعيد بن زيد[(٨)]، وامرأته فاطمة بنة الخطَّاب أخت عمر[(٩)]،

(١) أحد العشرة ، توفى سنة ١٨ فى طاعون عمواس . وانظر الاستيعاب ٦٠ ٤

(٢) ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب ، وأخوه من الرضاعة . توفى بعد مرجعه من بدر . وانظر الاستيعاب ص ٣٧٩

(٣) هو سابع من أسلم ، وهو من البدريين ، توفى سنة ٥٥ على خلاف ، وانظر الاستيعاب ٥٠ ، والإصابة ١ : ٢٨ .

(٤) أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا ، وهاجر إلى الحبشة . توفى فى السنة الثانية من الهجرة ، وانظر الإصابة ٢ : ٤٦٤ والاستيعاب ٤٩٤ .

(٥) يكنى أبا عمرو ، هاجر الهجرتين وشهد بدرا . مات فى خلافة على ، واختلفوا فى تحديد سنة وفاته . وانظر الإصابة ٣ : ٢٢٩ ، والاستيعاب ٥٤٨ .

(٦) أبو محمد ، هاجر إلى الحبشة ، وقد وردت أخباره فى ترجمة أخيه عثمان فى الإصابة ٢ : ٤٦٤ ، ٢ : ٣٧١ : وانظر الاستيعاب ٣٧٠ .

(٧) كان رأس بنى عبد مناف ، هاجر وشهد بدرا ، واستشهد بها ، وانظر الإصابة ٢ : ٤٤٩ ، والاستيعاب ٤٢٢ .

(٨) المتوفى بالعقيق سنة ٥١ ، وهو أحد العشرة ، وانظر ترجمته فى الاستيعاب ٥٥٢ .

(٩) تكنى أم جميل ، ولها أثر فى إسلام الخليفة عمر . انظر ترجمتها فى الإصابة ٤ : ٣٨١ ، والاستيعاب ٧٧٤

وأسماء وعائشة[1] بنتا[2] أبي بكر ، وكانت عائشة صغيرة ، وخبّاب بن الأرت[3] حليف بني زُهرة ، وعُمَير بن أبي وقّاص[4] أخو سعد ، وعبد الله بن مسعود[5] ، ومَسعود بن القارِي ، وهو مسعود بن رَبيعة ، [أو الربيع][6] ، وسَليط بن عمرو ابن عبد شمس ، وعَيّاش[7] بن أبي ربيعة بن المُغيرة[8] ، وامرأته أسماء بنت سلامة ابن مُخرِّبة[9] التميمية ، وخُنَيس بن حُذافة[10] بن قيس ، وعامر بن رَبيعة حليف آل الخطاب[11] ، وعبد الله بن جحش[12] وأخوه أبو أحمد بن جحش[13] حليفا بني أمية ،

(١) كانت تسمى ذات النطاقين ، وقد رويت عنها أحاديث . توفيت بمكة سنة ٧٣ عن سن عالية ، وانظر الاستيعاب ٧٢٤ .

(٢) زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، روى عنها كثير من الأحاديث . توفيت سنة ٥٧ . وانظر الاستيعاب ٧٦٤ .

(٣) أبو عبدالله التميمي ، عذب في سبيل الله ، ومات بالكوفة سنة ٣٧ . وانظر الاستيعاب ٦٤٨ .

(٤) قتل يوم بدر شهيدا وله من العمر ١٦ سنة . وانظر الاستيعاب ٤٣٦ .

(٥) أبو عبد الرحمن ، من زهاد الصحابة ، توفى بالمدينة سنة ٣٢ ، وانظر الاستيعاب ٣٧٠ .

(٦) يكنى أبا عمير ، وهو من القارة ؛ وهم الهون بن خزيمة بن مدركة . مات سنة ٣٠ ، وانظر الاستيعاب ٢٨١ . وفى الأصل : «بن ربيعة وسليط» .

(٧) من المهاجرين الأولين ، شهد بدرا وسافر عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمامة ، وقتل سنة ١٤ ، وانظر الاستيعاب ٥٩٦ .

(٨) فى الأصل : « وعياد » ، والتصويب عن ابن هشام ١ : ٢٧٣ ، والاستيعاب ٢ : ٥٠٨ . وانظر الإصابة ٥ : ٤٧ .

(٩) فى الأصل : « ابن جحر » ، والتصويب عن ابن هشام ١ : ٢٧٣ . وانظر الإصابة ٨ : ٧ .

(١٠) من المهاجرين الأولين ، مات بأحد . وانظر الاستيعاب ١٦٩ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٢٧٤ .

(١١) كان حليف عمر بن الخطاب حسبما قال أبو عبيدة ، شهد بدرا وسائر المشاهد . وتوفى سنة ٣٣ على خلاف . وانظر الاستيعاب ٤٦١ ، سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٤ . وفى الأصل : «حليف الخطاب» .

(١٢) حليف لبني عبد شمس ، أو لحرب بن أمية ، وهو من المهاجرين الأولين ، مات يوم أحد ومثل به ، ودفن مع حمزة فى قبر واحد . وانظر الاستيعاب ٣٥٢ ، سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٤ .

(١٣) فى اسمه عبد جحش ، وكان شاعرا . انظر ترجمته فى الاستيعاب ٦٤١ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٢٧٤ .

وجعفر بن أبي طالب،[(١)] وامرأته أسماء بنت عُمَيس،[(٢)] وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر، وامرأته فاطمة بنت المجلّل بن عبد الله، وأخوه خطّاب بن الحارث،[(٣)] وامرأته فُكَيْهة بنت يسار، ومَعْمَر بن الحارث بن معمر،[(٤)] والسائب بن عثمان بن مظعون،[(٥)] والمطّلب ابن أزهر بن عبد عوف،[(٦)] وامرأته رَمْلة بنت أبي عوف بن صَبِرة،[(٧)] والنّحام واسمه نُعَيم بن عبد الله،[(٨)] وعامر بن فُهَيرة مولى أبي بكر الصدّيق،[(٩)] وخالد بن سعيد بن العاص ابن أُميّة،[(١٠)] وقد رُوِى أن خالد بن سعيد كان خامس من أسلم، وأن إسلامه كان بعد سعد بن أبي وقّاص، حكاه أبو عُمَر،[(١١)] وامرأته أمينة بنت خَلَف بن أَسْعد،[(١٢)] وحاطب

---

(١) مات يوم مؤتة وله من العمر ٤١ سنة . وانظر الاستيعاب ٨١ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٢٧٥ .

(٢) هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها . وانظر أخبارها فى الاستيعاب ٧٢٥ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٢٧٥ .

(٣) الاستيعاب ١٣٣ ، وفى ترجمته ذكرت امرأته فاطمة وذكر إسلامها ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٥ .

(٤) الاستيعاب ١٤٩ ، وقد ذكرت أيضا معه امرأته وذكر إسلامها ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٥ .

(٥) هو ابن أخت عثمان بن مظعون ، آخى النبي بينه وبين معاذ بن عفراء ، وتوفى فى خلافة عمر . وانظر الاستيعاب ٢٧٨ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٢٧٥ .

(٦) هو أخو عثمان بن مظعون ، هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا . وانظر الاستيعاب ٥٨٨ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٢٧٦ .

(٧) مات بالحبشة مهاجرا ، وانظر الاستيعاب ٢٦٨ ، والإصابة ٨ : ٨٦ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٢٧٦ .

(٨) أسلم قبل عمر ، وكان يكتم إسلامه . واختلف فى وفاته ؛ فقيل بأجنادين ، وقيل باليرموك ، وانظر الاستيعاب ٣١١ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٢٧٦ .

(٩) كان مملوكا للطفيل بن عبد الله ، فأسلم وهو مملوك ، فاشتراه أبو بكر وأعتقه ، ورافق النبي وأبا بكر فى هجرتهما . وانظر الاستيعاب ٤٦٢ ، سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧ .

(١٠) أسلم مع أبي بكر وهاجر إلى الحبشة ، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات مذحج ، وعلى صنعاء اليمن . وفى مكان وفاته خلاف . وانظر الاستيعاب ١٥٤ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧ .

(١١) فى الاستيعاب ١٥٤ ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧ .

(١٢) الاستيعاب ٧٢٦ ، واسم امرأته عند ابن عبد البر « أمية » ، وانظر أسد الغابة ٥ : ٤٠٢ .

ابن عمرو بن عبد شمس، وأبو حُذَيفة[1] واسمه مهشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس[2] ابن عبد مناف؛ ويقال فى اسمه هشيم؛ ويقال هاشم، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف[3] ابن عرين بن ثعلبة، وخالد[4]، وعامر[5]، وعاقل[6]، وإياس[7]، بنو البُكَيْر[8] بن عبد ياليل وعمّار بن ياسر[9] حليف بنى مخزوم، وصهيب بن سِنان[10].

٥ قال ابن إسحاق[11]:

ثم دخل الناس [فى الإسلام][12] أرسالا من الرجال والنساء، حتى فشا ذِكر الإسلام [بمكّة وتُحدّث به][12].

ولنذكر من كانت له سابقة فى الإسلام غير من ذكرنا والله الموفّق للصواب.

---

(١) هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا، وانظر الاستيعاب ١٣٣.

١٠ (٢) نقله ابن عبد البر فى الاستيعاب ٦٥٣ فى ترجمة أبى حذيفة هذا، وانظر الروض الأنف ١ : ١٦٧.

(٣) الاستيعاب ٦٢٣.

(٤) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٨، والاستيعاب ٦٢٣

(٥) حالف فى الجاهلية نفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب، فهو وولده حلفاء بنى عدى، قتل سنة أربع من الهجرة. وانظر الاستيعاب ١٥٦.

١٥ (٦) يقال فيه أيضا: ابن أبى البكير. وانظر الاستيعاب ٤٦١.

(٧) كان اسمه غافلا، فسماه النبى عاقلا. قتل ببدر وسنه ٣٤ سنة، وانظر الاستيعاب ٥٢٤.

(٨) يقال فيه أيضا: إياس بن أبى البكير، أسلم فى دار الأرقم، له ترجمة فى الاستيعاب ٤٧.

(٩) هو عنسىّ النسب وحالف بنى مخزوم، عذب فى الله وشهد المشاهد كلها، وفيه ورد الأثر: "يقتل عمار الفئة الباغية". وانظر الاستيعاب ٤٣٤.

٢٠ (١٠) يقال فيه ابن سنان الرومى لأنه تعلم لسان الروم حيث سبوه وهو صغير، وهو من النمر بن قاسط، وكان أبوه عاملا لكسرى على الأبلة. وانظر ترجمته فى الاستيعاب ٣٢٥.

(١١) نقله ابن هشام فى السيرة ١ : ٢٨٠.

(١٢) عن ابن هشام ١ : ٢٨٠.

ذكر تسمية من كانت لهم سابقة فى الإسلام

من العرب من غير قريش

كانت لجماعة سابقةُ إسلام، وهم من غير قريش، فرأينا أن نذكرهم فى هذا الموضع لسابقتهم فى الإسلام .

منهم أبو ذَرّ جُندُب[1] بن جُنادة الغِفارىّ، واختُلف فى اسمه اختلافا كثيرا، والمشهور ما ذكرناه، واختُلف أيضا فيما بعدَ جُنادة، فقيل جُنادة بن قَيس بن عمرو ابن صُعَيْر بن حرام بن غِفار، وقيل جنادة بن صُعَيَر بن عَبيد بن حرام بن غِفار، و يقال جُنادة بن سُفيان بن عبيد بن [صُعير[2] بن] حرام بن غِفار، أسلم أبو ذَرّ بعد ثلاثة، وقيل: بعد أربعة، فكان خامسا، وله فى سبب إسلامه حديث حَسَن، نذكره إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لأخبارِ وفود العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد غِفار على ما تَقف عليه، وهو فى السِّفر السادس عَشر من كتابنا هذا . وأسْلَمَ بسبب إسلامه أخوه أُنَيس[3] بن جُنادة وأُمّهما رملة بنت الوقيعة الغِفَاريّة[4] .

ومنهم عمرو بن عَبسة[5] بن عامر بن خالد بن غاضرة بن عتّاب بن امرئ القيس ابن بُهْثَة[6] بن سليم، يكنَى أبا نجيح، و يقال أبو شعيب . قال أبو عمر بن عبد البر: روينا عنه من وجوه أنه قال: أُلقِىَ فى روعى أن عبادة الأوثان باطل، فسمعنى رجل وأنا أتكلم بذلك، فقال: يا عمرو، إن بمكة رجلا يقول كما تقول، قال: فأقبلت إلى مكة

(١) فى صفة الصفوة لابن الجوزى ١ : ٢٣٨ وما بعدها، ترجمة مفصلة لأبى ذر الغفارى، وانظر الحلية لأبى نعيم ١ : ١٥٦، والاستيعاب ٨٢ .

(٢) عن تاج العروس (صعر) .

(٣) كان أكبر من أخيه أبى ذر . له ترجمة فى الإصابة ١ : ٨٨ .

(٤) لها ترجمة فى الإصابة ٤ : ٣٠١ .

(٥) فى الأصل: «عمرو بن عنبسة» . وانظر ترجمته فى أسد الغابة ٤ : ١٢٠، والاستيعاب ٤٤٣

(٦) فى الاستيعاب ص ٤٤٣ .

أَوّلَ ما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو مُستخْفٍ(١)، فقيل لى : إنك لا تقدر عليه إلا بالّليل حين يطوف، فقمت بين يدى الكعبة فما شعرت إلا بصوته يهلّل، فخرجت إليه فقلت من أنت؟ قال : أنا نبىّ الله، فقلت وما نبىُّ الله؟ قال : رسول الله، قلت وبم أرسلك؟ قال : بأن يُعبَد الله(٢) وحدَه ولا يُشرَك به شىء، وتُكسَّر الأوثان وتُحقَنَ الدماء، [وتُوصلَ الأرحام](٣)، قلتُ : ومن معَك على هذا؟ قال : حرٌّ وعبد، يعنى أبا بكر وبِلالا، فقلت : ٱبسط يدك أبايعْك، فبايعتُه على الإسلام. قال : فلقد رأيتُنى وأنا رُبعُ(٤) الإسلام، قال : قلت أقيم معك يا رسول الله؟ قال : "لا. ولكن ٱلحق بقومك فإذا سمعتَ أنى قد خرجت فٱتبعنى"، قال : فلحقتُ بقومى، فمكثت دهرا(٥) منتظرا خبره حتى أتت رفقة من يثرب فسألتهم الخبر(٦)، فقالوا : خرج محمد من مكة إلى المدينة. قال : فارتحلت فأتيتُه فقلت : أتعرفنى؟ قال : "نعم، أنت الرجل الذى أتيتنا بمكّة"(٧). وروَى أبو عمر أيضا بسنده إلى أبى أُمامة الباهلى أنه حدث عن عمرو بن عَبْسة(٨) قال : "رغبتُ عن آلهة قومى فى الجاهلية ورأيت أنها آلهة باطلة(٩)؛ يعبدون الحجارة، وهى لا تضرّ ولا تنفع(١٠)، قال : فلقيتُ رجلا من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين، فقال : يخرج رجل من مكّة يرغب عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها، وهو يأتى بأفضل الدين، فإذا سُمعتَ به فاتّبعه، فلم يكن لى همّ

(١) هكذا فى الاستيعاب ٤٤٣، وفى أسد الغابة ٤ : ١٢٠ : «مختف».

(٢) فى الاستيعاب ٤٤٣ : «قال أن».

(٣) عن أسد الغابة ٤ : ١٢٠

(٤) فى أسد الغابة ٤ : ١٢٠ : «وإنى لربع».

(٥) فى الأصل : «بقومى، وكنت دهرا متنظرا»، والذى أثبت عن الاستيعاب ٤٤٣، وانظر أسد الغابة ٤ : ١٢٠.

(٦) فى الاستيعاب : «فسألتهم عن الخبر».

(٧) فى الاستيعاب ص ٤٤٤.

(٨) فى الأصل : «عنبسة»، وانظر الاستيعاب ٤٤٤.

(٩) فى الأصل : «آلهة باطل»، وانظر الاستيعاب.

(١٠) فى الاستيعاب : «والحجارة لا».

إلا مكّة أسأل هل حدث فيها حَدَث[1]؟ فيقولون: لا. فأنصرف إلى أهلى، وأهلى من الطريق غيرُ بعيد، فأعترض الركبان خارجين من مكة فأسألهم هل حدث فيها حدث؟ فيقولون: لا. فإنى لقاعد على الطريق يوماً[2] إذ مرّ بى راكب فقلت من أين أنت[3]؟ قال: مِن مكّة، قلت: هل فيها من خَبَر؟ قال: نعم، رجل رغِب عن آلهة قومه ودعا إلى غيرها، قلت: صاحبي الذى أريد، فشدَدْت راحلتى، وجئت مكّة، ونزلت منزلى الذى كنت أنزل فيه، فسألت عنه، فوجدته مستخفيا، ووجدت قريشا إلبًا عليه، فتلطّفتُ حتى دخلتُ عليه، فسلّمت ثم قلت: من أنت؟ قال: «نبيّ الله»[4]، قلت: وما النبي؟ قال: «رسول الله»، قلت: من أرسلك؟ قال: «الله»، قلت بم أرسلك؟ قال: "أن تُوصَل الارحامُ، وتحقَن الدماءُ، وتُؤْمن السبلُ، وتكسَر الأوثان، ويُعبدَ الله وحده لا يشرك به شيء". فقلت: نعمَ ما أُرسلتَ به؛ أشهدك أنى قد آمنت بك وصدّقتك، أَمْكث معك أم ما تأمرنى[5]؟ قال: "قد رأيتَ كراهة الناس لِما جئتُ به، فامكُث فى أهلك، فإذا سمعتَ أنى خرجت مخرجًا فاتّبعنى". فلما سمعتُ به[6] خرج إلى المدينة سرتُ حتى قدمتُ عليه فقلت: يا نبيَّ الله، هل تعرفنى؟ قال: "نعم، أنت السُّلَمىّ الذى جِئْتنى بمكّة فقلتَ لى كذا، وقلتُ لك كذا[7]".

(١) فى الاستيعاب ص ٤٤٤: «حدث فيها أمر».
(٢) فى الاستيعاب: «الطريق إذ مر».
(٣) فى الأصل: «من أين قال».
(٤) رواية الاستيعاب: «قال نبى، قلت: وما النبي؟ قال: رسول، قلت».
(٥) فى الاستيعاب: «أم تأمرنى أن آتى أهلى».
(٦) فى الاستيعاب: «به أنه خرج».
(٧) فى الاستيعاب: «كذا وقلت كذا».

ومنهم عتبة بن غَزْوان بن جابر، ويقال عُتْبة[1] بن غَزْوان بن الحارث بن جابر ابن وهب بن نَسيب[2] بن زيد بن مالك بن الحارث بن عَوف بن [الحارث بن][3] مازن بن مَنصور بن عِكرمة بن خَصَفة[4] بن قيس عيلان بن مضر بن نزار المازنى حليف لبنى نوفل بن عبد مَناف[5]، يكنى أبا عبد الله، وقيل أبا غَزْوان، كان إسلامُه بعد ستّة رجال، فهو سابعُ سبعة [فى إسلامه، وقد قال ذلك فى خطبته بالبصرة : " لقد رأيتُنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله سابعَ سبعةٍ][6] مالنا طعامٌ إلا ورق الشَّجَر حتى قَرِحَتْ أشداقُنا ". رضى الله عنهم أجمعين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

ذكر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام

قال محمد بن إسحاق[7] :

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلّوا ذهبوا فى الشِّعاب، فاستخفَوْا بصَلاتِهم من قومهم، فبينا سعدُ بن أبى وقّاص فى نَفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شِعْب من شِعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفرٌ من المشركين وهم يصلّون، فناكروهم، وعابوا عليهم ما يَصْنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبى وقّاص يومئذٍ رجلا من المشركين بِلَحْى[8] بعيرٍ، فشجّه[9]، فكان أولَ دم هُرِيقَ فى الإسلام.

(١) ترجمته فى الاستيعاب ٥٠٥، وأسد الغابة ٣ : ٣٦٣، والإصابة ٢ : ٤٤٨.
(٢) كذا فى الاستيعاب، وفى أسد الغابة : «وهيب». (٣) عن أسد الغابة ٣ : ٣٦٣.
(٤) كذا فى أسد الغابة وفى الأصل : «بن قيس بن عيلان». (٥) فى أسد الغابة، والاستيعاب : «مناف بن قصى يكنى». (٦) عن أسد الغابة ٣ : ٣٦٤. والاستيعاب ص ٥٠٥، وفى الأصل : «سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما لنا».
(٧) نقله ابن هشام ١ : ٢٨١. (٨) الخشنى ١ : ٨١ «اللحى : العظم الذى على الخد».
(٩) شجه : جرحه فى وجهه أو رأسه.

٦٥ / ١٤

ثم أمر الله تعالى رسولَه صلى الله عليه وسلم أن يَصْدَعَ[1] بما جاء به[2] من عند الله وأن ينادىَ الناس بأمره، وأن يدْعوَهم إلى الله تعالى، فكان يدعو[3] ثلاث سنين مستخفيا، إلى أن أمر الله بإظهار الدعاء.

قال محمد بن سعد[4]: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال أبو بكر أحمد بن الحسين البَيْهقى[5]: لما أمر الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يُعلم الناس نزولَ الوحى عليه، و يدْعوَهم إلى الإيمان به، كبر ذلك عليه، فنزل قوله عز وجل: ﴿ يَٰأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾، قالت عائشة رضى الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحرَس حتى نزلت هذه الآية، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القُبّة، فقال [لهم][6]: "أيها الناس، انصرفوا فقد عصمنى الله"؛ قيل: يعصمك من قَتلهم أن يقتلوك، فبلَّغ عند ذلك الرسالة.

وعن الزهرى[7]، قال: دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام سرا وجهرا، فاستجاب لله تعالى مَنْ شاء من أحْداث الرجال وضعفاء الناس حتى كَثُر من آمن بالله؛ وكفارُ قريش غير منكرين لما يقول، فكان إذا مرَّ عليهم فى مجالسهم يشيرون إليه: إنّ غلامَ بنى عبد المطلبُ ليُكلَّم من السماء، فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التى يعبدونها دونَه، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر، فعند ذلك عادَوْا رسول الله صلى عليه وسلم وناكَروه، وأجمعوا عَلاقة[8].

(١) انظر طبقات ابن سعد ١: ١٣٢ (قسم أول). (٢) رواية ابن سعد: «بما جاءه من».
(٣) رواية ابن سعد فى الطبقات ١: ١٣٢ (قسم أول): «يدعو من أول ما نزلت عليه النبوّة ثلاث سنين». (٤) فى الطبقات ١: ١٣٢ (قسم أول). (٥) فى دلائل النبوّة للبيهقى ورقة ١٤١
(٦) عن دلائل النبوة للبيهقى. (٧) طبقات ابن سعد ١: ١٣٣. (٨) العلاقة: الخصومة.

قال ابن عباس[1] رضى الله عنه : لمـا أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ صعِد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصَّفا فقال : "يا معشر قريش"، فقالت قريش : محمد على الصَّفا يهتِف، فأقبلوا واجتمعوا، فقالوا : مالك يا محمد؟ فقال : "أرَأيْتَكُمْ لو أخبرتكم أن خيلا بسفْح هذا الجبل أكنتم تصدّقونى"؟ قالوا : نعم، أنت عندنا غير مُتَّهم، وما جرَّبنا عليك كذِبا قط، قال : "فإنى نذير لكم بين يدى عذابٍ شـديد يا بنى عبدِ المطلب يا بنى عبـد مَناف يا بنى زُهرة"، حتى عدَّد الأفخاد من قريش "إن الله أمرنى أن أُنذِر عشيرتى الأقربين، وإنى لا أملِك لكم من الدُّنيا منفَعة، ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله" قال : فقال أبولهبٍ : تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ ﴾ السورةَ كلَّها . قال الواقدى[2] : لمـا أظهر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسـلام ومن مَعه، وفشا أمره بمكّة، ودعا بعضُهم بعضا، فكان أبو بكر يدعو ناحيةً سرًّا، وكان سعيد بن زيد مثله[3]، وعثمانُ مثـلَ ذلك، [وكان عُمر يدعو علانيةً وحمزةُ ابن عبـد المطلب][4] وأبو عُبَيدة بن الجـرّاح ؛ فغضِبت قريش من ذلك، وظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحسَدُ والبَغى، وأشخص[5] به منهم رجالٌ فبادَوه، وتستَّر آخرون وهم على ذلك الرّأى، إلا أنهم يُنزِّهون أنفسهم عن القيام والإشخاص برسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) نقله ابن سعد فى الطبقات ١ : ١٣٣ (قسم أوّل)، وابن كثير فى البداية ٣ : ٣٨ على خلاف فى الرواية .

(٢) نقله ابن سعد فى الطبقات ١ : ١٣٣ (قسم أوّل) .

(٣) فى طبقات ابن سعد : « زيد مثل ذلك، وكان عثمان » .

(٤) عن ابن سعد فى الطبقات ١ : ١٣٣ (قسم أوّل) .

(٥) أشخصوا به : أقلقوه .

ذكر أعداء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

الذين جاهروا بالعداوة

قالوا : كان[١] أهل العداوة والمباداة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين يَطلبون الجدَلَ والخُصومة : أبو جهل بن هشام، وأبو لَهب بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يَغوث، والحارث بن قيس بن عَدىّ، والوليد بن المُغيرة، [وأمية وأُبَىّ ابنا خلَف ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة][٢] ، والعاص بن وائل ، والنّضر ابن الحارث، ومُنبِّه بن الحجاج، وزُهير بن أبى أُمية، والسائب بن صيفىّ [بن عابد][٣]، والأسود بن عبد الأسد ، والعاص بن سعيد بن العاص ، والعاص بن هشام[٤] ، وعُقبة بن أبى مُعيط ، وأبو الأَصْدَى[٥] ، وهو الذى نطحته الأَروَى ، والحكَم ابن أبى العاص، وعَدىّ بن الحمرَاء، وذلك أنهم كانوا جيرانَه، والذين[٦] كانت تنتهى عداوةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : أبو جهل ، وأبو لَهب ، وعُقْبة ابن أبى مُعَيط، وكان عُتبة[٧] وشَيبة ابنا ربيعة وأبو سُفيان بن حَرب أهلَ عداوة، ولكنهم لم يُشخِصوا بالنبى صلى الله عليه وسلم، كانوا كنحو قريش ، ولم يسلم من هؤلاء إلا أبو سُفيان والحكَم بن أبى العاص .

(١) انظر طبقات ابن سعد ١ : ١٣٣ (قسم أوّل) .

(٢) عن ابن سعد ١ : ١٣٣ (قسم أوّل) .

(٣) عن ابن سعد أيضا .

(٤) فى طبقات ابن سعد : « ابن هاشم » .

(٥) ابن سعد : « وابن الأصدى الهذلى » .

(٦) فى الأصل : « والذى كانت » تصحيف .

(٧) انظر طبقات ابن سعد ١ : ١٣٤ : (قسم أوّل) ، وشرح المواهب ١ : ٢٨٢ ، والبداية ٣ : ٤٧ .

ذكر دخول قريش على أبى طالب فى أمر رسول الله

صلى الله عليه وسلم وما كان بينهم من المحاورات

قال محمد بن إسحاق[(١)] :

لما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعتبهم[(٢)] من شيء أنكروه عليه، ورأوا أن عمّه أبا طالب قد حدب عليه، وقام دونه فلم يسلمه[(٣)] لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبى طالب، وهم : عُقْبة وشيبة ابنا ربيعة ابن عبد شمس، وأبو سفيان صخر بن حرب، وأبو البخترىّ العاص بن هشام، والأسود بن المطّلب بن أسد، وأبو جهل عمرو بن هشام، ونَبيه ومُنَبّه ابنا الحجّاج ابن عامر، والعاص بن وائل، فقالوا : يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضلّل آباءنا، فإما أن تكفّه عنا، وإما أن تخلّى بيننا وبينه، فإنك على سبيل[(٤)] ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا، وردّهم ردّا جميلا، فانصرفوا عنه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يُظهر دينَ الله ويدعو إليه، ثم شَرِى[(٥)] الأمرُ بينه وبينهم حتى تباعد الرّجال وتضاغنوا، وأكثرت قريش ذِكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها، فتذامروا[(٦)] فيه، وحضّ بعضُهم بعضا عليه،

(١) نقله ابن هشام فى السيرة ١ : ٢٨٢، وانظر عيون الأثر ١ : ٩٩ .

(٢) لا يعتبهم : لا يرضيهم ؛ يقال استعتبنى فأعتبته : أى أرضيته وأزلت العتاب عنه .

(٣) فى عيون الأثر ١ : ٩٩ : «ولم يسلمه» .

(٤) فى الطبرى ٢ : ٢١٨ وعيون الأثر ١ : ٩٩، والبداية : ٣ ؛ ٤٧ : «على مثل» .

(٥) شرى الأمر : اشتدّ واستفحل، وفى الأصل : «سرى» تصحيف .

(٦) تذامروا : أى تلاوموا على فوت الفرصة، أو حض بعضهم بعضا على الجد فى القتال . وانظر شرح المواهب للزرقانى ١ : ٢٤٨ .

ثم مشوا إلى أبى طالب مرّة أخرى فقالوا : يا أبا طالب، إن لك سنًّا وشرفا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنّا، وإنا والله لا نصبر على هذا، من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفّه عنا، أو ننازلَه وإيّاك فى ذلك حتى يهلك أحدُ الفريقين ؛ ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبى طالب فراقُ قومه وعداوتُهم، ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه . ٥

فبعث أبو طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخى، إن قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا، فأبق علىّ وعلى نفسك، ولا تحمِّلنى من الأمر ما لا أطيق ؛ قال : فظنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا[1] لعمه فيه، وأنه خاذله ومسلمُه، وأنه قد ضَعف عن نُصرته والقيامِ معه، فقال له :[2] "يا عمّ، والله لو وضعوا الشّمس فى يمينى والقمرَ فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك فيه ما تركتُه"؛ ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] وقام ، فلما ولّى ناداه أبو طالب فقال : أقبل يا ابن أخى، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت، فوالله لا أُسلمك لشىء أبدا . ١٠

قال[4] : ثم إن قُريشا لما عرفوا[5] أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه، وإجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعُمارة ابن الوليد بن المغيرة، فقالوا له : يا أبا طالب، هذا عُمارة بن الوليد أنهَدُ[6] فتى فى قُريش وأجمله، فخذه فلك عَقلُه ونَصرُه، واتّخذه ولدا فهو لك خير، وأَسلِم لنا ابن أخيك هذا ١٥

(١) فى الأصل : « قد بذل » .
(٢) فى البداية (٣ : ٤٨) عن ابن إسحاق : « فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم » .
(٣) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٥ ، وعيون الأثر ١ : ١٠٠ ، والبداية ٣ : ٤٨ : « وسلم فبكى ثم قام » . ٢٠
(٤) القائل ابن إسحاق ، وانظر السيرة لابن هشام ١ : ٢٨٥ ، وعيون الأثر ١ : ١٠٠ .
(٥) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٥ ، وعيون الأثر : « حين عرفوا » .
(٦) أنهد : أشد وأقوى .

الذى قد خالف دينك ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك، وسفّه أحلامهم فنقتله، فإنما هو رجُل برجل(١)، قال(٢): والله لبئس ما تسومونى، أتعطونى(٣) ابنكم أغذُوه لكم، وأُعطيكم ابنى تقتلونه؟ هـذا والله ما لا يكون أبدا، فقال له(٤) المطعِم بن عدىّ ابن نوفل بن عبد مَناف بن قُصىّ: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومُك، وجهدوا على التخلُّص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا؛ فقال له أبو طالب: والله ما أنصفونى، ولكنك أجمعت(٥) خِذلانى ومظاهرة القوم علىّ، فاصنع ما بدا لك، فحَقِب(٦) الأمرُ، وحَميت الحربُ، وتنابذ القوم، وبادى بعضُهم بعضا.

قال الواقدى(٧):

لما أجابهم أبو طالب بما قدّمناه من أنهم ما أنصفوه قالوا له: فأرسل إليه فلنُعطِه النّصَف، فأرسل إليه أبو طالب، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يابن أخى، هؤلاء عُمومتك، وأشرافُ قومك، وقد أرادوا ينصفونك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قولوا أَسمعَ" قالوا: تَدعُنا وآلهتَنا، وندعُك وإلهَك، قال أبو طالب: قد أنصفَك القوم فاقبَل منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرأيتكم(٨) إن أعطيتكم هذه هل أنتم مُعطىّ كلمةً إن أنتم تكلّمتم بها، ملكتم بها العَرب، ودانت لكم بها العجَم"؟ فقال أبو جهل: إنّ هذه لكلمةٌ مربحة، نعم، وأبيك

(١) فى الأصل، وعيون الأثر: «رجل كرجل»، وانظر البداية ٣ : ٤٨ .
(٢) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٥ : «فقال» .
(٣) فى الأصل: «أتعطونى» .
(٤) فى الأصل: «فقال له المطعم» تصحيف، وانظر الطبرى ٢ : ٢٢٠ .
(٥) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٨، وعيون الأثر: «قد أجمعت» .
(٦) حقب الأمر: زاد واشتدّ .
(٧) نقله ابن سعد فى الطبقات ١ : ١٣٥ (قسم أوّل) .
(٨) فى رواية ابن سعد: «أرأيتم» .

لنقولَنّها وعشرَ أمثالها ، قال : " قولوا لا إله إلا الله " ، فاشمأزُّوا ونَفروا منها وغضبوا ، وقاموا وهم يقولون : ﴿ وَٱصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ ، ويقال : إن الذى تكلّم بها عُقبَة بن أبى مُعَيط ، وقالوا : لا نَعود إليه أبدًا ، وما خيرٌ من أن نَقتال محمدا[1] . فلما كان من تلك الليلة[2] ، فقَد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء أبو طالب وعُمومته إلى منزله فلم يجدوه ، فجمع فِتيانا من بنى هاشم وبنى المطّلب ، ثم قال : ليأخُذ كلُّ واحدٍ حديدةً صارمة ، ثم ليتبعْنى إذا دخلت المسجد فليجلس كلُّ فتًى منكم إلى عظيم من عظمائهم ، فيهم ابن الحنظلِيّة ، يعنى أبا جهلٍ ، فإنه لم يغب عن شرّ إن كان محمد قد قُتِل ، فقال الفِتيان : نفعل ، فجاء زيد بن حارثة ، فوجد أبا طالب على تلك الحال ، فقال : يا زَيد ، أَحْسَسْتَ[3] ابنَ أخى ؟ قال : نعم ، كنت معه آنفا ، فقال أبو طالب : لا أدخل بيتى أبدًا حتى أراه ، فخرج زيد مسرعا حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيتٍ عند الصَّفا ، ومعه أصحابه يتحدّثون ، فأخبَره الخبر ، فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى طالب ، فقال : يابن أخى ، أين كنت ؟ أكنتَ فى خير ؟ قال : نعم ، قال : ادخل بيتَك ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبح أبو طالب غدا على النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخذ بيدِه فوقف على أندية قُريش ومعه الفِتيان الهاشميّون والمطّلبيّون ، فقال : يا معشر قُريش ، هل تدرون ما همَمت به ؟ قالوا : لا . فأخبرهم الخبر ، وقال للفتيان : اكشِفوا عما فى أيديكم ، فكشَفوا فإذا كلُّ رجل معه حَديدة صارمة ، فقال : والله لو قتلتموه ما بقّيتُ منكم أحدا حتى نتفانَى نحن وأنتم ، فانكسر القوم ، وكان أشدَّهم انكسارا أبو جهل .

---

(١) ابن سعد : « يغتال محمد » . (٢) ابن سعد « كان مساء تلك » .

(٣) أحسست : هل رأيت .

ذكر تحزّب قُريش على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأذاهم له ولأصحابه

قال ابن إسحاق[(١)] :

لما أيست قُريش من أبى طالب، وأنه لا يَخذُل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يُسلِمه أبدا، تآمروا[(٢)] بينهم على من فى القبائل مِن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [الذين أسلموا معه][(٣)] ، فوثبت كلُّ قبيلةٍ على من فيهم من المسلمين يُعذّبونهم ويَفتِنونهم عن دينهم، فقام أبو طالب حين رأى قُريشا يصنعون ذلك فى بنى هاشم وبنى المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه من مَنْع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيامِ دونه، فقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبى لَهَب فإنه تمادَى على غيّه وكُفره .

قال[(٤)] : ثم اجتمع نفَر من قريش إلى الوليد بن المُغيرة، وكان ذا سِنّ فيهم وقد حضر الموسِم فقال لهم : يا معشَر قريش، إنه قد حضر هذا الموسمُ، و إنّ وفود العرب ستفِد[(٥)] عليكم فيه ، وقد سمِعوا بأمر صاحبكم هذا، فأَجمِعُوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلِفوا فيكذِّبَ بعضُكم بعضا ويردَّ قولُكم بعضُه بعضا، قالوا : فأنت يا أبا عبد شَمس فقل، وأَقِم لنا رأيا نقول به، قال : بل أنتم فقولوا أَسْمَعْ ؛ قالوا : نقول كاهن ؛ قال : لا ، واللهِ ما هو بكاهن، لقد رأينا الكُهّان فما هو بزَمزَمة[(٦)]

(١) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٧ .

(٢) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٧ : « تذامروا » ، وانظر الزرقانى ١ : ٢٤٨ ، والبداية ٣ : ٤٩ .

(٣) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٧ ، وانظر الزرقانى ١ : ٢٤٨ ، والبداية ٣ : ٤٩ .

(٤) القائل ابن إسحاق ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٨ وعيون الأثر ١ : ١٠١ .

(٥) فى عيون الأثر : « ستقدم » .

(٦) فى الأصل : « برمرمة » .

الكاهن ولا سجعه، قالوا : فنقول مجنون، قال : ما(١) هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا : فنقول شاعر، قال : ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كلّه رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر، قالوا : فنقول : ساحر، قال : ما هو بساحر، لقد رأينا السُّحار وسحرهم، فما هو بنفثه ولا عقده(٢)، قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق(٣)، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عُرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا : ساحر، جاء بقول هو سحر يُفرّق بين(٤) المرء وأبيه، وبين المرء [وأخيه، وبين المرء](٥) وزوجه، وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبيل الناس حين قدموا الموسم، لا يمرّ بهم أحد إلا حذّروه إياه وذكروا له أمره، فأنزل الله تعالى في الوليد ابن المغيرة : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴾ أي خصيما مخالفا ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾. قال ابن هشام : بسر(٦) أي كرّه وجهه، ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾.

(١) في عيون الأثر : « والله ما هو ».

(٢) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٩ : « بنفثهم، ولا عقدهم ».

(٣) يروى أيضا : « لغدق » بغين معجمة، وكسر الدال، وفي الأصل : « لغدقه »، وانظر شرح المواهب ١ : ٢٥١، وعيون الأثر ١ : ١٠١.

(٤) في عيون الأثر ١ : ١٠١ : « يفرق به بين ».

(٥) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٩، وعيون الأثر ١ : ١٠١.

(٦) في السيرة ١ : ٢٨٩.

قال ابن إسحاق[١] :

وأنزل الله فى النَّفَر الذين كانوا معه يصنِّفون القَول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من عند الله : ﴿ الذينَ جَعَلُوا الْقُرآنَ عِضِينَ ﴾ أى أصنافا ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسأَلَنَّهُم أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

قال ابن إسحاق[٢] :

وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتشر ذِكْرُه فى بلاد العرب كلها . قال[٣] : ثم ابتدأت قُرَيش فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فأغروا به صلى الله عليه وسلم سفهاءهم ، فكذَّبوه وآذوه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُظهِرٌ لأمر الله لايستخفِى به ، مُبادٍ لهم بما يكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفِراقه إياهم[٤] على كفرهم .

قال محمد بن إسحاق[٥] :

حدثنى يحيى بن عُروة عن الزُّبير عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قال : قلت له ما أكثرُ ما رأيت قريشا أصابوا[٦] من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يُظهِرون[٦] من عداوته ؟ قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحِجْر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما رأينا مثلما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قَطّ ، سفَّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ،

(١) نقله ابن هشام فى السيرة ١ : ٢٩٠ .

(٢) نقله ابن هشام ١ : ٢٩١ ، وانظر عيون الأثر ١ : ١٠١ .

(٣) نقله ابن هشام ١ : ٣٠٨ .

(٤) فى الأصل : « وفراق آبائهم » تحريف .

(٥) انظر تاريخ الطبرى ٢ : ٢٢٣ .

(٦) فى تاريخ الطبرى ٢ : ٢٢٣ : « أصابت ... ... كانت تظهر » .

وعاب ديننا ، وفرّق جماعتنا ، وسبّ آلهتنا ؛ لقد صَبَرنا منه على أمرٍ عظيم ، أو كما قالوا ؛ فبينما هم فى ذلك إذْ طَلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مرّ بهم طائفا بالبيت ، فغمزوه ببعض القول ، قال : فعرفتُ ذلك فى وجهه صلى الله عليه وسلم ، ثم مضى ، فلما مرّ بهم الثانيةَ غمزوه بمثلها ، فعرفتُ ذلك فى وجهه ، ثم مرّ بهم الثالثةَ فغمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : "أتسمعون يامعشر قريش؟ أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذَّبح[1]". قال : فأخذت كلمتُه القوم حتى ما منهم رَجُل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدّهم فيه وَصاةً[2] قبل ذلك ليَرفؤه[3] بأحسن مايجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنتَ جهولا ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحِجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا دنا منكم و باداكم بما تكرهون تركتُموه ، فبينما هم فى ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وَثبةَ رجل واحد ، فأحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول : "نعم ، أنا الذى أقول ذلك". قال : فلقد رأيتُ رجلا منهم أخذ بمجمع[4] ردائه ، فقام أبو بكر دونَه وهو يبكى ويقول : ﴿أتقتُلونَ رَجُلًا أنْ يقولَ رَبِّيَ اللهُ﴾ ، ثم انصرفوا عنه . فإن ذلك لأشدُّ ما رأيتُ قريشا نالوا منه قطّ[5] .

(١) زاد أبو نعيم فى الدلائل ص ١٦٥ : « ... وأشار بيده إلى حلقه » . وفى الأصل : « بالريح » ، والمثبت عن ابن هشام ١ : ٣٠٩ ، وانظر شرح المواهب ١ : ٢٥١

(٢) الوصاة : الوصية . (٣) ليرفؤه : يهدّئه .

(٤) فى تاريخ الطبرى ٢ : ٢٢٣ : « بجمع ردائه » .

(٥) ذكر هذا الخبر بمعناه فى شرح المواهب ١ : ٢٥١ ، وانظر الطبرى ٢ : ٢٢٣ .

قالت أم كلثوم بنت أبى بكر الصدّيق رضى الله عنهما : لقد رجع أبو بكر يومئذ وقد صدَعوا فرق رأسه[1] ممّا جَبَذوه بِلحْيته، وكان رجلا كثير الشعر .

وخرّج الترمذيّ الحكيم فى «نَوادر الأصول» ، من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : اجتمعت قريش بعد وفاة أبى طالب بثلاثٍ فأرادوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل هذا يَجَأُه وهذا يُتَلْتِله[2] ، فاستغاث النبىّ صلى الله عليه وسلم فلم يغثه أحد إلا أبو بكر وله ضفيرتان ، فأقبل يَجَأُ ذا ويُتَلْتِل ذا ، ويقول بأعلى صوته : ويلكم ، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾[3] ، واللهِ إنه لرسول الله ، فقُطِعت إحدى ضَفيرتى أبى بكرٍ يومئذ ، فقال علىّ : واللهِ لَيومُ أبى بكر خيرٌ من مؤمن آلِ فرعون ، ذاك رجل كتم إيمانه فأثنَى الله عليه فى كتابه ، وهذا أبو بكر أظهر إيمانه وبذَل ماله ودمه لله عز وجل .

قال ابن هشام[4] :

حدّثنى بعضُ أهل العلم : أن أشدّ ما لقِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من قريش : أنه خرج يوما فلم يلقَه أحد من الناس إلّا كذّبه وآذاه [لا][5] حُرٌّ ولا عبد ، فرجع صلى الله عليه وسلم إلى منزِله فتدثّر من شِدّة ما أصابه ، فأنزل الله عز وجل عليه : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ .

(١) فى الأصل : « فوق » ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٣١٠ .

(٢) فى شرح المواهب ١ : ٢٥٢ : « وهذا يتلبه » .

(٣) نقله بمعناه فى شرح المواهب ١ : ٢٥٢ .

(٤) فى السيرة ١ : ٣٨٠ .

(٥) فى الأصل : « وآذاه حرّ ولا » .

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال محمد بن إسحاق[(١)] :

حدثنى رجلٌ مِن أَسلَم كان واعيةً[(٢)] : أن أبا جَهل بن هشام مر برسولِ الله صلى الله عليه وسلم عند الصَّفا فآذاه وشتمه ، ونال منه بعضَ ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلِّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاةٌ لعبد الله بن جُدْعان تسمعُ ذلك ، ثم انصرف أبو جهل عنه عامدًا إلى نادِى قريش عند الكعبة ، فلم يلبَث حمزةُ بن عبد المطلب أن أقبل متوشِّحا قوسه[(٣)] ، راجعا من قَنَصٍ له ، وكان حمزة أعزَّ فتًى فى قريش وأشده شكيمة ، فلما مر بمولاة ابن جُدْعان قالت له : ياأبا عُمارة : لو رأيتَ ما لقى ابن أخيك محمد آنفًا من أبى جَهْل ابن هشام ، وجَده ههنا جالساً فآذاه وسبَّه ، وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلِّمه محمد ، فغضب حمزة ، فخرج يسعَى حتى دخل المسجد فنظر إلى أبى جهلٍ جالسا فى القوم ، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ، فشجَّه شجَّة منكرة ، ثم قال : أتشتُمه؟ فأنا[(٤)] على دينه أقول ما يقول ، فرُدَّ ذلك علىَّ إن استطعت ، فقامت رجال بنى مخزوم إلى حمزة لينصُروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عُمارة ، فإنى والله لقد سَببت ابن أخيه سَبًّا قبيحا ، وتمَّ حمزةُ على إسلامه ، وعلى ما بايع[(٥)] عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ؛ فلما أسلم حمزة عرفت

(١) نقله ابن هشام فى السرة ١ : ٣١١ ، وانظر شرح المواهب ١ : ٢٥٥ .

(٢) فى عيون الأثر ١ : ١٠٤ : « وكان واعية » .

(٣) فى عيون الأثر : « متوشحا سيفه » .

(٤) فى سيرة ابن هشام ١ : ٣١٢ ، وشرح المواهب ١ : ٢٥٦ : « وأنا » .

(٥) فى سيرة ابن هشام ١ : ٣١٢ : « ما تابع » ، وانظر شرح المواهب ١ : ٢٦٥ .

قُريش أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد عَزَّ وٱمتنع، وأن حمزةَ سيمنعه، فكَفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه قبلُ، قال : وكان إسلام حمزةَ قبل إسلام عمر ابن الخطاب — رضى الله عنهما — بثلاثة أيام.(١)

ذكرُ مشيِ عُتبة بنِ ربيعةَ، والوليدِ بنِ ٱلمغيرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسماعهما القرآن، واعترافِهما أنه لا يشبه شيئا من كلامهم، وما أشار [به] عُتبة على أَشراف قُريش فى أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

قال محمد بن إسحاق(٢) :

حدّثنى يزيد بن زياد(٣)، عن محمد بن كعب القُرَظىّ قال : حُدِّثت أن عُتبة بن ربيعة — وكان سيّدا — قال يوما وهو جالس فى نادى قريش، والنبىُّ صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحدَه : يا معشر قُريش، ألا أقوم إلى محمّدٍ فأكلّمَه وأَعرِضَ عليه أمورًا، لعلّه يقبل بعضَها فنعطيه أيّها شاء ويكفّ عنّا ؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثُرون، فقالوا : بلى يا أبا الوليد، فقُم إليه فكلِّمه، فقام إليه عُتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يٱبن أخى، إنّك منّا حيث قد علِمتَ من السِّطة فى العشيرة، والمكانِ فى النسب، وإنّك قد أتيت قومَك بأمرٍ عظيم فرّقتَ به جماعتَهم، وسفّهت به أحلامَهم، وعِبتَ(٤) به آلهتَهم ودينَهم، وكفَّرت به من مضى

(١) فى شرح المواهب ١ : ٢٥٦ : «سنة ست من النبوّة وقيل فى السنة الثانية»، وانظر أسد الغابة ٢ : ٤٦ — ٥٠ . (٢) نقله ابن هشام فى السيرة ١ : ٣١٣، وابن سيد الناس فى عيون الأثر ١ : ١٠٥ . (٣) فى عيون الأثر : «ابن أبى زياد» .

(٤) فى الأصل : «عيبت»، والمثبت رواية ابن هشام .

من آبائهم، فاسمَع منى أَعرِضْ عليك أُمورا تنظر فيها لعلّك تقبل منها[1] بعضها، قال : "قل ياأبا الوليد أسمع"، قال : يابن أخى، إن كنتَ إنما تريد ممّا جئتَ به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكونَ أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطعَ أمرا دونك، وإن كنت تريد مُلكا ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًّا[2] تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبْنا لك الطِّبّ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرِئك منه، فإنه ربّما غلب التابع على الرجل حتى يداوَى منه، أو كما قال له . حتى إذا فرغ عُتبة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسمع[3] منه قال: "أقد فرغتَ ياأباالوليد"؟ قال : نعم، قال : "فاستمع منى"، قال : أفعل، قال : ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . حَمٓ . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ[4]﴾ . ثم مضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها عُتبة أنصت لها، وألقى يديه خلفَ ظهره معتمدًا عليهما[5] يستمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى السَّجدة فسَجد[6]، ثم قال : "قد سمعتَ ياأبا الوليد ما سمعتَ، فأنت وذاك" .

فقام عُتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهَب به، فلما جلَس إليهم قالوا : ما وراءَك

(١) كذا فى سيرة ابن هشام ١ : ٣١٣، وفى شرح المواهب ١ : ٢٥٨ : « منا » .

(٢) الرئى بفتح الراء فهمزة مكسورة فياء مشددة : التابع من الجن، وقيل : التابع المحبوب من الجن . وانظر النهاية (رأى)، وشرح المواهب ١ : ٢٥٨ .

(٣) فى سيرة ابن هشام ١ : ٣١٤ : « يستمع » .

(٤) سورة فصلت الآيات من ١ — ٤ .

(٥) فى الأصل : « معتمدا عليها »، والمثبت رواية ابن هشام .

(٦) عيون الأثر ١ : ١٠٦ : « السجدة منها فسجد » .

يا أبا الوليد ؟ قال : ورَائى أنى سمعتُ قولاً واللهِ ما(١) سمعت مثله قطّ ، والله ما هو بالشِّعر ، ولا بالسِّحر ، ولا بالكَهانة ، يا معشر قريش ، أَطِيعونى واجعلوها بى ، وخَلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فآعتزلوه ، فوالله ليكونَنّ لِقوله الذى سمعتُ نبأٌ [عظيم](٢)، فإن تصبْه العرب فقد كُفِيتموه بغيركم(٣)، وإن يَظْهر على العرَب فملكه ملككُم، وعِزُّه عزّكم، وكنتم أسعد الناس به؛ فقالوا(٤) : سَحَرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال : هذا رأيى فيه، فاصنعوا ما بَدا لكم .

٧٠ / ١٤

وروى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقىّ(٥) بسنده إلى جابر بن عبد الله، قال : قال أبو جهل والملأُ من قُريش: لقد انتشر علينا أمر محمد، فلو التمستم رجلا عالما بالسحر والكَهانة والشِّعر فكلَّمه، ثم أتانا ببيان أمره ؟ فقال عتبة : لقد سمعتُ بقول السحَرة والكهانة والشعر، وعلمت من ذلك علماً، وما يخفَى علىَّ إن كان كذلك، فأتاه عُتبة(٦) فقال: يامحمد، أنت خيرٌ أَم هاشم ؟[أنت خيرٌ أم عبدالمطّلب(٧)]؟ أنت خيرٌ أم عبدالله؟ فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فبِمَ تشتُم آلهتنا، وتضلِّل آباءنا؟ فإن كنت إنما بك الرئاسة عَقَدْنا ألويتَنا لك ، فكنتَ رأسَنا ما بقيت، وإن كان بك الباه زوّجناك عشرَ نسوةٍ تختارُ من أىّ بنات قريش شئت ، وإن كان بك المالُ جمعْنا لك من أموالنا ما تستغنِى بها أنت وعَقِبك من بعدك، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلَّم؛ فلما فرغ من حديثه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) فى سيرة ابن هشام : «أنى قد سمعت» .
(٢) فى الأصل، وعيون الأثر ١ : ١٠٦ : «نبأ فإن»، والرواية المثبتة عن ابن هشام ١ : ٣١٤ .
(٣) فى الأصل : «لغيركم» . (٤) فى سيرة ابن هشام، وعيون الأثر : «قالوا» .
(٥) دلائل النبوّة ورقة ١٤٦ . (٦) فى دلائل النبوّة : «فأتاه، فلما أتاه قال له عتبة» .
(٧) عن دلائل النبوّة .

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . حٰمٓ . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾[1] حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[2] ، فأمسك عُتبة على فِي النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وناشَده الرَّحِم أن يكفَّ ، ولم يخرج إلى أهله واحتبَس عنهم ؛ فقال أبو جهل : يا عُتبة ، ما حسِبنا إلا أنك صَبَوْت إلى محمد وأعجبك أمرُه ، فإن كانت بك حاجةٌ جمعنا لك من أموالنا ما يُغنيك عن طعام محمد ، فغضب وأقسم بالله لا يكلّم محمّدا أبدا ، وقال : لقد علمتم أنّى من أكثرِ قريش مالا ، ولكنى أتيته ، وقصّ عليهم القِصّة ، قال : فأجابنى بشيءٍ والله ما هو بسحرٍ ولا شِعر ولا كَهانة ، قرأ علىّ : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . حٰمٓ ﴾ إلى قوله : ﴿ مِثْلَ صَاعِقَةِ عادٍ وثَمُودَ ﴾ فأمسكت بفِيه وناشدتُه الرحم أن يكفّ ، وقد علمتُم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذِب فيه ، فخفت أن ينزل بكم العذاب .

وأما الوليد بن المغيرة فقد روَى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقىّ[3] بسنده عن عِكرمة عن ابن عباس أن الوَليد بن المغيرة جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال : يا عمّ إن قومك يَرَوْن أن يجمعوا لك مالا ، قال : لِمَ ؟ قال : ليُعطوكَه ، فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قِبَله ، قال : قد علِمتْ قريشٌ أنى من أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولا يَبْلُغ قومَك أنك مُنكِرٌ له[4] ، وأنك كاره له ، فقال[5] : وما ذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منّى ، ولا أعلم برَجَزِه ولا بقَصيدِه منّى ، ولا بأشعار الجنّ ؛ والله مايُشبِه الذى يقول شيئا من هذا ، [و][6] والله إن لقوله الذى يقول لحَلاوة ، وإن عليه لطَلاوة ، وإنه لمثمِر أعلاه ، مُغدِقٌ أسفلهُ ، وإنه لَيعلو وما يُعلَى ، وإنه ليَحطم ما تحته . قال :

(١) سورة فصلت الآيات من ١ — ٣ (٢) سورة فصلت آية ١٣
(٣) دلائل النبوّة ورقة ١٤٥ . (٤) فى دلائل النبوّة : « منكر لها » .
(٥) فى دلائل النبوّة : « قال » . (٦) تكملة من دلائل النبوّة .

لا يرضى عنك قومُك حتى تقول فيه . قال : فدَعْنى حتى أُفكّر فيه، فلما فكّر قال : هذا سِحرٌ يُؤْثَر، يأثره عن غيره [(١)]، فنزل قولُه تعالى : ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ... ﴾ [(٢)] الآيات .

وعن عِكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له : ٥ اقرأ علىَّ، فقرأ عليه : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ والإِحْسانِ وإِيتاءِ ذِى القُرْبَى، وَيَنْهَى عنِ الفَحْشاءِ والمنْكرِ والبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [(٣)]، قال : أعِد علىّ، فأعاد عليه النبىّ صلّى الله عليه وسلم فقال : والله إنّ له لحلاوة، وإنّ [عليه لطَلاوة، وإن] [(٤)] أعلاه لمثمِر، وإن أسفله لمَغدِق، وما يقول هذا بشَرٌ .

ذِكر اجتماع أشراف قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٠ وما عرضوا عليه وما طلبوا منه أن يُرِيَهم ويُخبرَهم به من القصص، وأخبار مَن سَلَف وغير ذلك من عَيَهم، وما أُنزل عليه فى ذلك ممّا سنذكره إن شاء الله تعالى، ويُترجم على بعض ما انطوت عليه هذه الترجمة من القَصص بما يدل عليها، ويبيّنها من التراجِم وإن كانت داخلة فيها .

٧١/١٤

قال محمد بن إسحاق [(٥)] :

١٥ ثم إن الإسلام جعل يفشُو بمكّة فى قبائل قريش ، فى الرجال والنساء . وقُريش تحبِس من قَدَرتْ على حبسه، وتفتِن من استطاعت فِتنتَه من المسلمين، ثم اجتمعت أشرافُ قريش من كلّ قبيلةٍ، كما رُوِى عن سعيد بن

(١) فى الأصل : « فأثره عن غيره » وانظر دلائل النبوّة ورقة ١٤٥ .
(٢) سورة المدثر آية ١١ .
٢٠ (٣) سورة النحل آية ٩٠ .
(٤) فى الأصل : « لحلاوة، وإن أعلاه »، والتكملة عن البيهقى حيث النقل عنه .
(٥) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٣١٥ .

جُبير وابنِ عباس ، قالا : اجتمع عُتبة بن ربيعة ، وشَيبة بن رَبيعة ، وأبو سُفيان ابن حَرب ، والنَّضر بن الحارث بن كَلَدة ، وأبو البَختريّ بن هِشام ، والأسود ابن المطّلب بن أسَد ، وزَمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جَهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أميّة ، والعاص بن وائل ، ونُبيه ومُنَبِّه ابنا الحجّاج السَّهْميّان ، وأمية ابن خَلَف ، أو من اجتمع منهم ، فاجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظَهْر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : اِبعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصِموه حتى تُعذِروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشرافَ قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك ، فأتِهم ؛ فجاءهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سريعًا ، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلّمهم فيه بَداء ، وكان حريصًا عليهم ، يحبّ رُشدهم ،(١) حتى جَلس إليهم فقالوا : يا محمد إنّا قد بَعثنا إليك لنكلّمك ، وإنا والله لانعلَم رجلا من العرب أدخلَ على قومه ما أدخلتَ [على قومك](٢) ، لقد شتمتَ الآباء ، وعِبت الدِّين ، وسبَبْتَ(٣) الآلهة ، وسفَّهت الأحلام ، وفرّقت الجماعة ، فما بَقِيَ أمرٌ قبيح إلا وقد جئتَه فيما بيننا وبينك ، أو كما قالوا له ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالًا جمعنا لك ، وكلّموه بنحو ما كلّمه به عُتبة بن رَبيعة على ما قدّمناه آنفا .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : "[ما](٤) بي ما تقولُون ، ما جئتُ بما جئتُكم أطلُب به أموالَكم ، ولا الشرفَ فيكم ، ولا المُلكَ عليكم ، ولكنَّ الله بعثني إليكم رسولا وأنزل عليكم(٥) كتابا ، وأمَرني أن أكون بشيرا ونذيرا ، فبلّغتُ لكم رسالاتِ ربّي ونصحتُ لكم ، فإن تقبَلوا منّي ما جئتكم به فهو حظّكم في الدنيا والآخرة ، وإن

(١) في ابن هشام بعد قوله « رشدهم » : « ويعز عليه عنتهم » .

(٢) تكملة عن ابن هشام الجزء الأوّل ص ٣١٥ .

(٣) في سيرة ابن هشام : « وشتمت الآلهة » .

(٤) تكملة عن ابن هشام .

(٥) في ابن هشام « عليّ » وهو الصواب .

تردّوه علىّ أصبرْ لأمر الله حتّى يحكمَ الله بينى و بينكم" أو كما قال — صلى الله عليه وسلم — . [قالوا يا محمد] (١) : فإن كنت غير قابل منّا شيئا ممّا عَرَضناه عليك فإنك قد علمتَ أنه ليس من الناس أحدٌ أضيقَ بلدا، ولا أقلَّ ماء ولا أشدَّ عيشا منّا ، فسلْ لنا ربَّك الذى بعثك به فليسيِّر عنّا هذه الجبالَ التى ضيّقتْ علينا ، وليَبسُط لنا بلادنا ، وليَخرِق (٢) لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق، وليَبعثْ لنا مَنْ مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يُبعث لنا منهم قصىّ بن كلاب ، فإنه كان شيخَ صدق ، فنسألهم عما تقول : أحقٌّ هو أم باطل، فإن صدقوك وصنعتَ لنا ما سألناك عرفْنا به منزلتَك من الله ، وأنه بعثك رسولا كما تقول . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما بهذا بُعثت إليكم ، إنما جئتكم من الله بما بعثنى به ، وقد بلّغتكم ما أرسلتُ به إليكم ، فإن تَقبلوه فهو حظُّكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه علىّ أصبرْ لأمر الله حتّى يَحكمَ اللهُ بينى و بينكم" . قالوا له : فإذا لم تَفعل هذا لنا فخذ لنفسك ، سَلْ ربّك أن يَبعثَ معك مَلَكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وسَلْه فليجعل لك جِنانًا وقُصورا وكُنوزا من ذهب وفضّة يغنيك بها عما نراك تبتغى ، فإنّك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاشَ كما نَلتمس ، حتى نعرف فضلَك ومنزلتَك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما أنا بفاعل، وما أنا بالذى يَسأل ربَّه هذا، وما بُعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا"، — أو كما قال — "فإن تَقبلوا ما جئتُكم به فهو حظّكم

(١) تكملة عن ابن هشام يقتضيها سياق الكلام .

(٢) رواية ابن هشام « وليفجر » .

فى الدنيا والآخرة، وإن تردّوه علىّ أصبرْ لأمر الله حتى يحكُم الله بينى و بينكم ". قالوا : فأَسقِط السماءَ علينا كِسَفا كما زعمتَ أن ربَّك إن شاء فَعَل ، فإنّا لا نؤمن لك إلّا أن تفعل . فقال صلى الله عليه وسلم : "ذلك إلى الله، إن شاء يفعلهُ بكم فَعَل " قالوا : يا محمد ، أفما علم ربُّك أنّا سنجلس معك ونسألُك عمّا سألناك عنه ونطلب ، فيتقدّم إليك فيُعلمك ما تُراجعنا به ، ويُخبرك بما هو صانع فى ذلك بنا، إذا لم نَقبل منك ما جئتَنا به ؟ إنه قد بلَغنا أنك إنما يعلّمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمٰن ، و إنا والله لا نؤمن بالرحمٰن أبدا ، فقد أعذَرْنا إليك يا محمد، و إنا والله لا نتركك وما بلغتَ منّا حتى نُهلِكك أو تُهْلِكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة ، وهى بَناتُ الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتىَ بالله والملائكة قَبيلا ؛ فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبى أميّة بن المغيرة — وهو ٱبن عمّته — فقال له : يا محمد، عرض عليك قومُك ما عرضوا فلم تَقبلْه منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلَتك من الله كما تقول ، ويصدّقوك ويتّبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلَك عليهم، ومنزلَتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجّل لهم بعضَ ما تخوّفهم به من العذاب فلَم تفعل — أو كما قال له — فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتّخذ إلى السماء سُلّما ، ثم تَرقَى فيه وأنا أنظر إليك حتّى تأتيها ، ثم تأتى معك بصكٍّ، ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وآيم الله لو فعلتَ ذلك ما ظننتُ أنى أصدّقك ؛ ثم ٱنصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أَسِفا لما فاته ممّا كان يطمع به من قومه حين دعوه[1] .

(١) فى الأصل : « عن دعوة » ، والتصويب عن ٱبن هشام ج ١ ص ٣١٩ .

ذكر قصة أبى جَهْل فى الحَجَر الذى قَصد قَتلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، وما شاهَده من حماية الله تعالى لنبيّه ، وكفايتِه إيّاه ورجوعِه إلى قومه وإخبارِهم بما شاهد

قال ٱبن إسحاق : ولمّا قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل : يا معشر قريش ، إنّ محمدا قد أبى إلّا ما تَرَوْن من عيبِ دينِنا ، وشتم آبائنا، وتسفيهِ أحلامنا، وسبِّ[1] آلهتِنا ؛ و إنى أعاهد اللهَ لأجلسنّ له غدا بحَجَر ما أطيق حَمْلَه ، فإذا سجد فَضَخْتُ به رأسَه ، فأسلِمونى عند ذلك أو ٱمنَعونى، فليصنعْ بعدَ ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ؛ قالوا : والله لا نُسلِمك لشىء أبدا ، فٱمض لما تريد ، فلمّا أصبح أخذ حَجَرا كما وصف ، ثم جلس ينتظره ، وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّى إلى بيت المَقدِس : وكان إذا صلّى صلّى بين الركن اليمانىّ والحجرِ الأسوَد : وجعل الكعبةَ بينه و بين الشام، وقام يصلّى وقريشٌ فى أنديتِهم ينتظرون ما أبو جَهْلٍ فاعل ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٱحتَمَل أبو جهل الحَجَر ثم أتى[2] نحوَه حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقِعا لونُه ، مرعوبا قد يبست يداه على حَجَرِه حتى قذف الحجر من يدهِ ، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له : مالك يا أبا الحَكَم ؟ فقال : قمتُ إليه لأفعل [به][3] ما قلتُ لكم البارحة ، فلمّا دنوتُ منه عَرَض لى دونَه فحلٌ من الإبل ؛ واللهِ ما رأيت مثلَ هامتِه

(١) فى السيرة لابن هشام ج ١ ص ٣١٩ : « وشتم » .

(٢) عبارة السيرة « أقبل » .

(٣) تكملة من ابن هشام .

ولا قَصَرَتِه(١) ولا أنيابِه لفحلٍ قطّ ، فهمّ أن يأكلنى . قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "ذاك جبريل لو دنا لأخَذَه" .

ومثل هذه القصة أيضا ، مارواه ٱبن إسحاق قال : قدم رجل من إراش — و يقال إراشة(٢) — بإبلٍ له مكة فٱبتاعها منه أبو جهل ، فمَطَلَه بأثمانها ، فأقبل الإراشىّ حتى وقف على نادٍ من أندية قريش ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ناحية المسجد جالس ، فقال الإراشىّ : يامعشر قريش ، مَن رجل يُؤْدِينى(٣) على أبى الحَكَم بنِ هشام ، فإنّى رجلٌ غريبٌ ٱبنُ سبيل ، وقد غلبنى على حقّ ؛ فقال له القوم : أترى ذلك الرجلَ الجالسَ؟ — يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يهزءون به — اذهب إليه فهو مُؤْدِيك عليه ؛ فأَقبلَ الإراشىُّ حتى وقف على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : ياعبد الله ، إن أبا الحَكَم قد غلبنى على حقٍّ لى قِبَلَه ، وأنا غريبٌ وٱبنُ سبيل ، ولقد سألتُ هؤلاء القومَ عن رجل يُؤْدِينى عليه فأشاروا لى إليك ، فخُذ [لى](٤) حقّى منه يرحمك ٱلله ، قال : "ٱنطَلِق إليه" ، وقام معه صلى الله عليه وسلم فلمّا رأَوْه قام [معه](٤) قالوا لرجل ممّن معهم : ٱتبعه فٱنظر ماذا يصنع ؟ قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضَرَب عليه بابه ، فقال : مَن هذا ؟ قال : "محمّدٌ فٱخْرُجْ إلىّ" فخرج وما فى وجهه رائحة(٥) (أى دم) قد ٱنتقِع(٦) لونُه فقال : أعطِ هذا الرجلَ حقَّه

(١) القصرة (بالتحريك) : أصل العنق . (٢) إراشة (بالكسر) : بطن من خثعم .

(٣) من يؤدينى على أبى الحكم ؛ أى على أخذ حق منه ، من آداه على فلان أى أعانه وقوّاه . ورواية ابن كثير ج ٣ ص ٤٥ « يعدينى » ، وهو بمعناه .

(٤) تكلة عن ابن هشام .

(٥) أى أنه مصفر من الخوف . والذى فى ابن كثير ج ٣ ص ٤٥ « فخرج وما فى وجهه قطرة دم » .

(٦) انتقع لونه (بالبناء للمجهول) : تغير لما نزل به .

قال : نعم ، لا يبوح[1] حتّى أعطِيَه [الّذى له][2] ، ودخل فخرج إليه بحقّه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال للإراشىّ : الحَقْ بشأنك ؛ فأقبل الإراشىّ حتّى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاه الله خيرا ، فقد والله أخذ لى حقّى ، وجاء الرجل الّذى بعثوه معه فأخبرهم الخبر ، قال : ثمّ لم يَلْبَثْ أبو جهل أن جاء ، فقالوا له : وَيْلَك ! والله مارأينا مِثْلَ ما صنعتَ قطّ ! قال : ويْحَكُم ! واللهِ ما هو إلّا أن ضَرَب علىّ بابى ، وسمعتُ صوته ، فمُلِئْتُ رُعْبا ، ثم خرجتُ إليه وإنّ فوق رأسه لَفَحْلا من الإبل ما رأيتُ مثل هامَتِه ولا قَصَرَته ولا أنيابِه لِفحل قطّ ، والله لو أَبَيْتُ لأكلنى .

ذكرُ خبرِ النَّضر بنِ الحارث ، وما قال لقريش ، وإرسالِهم إيّاه إلى يثربَ إلى أحبار يهودَ وعُقبةَ بنِ أبى مُعَيْط وما عادا به

قال : ولمّا رجع أبو جهل إلى قريش ، وألقى الحَجَرَ من يده وقصّ عليهم ما شاهد قام النضرُ بنُ الحارث بنِ كَلَدة فقال : يامعشر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أَتيتم له بحيلة بعدُ ، قد كان محمّـدٌ فيكم غلاما حَدَثا ، أرْضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا ، وأعظمَكم أمانة ، حتى إذا رأيتم فى صُدْغَيه الشيبَ — وقد جاءكم بما جاءكم به — قلتم : ساحر ، لا وآلله ما هو بساحر ، لقد رأينا السَّحرة ، نَفْثَهم وعقدَهم . وقلتم : كاهن ، لا وآلله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكَهَنة ، تَخالجهم ، وسمعنا سجعَهم . وقلتم : شاعر ، لا وآلله ما هو بشاعر ، لقد رأينا الشعر ، وسمعنا أصنافَه كلَّها ؛

(١) فى ابن هشام : « لا تبرح » .
(٢) تكملة من ابن هشام ج ١ ص ٢٣٨ .

هَزَجِه ورَجَزَه . وقلتم مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون ، ما هو بخَنْقِه ، ولا وَسْوَسَتِه ، ولا تخليطه ، يا معشر قريش ، فآنظروا فى شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم .

قال آبن إسحاق : وكان النضر بنُ الحارث من شياطين قريش ، وممّن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة ، وكان قد قَدِم الحِيرة وتعلّم بها أحاديثَ ملوكِ الفُرْس ورستم[1] وإسفنديار ، فكان إذا جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فذَكّر فيه بالله وحذّر قومَه ما أصاب مَن قَبْلَهم من الأمم من نِقْمة الله ، خَلَفه فى مجلسه إذا أقام ، ثم قال : والله يا معشر قريش أنا أحسنُ حديثا منه ، فهلمّ[2] فأنا أحدّثكم أحسنَ من حديثه ، ثم يحدّثهم عن ملوك فارسَ ورستم وإسفنديار ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثا منى !

قيل : والنضر هذا هو الذى قال[فيما بلغنى][3] : ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ﴾[4] ، قال آبن عباس : نزل فيه ثمانُ آياتٍ من القرآن : قوله تعالى ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[5] ، وكلّ ما ذُكر فيه الأساطيرُ من القرآن . قال : فلما قال لهم النضر بنُ الحارث ما قال بعثوه ، وبعثوا معه عقبةَ بنَ أبى مُعَيْط إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سلاهم عن محمّد ، وصِفَا لهم صفتَه وأَخبِراهم بقوله ، فإنّهم أهل الكتاب الأوّل ، وعندهم

(١) هو رستم بن ريسان من ملوك الترك فى زمن الكيانية قتله إسفنديار بن كى يشتاسف . وفى تاج العروس « إسفندياد » .

(٢) ورد فى ابن هشام ، بعد هذه الكلمة قوله « إلىّ » .

(٣) زيادة من ابن هشام بعد هذه الكلمة قوله « فيما بلغنى » .

(٤) سورة الأنعام آية ٩٣ .

(٥) سورة القلم آية ١٥ .

علمٌ حسن — ليس عندنا — من علم الأنبيـاء ؛ فخرجا حتى قَدِما المدينـة فسألا أَحبارَ يهودَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمرَه ، وأخبرَاهم ببعض قوله ، وقالا لهم : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هـذا ، فقال لهما أحبـار يهود : سـلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ ، فإن أخبَركم بهنّ فهو نبيّ مُرْسَل ، وإن لم يفعل فالرجل متقوِّل ، فَرَوْا فيه رأيَكم ، سلُوه عن فتيةٍ ذهبوا فى الدهر الأول، ما كان من أمرِهم ؟ فإنّه قد كان لهم حديثٌ عجيب ؛ وسَلُوه عن رجل طوّافٍ قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربَها ، ما كان نَبؤُه ؟ وسلُوه عن الرُّوح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فآتّبعوه فإنه نبيّ ، و إن لم يفعل فهو رجل متقوِّل فروا فيه رأيكم . فجاءوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، أَخبِرنا عن فتيةٍ ذهبوا فى الدهر الأول قد كانت لهم قصّة عَجَب ؛ وعن رجل كان طوّافا قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربَها ؛ وأخبِرْنا عن الرُّوح ما هى؟ فقال لهم رسـول الله صلى الله عليـه وسلم : "أُخبركم بما سألتم عنه غدًا" ، ولم يستثنِ بالمشيئة ، فا نصرَفوا عنه ، فمكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون خمسَ عشرة ليلةً لا يُحدث اللهُ فى ذلك وحيًا ، ولا يأتيه جبريلُ حتى أرجفَ[(1)] أهلُ مكّة وقالوا : وعَدَنا محمد غدا ، واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا[(2)] بشىء مما سألناه عنـه ، وحتى أحزن رسولَ الله صـلى الله عليه وسلم مُكْثُ الوحى عنه ، وشقّ عليه ما يتكلّم به أهـلُ مكة ؛ ثم جاءه جبريل من الله بسورة الكهف فيها خبرُ ما سألوا عنه ، فيقال : إنه صـلى الله عليـه وسلم قال لجبريل حين جاءه : لقـد آحتبستَ عنّى حتى سؤتُ ظنّا ؛ فقال له جبريل :

٧٤
١٤

(١) يقال : أرجف القوم ، إذا خاضوا فى الأخبار السيئة وذكر الفتن .

(٢) كذا فى ابن هشام . وهو الصواب . والذى فى الأصل : « لا تخبروا » ؛ وهو تحريف .

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (١) .

ذكر ما اشتملت عليه سورة الكهف مما سألوه عنه

قال أبو محمد عبدُ الملك بنُ هشام رحمه الله تعالى : افتتح اللهُ عزّ وجلّ السورةَ بحمده، وذكر نبوّة رسولِه صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ يعنى محمدا . قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا﴾ أى معتدلا لا اختلاف فيه . قوله : ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾ أى عاجل عقوبته فى الدنيا وعذابًا أليما فى الآخرة . قوله : ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ أى دار الخلد لا يموتون فيها، الذين صدّقوك بما جئتَ به مما كذّبك به غيرُهم ، وعملوا بما أمرتَهم من الأعمال . قوله : ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ يعنى قريشا فى قولهم : إنّا نعبد الملائكةَ وهى بناتُ الله . قوله : ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ (٢) الذين أعظموا فراقهم . قوله : ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ أى قولهم : إنّ الملائكة بناتُ الله . قوله : ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ أى مُهلكٌ نفسك لحزنه صلى الله عليه وسلم عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم ، أى لا تفعل . قوله : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أى أيّهم أتبع لأمرى، وأعملُ لطاعتى . قوله : ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ (٣) أى الأرض،

---

(١) سورة مريم آية ٦٤ (٢) زاد فى ابن هشام والقرطبى قوله : «وعيب دينهم» .

(٣) سورة الكهف الآيات من ١ — ٨ . والصعيد : وجه الأرض . والجرز : الأرض التى لا تنبت شيئا .

و إنّ ما عليها لفانٍ وزائل ، ولكنْ المرجعُ إلىّ فأَجزِى كلًّا بفعله ، فلا تأسَ ، ولا يَحزُنك ما ترى وتسمع فيها . ثم آستقبل القصّة فيما(١) سألوه عنه من شأن الْفِتْيَةِ .

فقال تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾، أى قد كان من آياتى فيما وضعت على العباد من حججى(٢) ما هو أعجب من ذلك .
٥ قال آبن هشام : والرقيم الكتاب الذى يرقم فيه بخبرهم ، وجمعه رُقُم .
ثم قال : ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ إلى قوله : ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ أى لم يشركوا بى كما أشركتم [بى](٣) ما ليس لكم به علم . قال : والشَّطَطُ، الغُلُوّ(٤) ومجاوزة الحق . قوله : ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾، أى بحجّة بالغة . ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ إلى قوله : ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ .
١٠ قال ابن هشام : تزاوَرُ، تميل، وهو من الزَّوَر، و﴿تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾، أى تجاوِزُهم وتتركُهم عن شمالها . والفَجْوة : السعة، وجمعها الفِجاء . قوله : ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أى فى الحجّة على مَن عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ممّن أمر هؤلاء بمسألتك عنهم فى صدق نبوّتك بتحقيق الخبر عنهم . قوله : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ إلى قوله ﴿بِالْوَصِيدِ﴾(٥) الوصيد : الباب . قال عبيد(٦) بنُ وهب العبسىّ منشدا :

١٥ بأرضِ فلاةٍ لا يُسَدُّ وَصِيدُها ... علىّ ومعروفى بها غير مُنكَرِ

٧٥/١٤

(١) رواية ابن هشام ص ١٩١ « ثم استقبل قصة الخبر فيما سألوه » إلخ .
(٢) عبارة ابن إسحاق : « من حججى » .
(٣) تكلة عن ابن هشام والجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٣٤٩ .
(٤) فى الأصل : « العلو » بالمهملة، والتصويب عن آبن هشام .
٢٠ (٥) سورة الكهف الآيات من ٩ — ١٨
(٦) كذا فى الأصل وابن هشام . والذى فى القرطبى ج ١٠ س ٣٥١ « عبد بن وهب » .

والوصيد أيضا الفناء، وجمعه وصائد ووُصُد ووُصْدان قوله : ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ ﴾
إلى قوله ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ ﴾ أهل المُلك ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾.
قوله : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ يعنى أحبار
يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم، فانهم لا علم لهم بهم . قوله : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ
إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ ﴾ إلى قوله ﴿ رَشَدًا ﴾ أى لا تقولنّ لشىء سألوك عنه ٥
كما قلت فى هذا : إنى مخبركم غدا، واستثنِ بمشيئة الله ﴿ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى ﴾
لخير مما سألتمونى عنه رَشَدا، فإنّك لا تدرى ما أنا صانع فى ذلك . قوله :
﴿ وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَمِائَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا تِسْعًا ﴾ أى سيقولون ذلك . ﴿ قُلِ ٱللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن
وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ أى لم يخف عليه شىء مما سألوا عنه ، وقال الله ١٠
عزّ وجل، فيما سألوه عنه من أمر الطّوّاف، وهو ذو القرنين : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن
ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ الآيات[1]، إلى آخر خبره . وقد ذكرنا قصة ذى القرنين فى الباب
الأوّل من القسم الرابع من الفنّ الخامس من كتابنا هذا، وهى فى الجزء الثانى عشر[2]
من هذه النسخة، ولا فائدة فى إعادتها .

وقال تعالى فيما سألوه عنه من [أمر][3] الرّوح[4] : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ١٥
ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[5] رُوى عن عبد الله بن عبّاس
رضى الله عنهما قال : لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال

(١) سورة الكهف الآيات من ١٨ — ٨٣ (٢) من تجزئة المؤلف .
(٣) تكملة عن ابن هشام ص ١٩٦
(٤) فى تفسير معنى الروح أقوال كثيرة أوردها القرطبى فى جامعه ١٠ : ٣٢٣ . ٢٠
(٥) سورة الإسراء آية ٨٥

أحبارُ يهودَ : يا محمد، أرأيت قولك : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] إيّانا تريد أم قومَك ؟ قال : كلّا . قالوا : فإنّك تتلو فيما جاءك إنّا قد أُوتينا التوراة فيها بيانُ كلّ شيء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنّها في عِلم الله قليل، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه» فأَنزل اللهُ تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] ، أي أن التوراة في هذا مِن علم الله قليل .

ذكر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال ، وتقطّع الأرض وبعث من مضى من آبائهم من الموتى ، وما سألوه لنفسه ، وما قالوه له بعد ذلك

أنزل الله عزّ وجلّ على رسوله صلى الله عليه وسلم فيما سأله قومُه لأنفسهم فيما قدّمنا ذِكره، قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾[3]، أي لا أصنع من ذلك إلّا ما شئت . وأنزل عليه في قولهم : خذ لنفسك ماسألوه أن يأخذ لنفسه قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا . أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾[4] . ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَٰلِكَ ﴾[5]، أي من أن تمشي في الأسواق

(١) سورة الإسراء : ٨٥ (٢) سورة لقمان : ٢٧ (٣) سورة الرعد : ٣١
(٤) سورة الفرقان : ٧، ٨ (٥) سورة الفرقان : ١٠

وتلتمس المعاش ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾. وأنزل عليه في ذلك : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا[1] ﴾، أي جعلتُ بعضكم لبعض بلاءً لتصبروا ، ولوشئتُ أن أجعل الدنيا مع رُسُلي ولا يخالفوا لفعلتُ. وأنزل عليه فيما قال عبدُ الله بنُ أميّة : ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا[2] ﴾، وأنزل عليه في قولهم: إنّا قد بلغنا [أنك][3] إنّما يعلّمك رجل باليمامة يقال له الرحمٰن، ولن نؤمن به أبدا، قولَه تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ[4] ﴾ . وأنزل عليه فيما قال أبو جهل وما همّ به قولَه تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ . عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ . أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ . أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ[5] ﴾ إلى آخر السورة. قال ابن هشام : لنسفعنْ : لنجذبنّ ولنأخذنّ . والنادي : المجلس الذي يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورَهم، وجمعُه أندية. يقول: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ[6] ﴾ أي أهلَ ناديه، كما قال تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ[7] ﴾ أي أهل القرية . وأنزل عليه فيما عرضوه عليه من أموالهم : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ[8] ﴾.

(١) سورة الفرقان : ٢٠ (٢) سورة الإسراء : ٩٠ — ٩٣
(٣) الزيادة عن ابن هشام ١ : ٣٢٢ (٤) سورة الرعد : ٣٠ (٥) سورة العلق : ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ . (٦) سورة العلق : ١٧ . (٧) سورة يوسف : ٨٢ .
(٨) سورة سبأ : ٤٧ .

ذكر ما كان من عناد قريش بعد ذلك وعقودهم[1]

قال : فلمّا جاءهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحقّ، وعرفوا صدقَه فيما حدّث ، وموقعَ نبوّته فيما جاءهم به من علم الغُيوب حين سألوه عمّا سألوه عتَوْا على الله واستمرّوا فى طغيانهم وعلى كفرهم ، فقال قائلهم : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[2] فإنكم إن ناظرتموه وخاصمتموه غلبكم . فقال أبو جهل يوما — وهو يهزأ برسول الله وما جاء به من الحقّ — : يامعشر قريش ، يزعم محمد أنّما جنودُ الله الذين يعذبونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عددا [وكثرة][3] ، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم . فأنزل الله تعالى فى ذلك : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[4] إلى آخر القصّة .

قال : ولمّا قال بعضهم لبعض : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ جعلوا إذا جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن وهو فى صلاته يتفرقون عنه ، ويأبَون أن يسمعوا له ، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ ما يتلو من القرآن وهو يصلّى ٱسترق السمعَ دونَهم فَرَقا منهم، فإن رأى أنّهم قد عرفوا به أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم أن يستمع ؛ وإن خفض صلى الله عليه وسلم صوتَه ظَنَّ الّذى يستمع أنهم لا يستمعون شيئا من قراءته ؛ وسمع هو شيئا دونَهم أصاخَ له يستمع منه ، فأنزل الله تعالى قولَه : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ

---

(١) عقودهم، أى عهودهم، من قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) أى بالعهود .

(٢) سورة فصلت : ٢٦

(٣) الزيادة عن ابن هشام ج ١ ص ٣٣٥

(٤) سورة المدثر ٣١ .

بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا[1] ﴾ يقول : لا تجهرْ بصلاتك فيفرّوا[2] عنك، ولا تخافت بها، فلا يَسمعها من يحبّ أن يسمعها ممّن يسترقُها دونَهم لعلّه يرعَوِى إلى بعض ما يسمع فينتفع به .

ذكر أوّل من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلّم

رُوى عن عروة بنِ الزّبير عن أبيه قال : كان أوّلَ مَنْ جهر بالقرآن بعد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عبدُ الله بنُ مسعود . قال : اجتمع يوما أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ما سمعتْ قريش هذا القرآنَ يُجهَر لها به قطّ مِنْ[3] رجل يُسْمِعُهُمُوه . فقال عبد الله بن مسعود : أنا؛ قالوا : إنّا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال : دعونى، إن الله سيمنعني؛ قال : فغدا آبن مسعود حتى أتى المَقام فى وقت الضُّحى وقريشٌ فى أنديتها، ثم قال رافعا صوته : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الرَّحْمَٰنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ[4] ﴾ ثم آستقبلها يقرؤُها ، وتأمّلوه فجعلوا يقولون : ماذا قال آبنُ أمِّ عَبْد ؟ ثم قالوا : إنه ليتلو بعضَ ما جاء به محمّد ؛ فقاموا إليه فجعلوا يضربون فى وجهه[5] وهو يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يَبلُغ ، ثم آنصرف إلى أصحابه وقد أثَّروا بوجهه ، فقالوا : هذا الذى خشينا عليك . قال : ما كان أعداءُ آلله أهونَ علىّ منهم الآن ، وإن شئتم لأغادينّهم بمثلها غدا ؛ قالوا : لا ، حَسْبُك ، قد أسمعتَهم ما يكرهون . والله الموفّق .

(١) سورة الإسراء : ١١٠ . (٢) رواية ابن هشام « فيتفرقوا » .
(٣) كذا فى الأصل . ورواية ابن هشام «فن رجل» بصيغة الاستفهام والمعنى عليها يستقيم أيضا .
(٤) آيتا ١ ، ٢ من سورة الرحمن .
(٥) عبارة ابن هشام « ثم أثروا فى وجهه » .

ذكر ما نال أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

من أذى قريش وعذابهم ليفتنوهم عن دينهم

قال محمّد بن إسحاق : ثم إنهم عَدَوْا على من أسلم واتّبع رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم من أصحابه ، فوثبتْ كلُّ قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم و يعذّبونهم بالضَّرْب والجوع والعطش ، وبرَمْضاء مكّة إذا اشتد الحر ، مَن استَضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يَفتتن[1] من شدّة البَلاء الذى يصيبه ، ومنهم مَن يعصمه الله ، فكان بلالُ بنُ رَباح[2] مولى أَبى بكر الصدّيق رضى الله عنهما لبعض بنى جُمَح مولَّدا من مولَّديهم ، وكان صادقَ الإسلام ، طاهرَ القلب ، فكان أميّة بن خلف يخرجه إذا حَميت الظَّهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكّة ، ثم يأمر بالصَّخْرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفرَ بمحمّد ، وتعبدَ اللاتَ والعُزَّى ؛ فيقول — وهو فى ذلك البلاء — أَحَد أَحَد ، فكان ورقةُ بنُ نوفل يمرّ به وهو يعذّب بذلك وهو يقول : أَحَد أَحَد ، فيقول : أَحَد أَحَد والله يا بلال ؛ ثم يقبل على أميّــة بن خلف وهو يصنع به ذلك فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه على هــذا لأتخذنّه حنانا[3] ؛ حتى مرّ به أبو بكر الصديق رضى الله عنه يوما وهم يصنعون به ذلك ، فقال لأميّة : ألا تتق اللهَ فى هذا المسكين ، حتّى متى ! فقال : أنت أفسدتَه فأنقِذه ممّا ترى . قال : أفعَل ، عندى غلام أسوَد أجلدُ منه وأقوى ، وهو على دينك ، أُعطيكَه به . قال : قد قبلتُ ؛ قال : هو لك . فأعطاه أبو بكر

(١) فى الأصل : « فمن يفتتن » وما أثبتناه عن ابن هشام (١ : ٢٠٥) .

(٢) فى الأصل ما يفيد أن بلالا كان من موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس كذلك ، فإن بلالا هذا كان من خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا من مواليه . انظر المعارف ص ٨٨ ، وابن كثير ج ٣ ص ٥٧ .

(٣) لأجعلن قبره موضع حنان ، فأزوره وأتبرك به .

غلامه ذلك، وأخذه فأعتقه، ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ستَّ رقاب؛ وهم عامر بن فُهَيرة، شهد بدرا وأُحُدا،[1] وأم عُمَيس،[2] وزِنِّيرة — وكانت روميّة لبني عبد الدار — فأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعُزّى، وما ينفعان. فردّ الله إليها بصرها؛ وأعتق النهدية وابنتها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار، فمرّ بهما وقد بعثتهما سيّدتهما بطحين لها وهي تقول: والله لا أعتقكما أبدا؛ فقال أبو بكر: حِلٌّ[3] يا أم فلان؛ فقالت: حِلٌّ أنت؛ أفسدتهما فاعتقهما، قال فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا؛ قال: أخذتهما وهما حرّتان، ارجعا إليها طحينها؛ قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نردّه إليها؛ قال: وذاك إن شئتما. ومرّ بجارية من بني مؤمّل (حيّ من بني عديّ بن كعب) — وكانت مسلمة — وكان عمر يعذّبها لتترك الإسلام، وعمر يومئذ مشرك، وهو يضربها حتى إذا ملّ قال: إني أعتذر إليك، لم أتركك إلا ملالة، فيقول: كذا يفعل الله بك. فابتاعها فأعتقها؛ فقال أبو قُحافة لأبي بكر: يا بنيّ، أراك تُعتق رقابا ضعافا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جُلْدا يمنعونك ويقومون دونك؛ فقال أبو بكر: يا أبتِ إني إنما أريد لله عزّ وجلّ ما أريد؛ فيقال: إنّ هذه الآيات أنزلت فيه رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ إلى قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾[4].

قال محمد بن إسحاق: وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمّار بن ياسر وبأبيه وأمّه — وكانوا أهل بيت إسلام — إذا حَمِيَت الظّهيرة يعذّبونهم برَمْضاء مكّة، فيمرّ بهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فيقول: "صبرا آل ياسر موعدكم الجنّة"،

(١) زاد في ابن هشام ٢٠٣ «وقتل يوم بئر معونة شهيدا». (٢) في الأصل «أم عيس» بالياء، والتصويب عن ابن هشام. (٣) أي تحللي من يمينك. (٤) الآيات ٥، ٦، ٢١ من سورة الليل.

فأما أمّه فقتلوها وهى تأبى إلا الإسلام [1] . قال أبو عمر : وهى سُمَيّة ، كانت أمَةً لأبى حُذَيفة بن المغيرة بنِ عبد الله بن عَمرو بن مخزوم ، فزوّجها من حليفهِ ياسر بن عامر بن مالك العَنْسى ، فوَلدت له عمّارا ، فأعتقه أبو حذيفة . وسميّة هذه أوّل شهيدةٍ فى الإسلام . وجاءها أبو جَهْل بحرْبة فى قُبلها فقتلها ، فقال عمّار : يا رسول الله ، بُلِغ منا — أو بُلِغ منها كلّ مبلغ — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صبرًا يا أبا اليقظان ، اللهم لا تُعَذِّبْ أحدا من آل ياسر [2] بالنار » .

٧٨/١٤

قال ابن إسحاق : وكان أبو جهل هو الذى يُغرى بهم فى رجال قريش إذا سمع برجل قد أسلم ، فإن كان له شرف ومَنَعَة أنّبه وخزّاه : فيقول : تركتَ دين أبيك وهو خير منك ، لنسفّهن حِلْمك ولَنُفَيِّلَنّ [3] رأيك ، ولنضعنّ شرفك ؛ وإن كان تاجرا ، قال : والله لنُكسِدنّ [4] تجارتك ، ولنهلكنّ مالك ؛ وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به . وروى عن سعيد بن جُبير قال : قلت لابن عبّاس رضى الله عنهم : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من العذاب ما يُعذَرون به فى ترك دينهم ؟ قال : نعم ، والله إنْ كانوا ليَضربون أحدَهم ويُجيعونه ويُعطشونه ، حتى ما يقدر أن يستوىَ جالسا من شدة الضرّ الذى به ، حتى يعطيَهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له : اللّات والعزّى إلٰهان من دون الله ، فيقول : نعم ، حتى إن الجُعَل ليمرّ بهم فيقولون له : هذا الجعَل إلٰهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداءً منهم ممّا يبلغون من جهده . والله المعين .

(١) كذا فى ابن هشام جـ ١ : ٣٤٢ ، وفى ابن كثير جـ ٣ ص ٥٩ : « فيقتلوها فتأبى إلا الإسلام » ، والذى فى الأصل : « تقتلونها تابا الإسلام » ، ولا يخفى ما فيه من تحريف .

(٢) فى الروض الأنف : « آل عمار » . (٣) لنفيلن ، من فيل رأيه : خطأه .

(٤) فى الأصل : « لنكسرن » . تصحيف . والتصويب عن ابن هشام ١ : ٣٤٢ ، ابن كثير جـ ٣ : ٥٧ .

ذكرُ هجرةِ أصحابِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الحبشة، وهى الهجرة الأولى

قال محمد بن إسحاق : لما رأى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ما يصيب أصحابَه من البلاء والعذاب، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله تعالى ومن عمّه أبى طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم ممّا هم فيه قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها مَلِكا لا يُظلم عنده أحد — وهى أرض صدق — حتى يجعل الله لكم فَرَجا مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك من خرج منهم مخافةَ الفتنة، وفرارا إلى الله بدينهم، فكانت أوّل هجرة كانت فى الإسلام .

قال الواقدىّ : خرجوا متسلّلين سرّا، وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة، حتى آنتهوا إلى الشُّعَيْبة[1] منهم الراكب والماشى، ووفّق الله لهم ساعةَ جاءوا سفينتين للتجّار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار، وكان مَخْرجُهم فى نصف رجب من السنة الخامسة من حين تنبّأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وخرجت قريش فى آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوهم .

قال ابن إسحاق . كان أوّلَ من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس عثمان بن عفان معه امرأته رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن بنى عبد شمس : أبو حذيفة بن عُتْبة، معه آمرأته سَهْلة آبنة سُهَيل، وَلَدتْ بأرض الحبشة محمدَ بنَ [أبى][2] حذيفة . ومن بنى أسد بن عبد العزّى : الزبير بن العوّام. ومن بنى عبد الدار : مصعب بن عُمَير بن هاشم . ومن بنى زُهرة بن كلاب :

(١) الشعيبة بجهينة : مرسى السفن من ساحل بحر الحجاز، كان مرسى سفن مكة قبل جدّة .

(٢) ساقطة من الأصل . والتكلة عن ابن هشام جـ ١ ص ٣٤٤ .

عبد الرحمن بن عوف . ومن بنى مخزوم : أبو سَلَمة بن عبد الأَسَد، معه امرأته أُم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة . ومن بنى جُمَح : عثمان بن مَظْعون بن حبيب . ومن بنى عدىّ بن كعب : عامرُ بن ربيعة، معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم؛ ومن بنى عامر بن لؤىّ : أبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العُزّى[1]؛ ومن بنى الحارث ابن فهر : سُهيل بنُ بَيْضاء، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة . قال : هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، وكان عليهم عثمانُ بن مظعون .

وزاد الواقدىّ : حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، فجعلهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة . قال : فقدمْنا أرضَ الحبشة ، فجاورْنا بها خَيرَ جارٍ[2]، أَمِنَّا على ديننا ، وعبدْنا الله تعالى لا نُؤْذَى ، ولا نُسمع شيئا نكرهه . والله أعلم .

ذكرُ رجوع أهل هذه الهجرة إلى مكّة ، وما قيل فى سبب رجوعهم

قال محمد بن سعد عن محمد بن عمر بن واقد بسند يرفعه : لمّا رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من قومه كفًّا عنه ، جلس خاليا ، فتمنّى فقال : ليته لا ينزل علىّ شىء ينفّرهم عنى، وقارب رسول الله صلى الله [عليه وسلم][3] قومَه ودنا منهم ودَنوا منه ، فجلس يوما مجلسا فى نادٍ من تلك الأندية حول الكعبة، فقرأ عليهم : ﴿والنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[4] حتى بلغ : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ والْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾[4] . ألقى الشيطان على لسانه كلمتين : « تلك الغرانيق العلا ، و إن شفاعتهن لترتجى » ولمّا بلغ «الغرانيق العلا» ، وفى أخرى : « والغرانقة العلا ، تلك الشفاعة تُرتجى »[5]

(١) ذكر ابن كثير عن ابن إسحاق أن أبا سبرة كانت معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو (٣ : ٦٧) . وابن هشام (١ : ٣٥٢) .

(٢) زاد ابن هشام (١ : ٣٥٨) . هنا قوله : « النجاشى » .

(٣) ساقطة من الأصل . (٤) سورة النجم الآيات ١ — ٢٠

(٥) كذا فى الكشاف للزمخشرى جـ ٢ ص ٥٨ طبع بولاق .

قال الواقدىّ : فتكلّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بهما[1] ، ثم مضى فقرأ السورة كلّها ، وسجد وسجد القومُ جميعا ، ورفع المغيرة بنُ الوليد ترابا إلى جَبْهته فسجد عليه ، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود . ويقال : إن أبا أُحَيْحة سعيدَ بنَ العاص أخذ ترابا فسجد عليه ، ورفعه إلى جَبهته — وكان شيخا كبيرا — فرضوا بما تكلّم به رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وقالوا : قد عرفنا أن الله يُحيي ويُميت ويَخلق ويَرزق ، ولكنّ آلهتنا هذه تَشفع لنا عندَه ، فأمّا إذ جعلتَ لها نصيبا عندك[2] فنحن معك ، فكبُر ذلك على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من[3] قولهم حتى جلس فى البيت فلمّا أَمسى أتاه جبريلُ فعرض عليه السورةَ ، فقال جبريل : ما جئتك بهاتين الكلمتين ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : «قلتُ على الله ما لم يَقُل» . فأوحى الله إليه : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ .

وقال : ففشت تلك السَّجْدة فى الناس حتى بلغتْ أرضَ الحبشة ، فبلغ أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن أهل مكّة قد سجدوا فأسلموا ، حتى إن الوليد ابنَ المغيرة وأبا أحيحة قد سجَدا خلفَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقال القوم : فمَن بقِىَ بمكّة إذا أسلم هؤلاء ! قالوا : عشائرُنا أحبُّ إلينا ؛ فخرجوا راجعين ، حتى إذا كانوا دون مكة بساعةٍ من نهار لَقوا رَكْبًا من كنانة ، فسألوهم عن قريش

(١) قال صاحب الجامع لأحكام القرآن جـ ١٢ ص ٨١ : إن هذا الحديث الذى فيه الغرانيق العلا وقع فى كتب التفسير ونحوها ولم يدخله البخارى ولا مسلم ولا ذكره فى علمه مصنف مشهور . الخ . وذكر القاضى عياض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من الإخبار عن شىء بخلاف ما هو عليه لا قصدا ولا سهوا ولا غلطا ... الخ . ونحن نقطع أن هذا لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المعصوم الصادق فى التبليغ .

(٢) فى الأصل : «فيمن» . والصواب عن (السيرة الحلبية ١ : ٣٠٤) ، (وعيون الأثر ١ : ١٢٠) .

(٣) فى الأصل : «حين» ، وما أثبتناه عن عيون الأثر .

وعن حالهم، فقال الركب : ذكر محمد آلهتهم بخير، فتابعه الملأ، ثم ارتدّ عنها، فعاد يشتم آلهتهم، وعادوا له بالشر، فتركناهم على ذلك، فأتمر القوم فى الرجوع إلى أرض الحبشة، ثم قالوا : قد بلغنا، ندخل فننظر ما فيه قريش، و يحدث عهدا من أراد بأهله ، ثم نرجع . قال : فدخلوا مكة ، ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار، إلا ٱبن مسعود فإنه مكث يسيرا ، ثم رجع إلى أرض الحبشة . قال الواقدىّ : فكان خروجهم فى شهر رجب سنة خمس (يريد من النبوّة)[1] ، فأقاموا شعبان ورمضان وقدموا فى شوال من السنة .

وحيث ذكرنا هذا الحديث فلنذكر ما جاء فى توهينه .

ذكر ما ورد فى توهين هذا الحديث والكلام عليه فى التوهين والتسليم

قال القاضى عياض بن موسى بن عياض رحمه الله ، فى كتابه المترجم (بالشفا بتعريف حقوق المصطفى) صلى الله عليه وسلم :

اعلم أن لنا فى الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين : أحدهما فى توهين أصله ، والثانى [على][2] تسليمه .

أمّا المأخذ الأول فيكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته ، وٱضطراب رواياته ، وانقطاع إسناده ، وٱختلاف كلماته ، فقائل يقول : إنه فى الصلاة ، وآخر يقول قالها فى نادى قومه حين أنزلت عليه السورة ، وآخر يقول : قالها وقد أصابته سنة ، وآخر يقول : بل حدّث نفسه فسها ، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على

(١) هذه من قول المؤلف . انظر الذخائر والأعلاق لابن سلام الباهلى ص ٢٠٤ (طبع الوهبية) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن الشفا للقاضي عياض جـ ٢ ص ١٢٨

لسانه ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا أقرأتك ؛ وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها ؛ فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال : «والله ما هكذا أنزلت» إلى غير ذلك من آختلاف الرواة ، ومن حُكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ، ولا رفعها إلى صاحب ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية[1] ، والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما فيما أحسب — الشك فى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة — وذكر القصة . قال أبو بكر البزار : هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد ، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير ، وإنما يعرف عن الكلبيّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف ما نُبِّه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه .

وأما حديث الكلبيّ فما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره ، لقوة ضعفه وكذبه كما أشار البزار إليه ، قال : والذى منه فى الصحيح أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ ﴿ والنَّجْم ﴾ وهو بمكة ، فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس . هذا توهينه من طريق النقل ، والله أعلم بالصواب .

وأما جهة المعنى : فقد قامت الحجة ، وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة . أما من تَمَنِّيه أن يُنزل عليه مِثلُ هذا من مدح آلهةٍ غير الله وهو كفر ، أو أن يتسور عليه الشيطان ، ويشبه عليه القرآن حتى

(١) كذا فى الشفاء للقاضي عياض ص ١١٨ ؛ والذى فى الأصل : « فاتنة » .

يجعل فيه ما ليس منه، ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أنّ من القرآن ما ليس منه، حتى يُنَبِّهه جبريل عليهما السلام، وذلك كله ممتنع فى حقّه صلى الله عليه وسلم، أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قِبل نفسه عمدا — وذلك كفر — أو سهواً، وهو معصوم من هذا كله، وقد تقرر بالبرهان والإجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا، أو أن يتشبه عليه ما يلقيه المَلَك مما يلقى الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو يتقوّل على الله، لا عمدا ولا سهوا[1]، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴾[2] الآية، وقال : ﴿ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وضِعْفَ المَمَاتِ ﴾[3] الآية .

ووجه ثانٍ، وهو آستحالة هذه القصة نظرا وعُرفا، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الآلتئام[4]، متناقضَ الأقسام، ممتزجَ المدح بالذم، متخاذلَ التأليف والنظم؛ ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم، ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك — وهذا لا يخفى على أدنى متأمل — فكيف بمن رَجَح حلمه، وآتّسع فى باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ؟ !

ووجه ثالث، أنه قد علم من عادة المنافقين، ومعاندى المشركين، وضَعَفَةِ القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة، وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة ، وتعييرهم المسلمين، وارتداد مَنْ فى قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأقل شبهة؛ ولم يَحْكِ أحد فى هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل، ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصّوْلة، ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة، كما فعلوا فى قصة الإسراء وقصة القضية[5]، ولا فتنة أعظم من هذه البليّة لو وجدت،

(١) زاد هنا فى الشفاء ص ١٣٠ قوله : «مالم ينزل عليه» . (٢) سورة الحاقة : ٤٤ .
(٣) سورة الإسراء : ٧٥ . (٤) فى الأصل : « الا ليثام » تصحيف . والتصويب عن الشفاء . (٥) راجع شرح الشفا جـ ٤ : ١١٢ فى قصة القضية .

ولا تَشغيب[1] للعادى حينئذ أشدَّ من هذه الحادثة او أمكنت ؛ فما روى عن معاند فيها كلمة، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة ؛ فدل على بُطلها، واجتثاث أصلها .

قال القاضى عياض : ولا شك فى إدخال بعض شياطين الإنس أو الجن هذا الحديث على بعض مغفَّلى المحدّثين، ليلبّس به على ضعفاء المسلمين .

ووجه رابع، ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت : ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ الآيتين، وهاتان الآيتان تردان الخبر الذى رَوَوْه، لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفترى ، وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم ؛ فمضمونه هذا .

ومفهومه أن الله عصمه من أن يفترى،وثبّته حتى لم يركن إليهم قليلا،فكيف كثيرا ! وهم يَرْوُون فى أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم، وأنه قال عليه السلام: «افتريت على الله وقلت مالم يقل» ؛ وهذا ضد مفهوم الآية، وهى تضعّف الحديث لو صح ، فكيف ولا صحة له ! ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كل ما فى القرآن كاد فهو ما لا يكون ، قال الله تعالى : ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾[2]، ولم يذهب . قال القاضى القشيرى[3] : ولقد طالبه قريش وثقيف إذ مرّ بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها، ووعدوه الإيمان به إن فعل، فما فعل ولا كان ليفعل صلى الله عليه وسلم .

وأما المأخذ الثانى — وهو مبنىّ على تسليم الحديث لو صحّ ، وقد أعاذنا الله من صحته — فقد أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة ذكرها القاضى عياض[4] وضعّف بعضها، وآستحسن بعضا، نذكر منها ما آستحسنه وجوّزه إن شاء الله .

(١) أى ولا تهييج للفتنة والشر . (٢) سورة النور : ٤٣ .
(٣) فى الأصل : «القشترى» وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما فى القاضى عياض ص ١٢١ .
(٤) الشفاء جـ ٢ ص ١١٦ — ١٢٣ .

منها ما ذكره القاضى أبو بكر فى أجوبته عن هذا الحديث ، قال : لعل النبيّ صلى الله عليه وسلم قال ذلك أثناء تلاوته ، على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار ، لقول إبراهيم عليه السلام : ﴿هَـٰذَا رَبِّى﴾ (١) على أحد التأويلات ، يريد : أهَذَا رَبِّى؟! ولقوله : ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا﴾ (٢) بعد السكت و بيان الفصل بين الكلامين ، ثم رجع إلى تلاوته ، وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد ، وأنه ليس من المتلو . قال القاضى عياض : ولا يُعترض على هذا بما روى أنه كان فى الصلاة ، فقد كان الكلام فيها قبل [غير] (٣) ممنوع ، قال : والذى يظهر و يترجح فى تأويله عند القاضى أبى بكر ، وعند غيره من المحققين على تسليمه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان كما أمره ربّه يرتّل القرآن ترتيلا ، ويفصّل الآىَ تفصيلا فى قراءته ، كما رواه الثقات عنه ، فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسّه فيها ما ٱختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبى صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار ، فظنوها من قول النبى صلى الله عليه وسلم وأشاعوها ، ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله تعالى ، وتحققهم من حال النبى صلى الله عليه وسلم فى ذمّ الأوثان وعيبها ما عرف منه . وقد حكى موسى بن عقبة فى مغازيه نحو هذا ، وقال : إن المسلمين لم يسمعوها ، و إنما ألقى الشيطان ذلك فى أسماع المشركين وقلوبهم .

قال القاضى عياض : ويكون ما روى من حُزن النبى صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة والشبهة ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ

(١) سورة الأنعام : ٧٦ . (٢) سورة الأنبياء : ٦٣ .

(٣) ساقطة من الأصل . والتكملة عن الشفاء جـ ٢ ص ١٢٢ .

وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ (١) الآية ، فمعنى ﴿ تَمَنَّى ﴾ تلا ، قال الله تعالى : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾ (٢) أى تلاوة ، وقوله : ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ (٣) أى يذهبه و يزيل اللبس به ، ويحكم آياته ، قال : ومما يظهر فى تأويله أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة : «والغرانقة العلا» . فإن سلمنا القصة قلنا : لا يبعد أنّ هـذا كان قرآنا ، والمراد بالغرانقة العلا ، وأن شفاعتهنّ لترتجى : الملائكة على هذه الرواية ، و بهذا فسر الكلبيّ الغرانقة أنها الملائكة ، وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون الأوثان والملائكة بنات الله ، كما حكى الله عنهم وردّ عليهم فى هـذه السورة بقوله : ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ﴾ (٤) ، فأنكر الله كل هذا من قولهم ؛ ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح ، فلما تأوله المشركون على أن المراد بهذا الذكر آلهتهم ، ولبّس عليهم الشيطان ذلك ، وزينه فى قلوبهم ، وألقاه إليهم ؛ نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ، ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما للتلبيس سبيلا ، كما نسخ كثيرا من القرآن ورفعت تلاوته . قال : وكان فى إنزال الله تعالى لذلك حكمة ، وفى نسخه حكمة ، ليضلّ به من يشاء ، ويهدى من يشاء وما يضل به إلا الفاسقين ، و ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ . وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٥) .

وقيل : إنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة [و بلغ إلى ذكر اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، خاف الكفار أن يأتى بشيء من ذمّها ، فسبقوا

(١) سورة الحج : ٥١ ، وذكر القرطبي خبر القاضى عياض عند تفسيره للآية جـ ١٢ ص ٨٢ .

(٢) سورة البقرة : ٧٨ . (٣) سورة الحج : ٥٢ . (٤) سورة النجم : ٢١ .

(٥) سورة الحج : ٥٣ ، ٥٤

٨٢ / ١٤

[إلى[1]] مدحها بتلك الكلمتين؛ ليخلطوا تِلاوة النبيّ صلى الله عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم، وقولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[2]، ونُسب هذا الفعل إلى الشيطان لحمله لهم عليه، وأشاعوا ذلك وأذاعوه، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم حزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه، فسلّاه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾[3] الآية، وبين للناس الحقّ من ذلك من الباطل، وحفظ القرآن وأحكم آياته، ودفع ما لبّس به العدوّ، كما ضمنه الله تعالى من قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[4] الآية، هذا ما ورد فى الجواب عن هذا الحديث. فلنرجع إلى تتمة أخباره وسِيَره صلى الله عليه وسلّم تسليما كثيرا.

ذكر الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة ومن هاجر إليها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الواقدىّ: لما قدم أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم من الهجرة الأولى اشتدّ عليهم قومهم، ونيطت بهم عشائرهم، ولقوا منهم أذى شديدا، فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله، فهجرتنا الأولى، وهذه الآخرة إلى النجاشىّ ولستَ معنا، فقال صلى الله عليه وسلم: أنتم مهاجرون إلى الله و إلىّ، لكم هاتان الهجرتان جميعا، قال عثمان: فحسبنا يا رسول الله.

قال ابن سعد: وكان عدّة من خرج فى هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانون ومن النساء إحدى عشرة امرأة قرشية، وسبع غرائب. وقد عدّهم أبو محمد عبد الملك بن هشام حسبما رواه عن محمد بن إسحاق بن يسار — رحمهم الله تعالى —

(١) ساقطة من الأصل، والتكلة عن الشفاء ٢ : ١٢٤ (٢) سورة فصلت : ٣٦
(٣) سورة النحل : ٤٣ (٤) سورة الحجر : ٩

فلم يزد على ذلك . وأورد أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى رحمه الله فى كتاب (الاستيعاب) ؛ فى تراجم جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم ؛ أنهم ممن هاجروا إلى أرض الحبشة ممن لم يذكرهم ابن هشام ، نحن نذكرهم إن شاء الله تعالى ونُنَبِّه عليهم .

٥ قال ابن هشام : كان منهم من بنى هاشم بن عبد مناف ، جعفر بن أبى طالب معه امرأته أسماء بنت عُميس[1] وَلَدت بأرض الحبشة عبدَ الله بن جعفر ، ومن بنى أميّة بن عبد شمس عثمان بن عفان رضى الله عنه ، معه امرأته رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أميّة ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان ، وأخوه خالد بن سعيد ، معه امرأته أُمَينة بنت خلف بن أسعد الخزاعية ، ويقال فيها هُمَينة ، ولدت بأرض الحبشة سعد بن خالد[2] ، وآمنة بنت خالد . ١٠ ومن حلفائهم من بنى أسد بن خزيمة عبد الله بن جحش بن رئاب ؛ وأخوه عبيد الله ابن جحش ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب . وذكر أبو عمر فى ترجمة عبد الله بن جحش أنه هاجر إلى أرض الحبشة مع أخويه أبى أحمد وعبد الله ، فعلى هذا يكون أبو أحمد ممن هاجر إلى الحبشة ؛ واسمه عبد بن جحش ، وكان أعمى ، وعدّ أيضا محمد بن عبد الله بن جحش أنه هاجر مع أبيه وكان صغيرا . ١٥

قال ابن هشام : وقيس بن عبد الله رجل من بنى أسد بن خزيمة ، معه امرأته بَرَكة بنت يسار [مولاة][3] أبى سفيان بن حرب ، ومُعَيْقيب بن أبى فاطمة ؛ [وهؤلاء][4] آل سعيد بن العاص .

(١) فى الأصل « عبس » والصواب عن ابن هشام ، والسيرة الحلبية ، والاستيعاب .

٢٠ (٢) رواية ابن هشام « سعيد بن خالد » . (٣) ساقطة من الأصل . والتكملة من ابن هشام ١ : ٣٤٦ ، وابن كثير ٣ : ٦٧ . (٤) ساقطة من الأصل . والتكملة عن ابن هشام . وفى ابن كثير ٣ : ٦٧ « وهو من موالى سعيد بن العاص » .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس. قال أبو عمر: معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو، ولدت له هناك محمد بن أبى حذيفة. قال ابن هشام: وأبو موسى الأشعرى واسمه عبد الله ابن قيس. قال أبو عمر فى ترجمة عبد الله بن قيس: الصحيح[1] أن أبا موسى رجع بعد قدومه مكة، ومحالفته من حالف من بنى عبد شمس إلى بلاد قومه، فأقام بها حتى قدم مع الأشعريين نحو خمسين رجلا فى سفينة، فألقتهم الريح إلى النجاشى بأرض الحبشة فوافقوا خروج جعفر وأصحابه منها، فأتوا معهم، وقدمت السفينتان معا: سفينة الأشعريين، وسفينة جعفر وأصحابه. والله تعالى أعلم بالصواب.

٨٣/١٤

ومن بنى نوفل بن عبد مناف: عتبة بن غزوان حليف لهم من بنى مازن؛ ومن بنى زمعة بن ربيعة وعمرو بن أمية بن الحارث مات بالحبشة.

قال أبو عمر بن عبد البر فى ترجمة خالد بن حزام بن خويلد بن أسد[2]: إنه هاجر إلى أرض الحبشة فى المرة الثانية، فنهشته حية، فمات فى الطريق قبل وصوله. والله المستعان وإليه المرد.

ومن بنى عبد [الدار][3] بن قصى مصعب: بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار، وسويبط[4] بن سعد بن حريملة[5] بن مالك بن عميلة بن السباق ابن عبد الدار، وجهم بن قيس بن عبد بن شرحبيل بن هاشم بن عبد الدار معه امرأته [أم][6] حرملة بنت عبد بن الأسود الخزاعية — ويقال: حريملة — وابناه عمرو بن جهم، وخزيمة بن جهم؛ وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف؛

(١) الاستيعاب ١: ٣٩٢ (٢) فى الاستيعاب ١: ١٥٩: «أسيد». (٣) الزيادة عن ابن هشام ١: ٣٤٧ (٤) فى الأصل «سوسط» تصحيف. (٥) فى ابن هشام وغيره: «حرملة». (٦) الزيادة عن ابن هشام ١: ٣٤٧، والاستيعاب، وابن كثير.

ابن عبد الدار بن قُصى أخو مصعب ، وفِراس بن النضر بن الحارث بن علقمة ابن كَلَدة بن عبد مناف بن عبد الدار . وقال أبو عمر فى ترجمة أبى بكر[1] : مولى لبنى عبد الدار ؛ قال يقال : إنه من الأزد كان ممن عذب فى الله فلم يزل كذلك حتى كانت الهجرة الثانية مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥ ومن بنى زهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف ، وعامر بن أبى وقّاص ، وأبو وقاص مالك بن وهيب ، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف ، معه امرأته رملة بنت أبى عوف ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب . قال أبو عمر بن عبد البر : وطليب بن أزهر بن عبد عوف وأخوه المطلب ، هاجر مع أخيه إلى أرض الحبشة وبها ماتا جميعا .

١٠ قال ابن هشام : ومن حلفائهم من هذيل : عبد الله بن مسعود ، وأخوه عتبة بن مسعود .

ومن بَهراء المقداد بن عَمرو بن ثَعلبة ، وكان يقال له : المِقْداد بن الأسود ابن عبد يغوث بن عبد مناف بن زُهرة ، وذلك أنه كان تبنّاه فى الجاهلية وحالفه . حكاه ابن إسحاق .

ومن بنى تَيم بن مرّة الحارث بن خالد بن صخر ، معه امرأته رَيْطة بنت الحارث ١٥ ابن جبيلة ، ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحارث ، وزينب بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث[2] ، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة .

ومن بنى مخزوم أبو سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد بن هلال ، معه امرأته أم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة ، ولدت له بأرض الحبشة زينب ، وشماسا واسمه عثمان بن عثمان بن الشريد ، وهبّار بن سفيان بن عبد الأسد ، وأخوه ٢٠ عبد الله بن سفيان ، وهشام بن أبى حذيفة بن المغيرة ، وسَلَمة بن هشام بن المغيرة

(١) كذا بالأصل ، ولم نعثر على هذا القول لابن عبد البر فى كتاب : الاستيعاب ، فى ترجمة أبى بكر .
(٢) زاد ابن هشام « عائشة بنت الحارث » .

وعيّاش بن أبى ربيعة بن المغيرة . ومن حلفائهم معتّب بن عوف بن عامر — وهو الذى يقال له عَيهامة — ونسبه أبو عمر فقال : معتب بن عوف بن عمر بن الفضل ابن عَفيف بن كُليب بن حَبشية . قال ابن هشام، ويقال: حُبْشية بن سلول ، وهو الذى يقال له : معتب بن حمراء، وعمّار بن ياسر . ذكره أبو عمر، وشك فيه ابن هشام.

٥ ومن بنى جُمح عثمان بن مَظعون ، وابنه السائب بن عثمان ، وأخواه قُدامة وعبد الله ابنا مظعون . قال أبو عمر : والسائب بن مظعون ممن هاجر إلى أرض الحبشة، وهو أخو عثمان لأبويه، حكاه عن العدوى . قال ابن هشام : وحاطب ابن الحرث بن مَعْمر، معه امرأته فاطمة بنت المجلِّل بن عبد الله ، وابناه محمد والحارث ، وقيل وُلدا هناك ، وأخوه حطاب(١) بن الحارث، معه امرأته فكيهة

١٠ بنت يسار، وقيل : ولدت له ابنه محمدا هناك ؛ وسفيان بن مَعْمر بن حبيب معه ابناه : جابر وجنادة، ومعه امرأته أمهما حَسَنة، وابنها شُرحبيل بن حَسَنة ، وهو شُرحبيل بن عبد الله أحد بنى الغَوث بن مُرّ، وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب : هو شرحبيل بن عبد الله من بنى جُمح، وعثمان بن ربيعة بن أُهبان بن وهب ابن حذافة بن جمح . قال الواقدى : و نبيه بن عثمان بن ربيعة . والله أعلم .

١٥ ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصيص : خُنيس بن حذافة ، وعبد الله ابن الحارث، وهشام بن العاص بن وائل، وقيس بن حذافة، وأبو قيس بن الحارث ابن قيس ، وعبد الله بن حذافة بن قيس، والحارث بن الحارث بن قيس، ومعمر ابن الحارث بن قيس ، وبِشر بن الحارث بن قيس ، وأخ له من أمّه من بنى تميم ، يقال له : سَعيد بن عمرو ، وسعيد بن الحارث بن قيس ، والسائب

٨٤/١٤

٢٠ (١) فى الأصل « خطاب » ويوافقه ابن كثير — والصواب عن ابن هشام والاستيعاب ، وأسد الغابة .

ابن الحارث بن قيس . وقال أبو عمر : وتميم بن الحارث بن قيس ، والحارث ابن قيس بن عَدىّ ، وهو والد بِشْر والحارث ، وعُمير بن رئاب بن حُذيفة ، ومحمية ابن جزء حليف لهم من زُبَيْد[1] .

ومن بنى عدىّ بن كعب مَعمر بن عبد الله بن نَضلة ، وعُروة بن عبد العزّى ، وعَدى بن نَضْلة وابنه النعمان ، فمات عدىّ بالحبشة ، فورثه ابنه النعمان ، وهو أول وارث فى الإسلام ، وعامر بن ربيعة حليف لآل الخطاب ، معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمة .

ومن بنى عامر بن لؤى أبو سبرة بن أبى رُهْم بن عبد العزّى معه امرأته أم كلثوم بنت سُهيل بن عمرو ، وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العزى ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو بن عبد شمس ، وسَليط بن عمرو بن عبد شمس ، وأخوه السكران بن عمرو ، معه امرأته سودة بنت زمعة ، ومالك بن ربيعة بن قيس معه امرأته عمرة بنت السعدىّ ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وسعد بن خولة حليف لهم من اليمن .

ومن بنى الحارث بن فهر أبو عُبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ، وسُهيل بن وهب وهو ابن بَيضاء ، وعمرو بن أبى سَرح بن ربيعة ، وعِياض بن زهير بن أبى شداد ، وعمرو بن الحارث بن زُهير ، وعثمان بن عبد غَنْم بن زهير ، وسعد بن عبد قيس ابن لَقيط بن عامر ، والحارث بن عبد قيس بن لَقيط . وقال أبو عمر بن عبد البر : إن عبد الله بن عُرفطة بن عدىّ بن أمية بن خدارة بن عوف بن النجار بن الخزرج الأنصارىّ هاجر إلى أرض الحبشة مع جعفر بن أبى طالب ، وهو حليف لبنى الحارث بن الخزرج ، وذكره ابن مَنْده[2] أيضا لجميع من هاجر على هذا الحكم

(١) فى الأصل «الحارث» وصوبناه عن ابن عبد البر . (٢) أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب ابن منده الأصفهانى ، ولد سنة ٤٣٤ ، ومات سنة ٥١٢ بأصفهان . ابن خلكان (٥ : ٢١٧) .

بما فيه من زيادات ابن عبد البرّ؛ خلا أبناءهم الذين خرجوا معهم صغارا، ومن ولد هناك آثنان وتسعون رجلا ، وثمانى عشرة آمرأة ، والأبناء الصغار سبعة . والله أعلم .

ذكر إرسال قريش إلى النجاشىّ فى شأن من هاجر إلى الحبشة، وطلبهم منه وإسلامه

٥

عن أمّ سَلَمة رضى الله عنها قالت : لما نَزَلْنا أرض الحبشة جاورْنا بها خيرَ جار، النجاشىّ، [أَمِنَّا] (١) على ديننا، وعَبدنا الله لا نُؤذَى، ولا نَسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا آئْتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشىّ فينا رجلين جَلْدين، وأن يهدوا للنجاشىّ هدايا مما يُستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأَدَم، فجمعوا له أَدما كثيرا، ولم يتركوا من بطارقته بِطريقا إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبى ربيعة ، وعمرو بن العاص، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بِطْريق هديته قبل أن تكلّما النجاشىّ فيهم، ثم قدّما إلى النجاشىّ هداياه ، ثم سَلاه أن يسلّمهم إليكما قبل أن يكلّمهم . قالت : فخرجا حتى قدِما على النجاشى، ونحن عنده بخير دار، فلم يبق من بطارقته بِطْريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلّما النجاشىّ ، وقالا لكل بطريق منهم : إنه قد ضَوى إلى بلد الملك منّا غلمان سُفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينكم، وجاءوا بدين مبتدَع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم لنردّهم إليهم، فإذا كلّمنا الملكَ فيهم فأَشيروا عليه أن يسلّمهم إلينا ولا يكلمهم ، فقالوا : نعم ، ثم إنهما قدّما هداياهما إلى النجاشىّ فقبلها ، ثم كلّماه فقالا : أيها الملك ، إنه قد

١٠

١٥

(١) الزيادة عن آبن هشام ١ : ٣٥٨ .

٢٠

ضوى(١) إلى بلدك منّا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينك ، جاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردّهم عليهم ، فهم أعلى بهم عينًا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شىء أبغضَ إلى عبد الله وعمرو من أن يسمع إلى كلامهم النجاشىّ ، فقالت بطارقته : صَدَقَا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينًا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه ، فأسْلِمْهُمْ لهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم ، قالت(٢) : فغضب النجاشىّ وقال : لاها الله ! إذًا لا أسلّمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاورونى ، ونزلوا بلادى ، واختارونى على من سواى ، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم ، و إن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم(٣) ، وأحسنت جوارَهم ما جاورونى .

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا أجبتموه(٤) ، قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرَنا نبيُّنا ، كائنا فى ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوا وقد دعا النجاشىّ أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم فقال : ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومَكم ، ولم تدخلوا به فى دينى ، ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟ فكان الذى كلّمه جعفر بن أبى طالب فقال : أيها الملك ، كنّا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام [ونأكل](٥) الميتة ، ونأتى الفواحشَ ، ونقتطع الأرحامَ(٦) ، ونُسىء الجوار ، ويأكل القوىّ

(١) ضوى : لجأ . (٢) فى الأصل : «قال» ، والصواب عن (ابن هشام ١ : ٣٥٩) .
(٣) كذا فى الأصل . ورواية ابن هشام والديار بكرى فى تاريخ الخميس ١ : ٢٩٠ «منعتهم منهما» .
(٤) فى ابن هشام والديار بكرى « جئتموه » . (٥) الزيادة من ابن هشام .
(٦) فى ابن هشام والديار بكرى « نقطع » .

منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منّا ، نعرف نسَبه وصدقَه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة [و](١) الأوثان ، وأمرنا بِصدْق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصِلة الرّحم ، وحُسْنِ الجـوار ، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكْل مال اليتيم ، وقذْف المحصنة ، وأمرنا أن نعبدَ الله ولا نشرك به شـيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قالت : فعدّد عليه أمور الإسلام، فصـدقناه، وآمنّا به واتّبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحدَه فلم نشرك به شيئا، وحرّمنا [ما](٢) حرم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا ، فعدا علينا قومُنا فعذّبونا وفتنونا عن ديننا، ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحلّ ما كنا نستحلّ من الخبائث ، فلما قهـرونا وظلمونا وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا و بين ديننـا ، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سـواك ، ورغبنا فى جوارك ورَجَونا ألا نُظْلم عندك أيها الملك، فقال النجاشى : هل معك ممـا جاء به عن الله من شيء، قال : نعم، قال : فاقرأه علىّ، فقرأ عليه صدْرا من ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾(٣)، قال : فبكى والله النجاشى حتى اخضلّت لحيته، وبكت أساقفتُه حتى اخضلّت مصاحفُهم حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشىّ : إن هـذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشْكاة واحدة انطلِقا فلا والله لا أسلّمهم إليكما ، ولا يُكادون .

قالت : فلما خرجنا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينّه غدا عنهم بما أستأْصلُ به خَضْراءهم، فقال له عبد الله بن أبى ربيعة : لا تَفعل فإن لهم أرحاما، وإن كانوا قد خالفونا ، قال : والله لأخبرنّه أنهـم يزعمون أن عيسى بن مريم

---

(١) ساقطة من الأصل . (٢) فى الأصل : « مما » والصواب عن ابن هشام .

(٣) سورة مريم : ١

عبدٌ. قالت: ثم غدا عليه [من][1] الغد فقال: يأيها الملك، إنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فاسألهم عمّا يقولون فيه، فأرسل إليهم فسألهم عنه. قالت أمّ سلمة: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القومُ، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون فى عيسى بن مريم إذا سألكم عنه؟، قالوا: نقول والله كما قال الله، وما جاءنا به نبينا، كائنا فى ذلك ما هو كائن. قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون فى عيسى بن مريم؟ فقال جعفر بن أبى طالب: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا، نقول هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قالت: فضرب النجاشىّ بيده إلى الأرض، ثم أخذ منها عودا، ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ممّا قلتَ هذا العود. فناخرت[2] بطارقته من حوله حين قال ماقال، فقال: و إن نخرتم، والله أنتم شُيوم بأرضى — والشُّيوم: الآمنون — من سبّكم غَرِم، من سبّكم غَرِم، من سبّكم غرِم! وما أحب أن لى دَبْرا من ذهب، وأنى آذيت رجلا منكم — والدَّبْر بلسان الحبشة الجبل — ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد علىّ ملكى، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فىّ فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مقبوحيْن مردودا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة.

قال الزهرىّ: فحدثت عروة بن الزبير حديثَ[3] أمّ سلمة قال: هل تدرى ما قوله: «ما أخذ الله منّى الرشوة حين ردّ علىّ ملكى. فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فىّ فأطيع الناس فيه»؟ قلت: لا، قال: فإن عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها حدثتنى

(١) زيادة عن ابن هشام. (٢) نخرت الأساقفة: تكلمت بلغتهم. (الديار بكرى ١: ٢٩١). وفى ابن هشام «تناخرت». (٣) فى الأصل «حدثت» والصواب ما أثبتناه عن ابن هشام، والديار بكرى.

أن أباه كان ملك قومـه، ولم يكن له ولد إلا النجاشيّ، وكان للنجاشيّ عمّ له من صلبه اثنا عشر رجلا ، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة ، فقالت الحبشة بينها : لو أنا قتلنا أبا النجاشيّ ، وملّكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صلبه اثنى عشر رجلا يتوارثون[1] ملكه من بعده، فغدوا على أبى النجاشيّ فقتلوه وملّكوا أخاه ، فمكثو على ذلك حينا ، ونشأ النجاشيّ مع عمه، وكان لبيبا حازما، فغلب على أمر عمه، ونزل منه بكل منزلة، فلما رأت الحبشة مكانه منه، قالت : والله لقد غلب[2] هذا الفتى على أمر عمه، وإنا لنتخوف أن يملكه علينا ، وإن ملّكه علينا قتلنا أجمعين ، لقد عرف أننا نحن قتلنا أباه . فمشوا إلى عمّه فقالوا : إما أن تقتل هذا الفتى، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا، فإنّا قد خفناه على أنفسنا، قال: ويلكم! قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم! بل أُخرجه من دياركم،فخرجوا به إلى السوق، فباعوه من رجل من التجار بستمائة درهم ، فقـذفه فى سفينته وانطلق به حتى إذا كانت العشاء من ذلك اليـوم ، هاجت سحابة من سحائب الخريف ، فخرج عمّه يستمطر تحتها ، فأصابته صاعقة فقتلتـه ، ففزع الحبشة إلى وَلَده ، فاذا هو محمّق ليس فى ولده خير، فمرج على الحبشة أمرهم ، فلمـا ضاق عليهم ماهم فيـه من ذلك قال بعضهم لبعض: تعلّموا والله أن ملككم[3] الذى لا يقيم أمركم غيره للذى بعتم غُدوة[4]، فان كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه ، قال : فخرجوا فى طلبه ، فأخذوه من الرجل الذى باعوه له ، ثم جاءوا به فعقدوا عليه التاج، وأقعدوه على سرير

(١) فى الأصل « يتوارثوا » وهو تحريف .

(٢) فى الأصل « علمت » ، والصواب عن ابن هشام (١ : ٢٢٢) .

(٣) فى الأصل « ملكم » ، والصواب عن ابن هشام ، والديار بكرى .

(٤) فى الأصل « يقيم » ، والصواب عن ابن هشام ، وفى الديار بكرى « بعتموه » .

الملك وملكوه، فجاءهم التاجر الذى باعوه منه، فقال: إما أن تعطونى مالى، و إما أن أكلمه فى ذلك، قالوا: لا نعطيك شيئا، قال: فإذًا والله أكلمه، قالوا: فدونك. فجاء فجلس بين يديه، فقال: أيها الملك، ابتعتُ غلاما من قوم فى السوق بستمائة درهم، فأسلموا إلىّ غلامى، وأخذوا دراهمى، حتى إذا سِرت بغلامى، أدركونى فأخذوه منّى، ومنعونى دراهمى، فقال لهم النجاشىّ: لتعطنّه دراهمه أو ليضعن غلامُه يده فى يده؛ فليذهبن به حيث شاء، قالوا: بل نعطيه دراهمه. قالت: فلذلك يقول: «ما أخذ الله منّى الرشوة حين ردّ على مُلكى، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فىّ فأطيع الناسَ فيه». قال: وكان ذلك أول ما خُبِر من صلابته فى دينه، وعدله فى حكمه.

قال ابن إسحاق، وحدثنى جعفر بن محمد عن أبيه، قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشىّ: إنك فارقت ديننا، وخرجوا عليه. فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإنْ هُزِمْتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، و إن ظَفِرتُ فاثبتوا. ثم عمد إلى كتابٍ فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدا عبده ورسوله، و يشهد أن عيسى عبده ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعلها[1] فى قَبائه عند المنكِب الأيمن[2]، وخرج إلى الحبشة وصفّوا له، فقال: يا معشر الحبشة، ألست أحقّ الناس بكم؟ قالوا: بلى؛ قال: فكيف رأيتم سيرتى فيكم؟ قالوا: خير سِيرة، قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمتَ أنّ عيسى عبد، قال: فما تقولون أنتم فى عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابن الله فقال النجاشىّ ووضع يده على صدره على قَبائه: هو يشهد أن عيسى بنَ مريم، لم يزد على هذا شيئا، وإنما يعنى ما كتب، فرضُوا وانصرفوا، فبلغ ذلك النبى

(١) كذا فى الأصل. والذى فى ابن هشام «جعله» وهو أظهر.

(٢) فى الأصل: «اللاتى»، وهو تحريف؛ والتصويب عن ابن هشام.

صلى الله عليه وسلم، فلما مات النجاشىّ صلى عليه، وآستغفر له . وسنذكر إن شاء الله تعالى خبر إسلامه .

ذِكْر إسلامِ عمر بنِ الخطاب رضى الله عنه

رُوِى عن عبد الله بنِ عمر رضى الله عنهما أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال :
٥ "اللهم أَعِزّ الإسلام بأحبّ الرجلين إليك : بعمر بنِ الخطاب ، أو أبى جهلِ[1] بنِ هشام". وعن سعيد بن المسيّب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عمرَ بن الخطاب أو أبا جهل بن هشام قال : "اللهم آشدد دينك بأحبهما إليك" فشدّ دينه بعمر، وعنه صلى الله عليه وسلم : "اللهم أعِزّ الدين بعمر بن الخطاب".

٨٧/١٤

قال ابن إسحاق ومحمد بن سعد فى طبقاته : ليس بينهما تنافٍ إلا فى مغايرةِ
١٠ بعض الألفاظ ، أو زيادةٍ أوردها أحدُهما دون الآخر، ونحن نورد ما يتعين إيراده منها .

قالا : خرج عمر بن الخطاب متوشّحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه، قد ذكروا له أنهم قد آجتمعوا فى بيتٍ عند الصفا، وهم قريب أربعين : من بين رجالٍ ونساء[2]، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن
١٥ عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبى قحافة ، وعلى بن أبى طالب فى رجالٍ من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقيه نُعيم بن عبد الله النحّام، وهو رجل من قومه من بنى عدىّ بن كعب كان قد أسلم وهو يخفى إسلامه عن عمر، فقال : أين تريد يا عمر؟ فقال :

---

(١) فى الأصل : «أبا جهل »، وهو تحريف .
٢٠ (٢) عبارة ابن هشام : «وهم قريب من أربعين : ما بين رجال ونساء» .

أريد محمدا، هذا[1] الذى فرّق أمر قريش وسفّه أحلامَها، وعاب دينها، وسبّ آلهتها فأقتله . فقال له نعيم : لقد غرّتك نفسك[2] يا عمر، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا ! فقال عمر : ما أراك إلا قد صبوتَ وتركت دينك الذى أنت عليه ؛ قال : أفلا أدلك على العجب يا عمر ؟ إنّ خَتَنَك وأختك قد صَبوَا وتركا دينك الذى أنت عليه .

قال ابن إسحاق : فقال له نُعيم : أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأىُّ أهل بيتى ؟ قال : خَتَنُك وابنُ عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه، فعليك بهما ، قال : فرجع عمر عامدا إلى أخته وخَتَنِه، وعندهما خبّاب بن الأرتّ، معه صحيفة فيها : ﴿ طه ﴾ يقرئهما إياها ، فلما سمعوا حسّ عمر تغيب خبّاب فى مَخْدع لهم — أو فى بعض البيت — وأخذت فاطمة الصحيفة فجعلتها تحت فخذها[3] ، فلما دخل عمر قال : ما هذه الهَيْنَمَةُ[4] التى سمعتُ ؟ قالا : ما سمعتَ شيئا، قال : بلى والله ، لقد أخبرت أنكما اتبعتما[5] محمدا على دينه . فقال له خَتَنُه : أرأيت يا عمر إن كان الحقّ فى غير دينك ! فوثب عمر على خَتَنه فبطش به ووطِئَهُ وطْئًا شديدا ، فقامت إليه أخته فاطمة لتكفّه عن زوجها، فضربها فشجّها، فلما فعل ذلك قالا : نعم قد أسلمنا وآمنّا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك . فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع

(١) رواية ابن هشام : « هذا الصابئ الذى فرّق أمر قريش » .

(٢) فى ابن هشام « نفسك من نفسك » .

(٣) زاد فى ابن هشام : « وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما » .

(٤) الهينمة : الكلام الخفىّ الذى لا يفهم .

(٥) فى ابن هشام : « تابعتما » .

فارعوى[1]، وقال [لأخته][2] : أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمد — وكان عمر كاتبا — فقالت له أخته : إنا نخشاك عليها[3]، قال : لا تخافى، وحلف لها بآلهته ليردّنّها إذا قرأها إليها ، فطمعت فى إسلامه وقالت له : يا أخى إنك نجس على شِرْكك، و إنه لا يمسُّها إلا الطاهر، فقام عمر فآغتسل، فأعطته الصحيفة وفيها ﴿ طه ﴾، فلما قرأ منها صدرا قال : ما أحسنَ هذا الكلام وأكرمه ! فلما سمع ذلك خبّاب بن الأرتّ خرج إليه، فقال له : يا عمر، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيّه، فإنى سمعته أمس يقول : "اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بنِ هشام، أو بعمر بن الخطاب"، فاللهَ اللهَ يا عمر! فقال له عمر : فدلّنى على محمد حتى آتيه فأُسلِم ، فقال له خَباب : هو فى بيتٍ عند الصفا معه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشّحه، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنظر من خَلَل الباب، فرآه وهو فَزِع[4] ، فقال : يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف، فقال حمزة : فأذن له، فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له ، و إن كان يريد شرا قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إيذن له" فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فى الحجرة، فأخذ بحُجْزته — أو بمجمع ردائه — ثم جَبَذه جبذة شديدة ، وقال : " ما جاء بك يابن الخطاب؟ ، فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة " . قال أنس بن مالكٍ فى روايته : " حتى ينزل الله بك من الخزى

(١) ارعوى : كف . (٢) التكملة عن ابن هشام (١ : ٣٦٩) .

(٣) فى الأصل «علينا» ، وما أثبتناه عن ابن هشام .

(٤) زاد ابن هشام « فرآه متوشحا السيف ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع » .

ما أنزل بالوليد بنِ المغيرة". فقال عمر : يارسول الله، جئتك لأومن بالله و رسوله و بمـا جاء به من عند الله ، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسـلم تكبيرة عرف بها أهل البيت أن عمر قد أسلم .

٨٨ / ١٤

قال محمد بن سـعد بنِ منيع فى طبقاته : أسلم عمر بن الخطاب بعد أن دخل رسـول الله صلى الله عليه وسـلم دار ابن الأرقم بعـد أربعين أونيّف وأربعين من رجالٍ ونساء قد أسلموا قبله .

وقال ابن المسيّب : أسلم عمر بعد أربعين رجلا وعشر نسوة .

وعن عبد الله بنِ ثعلبـة قال : أسلم عمر بعـد خمسةٍ وأربعين رجلا و إحدى عشرة آمرأة .

و يردّ هذه الأقوال أن إسلام عمر كان بعد الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة؛ وقد تظافرت الروايات أن أهل الهجرة كانوا أكثر من ثمانين رجلا، ولعل إسلامه وقـع وفى مكة ممن أسـلم هذه العِـدّة التى ذكرت ؛ خلاف من هاجر إلى أرض الحبشة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : حدّثنى نافع[1] عن آبن عمـر رضى الله عنهم قال : لمـا أسـلم عمر بن الخطاب قال : أى قريش أنقل للحديث ؟ قيل : جميل بن معمر الجُمحى[2]، قال : فغدا عليه ، قال عبد الله بن عمر : وغدوت معه أتبع أثره وأنظر ماذا يفعل

(١) فى ابن هشام « نافع مولى عبد الله بن عمر » .

(٢) جميل بن معمر هذا هو الذى يقال له : ذو القلبين ، وفيه نزلت « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » وفيه يقول الشاعر :

وكيف ترانى بالمدينة بعد ما ... قضى وطرا منها جميل بن معمر

الديار بكرى جـ ١ : ١٢٤

وأنا غلام أعقِـل[1] كلَّ ما رأيت، حتى جاءه، فقال : أعلمتَ يا جميل أنى أسلمت ودخلتُ فى دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعَـه حتى قام يجرّ رداءه ، وآتبعـه عمر وآتبعت أبى، حتى إذا قام على باب المسجد صرَخ بأعلى صـوته : يامعشر قريش — وهم فى أنديتهم حول الكعبة — ألا إنّ ابن الخطاب قد صبأ[2]، فيقول عمر مِن خلفه : كذبتَ، ولكنّى أسلمتُ، وشهدتُ أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمدا عبده ورسوله ، وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم و يقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم. قال : وطَلَح — يعنى أعيا — وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلِف بالله لو قد كنا ثلثمائة لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا .

فبينما هم على ذلك إذ أقبـل شيخ من قريش عليه حُلّة حِبَرة[3] وقميص موشًّى ، حتى وقف عليهـم فقال : ما شأنكم ؟ قالـوا : صبأ عمـر ، قال : فَمَـهْ ! رجل آختار لنفسـه أمرا فمـاذا تريدون ؟ أترَون بنى عدىّ بنِ كعب يسلِمون لكم صاحبهم هكذا ! خلّوا عن الرجل ، قال : فو الله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه . قال : فقلت لأبى بعـد أن هاجر إلى المدينة : يا أَبَهْ، مِن الرجل الذى زجر القوم عنـك بمـكة يوم أسلمت وهم يقـاتلونك ، جزاه الله خيرا ؟ قال : ذاك العـاص آبن وائل السَّهمىّ، لا جزاه الله خيرا .

قال عبد الله بن مسعود : ما كنا نقدر أن نصلّى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا وصلّى عند الكعبة وصلينا معه . وقال : إن إسلام عمر كان فتحا، و إنّ هجرته كانت نصرا، و إنّ إمارته كانت رحمة .

---

(١) فى الأصول : «أغيل» ، وهو تصحيف ، وما أثبتناه عن ابن هشام وابن كثير (٣ : ٨١) والمواهب (١ : ٣٣٢) . (٢) صبأ ، ككرم ومنع : خرج من دين إلى دين .
(٣) الحبرة : ضرب من برود اليمن .

وعن صُهيب بن سِنانٍ قال : لما أسلم عمر ظهر الإسلام ، ودُعِى إلى الله علانيةً ، وجلسنا حول البيت حلقا ، وطفنا بالبيت ، وانتصفنا ممن غلظ علينا ، ورددنا عليه بعضَ ما يأتى به .

وكان إسلام عمر فى ذى الحجة من السنة السادسة من النبوة ، وهو آبن ست وعشرين سنة . ٥

ذكر تعاقد قريش على بنى هاشم وبنى المطلب وآنحيازِ بنى هاشم وبنى المطلب إلى أبى طالب ودخولِهم فى شِعبه

قال محمد بن إسحاق وغيره من أهل السِّيَر : لما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا فيه أمْنا وقَرارا ، وأن النجاشىّ قد أكرمهم ، ومنع [من لجأ إليه][1] منهم ، وأنّ عمر قد أسلم قبله حمزة بن عبد المطلب ، ١٠ وجعل الإسلام يفشو فى القبائل ، اجتمعوا وآئتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب ، على ألا ينكِحوا إليهم ولا يُنكِحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم . فلما اجتمعوا لذلك كتبوا صحيفة ، ثم تعاهدوا وتعاقدوا وتوافقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفةَ فى جوفِ الكعبة توكيدا على أنفسهم . وكان كاتب الصحيفة[2] منصور بن عِكرمة بنِ عامر بنِ هاشم بنِ عبد مناف بنِ ١٥

(١) الزيادة من آبن هشام .

(٢) أكثر المصادر على أن كاتب الصحيفة هو منصور بن عكرمة . وفى المواهب : أنه هشام ابن عمرو بن الحارث ؛ وقيل طلحة بن أبى طلحة ، وقيل منصور بن عبد شرحبيل . راجع ابن هشام (١ : ٣٧٥) ، والسيرة الحلبية (١ : ٣٦٦) ، وعيون الأثر (١ : ١٢٦) ، والديار بكرى (١ : ٢٩٧) ، والبداية (٣ : ٩٦) ، والمواهب (١ : ٣٣٥) . ٢٠

عبد الدار بنِ قصيّ ، ويقال : عمه بَغيض بن عامر ، قاله الزبير وآبن الكلبيّ ؛ — ويقال : النضر بن الحارث — فَشَلّتْ يدُه .

قال محمد بن عمر بن واقد : وحصروا بني هاشم في شِعْب[1] أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من نبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآنحاز بنو المطلب إلى أبي طالب في شِعبه مع بني هاشم ، وخرج أبو لهب إلى قريش ، وظاهرهم على بني هاشم وبني المطلب ، وقطعوا عنهم المِيرة والمادّة ، فكانوا لا يخرجون إلا من مَوْسِم إلى مَوْسم ، حتى بلغهم الجَهْد ، وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشِّعْب ، فمن قريشٍ مَنْ سرّه ذلك ، ومنهم من ساءه ، وقال : انظروا ما أصاب كاتب الصحيفة ! فأقاموا في الشِّعب ثلاث سنين ، ثم أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على أمر صحيفتهم ، وأن الأَرَضة قد أكلت مافيها من جور وظلم ، وبقي ما كان فيها من ذكر الله .

قال : فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب ، فذكر ذلك أبو طالب لإخوته ، وخرجوا إلى المسجد ، فقال أبو طالب لكفّار قريش : إن آبن أخي قد أخبرني — ولم يَكْذِبني قَطّ — أن الله سلّط على صحيفتكم الأَرَضَةَ فلحست ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعةِ رحِم ، وبقي فيها ما ذكر به الله ، فإن كان آبن أخي صادقا نزعتم عن سوء رأيكم ، وإن كان كاذبا دفعته إليكم فقتلتموه أو آستحييتموه . قالوا : قد أنصَفْتنا ، فأرسلوا إلى الصحيفة ففتحوها . فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَسُقِط في أيديهم ، ونُكِسوا على رءوسهم . فقال أبو طالب : علام نُحْبَس ونُحصر وقد بان الأمر ؟! ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة والكعبة . فقال : اللهم آنصرنا على مَنْ ظلمنا ، وقطع

(١) ويعرف بشعب أبي يوسف ، انظر معجم البلدان .

أرحامنا ، وآستحل ما يحرم عليه منا . ثم آنصرفوا إلى الشِّعب . وتلاوم رجال من قريش على ما صنعوا ببنى هاشم : فيهم مُطْعِم بن عدِىّ ، وعَدى بن قيس ، وزَمْعة آبن الأسود ، وأبو البَخْترىّ بن هِشَام ، وزهير بن أبى أميـة . ولبسوا السلاح ، ثم خرجوا إلى بنى هاشم وبنى المطلب ، فأمروهم بالخروج إلى مساكنهم ففعلوا ، وكان خروجهم من الشِّعب فى السـنة العاشرة من النبوّة ، وقيل : كان مُكْث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الشِّعب سنتين .

وحكى أبو محمـد عبد الملك بن هشـام ، عن أبى عبد الله محمـد بن إسحـاق ـــ رحمهم الله ـــ فى سبب نَقْض الصحيفة غير ماقدّمناه مما حكاه محمد بن سعدٍ عن الواقـدىّ .

قال آبن إسحاق بعد أن ذكر من شدّة ما لاقاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعب من الضائقة ماذكر : ثم إنه قام فى نقض الصحيفة ـــ التى تكاتبت فيها قريش على بنى هاشم وبنى المطلب ـــ نَفَر من قريش ، ولم يُبْلِ فيها أحد أحسن من بلاء هشام بنِ عمرو(١) بن ربيعة بنِ الحارث بنِ حبيب بنِ نصر بنِ مالك آبن حِسْل بن عامر بن لؤىّ ، وذلك أنه كان ابن أخى نَضلة بنِ هاشم بن عبد مناف لأمه ، وكان هشام لبنى هاشمٍ واصلا ، وكان ذا شرفٍ فى قومه ، فكان يأتى بالبعير وبنـو هاشم وبنـو المطلب فى الشعب ليلا ، وقد أوْقَره طعاما ، حتى إذا أقبله فَمَ الشِّعب خلع خِطامه من رأسه ، ثم ضرب على جنبه فيدخل الشِّعب عليهم ، ويأتى به قد أوقره بُرًّا ، فيفعل به مثل ذلك .

قال : ثم إنه مشى إلى زُهير بن أبى أميـة بن المغيرة المخزومىّ ـــ وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ـــ فقال : يا زُهير ، وقد رضيت أنَّا نأكل الطعام ونلبس

(١) فى الأصل : «عمر» ، والصواب عن ابن هشام ، والمواهب ، وعيون الأثر ، والاستيعاب .

الثياب ، وننكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت لا يبتاعون ولا يُبْتاع منهم ، ولا يَنكِحون ولا يُنكَح إليهم ، أما إنى أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبى الحكم ابنِ هشام ثم دعوتَه إلى مثـل ما دعاك إليـه منهم ما أجابك إليـه أبدا ، قال : ويحـك يا هشام ! فمـاذا أصنع ؟ أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نَقْضها حتى أنقضها ؛ قال : قد وجدتَ رجلا ، قال : من هو؟ قال : أنا؛ قال له زهـير : ابغِنا ثالثـا ، فذهب إلى المطعِم بنِ عدىّ فقال له : يا مطعم أقد رضيت أن يهلِك بطنانِ من بنى عبـد مناف وأنت شـاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدُنّهم إليها منكم سِراعا؛ قال : ويحك ، فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدتَ ثانيا ، قال : من هو؟ قال : أنا ، قال : ابغِنا ثالثـا ، قال : قد فعلتُ ، قال : من هو ؟ قال : زهير ، قال : ابغِنا رابعـا ، قال : فذهب إلى أبى البَخْتَرِىّ بنِ هِشـام فقال له نحوًا ممـا قال لمُطعم ، فقال : وهل من أحد يعين على هـذا ؟ قال : نعم ، قال : فمن هو ؟ قال زهير والمطعِم وأنا معك ، قال : ابغِنـا خامسا ، فذهب إلى زمعة بنِ الأسـود ابن المطلب ، فكلّمه وذكر له قرابتهم وحقّهم ، فقال : وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليـه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سَمَّى له القوم ، فاتّعدوا خَطْم الحَجُون[1] ليلا بأعلى مكة ، فاجتمعوا هناك وتعاقدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينْقُضوها .

وقال زُهـير : أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم . فلمـا أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير عليه حُلّة ، فطاف بالبيت سَبعا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، أنأكل الطعـام ونلبس الثياب وبنو هاشم هَلْكَى لا يبتاعون ولا يُبتاع منهم ! والله لا أقعـد حتى تُشَق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة . فقال أبو جهل

(١) كذا بالأصل . وخطم الحجون : أنفه النادر منه ؛ والذى فى ابن هشام والبداية بالمهملة ، والحطم : الموضع الذى حطم منه ، أى ثلم فبقى منقطعا .

— وكان فى ناحية المسجد — : كذبت، والله لا تُشَقّ[1] ! قال زَمعة بن الأسود : أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتَها حيث كُتبتْ، قال أبو البَخترىّ : صدق زَمعة، لا نرضى ما كُتِب فيها ولا نقرّ به، قال المطعم : صدقتما وكذب من قال غير ذلك؛ نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها !

وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك .

فقال أبو جهل : هذا أمر قضِىَ بليل، وتشوور فيه بغير هذا المكان[2] — وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد — وقام المطعم إلى الصحيفة ليشُقّها فوجد الأَرَضَة قد أكلتها؛ إلا « باسمك اللهم » .

ثم حكى ابن هشام نحوا ممّا ذكره الواقدىّ من خبرها على ما قدّمناه، وأن أولئك الرهط الذين ذكرناهم صنعوا ما صنعوا ممّا ذكرناه بعد كلام أبى طالب . والله تعالى أعلم .

ذِكر من عاد من أرض الحبشة ممن هاجر إليها، وكيف دخلوا مكة

قال ابن إسحاق رحمهما الله : وبلغ أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك، حتى إذا دَنَوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدّثوا به من إسلامهم كان باطلا، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوارٍ أو مُستخفيا . فكان من قدم عليه مكة، منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة فشهد بَدْرا وأُحدا، ومن حبِس عنه حتى فاته ذلك .

ومن مات منهم بمكة من بنى عبد شمس : عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، معه امرأته سَهْلة بنت سُهيل .

(١) فى الأصل «على» وهو تحريف . (٢) فى الأصل «تشور فيه لغير» وهو تحريف .

ومن حلفائهم عبد الله بن جَحْش بن رِئاب .

ومن بنى نَوْفل بن عبد مناف عُتبة بن غَزْوان حليف لهم .

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى الزبير بن العوّام .

ومن بنى عبد الدار مُصْعب بن عمير، وسُوَيْبِط بن سعد .

٥ ومن بنى عبد [بن] (١) قصىّ طُلَيب بن عمير .

ومن بنى زُهرة بن كِلاب عبد الرحمن بن عوف ، والمِقداد بن عمرو؛ حليف لهم، وعبد الله بن مسعود؛ حليف لهم .

ومن بنى مَخْزوم أبو سَلَمة بن عبد الأسد ؛ معه امرأته أمّ سَلَمة، وشمّاس ابن عثمان، وسَلمة بن هِشام ، حبسه عمه بمكة فلم يهاجر إلا بعد الخندق (٢) ، وعيّاش

١٠ ابن أبى ربيعة بن المغيرة، ومن حلفائهم عمّار بن ياسر (٣)، ومُعتّب بن عوف من خزاعة.

ومن بنى جُمَح عُثمان بن مظعون وابنه السائب بن عثمان ، وقُدامة وعبد الله ابنا مظعون .

ومن بنى سَهْم خُنَيس بن حُذافة ، وهشام بن العاص بن وائل ؛ حبس بمكة فلم يهاجر إلا بعد الخندق .

١٥ ومن بنى عَدىّ بن كعب عامر بن ربيعة حليف لهم ، معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمة .

ومن بنى عامر بن لُؤى عبد الله بن مَخْرمة ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو . حبس بعد الهجرة ، فلما كان يوم بدر انحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله

(١) من ابن هشام .

٢٠ (٢) فى ابن هشام (٢ : ٦)، « فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق » .

(٣) فى ابن هشام ما نصه : « إن عمارا يشك فيه ، أكان خرج إلى الحبشة أم لا » .

عليه وسلم، وأبو سَبْرة بن أبى رُهم، معه آمرأته أمّ كلثوم[1]، والسّكران بن عمرو معه آمرأته سَودة بنت زَمْعة ؛ مات بمكة قبل الهجرة . ومن حلفائهم سعد بن خولة .

ومن بنى الحارث بن فِهر أبو عُبيدة عامر بن عبد الله بن الجرّاح ، وعمرو آبن الحارث بن زهير، وسُهيل بن بَيضاء، وعمرو بن أبى سَرْح بن ربيعة بن هلال .

٥ فجميع من قدم مكة ثلاثة وثلاثون رجلا ، فكان من دخل منهم بجوار عثمان آبن مظعون دخل بجوار من الوليد بن المغيرة، فلما رأى مافيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح فى أمان من الوليد ، قال : والله إنّ غُدوّى ورَواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشّرْك[2] ، وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والأذى فى الله ما لا يصيبنى لَنَقْصٌ كبير فى نفسى ، فمشى إلى الوليد

١٠ آبن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمس ، وَفتْ ذمّتك ، وقد رددت إليكَ جوارك ؛ فقال له : يا بن أخى، لعله آذاك أحد من قومى، قال : لا، ولكنى أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره . قال : فآنطلِقْ إلى المسجد فردّ علىّ جوارى علانية كما أجرتك علانية، فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد علىّ جوارى، قال : صدق ، وجدته كريما وفِىّ الجوار[3]، ولكنى أحببت

١٥ ألا أستجير بغير الله، فقد رددتُ عليه جواره، ثم انصرف عثمان .

وأبو سَلمة بن عبد الأسد دخل بجوارٍ من أبى طالب بن عبد المطلب ، فمشى إليه رجال من بنى مَخزوم فقالوا : يا أبا طالب[4] ، منعت منا ابن أخيك محمدا، فمالك

(١) فى ابن هشام : « أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو » .

(٢) فى الأصل : « أصحاب » . وما أثبتناه عن ابن هشام .

٢٠ (٣) فى ابن هشام : « وفيا كريم الجوار » .

(٤) فى الأصل : « يا أبا المطلب » ، وما أثبتناه عن ابن هشام .

٩١ / ١٤

ولصاحبنا تمنعه منّا ! قال : إنه استجارَ بى ؛ وهو ابن أختى ، وإن أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى ، فقام أبو لهب فقال : يا معشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون توثّبون عليه فى جواره من بين قومه ، والله لتنتهنّ عنه أو لنقومنّ معه فى كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد ، فقالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عُتبة . قال : وأقام بقيتهم بأرض الحبشة إلى سنة سبع من الهجرة ، فقدموا بعد فتح خيبر ، وقد رأينا أن نذكرهم فى هذا الموضع ؛ لتكون أخبارهم متوالية .

ذكر من قدم من أرض الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بِخَيْبَر ، ومن قدم بعد ذلك ومن هلك منهم هناك

قال ابن إسحاق : كان من قدم منهم إلى خيبر فى سنة سبع من الهجرة مع جعفر ابن أبى طالب رضى الله عنه فى السفينتين ستة عشر رجلا ، وهم من بنى هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبى طالب ، معه امرأته أسماء بنت عُمَيس ، وابنه عبد الله ، ولد بأرض الحبشة .

ومن بنى عَبْد شمس خالد بن سعيد بن العاص ، معه امرأته أمينة بنت خلف ، وابناه سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سَعيد ، ومعيقيب بن[1] أبى فاطمة ، وأبو موسى الأشعرىّ ؛ واسمه عبد الله بن قيس .

ومن بنى أسد الأسود[2] بن نَوْفل بن خُويلد .

(١) فى الأصل : « معيتيب » . وما أثبتناه عن (ابن هشام ٤ : ٤) .

(٢) فى الأصل : « الأسد » . والصواب عن ابن هشام .

ومن بنى عبد الدار [بن][(١)] قُصىّ جَهْم بن قيس ، معه ابناه عمرو بن جَهْم ، وخُزيمة بنت جَهْم ، وكانت معه امرأته أمّ حَرْملة بنت عبد الأسود ، هلكت بأرض الحبشة .

ومن بنى زُهرة بن كلاب عامر بن أبى وقّاص ، وعُتبة بن مسعود حليف لهم من هُذيل . ٥

ومن بنى تيم بن مُرّة الحارث بن خالد بن صَخْر ، هلكت امرأته رَيْطَة بالحبشة .

ومن بنى جُمح عثمان بن ربيعة بن أهبان .

ومن بنى سَهم مَحْمِية بن الجَزْء[(٢)] حليف لهم من بنى زُبيد .

ومن بنى عَدىّ بن كعب مَعْمر بن عبد الله بن نَضْلة . ١٠

ومن بنى عامر بن لؤىّ أبو حاطب بن عمرو ، ومالك بن ربيعة : معه امرأته عَمرة بنت السعدىّ .

ومن بنى الحارث بن فِهْر الحارث بن [عبد][(٣)] قيس بن لَقيط ، وحمل معهم نساء من نساءِ مَن هلك هناك .

هؤلاء الذين قدموا مع جعفر فى السفينتين . وقدم بعد ذلك ستة وعشرون رجلا ، وهم : ١٥

من بنى أمية قيس بن عبد الله الأسدىّ ، أسد خزيمة ، حليف لهم .

---

(١) ساقطة من الأصل . وما أثبتناه عن ابن هشام .

(٢) كذا ضبط هذا الاسم فى التاج والتكملة من ابن هشام .

(٣) الزياده من ابن هشام . ٢٠

ومن بنى أسد يزيد بن زَمعة بنِ الأسود، قتل يوم حُنينٍ شهيدا .

ومن بنى عبد الدار : أبو الروم بن عُمير، وفِراس بن النضر بنِ الحارث بن كَلَدَة .

ومن بنى تَيم بن مرة عمرو بن عثمان بن عمرو .

ومن بنى مخزوم هَبّار بن سفيان ، وأخوه عبد الله ، وهشام بن أبى حُذيفة ابن المغيرة .

ومن بنى جُمح سفيان بن مَعْمر ، وآبناه جُنَادة وجابر ، وأمّهما حَسَنة[1] ، وأخوهما لأبيهما شُرَحْبيل بن حَسَنة .

ومن بنى سهم قيس بن حذافة بنِ قيس ، وأبو قيس بن الحارث بنِ قيس، وبشر بن الحارث بنِ قيس، وأخ له من أمّه من بنى تميم يقال له : سعيد بن عمرو، وسعيد بن الحارث بن قيس ، والسائب بنِ الحارث بنِ قيس ، وعُمير بن رئاب ، ابنِ حُذيفة .

ومن بنى عامر بن لؤىّ سَليط بن عمرو .

ومن بنى الحارث بن فهر عثمان بن عبد غَنْم، وسعيد[2] بن عبد قيس بنِ لَقيط، وعِياض بن زُهير بن أبى شدّاد .

وهلك بأرض الحبشة ممن هاجر إليها ثمانية ، وهم :

من بنى عبد شمس، من حلفائهم عبيد الله بن جحش بنِ رِئاب ، تنصّر ومات بأرض الحبشة نصرانيا، وكانت معه آمرأته أمّ حبيبة بنت أبى سفيان ، فخلف عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

(١) كذا ضبط هذا الاسم بالتحريك فى التاج ضبطا بالعبارة .

(٢) ويقال فيه سعد كما فى ابن هشام والاستيعاب .

ومن بنى أسد عمرو بن أمية بن الحارث .

ومن بنى زهرة بنِ كلاب المطلب بن أزهر بن عوف ، ومعه آمرأته رملة بنت أبى عوف، فولدت له هناك عبد الله بنِ المطلب .

ومن بنى جُمح حاطب بن الحارث بنِ معْمَر ، وكان معه آمرأته فاطمة بنت المحلّل (١) بنِ عبد الله، وابناه محمد والحارث ، فقدمت آمرأته وآبناه مع جعفر آبن أبى طالب رضى الله عنه فى أحد السفينتين، وأخوه حطاب بن الحارث، وكان معه آمرأته فُكيهة بنت يَسار قدمت مع جعفرٍ أيضا .

ومن بنى سهم عبد الله بن الحارث بن قيس .

ومن بنى عدىّ بن كعب عُروة بن عبد العزّى بن حُرثان ، وكان مع عدىّ آبنه النعمان، فقدِم مع من قدِم من المسلمين .

فهؤلاء الذين ذكرناهم هم الذين ذكرهم آبن إسحاق، وعدّهم أنهم الذين هاجروا إلى أرض الحبشة ، وحصر عِدّتهم كما تقدّم . وأمّا من ذكرنا ممن ذكر أبو عمر يوسف بن عبد البرّ فى كتابه أنهم ممن هاجر إلى أرض الحبشة فلم نقف على تاريخ عودِهم فنذكره .

ذِكر من أنزِل فيه القرآن من مشركى قريش وما أنزِل فيهم

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : ولمّا حَمى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من قريش ومنعه منها، وقام عمه أبو طالب وقومه من بنى هاشم وبنى عبد المطلب دونه ، وحالوا بينهم و بين ما أرادوا من البطش به ، جعلت قريش يهمِزونه و يستهزئون به و يخاصمونه ، والقرآن ينزل فيهم، منهم من سمّاه الله تعالى، ومنهم من نزل فيه فى عامّة من ذكر الله من الكفار .

(١) فى بعض نسخ آبن هشام وأسد الغابة «المجلل» بالجيم .

فكان من سمى ممن نزل فيه القرآن أبو لهب بن عبد المطلب ، وآمرأته أم جميل بنت حرب بن أمية ، حمالة الحطب ، فأنزل الله فيهما قوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾ . قال : وإنما سماها الله تعالى ٥ حمالة الحطب لأنها كانت تحمل الشوك فتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[قال ابن إسحاق : فذكر لى أن أم جميل حمالة الحطب ، حين سمعت ما أنزل فيها، وفى زوجها من القرآن أتت رسول الله[1]] وهو جالس فى المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وفى يدها فِهر[2] من حجارة، فلما وقفت عليهما ١٠ أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت : يا أبا بكر ، أين صاحبُك ؟ قد بلغنى أنه يهجونى، والله لو وجدته لضربت بهذا الفِهر فاه، أما والله إنى لشاعرة :

مُذَمَّمًا عَصَيْنَا * وَأَمْرَه أَبَيْنَا

ودِينَه قَلَيْنا

١٥ ثم آنصرفت .

قال أبو بكر : يا رسول الله ، أما تراها رأتك ؟ قال : ما رأتنى ، لقد أخذ الله ببصرها عنى .

وأمية بن خلف بن وهب الجُمَحى؛ كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَمَزه ولَمَزه ، فأنزل الله تعالى فيه قوله :﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾،السورة كلها .

---

٢٠ (١) الزيادة عن ابن هشام : (١ : ٣٨١) .

(٢) الفهر : الحجر الذى يملأ الكف .

قال ابن هشام : الهُمَزة : الذى يَشْتُم الرجل علانيــة ، و يكسِر عينه عليــه ويغمِز به . واللُّمَزَة : الذى يعيب الناس سِرًّا و يؤذيهم .

والعاص بن وائل السَّهمىّ ؛ كان إذا ذكر رسول الله صلى الله عليــه وسلم قال : دعوه فإنما هو رجل أَبْتر لا عقِب له ، لو قــد مات آنقطع ذكره واسترحتم منه ، فأنزل الله تعالى فى ذلك قوله : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ .

والكوثر : ماء هو خير من الدنيا وما فيها ؛ وقيل : الكوثر : العظيم ، وقيل : الخير الكثير .

وسئل رســول الله صلى الله عليه وسلم : ما الكوثر الذى أعطاك الله ؟ فقال : نهر فى الجنة كما بين صَنْعاء إلى أَيْلة[1] ، آنيته كعدد نجوم السماء ، من شرب منه لم يظمأ أبدا ، وأنزل الله فيــه قوله تعــالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾[2] ، وكان سبب ذلك أن خَبّاب بن الأرتّ صاحب رســول الله صلى الله عليه وســلم كان نشأ بمكة يعمل السيوف ، وكان قد باع من العاص بنِ وائل السّهمىّ سيوفا عمِلها له ؛ حتى كان له عليه مال ، فجاءه يتقاضاه ، فقال : ياخَبّاب ، أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنــة ما آبتغى أهلها من ذهب أو فِضّــة أو ثياب أو خدم ! قال خباب : بلى ، قال : فأنظِرنى إلى يوم القيامة حتى أرجع إلى تلك الدار ؛ فأقْضيك هنالك حقّك ، فوالله لا تكون أنت وأصحابك آثر عند الله منى ، ولا أعظم حظًّا فى ذلك ، فأنزل الله ذلك فيه .

---

(١) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام . وقيل من أول الحجاز وآخر الشام ؛ سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام . (معجم البلدان) .

(٢) سورة مريم (٧٧ — ٨٠) .

وأبو جهل بن هشام؛ لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : والله يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبنّ إلهك الذى تعبده، فأنزل الله فى ذلك : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(١)، فكفّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبّ آلهتهم، وجعل يدعوهم إلى الله .

٥ ولما ذكر الله شجرة الزقوم تخويفا لهم قال أبو جهل : يا معشر قريش، هل تدرون ما شجرة الزقوم التى يخوّفكم بها محمد ؟ قالوا : لا ، قال : عجوة يثرب بالزُّبد، والله لئن استمكنا منها لنزقمنها، فأنزل الله فيه : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ . طَعَامُ الْأَثِيمِ . كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ . كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾(٢)، أى ليس كما يقول .

والنضر بن الحارث بن كَلَدة بن عَلقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصىّ؛ ١٠ كان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فدعا فيه إلى الله ، وتلا فيه القرآن، وحذّر فيه قريشا ما أصاب الأمم الخالية ، خَلَفه فى مجلسه إذا قام فحدّثهم عن رستم وملوك الفرس و إسفنديار ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسنَ حديثا منّى، وما حديثه إلا أساطير الأوّلين اكتتبها كما اكتتبتها، فأنزل الله فيه : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ ١٥ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٣) . وأنزل فيه : ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾(٤) . ونزل فيه : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(٥)، والأفّاك : الكذّاب .

---

(١) سورة الأنعام (١٠٨) .
(٢) سورة الدخان (٤٣ — ٤٦) .
(٣) سورة الفرقان ٥ — ٦ .
(٤) سورة القلم ١٥ .
٢٠ (٥) سورة الجاثية ٧ — ٨ .

قال : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النَّضْر بن الحارث حتى جلس معهما ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النَّضْر فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم : ﴿ إِنَّكُمْ وما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لها وَارِدُونَ . لَوْ كانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها وَكُلٌّ فِيها خَالِدُونَ . لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وهُمْ فِيها لَا يَسْمَعُونَ ﴾[1] ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرَى السهمي حتى جلس ، فقال له الوليد بن المغيرة : والله ما قام النَّضْر بن الحارث لابنِ عبد المطلب آنفا وما قعد ، وقد زعم محمد أنَّا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ! فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى : أَمَا والله لو وجدته لخصمته ، فسألوا محمدا : أكلُّ ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عَبَده ؟ ، فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عُزَيْرا ، والنصارى تعبد عيسى بن مريم ، فعجب الوليد ومن كان حضر معه في المجلس من قول عبد الله ، ورأوا أنه قد احتجّ وخاصم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : "كلّ من أحبّ أن يُعبد من دون الله فهو مع مَنْ عَبَده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ، ومن أمرتهم بعبادته" ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ . لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾[2] ، أي عيسى بن مريم ، وعُزَيْر ومن عُبدوا من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله .

(١) سورة الأنبياء ٩٨ — ١٠٠ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠١ — ١٠٢

ونزل فيما ذكروا أنهم يعبدون الملائكة، وأنها بنات الله قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾، إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (١).

٥ ونزل فيما ذكر من أمر عيسى عليه السلام أنه يُعْبَد من دون الله، وعَجِب الوليد ومن حضر من حجته: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ (٢)، أى يصدون عن أمرك، ثم ذكر عيسى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ. وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ (٣)، أى ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء

٩٤/١٤

١٠ الموتى، وإبراء الأسقام، فكفى به دليلا على علم الساعة، يقول: ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٤).

والأَخْنَس بن شَرِيق بن عمرو بن وَهْب الثقفىّ، حليف بنى زُهرة، وكان من أشراف القوم، وممن يستمع منه، فكان يُصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويردّ عليه، فأنزل الله فيه: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ (٥) إلى قوله:

١٥ ﴿زَنِيمٍ﴾ (٦)، والزَّنيم: العديد للقوم.

والوليد بن المغيرة قال: أيُنزل على محمد وأُترَك! وأنا لبيب قريش وسيدها! ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفىّ سيد ثقيف، ونحن (٧) عظيما القريتين! فأنزل

(١) سورة الأنبياء ٢٩. (٢) سورة الزخرف ٥٧. (٣) سورة الزخرف ٥٩ ـ ٦١. (٤) سورة الزخرف ٦١. (٥) سورة القلم ١٠ ـ ١٣.

٢٠ (٦) العديد: الرجل يدخل نفسه فى قبيلة ليعد منها، وليس له فيها عشيرة.

(٧) فى الأصل: «فهن» وما صوبناه عن ابن هشام (١ : ٣٨٧).

الله تعالى فيه : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ . أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾، إلى قوله : ﴿ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١) .

وأُبَىّ بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح ، وعُقْبَة بن أبى مُعَيْط — وكانا متصافيين حَسناً ما بينهما — فجلس عُقْبَةُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ، فبلغ ذلك أُبَيًّا ، فأتى عُقبةَ فقال : ألم يبلغنى (٢) أنك جالستَ محمدا وسمعتَ منه ! ثم قال : وَجْهى من وجهك حرام أن أكلمك — واستغلظ من اليمين — إن أنت جلست أو سمعت منه ، أو لم تأته فتتفل فى وجهه . ففعل عدوّ الله عُقبة بن أبى مُعَيط ، فأنزل الله فيهما : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ (٣) . ومشى أُبَىّ بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [بعظم] (٤) بالٍ قد أرفت (٥) ، فقال : يا محمد ، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعدما أرى (٦) ؟ ثم فته بيده ونفخه فى الريح نحو النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نعم أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ماتكونان هكذا ، ثم يدخلك النار " ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ (٧) .

---

(١) سورة الزخرف ٣١ — ٣٢ . (٢) فى الأصل : « ألم يبلغك أنى » ، وما أثبتناه عن ابن هشام . (٣) سورة الفرقان ٢٧ — ٢٩ (٤) الزيادة عن ابن هشام . (٥) ارفت : تكسر وتفتت . (٦) فى ابن هشام : « وأرم » . (٧) سورة يس ٧٨ — ٨٠

واعترض رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة الأسودُ بن المطلب ابن أسد، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل — وكانوا ذوى أسنانٍ فى قومهم — فقالوا : يامحمد، هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت فى الأمر، فإن كان الذى تعبد خيرا كنا قد أخذنا بحظِّنا منه، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذتَ بحظك منه، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ... السورة .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه إلى الإسلام، وكلمهم فأبلغ، فقال له زَمْعة بن الأسود، والنضر بن الحارث، والأسود بن عبد يَغُوث، وأُبىّ بن خلف، والعاص بن وائل : لو جعِل معك يامحمد ملَك يحدّث عنك الناس، ويرى معك ! فأنزل الله تعالى فى ذلك : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ . وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ [(١)] ﴾ . والله المستعان .

ذكر خروج أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه إلى الهجرة وعوده، وجواره وردّه الجوار

قال : وكان أبو بكر رضى الله عنه كما روى الزهرىّ عن عُروة عن عائشة رضى الله عنها حين ضاقت عليه مكة، وأصابه فيها ما أصابه من الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة، فأذن له، فخرج أبو بكر مهاجرا حتى إذا سار من

(١) سورة الأنعام ٨ — ٩

مكة يوما أو يومين لقيه آبن الدّغُنّة[١]، ويقال فيه: الدُّغَيْنة — أخو بنى الحارث بن بكر آبن عبد مناة بن كنانة، والهُون بن خُزَيمة بن مُدرِكة، وبنى المُصْطَلِق بن خُزاعة، تحالفوا جميعا فسُمّوا الأحابيش[٢] للحِلْف — فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ قال: أخرجنى قومى وآذونى وضيقوا علىّ، قال: ولِم؟ فوالله إنك لتَزِين العشيرة، وتُعين على النوائب، وتفعل المعروف، وتَكْسِب المعدوم، ارجع وأنت فى جِوارى. فرجع معه حتى إذا دخل مكة، قام آبن الدّغُنّة فقال: يا معشر قريش، إنى قد أجرت آبن أبى قحافة فلا يعرضنّ له أحد إلا بخير، فكفّوا عنه.

قال: وكان لأبى بكر مسجد على باب داره فى بنى جُمَح، فكان يصلى فيه، وكان رجلا رقيقا، إذا قرأ القرآن آستبكى، فتقف عليه الصبيان والعبيد والنساء فيعجبون لما يرون من هيئته، فمشى من قريش إلى آبن الدّغُنّة رجال فقالوا: إنك لم تُجِر هذا الرجل ليؤذينا، إنه رجل إذا صلى وقرأ ماجاء به محمد يَرِقّ، ونحن نتخوّف على صبياننا ونسائنا وضَعَفتِنا أن يَفْتِنهم، فأْته فَمُرْهُ أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء.

قالت: فمشى آبن الدّغُنّة إليه فقال: يا أبا بكر، إنى لم أُجرك لتؤذىَ قومك، إنهم قد كرهوا مكانك الذى أنت به، وتأذّوْا بذلك منك، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت. قال: أوَ أردّ عليك جوارك، وأرضى بجوار الله؟ قال: فارددْ علىّ جوارى، قال: قد رددته عليك، فقام آبن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إن آبن أبى قحافة قد ردّ علىّ جوارى فشأنكم بصاحبكم.

---

(١) هو مالك بن الدغنة سيد الأحابيش. (٢) يقال إنهم تحالفوا عند جبل يقال له حبشى، فاشتق لهم منه هذا الاسم، (راجع الروض الأنف ١ : ٢٣١).

ذكر وفاة أبى طالب بن عبد المطلب عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَشْىِ أشراف قريش إليه فى مرضه ، وما قالوه وأنزل فيهم

كانت وفاة أبى طالب بعد نقضِ الصحيفة، وخروج بنى هاشم وبنى المطلب من الشِّعْب بثمانية أشهر وأحدٍ وعشرين يوما، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام. ٥
حكاه الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلَف الدمياطى رحمه الله فى مختصر السيرة النبوية .

وقال محمد بن سعد : كان بينهما شهر وخمسة أيام[1] .

قال[2] محمد بن إسحاق : لما آشتكى أبو طالب وبلغ قريشا ثقله ، فمشى إليه أشراف قريش وهم : عُقْبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، ١٠ وأمية بن خلَف ، وأبو سفيان بن حرب فى رجالٍ من أشرافهم، فقالوا : يا أبا طالب ، إنك مِنا حيث قد علمت وقد حضرك ما ترى ، وتخوّفنا عليك ، وقد علمت الذى بيننا وبين آبن أخيك، فآدعه فخذ له مِنا، وخذ لنا منه، ليكفّ عنا ونكفّ عنه، وليدعْنا وديننا ، وندعه ودينه .

فبعث إليه فجاءه فقال له : يا بن أخى، هؤلاء أشراف قومك قد آجتمعوا لك، ١٥ ليعطوك وليأخذوا منك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كلمة[3] واحدة تملكون بها العرب، وتدين لهم بها العجم" فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات، فقال : "تقولون لا إله إلا الله، وتخلعون ماتعبدون من دونه"، قال : فصفّقوا بأيديهم، وقالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلها واحدا، إن أمرك لعجب ! ثم قال

(١) ابن سعد ١ : ١٤١ (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٨ (٣) فى ابن هشام : ٢٠ ٢ : ٥٩ : « نعم، كلمة واحدة تعطونيها ؛ تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » .

بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل يعطيكم شيئا مما تريدون؛ فآنطلقوا وامضوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم و بينه ، ثم تفرقوا . فقال أبو طالب : والله ما رأيتك سألتهم شططا .

قال : فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه[1] ، فجعل يقول له : "ياعمّ فأنت فقلها؛أستحل بها لك الشفاعة يوم القيامة"، قال: يا بن أخى لولا مخافة السُّبّة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظنّ قريش أنى قلتها جزعا من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها .

قال آبن عباس : فلما تقارب من أبى طالب الموت، نظر العباس إليه يحرّك شفتيه، فأصغى إليه بأذنه، فقال: يا بن أخى، والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرتَه أن يقولها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لم أسمع"، ثم هلك أبو طالب.

والذى ورد فى الصحيح : أن آخر ما سمع من أبى طالب ؛ هو على دين عبد المطلب .

قال آبن إسحاق : وأنزل الله فى الرهط الذين آجتمعوا إلى أبى طالب وقالوا ما قالوا ، قوله تعالى : ﴿ صٓ وَٱلْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ . كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ . وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ . وَٱنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا وَٱصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ . مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِى الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا ٱخْتِلَاقٌ ﴾[2] . قال : يريدون بالملّة الآخرة النصارى؛ لقولهم : ﴿ إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾[3] .

(١) فى ابن هشام ٢ : ٥٩ : « فى إسلامه » .

(٢) سورة ص ١ — ٧ . (٣) سورة المائدة : ٧٣ .

ذكر وفاة خديجة بنت خُوَيْلِد زوج النبيّ
صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها

كانت وفاة خديجة رضى الله عنها بعد وفاة أبى طالب كما تقدّم ، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على ماصححه الشيخ شرف الدين الدمياطىّ رحمه الله فى مختصر السيرة النبوية ، قال :

وبقيت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحى خمس عشرة سنة ، وبعده تسع سنين وثمانية أشهر ، وهى أوّل من أسلم من النساء بلا خلاف ، ولعلها أوّل من أسلم من الناس ، وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وزير صدق . روى أن آدم عليه السلام قال : « إنى لسيد البشر يوم القيامة إلا رجل من ذريتى فضل علىّ باثنين ، كانت زوجته عونا له ، وكانت زوجتى عونا علىّ ، وأعانه الله على شيطانه فأسلم ، وكفر شيطانى » . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أمرت أن أبشر خديجة ببيتٍ فى الجنة من قَصَبٍ ، لا صَخَب فيه ولا نَصب " ، قالوا : والقَصَب ها هنا : اللؤلؤ . ودفنت خديجة بالحَجُون ، ولم تكن شرعت الصلاة على الميت بعد . والله أعلم .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وعوده إلى مكة

قال : لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم تكن تناله فى حياة عمه .

قال محمد بن سعد (١) : فبلغ ذلك أبا لهب ، فجاءه فقال : يامحمد ، امض لما أردت ، وما كنتَ صانعا إذا كان أبو طالب حيًّا فاصنعه ، لا واللّات ، لا يُوصل إليك

(١) الطبقات ١ : ١٤١

حتى أموت . قال : وسبّ آبن الغَيْطَلة النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأقبل عليه أبو لهب فنال منه ، فولّى وهو يصيح : يامعشر قريش، صَبَأ أبو عُتبة ، فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبى لهب فقال : مافارقتُ دين عبد المطلب، ولكنى أمنع آبن أخى أن يُضام ، حتى يمضى لما يريد، قالوا : قد أحسنت وأجملت ووصلت الرّحم ، فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أياما يذهب ويأتى، ولا يعترض له أحد من قريش ، وهابوا أبا لهب إلى أن جاء عُقْبَة بن أبى مُعيط ، وأبو جهل ابن هشام إلى أبى لهب فقالا : أخبرك آبن أخيك أين مدخل أبيك ؟ فقالا[1] له : يا محمد أين مدخل عبد المطلب؟ قال : "مع قومه"، فخرج أبو لهب إليهما فقال : قد سألته فقال : "مع قومه"، فقالا : يزعم أنه فى النار، فقالا : يا محمد، أيدخل عبد المطلب النار؟ ، فقال : "نعم، ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب دخل النار" . فقال أبو لهب : والله لا برحت لك عدوّا أبدا ، وأنت تزعم أن عبد المطلب فى النار، فاشتدّ عليه هو وسائر قريش ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف .

قال محمد بن سعد : خرج ومعه زيد بن حارثة ، وذلك فى ليال بقين من شوّال سنة عشر من حين النبوّة، فأقام بالطائف عشرة أيام لا يدَع أحدا من أشرافهم إلا جاءه وكلّمه ، فلم يجيبوه ، وخافوا على أحداثهم ، فقالوا : يا محمد، آخرج من بلدنا والحق بمجابك[2] من الأرض . وأغرَوْا به سفهاءهم، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى إن رجلىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم لَتدميان ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه ، حتى لقد شُجّ فى رأسه شِجاجا ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعا إلى مكة وهو محزون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة .

(١) فى الأصل : « فقال » ، وما أثبتناه عن ابن سعد ١ : ١٤٢

(٢) فى السيرة الحلبية ١ : ٣٨٥ : « بمنجاتك » .

وقال ابن إسحاق [١] : لما أغروا به سفهاءهم، لجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حائط [٢] لعُتبة وشيبة ابنى ربيعة، فجلس فى ظل حبلة [٣]، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقى من سفهاء أهل الطائف، فتحركت له رحمتهما، فدعَوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عَدّاس، فقالا له : خذ قِطفا من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق، ثم اذهب إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه، ففعل عدّاس، ثم أقبل حتى وضعه بين يديه صلى الله عليه وسلم، وقال له : كُلْ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بسم الله" فأكل، فنظر عَدّاس إليه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له صلى الله عليه وسلم : "ومن أهل أىّ البلاد أنت يا عَدّاس ؟ وما دينك"؟ . قال : نصرانىّ، وأنا رجل من أهل نِينَوى [٤]، فقال له : "أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متّى" ؟ فقال عَدّاس : وما يدريك ما يونس؟ قال : "ذاك أخى، كان نبيا وأنا نبىّ" ، فأقبل عَدّاس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبّل رأسه وقدميه ويديه، فقال أحد ٱبنىْ ربيعة لصاحبه : أمّا غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما عَدّاس قالا له : ويلك! ما لك تُقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ! قال : يا سيدى، ما فى الأرض شىء خير من هذا العبد، لقد أخبرنى بأمرٍ ما يعلمه إلا نبىّ، قالا : ويحك يا عدّاس ! لا يصرفنّك عن دينك، فإن دينَك خير من دينه .

قال : ثم ٱنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنَخْلة [٥] أتاه جنّ نَصيبين [٦]، على ما نذكر ذلك إن شاء

---

(١) ابن هشام ٢ : ٦١

(٢) الحائط : البستان إذا كان عليه جدار .

(٣) الحبلة : شجرة العنب .

(٤) نينوى : من قرى الموصل .

(٥) نخلة : محلة ما بين مكة والطائف .

(٦) نصيبين : قاعدة ديار ربيعة .

الله فى أخبار الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقف عليه هناك، وهو فى آخر وفادات العرب .

قال : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بَنَخْلَةَ أياما، فقال له زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم وهم أخرجوك ؟ فقال : " يا زيد ، إن الله جاعل لما ترى فَرَجًا ومخرجا، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه"، ثم آنتهى إلى حِرَاء، فأرسل رجلا من خُزَاعة إلى مُطْعِم بن عدىّ يقول : " أدخل فى جوارك "؟ فقال : نعم، ودعا بنيه وقومه، فقال : تَلبّسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت؛ فإنى قد أجرت محمدا، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه زيد بن حارثة حتى آنتهى إلى المسجد الحرام، فقام مُطعِم بن عدىّ على راحلته فنادى : يا معشر قريش، إنى قد أجرت محمدا ؛ فلا يَهْجُه أحد منكم ، فآنتهى صلى الله عليه وسلم إلى الركن فآستلمه، وصلى ركعتين ، وآنصرف إلى بيته، ومُطْعِم وولده مُطِيفون به ، فلذلك قال حسان بن ثابت الأنصارىّ فى رثائه لمطعِم من قصيدته :

فلو كان مجدٌ يُخلِد الدهرَ واحدًا * من الناس، أبقى مجدُه اليومَ مُطْعِما[1]
أجَرْتَ رسولَ الله منهمْ فأصبحوا * عبيدَك ما لَبَّى مُهِلٌّ وأَحْرَما

وحكى محمد بن إسحاق: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الأخنس بن شَرِيق ليُجيره، فقال : أنا حليف ، والحليف لا يُجير؛ فبعث إلى سُهيل بن عمرو فقال : إن بنِي عامر[2] لا تُجير على بنى كعب ، فبعث إلى المطعِم بن عدىّ فأجابه .

---

(١) رواية الديوان بشرح البرقوقى : ٣٩٨
ولو أن مجدا أخلد الدهر واحدا * من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

(٢) فى الأصل « أنى من بنى عمر » ، وهو تحريف . وصوبناه عن ابن هشام ٢ : ٢٠ ، والحلبية ١ : ٣٩١

ذكر خبر الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى البيت المقدس، وخبر المعراج به صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلا، وإلى سدرة المنتهى، وماشاهد فى ذلك من الكرامة والاصطفاء والمناجاة، وفرض الصلاة، وغير ذلك مما يراه من آيات ربه الكبرى، صلّى الله عليه وسلم

وخبر الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح متفق على صحته بنص الكتاب والأحاديث الصحيحة. أما الكتاب العزيز، فقد قال الله عزّ وجل: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى. ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى. وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى. ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَارَأَى. أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى. إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى. مَازَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾[2].

وأما الأحاديث الواردة فى ذلك فسنذكرها إن شاء الله تعالى.

وكان الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا، وقد أتت عليه إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر.

(١) سورة الإسراء: ١.   (٢) سورة النجم ١ — ١٨.

وقال ابن سعد فى طبقاته عن عائشة وأم هانئ وابن عباس قالوا : أُسرِىَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة من شِعب أبى طالب [إلى بيت المقدس](١) . والله أعلم .

والأحاديث الصحيحة بصحة الإسراء قد جاءت من طرق كثيرة ، وقد رأينا أن نبدأ منها بأكملها وأجمعها ، وهو حديث ثابت البُنَانىّ عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، ثم نذكر زيادات عن غيره يتعين ذكرها .

أما حديث ثابت البُنانىّ فهو مما رويناه بإسناد متصل عن مسلم بن الحجاج(٢) ، قال حدّثنا شيبان بن فرّوخ ، قال حدّثنا حماد بن سلمة ، قال حدّثنا ثابت البنانىّ عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أُتِيتُ بالبُراق وهو دابة أبيض طويل ، فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طَرْفه " . قال : " فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، فربطته بالحلقة التى يَرْبط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءنى جبريل بإناء من خمرٍ وإناءٍ من لبن ، فأخذت اللبن ، فقال جبريل : اخترتَ الفِطرة ، ثم عرج بنا إلى السماء ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : من معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففُتِح لنا فإذا بآدم صلى الله عليه وسلم ، فرحّب بى ودعا لى بخير ، ثم عُرِج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بابْنَى الخالة عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما وسلم ، فرحّبا بى ودعوا لى بخير ، ثم عُرِج بنا إلى السماء الثالثة ،

(١) التكملة من ابن سعد ، القسم الأول من الجزء الأول ص ١٤٣

(٢) الحديث فى الشفاء ١ : ١٤١ وما بعدها .

وذكر مثل الأوّل ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم، وإذا هو قد أُعطى شطر الحسنِ، فرحّب بى، ودعا لى بخير، ثم عُرِج بنا إلى السماء الرابعة، فذكر مثله، فإذا أنا بإدريس فرحّب بى ودعا لى بخير، ثم عُرِج بنا إلى السماء الخامسة، فذكر مثله، فإذا أنا بهارون(١) فرحّب بى، ودعا لى بخير، ثم عُرِج بنا إلى السماء السادسة، فإذا أنا بموسى فرحّب بى، ودعا لى بخير، ثم عُرِج بى إلى السماء السابعة، فذكر مثله، فإذا أنا بإبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون إليه، ثم ذهب بى إلى سِدْرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفِيلَة، وإذا ثمرها كالقِلال(٢)". قال: "فلما غَشِيها من أمر الله ما غَشِى تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلىّ ما أوحى، ففرض علىّ خمسين صلاة فى كل يوم وليلة، فنزلتُ إلى موسى، فقال: ما فرض ربك على أمّتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: آرجع إلى ربك فآسأله التخفيف، فإن أمّتك لا يُطيقون(٣) ذلك، فإنى قد بلوت بنى إسرائيل". قال: "فرجعت إلى ربى فقلت: يارب خفف عن أمّتى، فحطّ عنى خمسا، فرجعت إلى موسى فقلت(٤): حَطّ عنى خمسا"، قال: إنّ أمّتك لا يُطيقون ذلك، فآرجع إلى ربك فآسأله التخفيف. قال: "فلم أزل أراجع بين ربى تعالى، وبين موسى حتى قال: يا محمد، إنهنّ خمس صلوات، كل يوم وليلة بكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومَنْ همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها

(١) فى الأصل: «موسى» — وما أثبتناه عن مسلم، والشفاء.
(٢) فى دلائل النبوة ١ : ١٩٦ والبخارى ٤ : ٧٢ : «نبقها كأنه قلال هجر».
(٣) فى عيون الأثر ١ : ١٤٥ : «لا تطيق».
(٤) فى الأصل: «نقلت»، وهو تحريف.

٩٩/١٤

كتبت له عشرا، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة". قال : "فنزلت[1] حتى آنتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال : آرجع إلى ربك فاسأله التخفيف . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فقلت : قد رجعت إلى ربى حتى آستحييت منه " .

٥ وروى يونس عن ابن شهاب عن أنس قال : كان أبو ذرّ يحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "فُرِج سقف بيتى[2]، فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بِطَستٍ من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا فأفرغها فى صدرى ثم أطبقه، ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء" . فذكر القصة .

وروى قَتَادة عن أنس عن مالك بن صَعْصَعة الحديث بمثله ، وفيه تقديم ١٠ وتأخير، وزيادة ونقص، وخلاف فى ترتيب الأنبياء والسموات؛ وحديث ثابت عن أنس أتقن وأجود . وهذان الحديثان يدلان على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شُقّ جوفُه عند الإسراء، وقد تقدم الخبر أنه شُقّ جوفه وهو عند ظِئْره فى حال طفوليته، فيكون على هذا شُقّ جوفُه مرتين . والله أعلم بالصواب .

ونقل عن الشيخ عبد القادر محمد بن أبى الحسن الصعبىّ فى مختصر السيرة ١٥ الحديث له قال : روى أبو داود الطيالسىّ فى مسنده[3]، قال : حدّثنا حماد بن سلمة قال أخبرنى أبو عِمران الجَوْنِىّ عن رجل عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف هو وخديجة شهرا، فوافق ذلك رمضان، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمع: السلام عليكم، قالت: فظننت أنه بِخَبَّه الحقّ[4]، فقال :

(١) فى الأصل : « فتركت » ، وما أثبتناه عن الشفاء ١ : ١٤٣ ، وعيون الأثر ١ : ١٤٥

٢٠ (٢) فى عيون الأثر ، وصحيح مسلم ١ : ١٠٢ ، والشفاء ١ : ١٥٣ : « بيتى وأنا بمكة » .

(٣) ص ٢١٥ . (٤) فى مسند الطيالسىّ : « بفجأة الجن » ، والحق هنا : الموت .

" أبشروا فإن السلام خير " ، ثم رأى يوما آخر جبريل عليه السلام على الشمس جناح له بالمشرق، وجناح له بالمغرب، قالت : فبهِتّ منه، قالت[1] : فانطلق يريد أهله، فإذا هو بجبريل عليه السلام بينه و بين الباب، قال : " فكلمنى حتى أنست به ثم وعدنى موعدا ، فجئت لموعده ، واحتبس علىّ جبريل ، فلما أراد أن يرجع إذا هو وميكائيل عليهما السلام، فهبط جبريل عليه السلام إلى الأرض، و بقى ميكائيل بين السماء والأرض " ، قال : " فأخذنى فسلقنى[2] لحلاوة القفا، وشَقّ عن بطنى ، فأخرج منه ماشاء الله، ثم غسله فى طَستٍ من ذهب ثم أعاده، ثم كفأنى كما يكفأ الإناء، ثم ختم فى ظهرى حتى وجدت مَسّ الخاتم، ثم قال لى : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ ولم أقرأ كتابا قط، فأخذ بحلق حتى أجهشت بالبكاء ، ثم قال : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ إلى قوله : ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ". قال : " فما نسيت بعد، فوزننى برجل فوزنته، ثم وزننى بآخر فوزنته، ثم وزننى بمائة، فقال ميكائيل : تبِعته أمته وربّ الكعبة " . قال : " ثم جئت إلى منزلى، فما يلقانى حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، حتى دخلت على خديجة فقالت : السلام عليك يا رسول الله " .

فيدل هذا الحديث على أنه شُقّ جوفه أيضا عند الوحى، كما فيكون شُقّ جوفُه ثلاث مرات؛ مرة وهو عند ظِئْرة، ومرة عند الوحى فى أول النبوة، كما يقتضى هذا الحديث، ومرة ثالثة عند الإسراء؛ كما روى عن أبى ذر، ومالك بن صَعْصَعَة . والله أعلم .

---

(١) فى الأصل « قال » وما أثبتناه عن مسند الطيالسىّ ٢١٥ .

(٢) سلقنى لحلاوة القفا : أى ألقانى على ظهرى . وذكر الطيالسى : « صلقنى » ، والأول أشهر .

وإنما أوردنا حديث الطيالسيّ فى هـذا الموضع على سبيل الاستطراد ، لأن موضعه يصلح أن يكون عنـد ذكر حديث المبعث ، وقد أثبتنـا هناك الأحاديث الصحيحة ؛ فلنرجع إلى ما نحن فيه من حديث الإسراء .

وأمّا ما ورد فى الأحاديث الأخر من الروايات التى يتعين ذكرها :

٥ فمنها حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبيّ : " مرحبا بالنبيّ الصالح ، والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم فقالا له : والابن الصالح " .

وفيه من طريق ابن عباس رضى الله عنهما : " ثم عُرِج بى حتى ظهرت بمستوًى أسمع فيه صَريف الأقلام " .

وعن أنس : " ثم آنطلق بى حتى أتيت سِدْرة المنتهى ، فغشيها ألوان لم أدرِ ١٠ ما هى " ، قال : " ثم أُدْخِلت الجنة[1] " .

وفى حديث مالك بن صَعْصَعة : " فلما جاوزته — يعنى موسى — بكى ، فنودى ما يبكيك ؟ قال : ربّ ، هـذا غلام بعثته بعـدى ، يدخل من أمتـه الجنة أكثر مما يدخل من أمتى " .

١٠٠ / ١٤

وفى حديث أبى هريرة : " وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء ، فحانت الصلاة ١٥ فأممتهم فقال قائل : يا محمد ، هـذا مالِك خازن النار فَسَلِّمْ عليـه ، فالتفت[2] فبدأنى بالسـلام " .

وفى حديث أبى هريرة : " ثم سار حتى أتى بيت المقـدس ، فنزل فـربط فرسه إلى صخرة وصلى مع الملائكة ، فلما قضيت الصلاة ، قالوا : ياجبريل من هذا

(١) زاد فى عيون الأثر ١ : ١٤٥ ، ودلائل النبوة ١٩٨ ، وصحيح مسلم ١ : ١٠٣ « فإذا فيها ٢٠ جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك » .

(٢) فى دلائل النبوة ١٩٠ ، وصحيح مسلم ١ : ١٠٩ : « فالتفت إليه » .

معـك ؟ ، قال : هـذا محمد رسول الله خاتم النبيين ، قالوا : وقـد أرسل إليه ؟ قال : نعم، قالوا : حيّاه من أخ وخليفة ! فنعم الأخ ونعم الخليفة ! ثم لقَوْا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهـم " . وذكر كلام كل واحد منهم ؛ وهم إبراهـيم وموسى وعيسى وداود وسليمان . ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : وإن محمدا صلى الله عليه وسـلم أثنى على ربه ، فقال : "كلكم أثنى على ربه ، وأنا أثنى على ربى ؛ الحمد لله الذى أرسلنى رحمـة للعالمين ، وكافة للناس بشـيرا ونذيرا، وأنزل علىّ الفرقان فيه تِبيان كل شيء، وجعل أمتى خير أمة، وجعل أمتى أمـة وَسَطا ، وجعل أمتى هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وِزرى ، ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحا وخاتمـا " . فقال إبراهيم : بهـذا فَضَلكم محمد . ثم ذكر أنه عُرِج به إلى السماء الدنيا ، ومن سماء إلى سماء، نحو ما تقدم .

وفى حديث ابن مسعود : "وانتهى بى إلى سِدرة المنتهى ، وهى فى السماء السادسة، إليهـا ينتهى ما يُعْرَج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهى ما يهبط (١) من فوقها فيُقبض [منها] (٢) " . قال تعالى : ﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ ، قال : فَرَاش من ذهب .

وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه ، من طريق الربيع بن أنس : " فقيل لى : هذه سِدْرة المنتهى ، ينتهى إليها كل أحدٍ من أمتك خَلَا (٣) على سبيلك" . وهى السِّدْرة المنتهى يخرج من أصلها أنهـار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبنٍ لم يتغيّر طعمُه ، وأنهارٌ من خمر لذّةٍ للشاربين ، وأنهار من عسل مصفًّى . وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما ، وإن ورقة منها مظلّة الخلق . فغشيها نور، وغشيتْها الملائكة .

(١) فى الأصل : « يقبض » ، وما أثبتناه عن صحيح مسلم ١ : ١٠٩ ، والشفاء .
(٢) الزيادة عن صحيح مسلم ، والشفاء .
(٣) خلا على سبيلك : أى مضى على طريقتك وسنتك .

قال : فهو قوله تعالى : ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾؛ فقال تبارك وتعالى له : «سل» ، فقال : "إنك آتخذتَ إبراهيم خليلا ، وأعطيتَه مُلكا عظيما ، وكلّمت موسى تكليما ، وأعطيت داود ملكا عظيما ، وألنتَ له الحديد ، وسخّرتَ له الجبال ، وأعطيتَ سليمان مُلكا عظيما ، سخّرت له الجنّ والإنس والشياطينَ والرياح ، وأعطيته ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، وعلّمتَ عيسى التوارة والإنجيل ، وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ، وأعذْتَه وأمّه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن له عليهما سبيل" .

فقال[1] له ربّه : « قد آتخذتك حبيبا » فهو مكتوب فى التوراة : « محمد حبيب الرحمن ، وأرسلتك[2] إلى الناس كافة ، وجعلت أمتك [هم][3] الأوّلون وهم الآخرون ، وجعلت أمتَك لا تجوز لهم خُطْبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى ، وجعلتك أوّل النبيّين خَلقا ، وآخرَهم بَعْثا ، وأعطيتك سبعا من المثانى ولَم أُعطِها نبيّا قبلَك ، وأعطيتك خواتيمَ سورة البقرة من كنزٍ تحت عرشى ، لم أعطها نبيّا قبلك ، وجعلتُك فاتحا وخاتما » .

وفى الرواية[4] الأخرى ، قال : فأُعطىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا : أُعطِىَ الصلوات الخمس ، وأُعطِىَ خواتيمَ سورة البقرة ، وغُفر لمن لا يشرك بالله شيئا من أمّته المقحمات[5] .

وقال : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾؛ الآيتين . قيل : رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح . وفى حديث شَريك : «أنه رأى موسى فى السابعة» قال : بتفضيل

(١) فى الأصل : « وقال » وما أثبتناه عن الشفاء .

(٢) فى الأصل : « أرسلك » وما أثبتناه عن الشفاء .

(٣) ساقطة من الأصل ، والزيادة عن الشفاء .

(٤) عن ابن مسعود ؛ انظر صحيح مسلم ١ : ١٠٩

(٥) المقحمات : الكبائر من الذنوب .

كلام الله، قال : «ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلم إلا الله، فقال موسى : لم أظن أن يُرفع علىّ أحد» .

وقد روى عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم صلّى بالأنبياء ببيت المَقدِس . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بينا أنا قاعد ذات يوم إذ دخل علىّ جبريل عليه السلام فوكز بين كتفىّ، فقمت إلى شجرة فيها مثل وَكْرَى الطائر، فقعد فى واحدة، وقعدت فى الأخرى فنَمَتْ[1] حتى سدّت الخافقين، ولو شئتُ لمسستُ السماء، وأنا أقلِّب طَرْفى، ونظرتُ جبريلَ كأنه حِلْس[2] لاطِئ[3]، فعرفتُ فضلَ علمه بالله علىّ ؛ وفُتِح لى باب السماء، ورأيت النور الأعظم، وإذا دونى الحجاب وفُرَجه الدرّ والياقوت، ثم أوحى الله إلىّ ما شاء أن يوحى" .

١٠١ / ١٤

وذكر البزّار عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : لمّا أراد الله أن يعلّم رسولَه الأذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البُراق، فذهب يركبها، فاستصعبتْ عليه، فقال لها جبريل : أسكنِى، فوالله ما ركبَكِ عبد أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فركبها حتى أتى بها إلى الحجاب الذى يلى الرحمن تعالى، فبينا هو كذلك إذ خرج مَلَك [من][4] الحجاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ياجبريل، من هذا ؟" . قال : والذى بعثك بالحقّ إنى لأقرب الخلق مكانا، وإنّ هذا المَلَك ما رأيته منذ خُلِقت قبل ساعتى هذه، فقال الملك : الله أكبر، الله أكبر، فقيل من وراء الحجاب : صدق عبدى ؛ أنا أكبر أنا أكبر، ثم قال الملك : أشهد أن

(١) فى دلائل النبوّة : «فسمت وارتفعت» .

(٢) الحلس : كساء رقيق يوضع تحت القتب أو البرذعة . ولاطئ : لاصق بالأرض — والمراد أن جبريل لما قرب من السماء غشيته مهابة حتى خضع والتصق بالأرض .

(٣) فى الأصل : «لاطئا» ؛ وهو تحريف . (٤) تكملة من الشفاء .

لا إله إلا الله، فقيل من وراء الحجاب : «صدق عبدى، أنا لا إله إلا أنا» . وذكر مثل هذه فى بقيّة الأذان، إلا أنه لم يذكر جوابا عن قوله : حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، وقال : ثم أخذ الملك بيد محمد فقدّمه، فأمّ أهلَ السماء فيهم آدمُ ونوحٌ (١).

قال القاضى عياض بن موسى رحمه الله : ما فى هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو فى حقّ المخلوق لا فى حقّ الخالق، فهم المحجوبون، والبارى جل اسمُه منزَّه عما يحجبه، إذ الحُجُبُ إنما تُحيط بمقدّر محسوس (٢)، ولكنّ حُجُبَه على أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء، كقوله : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (٣) . قال : فقوله فى هذا الحديث : «الحجاب» يجب أن يقال : إنه حجاب حُجِب به مَنْ وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته، وعجائب ملكوته وجبروته . ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن المَلَك الذى خرج من ورائه : إن هذا الملك ما رأيتُه منذ خلقتُ قبل ساعتى هذه، فدلّ [على] (٤) أن هذا الحجاب لم يختص بالذات .

ويدل عليه قول كعب فى تفسيره : سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، قال : إليها ينتهى علم الملائكة، وعندها يجدون أمر الله لا يجاوزها علمُهم .

قال : وأما قوله «الذى يلى الرحمن» (٥)، فيُحمل على حذف المضاف [أى] الذى يلى عرشَ الرحمن، أو أمرًا ما من عظيم آياته، أو مبادئَ حقائق معارفه مما هو أعلم به، كما قال تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ (٦) أى أهلها .

(١) زاد فى هامش الشفاء جـ ١ ص ١٤٩ : « إبراهيم » .
(٢) فى الأصل : « محبوس »، وما أثبتناه عن الشفاء .
(٣) سورة المطففين ١٥ .
(٤) ساقطة من الأصل، وما أثبتناه عن الشفاء .
(٥) الزيادة عن الشفاء .
(٦) سورة يوسف ٨٢ .

وقوله : « فقيل من وراء الحجاب ، صدق عبدى ، أنا أكبر » فظاهره أنه سمع فى هذا الموطن كلامَ الله ولكن من وراء حجاب ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾(١) [أى](٢) وهو لا يراه ؛ حجب بصره عن رؤيته ، فإن صَحّ القول بأنّ محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل أنه فى غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله رُفِع الحجاب عن بصره حتى رآه . والله أعلم بالصواب .

ذكرُ من قال : إن الإسراء كان بالجسد وفى اليَقَظَة

قد اختلف العلماء على ثلاث مقالات ؛ فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح ، وأنه رؤيا منام . وذهبتْ طائفة إلى أنّ الإسراء كان بالجسد يقظةً إلى بيت المقدس و إلى السماء بالروح . والذى عليه الأكثرون — وقال به معظم السلف — أنه إسراء بالجسد ، وفى اليقظة .

قال القاضى عياض بن موسى بن عياض : وهذا هو الحق ، وهو قول ابن عبّاس ، وجابر ، وأنس ، وحُذيفة ، وعمر ، وأبو هريرة ، ومالك بن صَعْصَعة ، وأبى حَبَّة البدرىّ ، وابن مسعود ، والضحاك ، وسعيد بن جُبَير ، وقتادة ، وابن المسيب ، وابن شِهاب ، وابن زيد ، والحسن ، وإبراهيم ، ومسروق ، ومجاهد ، وعِكرمة ، وابن جُرَيج ؛ وهو قول الطبرىّ ، وابن حنبل ، وغيرهما ، وقد أبطلوا حُجَجَ من قال خلافَ ذلك بأدلّة يطول علينا شرحُها .

قال القاضى عياض : والحقّ [من هذا](٣) والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح فى القصة كلها ، وعليه تدل الآية ، وصحيح الأخبار والاعتبار —

١٠٢ / ١٤

(١) سورة الشورى ٥١ (٢) الزيادة عن الشفاء ١ : ١٥٠
(٣) زيادة من الشفاء .

ولا يُعدَل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل [إلا] (١) عند الاستحالة ، وليس فى الإسراء بجسده وحالِ يقظته استحالة ، إذ لو كان مناما لقال : بروح عبده ، ولم يقل : ﴿ بِعَبْدِهِ ﴾ — وقولُه (٢) : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ . ولو كان مناما لمَا كانت فيه آيةٌ ولا معجزة ، ولَمَا استبعده الكفّار ولا كذّبوه فيه ، ولا ارتدّ به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به ، إذ مثلُ هـذا من المنامات لا يُنكر ، بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أنّ خبره إنما كان عن جسمه وحالِ يقظته إلى ما ذُكر فى الحديث من ذِكر صلاته بالأنبياء ببيت المقدس فى رواية أنس ، أو فى السماء على ما رَوى غيرُه ، وذكر مجيء جبريل له بالبراق ، وخبر المعراج واستفتاح السماء ، فيقال (٣) : ومن معك ؟ فيقول : محمد ، ولقائه الأنبياء فيها ، وخبرِهم معه ، وترحيبهم به ، وشأنِه فى فرض الصلاة ومراجعتِه مع موسى فى ذلك ، وفى بعض هـذه الأخبار : "فأخذ — يعنى جبريل — بيدى ، فعرج بى إلى السماء" إلى قوله : "ثم عَرَج بى حتى ظهرتُ بمستوًى أسمعُ فيه صوت الأقلام (٤) ؛ وأنه وصل إلى سدرة المنتهى ، وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره" .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : هى رؤيا عينٍ رآها النبى صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام ، والآىُ فى ذلك كثيرة ، والأدلة واضحة ، فلا نطوّل بسردها ، وفيما أوردناه منها فيما قدّمنا ذكره كفاية . والله أعلم .

---

(١) ساقطة من الأصل ، وما أثبتناه عن الشفاء .

(٢) بالرفع معطوفا على كلمة « الآية » فى الصفحة السابقة . وانظر شرح الشفا للقارى ١/٢٣٣

(٣) فى الأصل : « فيقول » ، وما أثبتناه عن الشفاء .

(٤) فى الشفاء : « صريف » ، وهو يوافق ما فى عيون الأثر ، وصحيح مسلم .

ذكر ما ورد فى رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ربّه تبارك وتعالى ، ومناجاتِه له ، وكلامِه ودنوّه وقربِه من ربّه عزّ وجلّ ، ومن جوّز ذلك ومن مَنَعه ، وما قيل فى مشكل حديث الدّنوّ والقرب

٥ أما الرؤية فقد آختلف السلف فى رؤيته صلى الله عليه وسلم لربّه عزّ وجل ، فأنكرته عائشة .

رُوِى عن مسروق أنه قال لعائشة رضى الله عنها : يا أمّ المؤمنين، هل رأى محمد ربَّه ؟ فقالت : لقد قَفَّ[1] شعرى مما قلت، ثلاث من حدّثك بهنّ فقد كذب، [من حدّثك أن محمدا رأى ربّه فقد كذب[2]] ثم قرأت ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ[3]﴾

١٠ الآية [ثم ذكر الحديث[2]] . وقالت جماعة بقول عائشة ، وهو المشهور عن آبن مسعود .

ومثله عن أبى هريرة : إنما رأى جبريل ، وآختلف عنه . وقال بإنكار هذا وآمتناع رؤيته فى الدنيا [جماعةٌ[2]] من المحدّثين والفقهاء والمتكلّمين .

وعن آبن عباس رضى الله عنهما أنه رآه بعينه . وروى عطاء عنه : رآه بقلبه،

١٥ وعن أبى العالية [عنه[2]] رآه بفؤاده مرتين .

وذكر آبن إسحاق : أن آبن عمر رضى الله عنهما أرسل إلى آبن عباس رضى الله عنهما يسأله : هل رأى محمدٌ ربَّه ؟ قال : نعم، والأشهر [عنه[2]] أنه رأى ربه بعينيه . وقال : إن الله آختص موسى بالكلام، وإبراهيم بالخُلّة، ومحمدا بالرؤية .

(١) قف شعرى : وقف من الفزع . (٢) الزيادة من الشفا ١ : ١٥٨

٢٠ (٣) سورة الأنعام ١٠٣

وحجته قوله : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْـــرَى ﴾ .

وقال المـاوردىّ : قيل إنّ الله تعالى قسم كلامه ورؤيتــه بين موسى ومحمد، فرآه محمد مرتين، وكلّمه موسى مرتين .

وحكى أبو الفتح الرازىّ، وأبو الليث السَّمَرْقَندىّ ذِكْرها[1] عن كعب . وروى عبد الله بن الحارث، قال : ٱجتمع ٱبن عباس وكعب، فقال ٱبن عباس : أمّا نحن بنى هاشم فنقول : إنّ محمدا قد رأى ربه مرتين، فكبر كعب حتى جاوبته الجبال، وقال : إنّ الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد، فكلمه موسى، ورآه محمد بقلبه .

وحكى السَّمَرْقَندىّ عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، وربيع بن أنس : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "رأيت ربى" — وذكر كلمة — فقال : "يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى" . الحديث .

وحَكَى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه، وحكاه أبو عمر الطَّلَمَنْكِىّ عن عِكرمة، وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ٱبن مسعود، وحكى ٱبن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة : هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم .

وحكى النقّاش عن أحمــد بن حنبل أنه قال : أنا أقول بحديث ٱبن عبــاس ، بعينه رآه رآه ، حتى ٱنقطع نَفَسُ أحمد .

وقد ٱختلف فى تأويل الآية عن ٱبن عبـاس وعِكرمة والحسن وٱبن مسعود ، فحكى عن ٱبن مسعود، وعِكرمة : رآه بقلبه .

وعن الحسن وٱبن مسعود : رأى جبريلَ . وعن ٱبن عطاء فى قوله تعــالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[2]، قال : شرح صدره للرؤية، وشرح صدر موسى للكلام .

(١) أى الحكاية التى ذكرها الماوردى . (٢) سورة الانشراح ١

وقال أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرىّ وجماعة من أصحابه : إنه رأى الله ببصره وعينى رأسه (١) وقال : كل آية أوتيها نبىّ من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتى مثلَها نبيُّنا ، وخص من بينهم بتفضيل الرؤية .

قال القاضى أبو الفضل عياض بن موسى رحمه الله : والحق الذى لا آمتراء فيه أن رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة عقلا ، وليس فى العقل ما يحيلها ، والدليل على جوازها فى الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ، ومحال أن يجهل نبىّ مايجوز على الله تعالى وما لايجوز عليه ، بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذى لايعلمه إلا من علّمه الله ، فقال له الله تعالى : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ أى لن تطيق ولا تحتمل رؤيتى ، ثم ضرب له مثالا بما هو أقوى من نبيّه موسى وأثبت وهو الجبل . قال : وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته فى الدنيا ، بل فيه جوازها على الجملة ، وليس فى الشرع دليل قاطع على آستحالتها ولا آمتناعها ، إذ كل موجود فرؤيته جائزة غيرُ مستحيلة .

قال : ولا حجة لمن يستدلّ على منعها بقوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ لآختلاف التأويلات فى الآية ، وقد آستدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية ، وعدم آستحالتها على الجملة . وقد قيل : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ، أى لا تُحيط به ، وهو قول ابن عباس ، وقد قيل : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ . وإنما يدركه المبصرون . قال : وكل هذه التأويلات لا تقتضى منع الرؤية ولا آستحالتها ، وحيث تتطرّق التأويلات وتتسلط الاحتمالات ، فليس للقطع سبيل ، وكذلك وجوب الرؤية لنبينا صلى الله عليه وسلم ، والقول بأنه رآه بعينه . فليس فيه قاطع أيضا ولا نصّ ، إذ المعوّل فيه على آيتى النجم ، والتنازع فيهما مأثور ، والاحتمال لهما ممكن ، ولا أثر قاطع متواتر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم بذلك . والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) فى الأصل : « وعين رأسه » ، وما أثبتناه عن الشفاء .

وأما المناجاة والكلام والقرب والدنو وما جاء من الكلام على مشكل هذا الحديث ، فقد اختلف فى الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء بقوله : ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ ، وهل كان ذلك الوحى بواسطة أو بغير واسطة ؟ فأكثر المفسرين على أن الموحى اللهُ إلى جبريل ، وجبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . [فذكر عن](١) جعفر بن محمد الصادق ، قال : أوحى الله إليه بلا واسطة . ونحوه عن الواسطى ، وإليه ذهب بعض المتكلمين وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس ، وأنكره آخرون . وحكى النقاش عن ابن عباس عنه عليه السلام فى قوله تعالى : ﴿دَنَا فَتَدَلَّى﴾ ، قال : "فارقنى جبريل ، وانقطعت الأصوات عنى فسمعت كلام ربى ، وهو يقول : ليهدأ روعُك يامحمد ، أُدْنُ أدن" . وقد تقدم ذكر حديث الأذان ، وقول الملك : الله أكبر الله أكبر ، فقيل من وراء الحجاب : صدق عبدى ، أنا أكبر ، أنا أكبر .

وقد احتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾(٢) ، فقالوا : هى ثلاثة أقسام ؛ من وراء حجاب كتكليم موسى ، وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء ، وأكثر أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم ، الثالث قوله : ﴿ وَحْيًا ﴾ . قالوا : ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة ، وقد قيل : الوحى هنا ما يلقيه فى قلب النبىّ صلى الله عليه وسلم دون واسطة ، وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع .

وأما قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلّى منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام ، أو مختص

(١) الزيادة من الشفاء . (٢) سورة الشورى ٥١ .

بأحدهما من الآخر، أو من سِدْرة المنتهى. وقال ابن عباس : هو محمد دنا فتدلى من من ربه . وقيـل : معنى دنا قرب، وتدلَّى : زاد فى القرب ، وقيل : هما بمعنى واحد أى قرب . وحكى مكيّ والمـاورديّ عن ابن عباس ، هو الربّ دنا من محمد فتدلى إليه، أى أمرُه وحكمه . وحكى النقاش عن الحسن، قال : دنا من عبـده محمد صلى الله عليـه وسلم ، فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته . قال وقال ابن عباس : هو مقدّم ومؤخر، تدلّى الرفرف[1] لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، فجلس عليه ، ثم رفع فدنا من ربه . وفى الصحيح عن أنس بن مالك : "عرج بى جبريل إلى سِـدْرة المنتهى، ودنا الجبار ربّ العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليه بما شاء، وأوحى إليه خمسين صلاة". الحديث. وعن محمد بن كعب : هو محمد دنا من ربه ، فكان قاب قوسين . وقال جعفر ابن محمد : أدناه ربه منـه ، حتى كان منه كقاب قوسـين ، قال جعفر : والدنو من الله لا حدّ له ، ومن العبـاد بالحدود . وقال أيضا : انقطعت الكيفيـة عن الدنو، ألا ترى كيف حُجِبَ جبريلَ عن دنوه ، ودنا محمد إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلّى بسكون قلبه إلى ما أدناه، وزال عن قلبه الشك والارتياب!

وقد تكلموا على مشكل هذا الحديث ، فقال القاضى عياض رحمه الله : اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقـرب هنا من الله و إلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى، بل كما ذكرنا[2] عن جعفر الصادق ليس بِدنو حدّ، و إنما دنو النبيّ صلى الله عليه وسلم من ربه، وقربه منه إبانة عظيم منزلته، وتشريف رتبته، و إشراق أنوار معرفته ، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ، ومن الله تعالى له مسرة وتأنيس، و بسط

(١) الرفرف : البساط الأخضر .

(٢) فى الأصل : « بل كان ذكر » ، وما أثبتناه عن الشفاء ١ : ١٦٧

بمدين عند شجرة موسى عليه السلام، ثم صلى ببيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم عليه السلام، ثم صلى فى المسجد الأقصى، وأنه صلى الله عليه وسلم مرّ بعير لقريش بمكان كذا وكذا، قد أضلوا بعيرا قد جمعه فلان، قال: "فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد". قال: "ثم أتيت أصحابى قبل الصبح بمكة، فأتانى أبو بكر فقال: يا رسول الله، أين كنت الليلة فقد التمستك فى مظانّك؟ فقلت[1]: علمتَ أنّى أتيتُ بيت المقدس الليلة؟. فقال: يارسول الله، مسيرة شهر! فصفه لى، قال: "ففتح لى صراط كأنى أنظر إليه، لايسألنى عن شيء إلا أنبأته عنه". فقال: أشهد أنك رسول الله حقا، فقال المشركون: انظروا إلى ابن أبى كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة، فقال: "إن من آية ما أقول لكم أنى مررت بعير لكم بمكان كذا وكذا، ينزلون بكذا وكذا، ويأتونكم يوم كذا وكذا، يقدمهم جمل آدم[2] عليه مِسْح[3] أسود، وغرارتان سوداوان" وإنهم أشرفوا ينظرون. فأقبلت العير نصفَ النهار على ما وَصَف لهم صلى الله عليه وسلم.

وفى رواية يونس بن بُكير فى زيادة المغازى: أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير، قالوا: متى يجىء؟ قال: "يوم الأربعاء". فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون، وقد ولى النهار ولم تجئ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزِيدَ له فى النهار ساعة، وحبستْ عليه الشمس.

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد رأيتُنى فى الحِجْر وقريش تسألنى عن مَسْراىَ، فسألونى عن أشياء

(١) دلائل النبوة: «فقال».
(٢) جمل آدم: أبيض مع سواد المقلتين.
(٣) المسح: الكساء من الشعر.

من بيت المقدس، لم أثبتها[(١)] فكَرِبت كربا ما كَرِبتُ مثله قط، فرفعه الله لى أنظر إليه ما يسألونى عن شيء إلا أنبأتهم به ".

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح الناس يتحدثون بذلك، فآرتد ناس ممن آمنوا به وصدّقوه، وسعوا إلى أبى بكر فقالوا: هل لك فى صاحبك؟ يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل الصبح! قال: نعم، إنى لأصدّقه فيما هو أبعد من ذلك؛ أصدقه بخبر السماء فى غَدْوة أو رَوْحة، فلذلك سمى أبو بكر رضى الله عنه الصدّيق.

ذكر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قبائل العرب فى المواسم

قال محمد بن عمر بن واقد بسند يرفعه إلى غير واحد، قالوا: أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث سنين من أول نبوّته يدعو مستخفيا، ثم أعلن فى الرابعة، فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين؛ يوافى المواسم كل عام يتبع الحاجّ فى منازلهم بعُكاظ ومَجَنّة، وذى المجاز[(٢)] يدعوهم؛ حتى يبلّغ رسالة ربه تعالى، وأبو لهب يمشى وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابئ كاذب، فيقولون: أُسرتُك وعشيرتُك أعلم بك حيث لم يتبعوك، فيقول: "اللهم لو شئتَ لم يكونوا هكذا"، قال الواقدىّ: فكان من سُمِّىَ لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعاهم وعرض نفسه عليهم: بنو عامر بن صعصعة، ومحارب بن خَصَفة[(٣)]، وفزارة،

(١) لم أثبتها: لم أحفظها لاشتغالى بأهم منها. والكرب: الغم.

(٢) عكاظ ومجنة وذو المجاز: أسماء أسواق كانت للعرب فى الجاهلية.

(٣) فى الأصل: «خفصة»، وهو تصحيف.

وغسّان(١)، ومرّة، وحنيفة، وسُلَيم، وعبس، وبنو نصر، وبنو البكّاء، وكندة، وكلب(٢)، والحارث بن كعب، وعُذْرة، والحَضارمة، فلم يستجبْ منهم أحد .

قال محمد بن إسحاق : حدّثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال : سمعت ربيعة بن عبّاد يحدّث(٣) أبى قال : إنّى لَغلام شابّ مع أبى بِمنًى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول : "يا بنى فلان، إنى رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئا، وأن تخلعوا ما تُعبَدُ من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بى وتصدّقونى وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به"، قال : وخلفَه رجل أحول وضىء له غديرتان، عليه حُلّة عَدَنيّة، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل : يا بنى فلان، إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخُوا اللات والعزّى من أعناقكم، وحلفاءَكم من الجنّ من بنى مالك بن أُقَيْش(٤)، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه، قال : فقلت لأبى : يا أبت من هذا الرجل [الذى](٥) يتبعه ويردّ عليه ما يقول؟ قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب، أبو لهب .

قال ابن إسحاق : حدّثنى الزهرىّ أنه صلّى الله عليه وسلّم أتى بنى عامر ابن صعصعة فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فقال رجل منهم يقال له بيحرة بن فِراس : والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب،

(١) فى الأصل : «حسان»، وهو تصحيف . (٢) فى شرح المواهب : كعب .
(٣) فى الأصل : «يحدثه» وما أثبتناه عن ابن هشام، وابن كثير، والمواهب .
(٤) إلى هذا الحى تنسب الإبل الأقيشية .
(٥) هذه الزيادة عن ابن هشام .

ثم قال له : أرأيتَ إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على مَنْ خالفك أيكون لنا الأمر بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء . فقال له : أفنهدف[1] نحورنا [للعرب دونك[2]]؛ فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه ، فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم ، قد كانت أدركته السنّ، حتى لا يقدر أن يوافى معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدّثوه بما يكون فى ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه فى ذلك العام، سألهم عما كان فى موسمهم، فقالوا : جاءنا فتى من قريش، ثم أحد بنى عبد المطلب، يزعم أنه نبىّ يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه، ونخرج به إلى بلادنا، قال : فوضع الشيخ يده على رأسه، ثم قال : يا بنى عامر، هل لها من تلافٍ ! هل لذناباها من مطلب[3] ! والذى نفس فلان بيده، ما تقوّلها إسماعيلىّ قط ، وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم .

قال : وحدّثنى عاصم بن عمر[4] عن قتادة الأنصارى عن أشياخ من قومه قالوا: قدم سويد بن الصامت أخو بنى عمرو بن عوف [مكة[5]] حاجا أو معتمرا، وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم : الكامل لجلده وشرفه ونسبه وشعره ، فتصدّى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سويد : فلعل الذى معك مثل الذى معى، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال : مجلة[6] لقمان (يعنى حكمة لقمان) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها علىّ، فعرضها عليه ، فقال : "إن هذا لكلام حسن،

(١) نهدف : أى نجعلها هدفا لسهامهم . (٢) الزيادة عن ابن هشام .
(٣) هذا مثل مشهور يضرب لما فات . وأصله من ذنابى الطائر اذا أفلت من الحبالة فطلبت الأخذ به .
(٤) فى الأصل وعيون الأثر : ١٠٤ « عمرو » وما أثبتناه عن ابن هشام وشذرات الذهب جـ ٥ : ٥٣ (٥) الزيادة عن ابن هشام . (٦) المجلة : الصحيفة .

لكن الذى معى أفضل من هذا، قرآن أنزله الله علىّ هو هدى ونور". فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه، وقال: إنّ هذا لَقول حسن؛ ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخزرج، قال: فإن كان رجال من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قتل وهو مسلم، وكان قتلُه قبل بُعاث (١).

قال ابن إسحاق أيضا: وحدّثنى الحصين بن عبد الرحمن بنِ عمرو بنِ سعد ابن معاذ عن محمود بن لبيد، قال: لما قدم أبو الحَيْسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بنى عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحِلْف من قريش على قومهم من بنى الخزرج، سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتاهم فجلس إليهم فقال: "هل لكم فى خير مما جئتم له"؟، فقالوا: وما ذلك؟ قال: "أنا رسول الله، بعثنى إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وأنزل علىّ الكتاب". قال: ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال لهم إياس بن معاذ —وكان غلاما حدثا—: أىْ قوم، هذا والله خير مما جئتم له، فأخذ أبو الحَيْسر حَفْنة من [تراب] (٢) البطحاء، فضرب بها وجهَ إياس بن معاذ، وقال: دعْنا منك، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا، قال: فصمت إياس، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانصرفوا إلى المدينة، فكان وقعة بعاث بين الأوس والخزرج، ثم لم يلبث إياس ابن معاذ أن هلك. قال محمود بن لبيد: فأخبرنى مَنْ حضره من قومه عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره، ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكّون أنه قد مات مسلما، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ما سمع. والله أعلم.

(١) قبل بعاث: أى قبل يوم بعاث. (٢) تكملة من ابن هشام ج ٢: ٦٩

ذكر خبر مفروق بن عمرو وأصحابه وما أجابوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعائه قبائل العرب

روى الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى بسنده عن عبد الله بن عباس، قال: حدثنى[١] على بن أبى طالب رضى الله عنهم من فيه، قال: لما أمر الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر رضى الله عنه، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر، وكان مقدما فى كل خير، وكان رجلا نسابة، فسلم وقال: ممن القوم؟ قالوا من ربيعة، قال: وأى ربيعة أنتم؟ من هامها[٢] أم من لهازمها؟ فقالوا: بل من الهامة العظمى، [فقال أبو بكر: وأى هامتها العظمى][٣] أنتم؟ قالوا: من ذُهْلٍ الأكبر، قال: منكم عوف الذى يقال [له][٤]: "لا حُرّ بوادى عوف"؟ قالوا: لا، قال: فمنكم جسّاس بن مرّة، حامى الذمار، ومانع الجار؟ قالوا: لا، قال: فمنكم بِسطام بن قيس، أبو اللواء، ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا، قال: فمنكم الحوفزان[٥] قاتل الملوك، وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا، قال: فمنكم المزدلف[٦] صاحب العمامة الفردة، قالوا: لا، قال: فمنكم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا.

(١) الخبر فى دلائل النبوة المجلد الأول، الورقة ٢١٠

(٢) فى الأصل: «أهلها» وهو تصحيف. واللهازم جمع لهزم: وهو فى أصل اللغة: العظم الناتئ تحت الأذن. (٣) الزيادة عن دلائل النبوة.

(٤) فى الأصل: «يقول»؛ وما أثبتناه عن دلائل النبوة؛ وانظر مجمع الأمثال ٢: ١٥٧

(٥) الحوفزان: لقب الحارث بن شريك الشيبانى.

(٦) المزدلف: لقب عمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان؛ لقب بذلك؛ لاقترابه من الأقران فى الحروب وازدلافه إليهم؛ وكان إذا ركب لم يعتم معه غيره (انظر تاج العروس).

قال فمنكم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا : لا . قال أبو بكر : فلستم من ذُهْل الأكبر، أنتم من ذُهْل الأصغر . قال : فقام إليه غلام من بنى شيبان يقال له دَغْفل حين بقَل[1] وجهه، فقال :

إنّ على سائلنا أن نسألَهْ * والعبء لا نعرفه أو نحملَهْ

ياهذا، إنك قد سألتنا فأخبرناك، ولم نكتمك شيئا، فمن الرجل؟ قال أبو بكر : أنا من قريش، فقال الفتى: بَخٍ بَخٍ! أهل الشرف والرياسة، فمن أىّ القرشيين أنت؟ قال : من ولد تيم بن مُرة . فقال الفتى : أمكنت والله الرَّامىَ من سواء الثُّغرة، أمنكم قصىّ الذى جمع القبائل من فِهر؟ فكان يدعى فى قريش مُجَمعا ؟ قال : لا، قال : فمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه، ورجال مكة مسنِتون عجاف[2]؟ قال: لا، قال: فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب، مطعم طير السماء، الذى كأنّ وجهه القمر يضىء فى الليلة الداجية ؟ قال : لا، قال : فمن أهل الإفاضة بالناس أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل الحجابة أنت؟ قال : لا ، قال : فمن أهل السقاية أنت ؟ قال : لا، قال : فمن أهل الندوة أنت؟ قال : لا، قال : فمن أهل الرِّفادة أنت؟ قال : لا ، واجتذب أبو بكر زمام ناقته راجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الغلام :

صَادَفَ دَرُّ السيل درءا يَدْفَعُهْ[3] * يهيضه حِينا وحينًا يصرعهْ

---

(١) بقل وجهه : أى أوّل مانبتت لحيته . وفى الدلائل : « تبين » .

(٢) يشير الى قول ابن الزبعرى :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

اللسان مادة (سنت) .

(٣) فى الأصل : « صادف درتسيل درة » وهو تصحيف، وما أثبتناه عن دلائل النبوة .

أما والله لو شئت لأخبرتك مَن قريش، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عليّ : فقلت : يا أبا بكر، لقد وقعت من الأعراب على باقعة[(١)] ، قال : أجل يا أبا الحسن ، « ما من طامّة إلا وفوقها طامّة » ، و « البلاء موكل بالمنطق » .

٥ قال : ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار، فتقدّم أبو بكر فسلم وقال : ممن القوم ؟ قالوا : من شيبان بن ثعلبة ، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : بأبي وأمي هؤلاء غرر الناس ! وفيهم مفروق بن عمرو ، وهانئ بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك ، وكان مفروق قد غلبهم جمالا ولسانا ، وكانت له غديرتان تسقطان على تريبتيه[(٢)] ، وكان أدنى القوم مجلسا ، ١٠ فقال أبو بكر : كيف العددُ فيكم؟ فقال مفروق : إنا لنزيد على ألف ، ولن تغلب ألف من قلة ، فقال أبو بكر: فكيف المَنعة فيكم؟ قال مفروق : علينا الجهد، ولكل قوم جِدّ، فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق : إنا لأشدّ ما نكون غضبا حين نلقى، وإنا لأشدّ ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجيادَ على الأولاد، والسلاح على اللِّقاح[(٣)] ، والنصرُ من عند الله، يُديلنا مرة، ويُديل علينا ١٥ أخرى ، لعلّك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر : قد بلَغكم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا هو ذا، قال مفروق: بلغنا أنه يذكر ذلك، وإلام تدعو يا أخا قريش؟ فتقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس، وقام أبو بكر يُظلّه بثوبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،

(١) الباقعة : الرجل الذكى العارف لايفوته شيء . (٢) التريبة : أعلى صدر الإنسان تحت الذقن . (٣) اللقاح : الإبل ؛ واحدته لقوح ، بالفتح . ٢٠

وأن محمدا عبــده ورسوله ، وإلى أن تأوونى وتنصرونى ، فإنّ قريشا قد ظاهرت على أمر الله، وكذبت رسلَه، وآستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغنىّ الحميد" .
فقال مفروق بن عمرو : وإلام تدعونا يا أخا قريش؟ فوالله ماسمعت كلاما أحسن من هذا ، فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾
إلى قوله : ﴿وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، فقال مفروق: وإلامَ تدعونا يا أخا قريش؟
فوالله ماهذا من كلام أهل الأرض، قال : فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[2]، إلى قوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فقال مفروق :
دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أُفِكَ[3] قوم كذبوك وظاهروا[4] عليك — وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام هانئ بن قبيصة فقال :
وهذا هانئ شيخنا وصاحب ديننا . قال هانئ : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإنى أرى إن تركنا ديننا وآتبعناك على دينك بمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر، إنه زلل فى الرأى، وقلة نظر فى العاقبة، وإنمــا تكون الزلّة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا، ولكن ترجع ونرجع، وتنظر وننظر فى العاقبة،
وكأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة، فقال : وهذا المثنّى شيخنا وصاحبُ حربنا،
فقال المثنّى : قد سمعتُ مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة فى تركنا ديننا، ومشايعتك على دينك، وإنا إنما نزلنا بين صِيرين[5] : اليمامة والسِّمامة،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما هذان الصِّيران" ؟ . فقال : أنهار كسرى ومياه العرب ، فأمّا ما كان من أنهــار كسرى، فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره

(١) سورة الأنعام ١٥١ — ١٥٣ (٢) سورة النحل ٩٠
(٣) أفك : كذب . (٤) ظاهروا عليك، أى أعانوا عليك .
(٥) الصير بالكسر : الماء يحضره الناس، ويروى : بين صيرتين، فعلة منه .

غير مقبول، وأما ما كان مما يلى مياه العرب، فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا، أنا لا نحدث حدثا، ولا نأوى محدثا، فإنى أرى أن هذا الأمر الذى تدعونا إليه يا أخا قريش مما يكره الملوك، فإن أحببت أن نأويك وننصرك مما يلى مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أسأتم فى الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دينَ الله لن ينصرَه إلاّ مَنْ حاطه من جميع جوانبه. أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثّكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتسبّحون الله وتقدّسونه"؟ فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذاك، قال: فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[(١)]، ثم نهض قابضا على يد أبى بكر وهو يقول: "يا أبا بكر، أيّةُ أخلاق فى الجاهلية ما أشرفها! بها يدفع الله عز وجل بأس بعضهم من بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم"، قال: فدفعنا إلى مجلس الأوْس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سُرَّ بما كان من أبى بكر، ومعرفته بأنسابهم.

ذكر بيعة العقبة الأولى

قال محمد بن إسحاق: فلما أراد الله تعالى إظهارَ دينه، وإعزاز نبيه، وإنجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم [فى][(٢)] الموسم الذى لقى فيه الأنصار[(٣)]، فعرض نفسه على قبائل العرب كما يصنع فى كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا، فقال لهم: "من أنتم"؟ قالوا:

---

(١) سورة الأحزاب ٤٥ — ٤٦ (٢) من ابن هشام: ٢ : ٧٠

(٣) فى ابن هشام: «الذى لقيه فيه النفر من الأنصار».

نفر من الخزرج، قال : "أمِنْ موالى يهود" ؟ قالوا : نعم، قال (١) : "أفلا تجالسون أكلمكم" ؟ قالوا : بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله وعرَض [عليهم] (٢) الإسلام، وتلا عليهم القرآن، قال : وكان يهودُ معهم فى بلادهم، وكانوا أهلَ كتاب وعِلم، وكانوا هم أهلَ شِرْك وأوثان، وكانوا قد غزَوْهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم : إن نبيًّا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتّبعه فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرَم، فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض : يا قوم، تعلَّموا والله أنه للنبىّ الذى توعد (٣) به يهود، فلا تسبِقنّكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدّقوه وقبِلوا منه ما عرَض عليهم من الإسلام، وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ولا قومَ بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم، وعسى أن يجمَعهم الله بك، فتقدم عليهم فتدعوهم إلى أمرك، وتعرِض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزّ منك. ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدّقوا.

قال محمد بن سعد فى طبقاته الكبرى (٤) : فاختلِف علينا فى أوّل مَنْ أسلم من الأنصار وأجاب. فذكروا الرجل بعينه، وذكروا الرجلين، وذكروا أنه لم يكن أحد أوّلَ من الستة. وذكرهم.

وقال محمد بن عمر بن واقد : هذا عندنا أثبتُ ماسمعنا فيهم، وهو المجمَع عليه، وهم من بنى النجّار : أسعد بن زُرارة بن عُدَس، وعوف بن الحارث [وهو] (٥) ابن عفراء. ومن بنى زريق : رافع بن مالك. ومن بنى سلمة بن سعد : قطبة

(١) فى الأصل «قالوا» وهو تحريف. (٢) الزيادة عن ابن هشام.
(٣) فى ابن هشام : «توعدكم». (٤) الطبقات جـ ١ ق ١ : ١٤٦.
(٥) تكلة من ابن هشام؛ وعفراء هى أمه؛ (وانظر أسد الغابة ٤ : ١١٥).

ابن عامر بن حديدة . ومن بنى حرام بن كعب : عقبة بن عامر بن نابى . ومن بنى عبيد بن عدى بن ساعدة : جابر بن عبد الله ؛ ولم يذكر ابن إسحاق غيرهم .

قال : ثم قدموا المدينة فدعوا قومهم إلى الإسلام ، فأسلم مَنْ أسلم ، ولم تبق دار من دور الأنصار إلا فيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدى : وأوّل مسجد قرئ به القرآن بالمدينة مسجد بنى زريق . والله أعلم . ٥

١٠٩ / ١٤

ذكر بيعة العقبة الثانية

(وقد ترجم عليها بعضهم بالأولى)

قال : فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا .

قال محمد بن سعد : ليس [فيهم][1] عندنا خلاف ، فلقوه بالعقَبة ، وهى العقبة الأولى ، فبايعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يُفْرَض عليهم الحرب ، وكان من هؤلاء خمسة ممّن حضر البيعة الأولى من الستة المجمع عليهم ، وهم : أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث ، ورافع بن مالك ، وعُقْبة بن عامر ، وقُطْبة بن عامر بن حديدة ، ومنهم من وقع الاختلاف فيه : هل شهد البيعة الأولى أو لم يشهدها ؟ وهم ستة نفر : معاذ بن الحارث [وهو][2] ابن عفراء ، أخو عوف ، وذكوان بن [عبد][3] قيس بن خلدة ، وعبادة بن الصامت ابن قيس ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، واسمه مالك ، وعويم بن ساعدة ، وهما من الأوس . ١٠ ١٥

وممن لم يشهد البيعة الأولى بلا خلاف : العباس بن عبادة بن نَضْلة .

(١) الزيادة عن ابن سعد . (٢) من ابن هشام ج ٢ : ٧١ (٣) من ابن سعد . ٢٠

روى محمد بن إسحاق عن عبادة بن الصامت قال : كنت ممن حضر العقبة الأولى، وكنا اثنى عشر رجلا ، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء — وذلك قبل أن تفترض الحرب — على ألّا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فى معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غَشِيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحدّه فى الدنيا فهو كفّارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله، إن شاء عذب، وإن شاء غفر . قال : فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف ، وأمره أن يُقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم فى الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة، وكان منزله على أسعد بن زرارة .

قال محمد بن سعد : ثم انصرفوا إلى المدينة، فأظهر الله الإسلام، وكان أسعد ابن زرارة يُجَمِّع[1] بالمدينة بمن أسلم، وروى أن مصعب كان يُجَمِّع بهم . والله أعلم .

ذكر بيعة العقبة الثالثة

وهم السبعون (وترجم عليها ابن سعد بالثانية)

قال محمد بن سعد فى طبقاته الكبرى، عن محمد بن عمر بن واقد، بإسناد إلى عبادة بن الصامت، وسفيان بن أبى العوجاء ، وقَتادة ، ويزيد بن رومان ، قال الواقدى : دخل حديث بعضهم فى حديث بعض، قالوا : لما حضر الحج مشى أصحابُ النبيّ صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا بعضُهم إلى بعض يتواعدون المسير إلى الحج ، وموافاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والإسلام يومئذ فاشٍ بالمدينة، فخرجوا وهم سبعون يزيدون رجلا أو رجلين فى خَمَر[2] الأوس والخزرج،

(١) يجمع : يؤمهم فى صلاة الجمعة .

(٢) الخمر : جماعة الناس وكثرتهم .

وهم خمسمائة حتى قدموا على رسـول الله صلى الله عليـه وسلم بمكة، فسلّموا عليه، ثم وعدهم مِنى، وسط أيام التشريق ليلة النَّفْر الأوّل، إذا هدأت الرِّجْل [أن][1] يوافوه فى الشِّعب الأيمن إذا انحـدروا من مِنى بأسـفل العقبة[2]، وأمرهم ألّا ينبهوا نائما، ولا ينتظروا غائبا . قال : فخرجَ القوم بعد هدءة يتسلّلون، الرجل والرجلان، وقد سبقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الموضع ، معه العباس بن عبد المطلب ، ليس معه غيره .

وقال محمد بن إسحاق : إنهم سبَقوه إلى الشِّعب وانتظروه، وهم ثلاثة وسبعون رجلا وآمرأتان : نَسيبة بنت كعب ، وأسمـاء بنت عمرو بن عدىّ ، حتى أقبل ومعه عمُّه العباس .

قال ابن سعد : فكان أوّلُ مَن طلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم : رافع ابن مالك الزَّرَقىّ، ثم توافَى السبعون، ومعهم آمرأتان، فكان أول من تكلم العباس ابن عبد المطلب ، فقال : يا معشر الخزْرج ، إنكم قد دعوتُم محمدا إلى ما دعوتموه إليـه ، ومحمد من أعزِّ الناس فى عشيرته ، يمنعه والله مِنا مَنْ كان على قوله ، ومَنْ لم يكن منا على قوله منعه للحسب والشرف، وقد أبى محمد الناسَ كلَّهم غيرَكم[3] ، فإن كنتم أهلَ قـوّة وجلَد وبَصَرٍ بالحرب ، واسـتقلال بعداوة العرب قاطبة ، ترميكم عن قـوس واحدة ، فارتئُوا رأيكم[4] ، ولا تَفَـرَّقوا إلا عن ملأٍ منكم وآجـتماع ، فإنَّ أحسن الحديث أصدقُه .

---

(١) الزيادة عن ابن سعد جـ ١ ق ١ : ١٤٩

(٢) فى الأصل : « من ثنايا سفل » وما أثبتناه عن الطبقات .

(٣) زاد فى ابن سعد : « وائتمروا بينكم » .

(٤) فى الأصل : « عنكم » . وما أثبتناه عن ابن سعد .

وقال ابنُ إسحاق[(١)] : إنّ العبـاس قال : يا معشر الخزرج ، إنّ محمدا منّا حيث قـد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممّن هو على مثـلِ رأينا فيـه ، فهو فى عزّ من قومه ، ومَنعة فى بلده ، و إنّه قد أبى إلا الانحيازَ إليكم ، واللّحوق بكم ؛ فإن كنتم ترْون أنكم وافون له بمـا دعوْتموه إليـه، ومانِعوه ممّن خالفـه، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، و إن كنتم ترْون أنّكم مسـلِموه وخاذلوه بعـد الخروج به إليـكم فمن الآنَ فدعوه ، فإنه فى عزّ ومَنَعة من قومه و بلده .

قال ابن سعد : فقال البرَاء بن معرور : قـد سمعنا ما قلت ، و إنا والله لو كان فى أنفسنا غيرُ ما نَنطق به لقلناه ، ولكنّا نريد الوفاء والصدق ، و بذلَ مهج أنفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق — فيما رواه بسـنده عن كعب بن مالك : فقلنا له : سمعنـا ما قلت ، فتكلم يا رسـول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فتكلّم رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغّب فى الإسـلام ثم قال : "أبايعكم على أن تمنعونى فيما تمنعونَ منه نساءكم وأبناءكم" . قال : فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال : نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنّك مما نمنع منه أُزرنا[(٢)] — يعنى نساءنا — فبايِعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحروب[(٣)]، وأهل الحَلْقة ورثناها كابرا عن كابر .

قال ابن سعد : ويقال : إن أبا الهيثم بن التَّيهان كان أوّل من تكلم فأجاب إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٤)]، وقالوا : نقبَله على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف ؛ قال : ولَغطوا . فقال العباس وهو آخذ بيدِ رسول الله صلى الله عليه

(١) انظر ابن هشام : ٢ ، ٨٤ ؛ إمتاع الأسماع : ٣٥ . (٢) الأزر : جمع إزار ككتاب، وهو الثوب، وكثيرا ما يكنون عن المرأة بالإزار ، كما يكنون عنها بالثياب، والفراش .
(٣) فى ابن هشام : «أبناء الحروب» . (٤) زاد فى ابن سعد قوله : «وصدّقه» .

وسلم : أخفوا جَرْسكم فإن علينا عيونا ، وقدّموا ذوى أسنانكم فيكونون هم الذين يلُون كلامنا منكم ، فإنا نخاف قومكم عليكم ، ثم إذا بايعتم فتفرّقوا إلى محالكم . فتكلّم البراء بن معرور ، فأجاب العباس ، ثم قال : ابسط يدك يا رسول الله ، وكان أوّل مَنْ ضرب على يد رسول الله البراء بن معرور — ويقال : أبو الهيثم بن التيهان ، ويقال : أسعد بن زرارة — ثم ضرب السبعون كلُّهم على يده وبايعوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنّ موسى أخذ من بنى إسرائيل اثنى عشر نقيبا فلا يجِدنّ منكم أحد فى نفسه أن يؤخذ غيره ، فإنما يختار لى جبريل" ، ثم قال(١) للنقباء : "أنتم كُفَلاء على غيركم ، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومى" ، قالوا : نعم ، قال : فلما بايعوا وكملوا ، صاح الشيطان على العقبة بأبعد صوت سمع : يا أهل الأخاشب ، هل لكم فى محمد والصُّبَاة معه قد اجتمعوا على حربكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "انفضُّوا إلى رحالكم" ، فقال العباس ابن عُبادة بن نَضْلة : يا رسول الله ، والذى بعثك بالحقّ لئن أحببت لنميلنّ على أهل مِنى بأسيافنا ، وما أحدٌ عليه سيف تلك الليلة غيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنا لم نؤمر(٢) بذلك فانفضُّوا إلى رحالكم" ، فتفرّقوا إلى رحالهم ، فلما أصبح القوم غدت عليهم جِلّة قريش وأشرافهم حتى دخلوا شِعب الأنصار ، فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنا بلغنا أنكم لقيتم صاحبنا البارحة ، وواعدتموه أن تُبايعوه على حربنا ، وايمُ الله ما حىّ من العرب أبغضُ إلينا إن شَبَّت(٣) بيننا وبينه الحرب منكم ، قال : فانبعث مَنْ كان هناك من الخزرج من المشركين يحلفون لهم

(١) عبارة ابن سعد : « فلما تخيرهم قال للنقباء » الخ .

(٢) فى الأصل : « إنا لن نأمن بذلك » ، والتصويب من ابن سعد .

(٣) فى ابن سعد : « تنشب » .

بالله ما كان هذا وما علمنا ، وجعل ابن أبيّ يقول : هذا باطل، وما كان هذا ، وما كان قومى لِيفتاتوا علىّ بمثـل هذا ، لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومى حتى يؤامرونى، فلما رجعت قريش مِنْ عندهم رحل البراء بن معرور، فتقدّم إلى بطن يأجج[1] ، وتلاحق أصحـابُه من المسـلمين ، وجعلت قريش تطلبهـم فى كل وجه ، ولا تَعدَّوا طريق المدينة[2]، وحزّبوا عليهم ، فأدركوا سعد بن عبادة ، فجعلوا يده إلى عنقه بنِسعة[3] ، وجعلوا يضربونه و يجزّون شعره ، وكان ذا جُمّـة[4] حتى دخلوا مكّة[5]، فجـاءه مطعِم بن عدىّ، والحارث بن أمية بن عبـد شمس فخلصاه من أيديهم ، وائتمرت الأنصـار حين فقدوا سعد بن عبادة أن يكرّوا إليه ، فإذا سـعد قد طلع عليهم ، فرحَل القوم جميعا إلى المدينة .

ذكر تسمية من شهد العقَبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال محمد بن إسحاق : كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، فكان مَنْ شهدها من الأوس أحد عشر رجلا، وهم أُسَيد بن الحُضَير، وأبو الهيثم بن التيّهان، وسلمة ابن سلامة بن وقْش، وظهير بن رافع بن عدىّ، وأبو بردة هانئ بن نِيـار، ونهير ابن الهيثم بن نابِى، وسعد بن خيثمة بن الحارث، ورفاعة بن عبد المنذر، وعبد الله ابن جبير بن النعمان ، ومعن بن عدِىّ بن الجَـدّ بن عَجْـلان، وعُوَيْم بن ساعدة . وشهدها من الخزرج أحدٌ وستون رجلا : منهم من بنى النجّار أحدَ عشر رجلا ،

(١) يأجج كيسمع و ينصر و يضرب : اسم مكان على ثمانية أميال من مكّة .
(٢) فى ابن سعد : «طرق» . (٣) النسعة بالكسر : سير مضفور يجعل زماما للبعير وغيره .
(٤) الجمة من شعر الرأس : ما سقط على المنكبين ، وهى أكثر من الوفرة .
(٥) فى ابن سعد : « أدخلوه » .

وهم أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب، ومعاذ بن الحارث بن رفاعة، وأخوه عوف ابن الحارث، وأخوه معوذ بن الحارث، وعُمارة بن حزم بن زيد، وأسعد بن زُرارة ابن عُدَس (١)، وسهل بن عَتِيك بن النعمان، وأوْس بن ثابت بن المنذر بن حرام، وأبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود، وقيس بن أبى صعصعة، وعمرو بن غُزَيَّة ابن عمرو بن ثعلبة.

ومن بنى الحارث بن الخزرج سبعة نفر، وهم: سعد بن الربيع بن عمرو، وخارجة بن زيد بن أبى زهير، وعبد الله بن رواحة، وبشير بن سعد بن ثعلبة، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه، وخَلَّاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو، وعُقْبة ابن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة (٢).

ومن بنى بياضة بن عامر بن زُرَيق ثلاثة نفر، وهم: زياد بن لَبِيد بن ثعلبة ابن سِنان، وفروة [بن] (٣) عمرو بن وذَقة (٤)، وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان.

ومن بنى زريق بن عامر بن زريق ثلاثة نفر: رافع بن مالك بن العجلان ابن عمرو، وذَكْوان بن عبد قيس بن خَلَدة بن مُخلَّد بن عامر بن زريق — وكان خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان معه بمكة فهاجر، فكان يقال له: مهاجرىٌّ أنصارى — وعبّاد بن قيس بن عامر بن خالد.

ومن بنى سلِمَة بن سعد بن علىّ بن أسد أحد عشر رجلا: البراء بن معرور ابن صخر، وابنه بِشر بن البَراء، وسنان بن صيفىّ بن صخر، والطفيل بن النعمان

(١) عدس: قال ابن برى: صوابه بضمتين، وقال الجوهرى: كقثم.
(٢) فى الأصل: «تسير»؛ وما أثبتناه عن ابن هشام والاستيعاب.
(٣) تكملة من ابن هشام.
(٤) فى الاشتقاق: وذقة بذال معجمة وقاف، وفى الاستيعاب: ودفة، بدال وفاء، قال ابن هشام: هو الأصح.

ابن خنساء ، ومعقل بن المنـذر بن سرح ، ويزيد بن المنـذر بن سرح ، ومسعود ابن يزيد بن سبيع ، والضحاك بن حارثة بن زيد ، ويزيد بن حرام بن سُبيع ، وجَبّار ابن صخر بن أمية بن خنساء ، والطفيل بن مالك بن خنساء .

ومن بنى ســواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة : كعب بن مالك بن أبى كعب عمرو بن القَيْن بن كعب بن سواد ، وهو الشاعر .

ومن بنى غَنْم بن ســواد بن غَنْم خمسة نفر ، وهم : سليم بن حديدة ، ويزيد ابن عامر بن حديدة ، وهو أبو المنذر (١) ، وأبو اليسر ، واسمه كَعْب بن عمرو ، وصيفىّ ابن سواد بن عباد ، وقُطْبَة بن عامر بن حديدة ، أخو يزيد .

ومن بنى نابِى بن عمرو بن سواد بن غَنْم خمسة نفر : ثعلبة بن غنمة بن عدىّ ابن نابى ، وعمرو بن غنمة بن عدىّ ، وعبس بن عامر بن عدىّ . وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاعة ، وخالد بن عمرو بن عدىّ .

ومن بنى حرام بن كعب ســبعة (٢) نفر ، وهم : عبد الله بن عمرو بن حرام ، وابنه جابر بن عبد الله ، ومعاذ بن عمرو بن الجموح ، وثابت بن الجذع — والجذع ثعلبة ابن زيد — ، وعمير بن الحارث بن ثعلبة ، وخديج بن سلامة بن أوس ، ومعـاذ ابن جبل بن عمرو بن أوس ، مات بعِمْواس عام الطاعون .

ومن بنى عوف بن الخزرج أربعة نفر ، وهم : عُبادة بن الصامت بن قيس ، والعباس بن عبادة بن نضلة — وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأقام (٣) فكان يقـال له : مهـاجرىّ أنصارى ، قتـل يوم أحد —

(١) كذا فى ابن هشام . والذى فى الأصل : « ابن » .
(٢) فى الأصل : « خمسة » — وما أثبتناه عن ابن هشام : ٢ : ١٠٧
(٣) فى ابن هشام ج ٢ : ١٠٧ « فأقام معه بها » .

وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة حليف لهم من بنى عُصَيّة من بَلِىّ ، وعمرو بن الحارث بن لَبْدة بن عمرو .

ومن بنى سالم بن غَنْم بن عوف — وهم بنو الحُبَلِىّ — رجلان : رفاعة بن عمرو ابن ثعلبة بن مالك ، وعقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد حليف لهم ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا إلى مكة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارىّ .

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان : سعد بن عبادة بن دُلَيْم ابن حارثة ، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس ، وآمرأتان ، وهما : نسيبة ابنة كعب ابن عمرو ، وهى أم عمارة ، وأم منيع ، واسمها أسماء بنت عمرو بن عدىّ بن نابِى ، ولم يصافحهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان لا يصافح النساء ، وإنما كان يأخذ عليهن ، فإذا أقررْن قال : آذهبن ، وكان النقباء من هؤلاء اثنى عشر رجلا ، وهم : أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع بن عمرو ، وعبد الله بن رواحة ابن آمرئ القيس ، ورافع بن مالك بن العجلان ، والبراء بن معرور ، وعبد الله ابن عمرو بن حرام ، وعبادة بن الصامت بن قيس ، وسعد بن عبادة بن دُلَيم ، والمنذر بن عمرو بن حنيس (١) ويقال : ابن خنيس ، هؤلاء من الخزرج .

ومن الأوس ثلاثة نفر : أسيد بن حُضَيْر ، وسعد بن خيثمة بن الحارث ، ورفاعة بن عبد المنذر .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : وأهل العلم يعدّون أبا الهيثم بن التيهان ، ولا يعدّون رفاعة . والله أعلم بالصواب .

---

(١) كذا فى الأصل ، والذى فى ابن هشام : « خنش » .

ذكر أول آية أنزلت فى القتال

قال محمد بن إسحاق : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة الأولى لم يؤذن له فى الحرب، ولم تحلل له الدماء، و إنما أمر بالدعاء إلى الله ، والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل ، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه حتى فتنوهم عن دينهم، وأخرجوهم من بلادهم ، فلما عتت قريش على الله ؛ أذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القتال ، فكانت أول آية أنزلت فى إذنه تعالى له فى الحرب ، قوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[1]. ثم أنزل الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾؛ أى حتى لا يفتن مؤمن عن دينه، ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾[2]، أى حتى يعبد الله لا يعبد غيره .

ذكر أول من هاجر من مكة إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق : لما أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الحرب، و بايعه الأنصار على الإسلام ، والنصرة له ولمن اتبعه وأوى إليهم من المسلمين ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحوق بإخوانهم من الأنصار ؛

---

(١) سورة الحج ٣٩ — ٤١ (٢) سورة البقرة ١٩٣

وقال: "إن الله قد جعل لكم إخوانا، ودارا تأمنون بها"، فخرجوا أرسالا[1]، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر الإذن من الله فى الهجرة إلى المدينة، فكان أوّل من هاجر من المهاجرين من قريش: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله المخزومىّ، وكانت هجرته قبل بيعة العقبة بسنة، وكان قد قدم من أرض الحبشة، فلما آذته قريش، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار هاجر إلى المدينة، فنزل بقرية بنى عمرو بن عوف بقُباء على أحمد بن مبشّر ابن عبد المنذر، ثم كان أوّل من قدمها بعد أبى سلمة عامر بن ربيعة حليف بنى عدىّ بن كعب، معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم[2]، ثم عبدالله بن جَحْش ابن رِئاب، حليف بنى أمية ابن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش، وهو أبو أحمد، وكان رجلا ضرير البصر، وكان يطوف مكة بغير قائد، وكانت عنده الفَرْعة بنت أبى سفيان بن حرب، نزل هؤلاء كلهم بقُبَاء على أحمد ابن مبشر أيضا، ثم قدم المهاجرون أرسالا، ثم خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وعياش بن أبى ربيعة فى عشرين من المسلمين، منهم: زيد بن الخطّاب أخو عمر، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، وخُنَيس ابن حذافة السهمىّ، وواقد بن عبد الله التميمىّ حليف بنى عدىّ، وعبدالله وعمرو ابنا سراقة بن المعتمر — ويقال: عمر بدل عمرو — وخولِىّ بن أبى خولىّ، حليف الخطاب، وأخوه مالك — ويقال: هلال بن أبى خولىّ بدل مالك — وبنو البُكَير الأربعة: إياس، وعاقل، وخالد، وعامر. ويقال: وكان مع عمر ابنه عبد الله ابن عمر.

---

(١) أرسالا: جماعات.

(٢) فى أسد الغابة: «حثمة بن حذيفة بن غانم».

قال آبن إسحاق: فنزل عمر بن الخطاب، وعيّاش بن أبى ربيعة فى بنى عمرو ابن عوف بقُباء، بفاء أبو جهل والحارث آبنا هشام إلى عَيَّاش إلى المدينة، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما، فكلماه فى الرجوع، وقالا: إن أمك قد نذَرت أن لا يمشُط رأسها مُشط، ولا تستظلّ من شمس حتى تراك، فرقّ لها. قال عمر ابن الخطاب: فقلت له: يا عياش، إنه والله إن يريدك القوم إلا [ليفتنوك][1] عن دينك فاحذرهم، فوالله لو آذى أمَّك القملُ لامتشطت، ولو اشتد عليها حرّ مكة لاستظلّت. فقال: أبرّ قَسَم أمى، ولى هناك مال فآخذه. قال عمر: فقلت له: يا عياش، والله إنك لتعلم أنى من أكثر قريش مالا، فلك نصفُ مالى ولا تذهب معهما. قال: فأبَى إلا أن يخرج معهما، فقلت: أما إذْ فعلت فخذ ناقتى هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول، فآلزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فآنج عليها، فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا أخى والله لقد استغلظتُ بعيرى هذا، أفلا تُعقبنى على ناقتك[2]؟ قال: بلى، فأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما آستووا بالأرض أوثقاه[3] رباطا، ثم دخلا به [مكة[4]]، وفتناه فآفتتن. رواه ابن إسحاق عن نافع عن آبن عمر.

قال آبن إسحاق: ودخلا به مكة نهارا موثقا، وقالا: يا أهل مكة، هكذا فآفعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا. قال آبن عمر فى حديثه فكنا نقول: ما الله بقابل ممن آفتتن صَرْفا ولا عدلا ولا توبة، قوم عرفوا آلله ثم رجعوا إلى

(١) الزيادة عن ابن هشام ٢ : ١١٨

(٢) تعقبنى على ناقتك: من قولهم أعقب زيد عمرا، أى ركبا بالنوبة.

(٣) فى ابن هشام: ٢ : ١١٩ «عدوا عليه فأوثقاه وربطاه».

(٤) الزيادة عن ابن هشام.

الكفر لبلاء أصابهم ، وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله فيهم ، وفى قولنا وقولهم لأنفسهم : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ . وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١) ، قال عمر : فكتبتها بيدى فى صحيفة ، وبعثتُ بها إلى هشام بن العاص ، فلما قرأها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدّثنى مَنْ أثق به أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالمدينة : "مَنْ لى بعياش بن أبى ربيعة ، وهشام بن أبى العاص" ؟ فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لك يا رسول الله بهما ، فخرج إلى مكة ، فقدِمها مستخفيا ، فلقى امرأة تحمل طعاما فقال لها : أين تريدين يا أمةَ الله؟ قالت : أريد هذين المحبوسَيْن — تعنيهما — فتبعها حتى عرف موضعهما ، وكانا قد حُبسا فى بيت لا سقْف له ، فلما أمسى تسوَّر عليهما ، ثم أخذ مَروة (٢) فوضعها تحت قيديهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما (٣) ، ثم حملهما على بعيره وسار بهما ، فعثر فدميت إصبعه فقال :

هل أنت إلا إصبعٌ دَميتِ * وفى سبيل الله ما لقيتِ

نعود إلى تتمة أخبار عمر فى هجرته — قال ابن إسحاق : ونزل عمر بن الخطاب حين نزل (٤) المدينة ومن لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطاب ، وعمرو وعبد الله

(١) سورة الزمر ٥٣ — ٥٥ .
(٢) المروة : واحدة المرو ، وهى حجارة بيض براقة تورى النار .
(٣) زاد فى ابن هشام بعد هذا : « فكان يقال لسيفه : ذو المروة لذلك » .
(٤) فى ابن هشام : « قدم » . ومؤدّى الروايتين واحد .

آبنا سُراقة بن المعتمر، وخُنيس بن حُذافة السهميّ — وكان صهرَه على آبنته حفصة خلف عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعده — وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل، وواقد بن عبد الله التميميّ، حليف لهم، وخوليّ بن خوليّ، ومالك بن خوليّ، حليفان لهم، وبنو البكير الأربعة: إياس، وعاقل، وعامر، وخالد، حلفاؤهم، وهم من بنى سعد بن ليث، على رفاعة بن المنذر بقُباء[1]، ثم تتابع المهاجرون[2]، فنزَل طلحة بن عبيد الله، وصهيب بن سنان على خُبَيب بن إساف[3] أخى بلحارث بن الخزرج، ويقال: بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة[4]، ونزل حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو مَرْثَد كَنّاز بن حصين، وآبنه مرثَد الغنويّان حليفا حمزة ابن عبد المطلب، وأَنَسة وأبو كبشة موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم ابن هِدم[5] أخى بنى عمرو بن عوف بقُباء — ويقال: بل نزلوا على سعد بن خيثمة، ويقال: بل نزل حمزة على أسعد بن زُرارة — ونزل عبيدة بن الحارث بن المطلب، وأخواه الطّفيل والحُصَين، ومِسْطَح بن أُثَاثة بن عبّاد بن المطلب، وسُوَيْبط بن سعد بن حُرَيملة[6]، أخو بنى عبد الدار، وطُليب بن عمير أخو بنى عبد بن قصيّ، وخبّاب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أخى بلْعجلان بقُباء، ونزل

(١) قباء: على فرسخ من المدينة.

(٢) فى الأصل: «المهاجرين»؛ وهو خطأ من الناسخ.

(٣) ويقال فيه: «يساف» بياء مفتوحة: وهو ابن عتبة؛ ولم يكن حين نزل المهاجرون عليه مسلما؛ بل أخر إسلامه حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر (عن الاستيعاب ملخصا).

(٤) زاد فى ابن هشام بعد هذه الكلمة قوله: «بالسنح».

(٥) فى أسد الغابة: «ابن هرم»، بالراء. وفى ابن سعد، والاستيعاب: «ابن الهدم».

(٦) كذا فى الأصل، وابن هشام، وفى الاستيعاب، وأسد الغابة، والتاج، والإصابة: «حرملة».

١١٤
١٤

عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخى بلحارث ابن الخزرج فى دار بلحارث ، ونزل الزبير بن العوام ، وأبو سبْرة بن أبى رُهم بن عبد العزّى على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجُلَاح بالعُصَبة[(١)] دار بنى جَحْجَبي[(٢)] . ونزل مصعب بن عمير بن هاشم أخو بنى عبد الدار على سعد بن مُعاذ ٱبن النعمان فى دار بنى عبد الأشهل . ونزل أبو حذيفة بن عُتْبة بن ربيعة ، وسالم ٥ مولى أبى حذيفة ، وعُتْبة بن غزوان بن جابر على عباد بن بِشر بن وقْش أخى بنى عبد الأشهل فى دار بنى عبد الأشهل . ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت ٱبن المنذر أخى حسان بن ثابت فى دار بنى النجار . وكان يقال : نزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عَزَبا .

١٠ ذكر ٱجتماع قريش فى دار الندوة ، وتشاورهم فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم ، واتفاقهم على قتله ، وحماية الله تعالى له ، وخبر الشيخ النجدىّ ، وهو إبليس ، خزاه الله

قال محمد بن إسحاق ، يرفعه إلى عبد الله بن عباس وغيره قالوا : لمّا[(٣)] رأت قريش أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شِيَعٌ وأصحاب من غيرهم ١٥ من غير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا دارا ، وأصابوا منهم مَنَعة ، فحذِروا خروجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فٱجتمعوا فى دار الندوة — وهى دار قصىّ بن

(١) عصبة ، كهمزة ؛ كذا ضبطه ياقوت ، وذكر أنه حصن بقباء ؛ ونقل عن ابن هشام أيضا أنه ضبطه بالضم ثم السكون . (٢) جحجبي : جد أحيحة بن الجلاح اليثربى .
٢٠ (٣) ابن هشام ٢ : ١٢٤

كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها — يتشاورون ما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما اجتمعوا لذلك، واتّعدوا له، غدوا فى يوم الموعد، وهو اليوم المسمى يوم الزَّحمة، فاعترضهم إبليس فى هيئة شيخ جليل عليه بَتٌّ — قال الواقدى: مشتمل الصماء فى بَتّ — قال: فوقف على باب الدار، فلما رأوه قالوا: مَن الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد، سمع بالذى اتّعدتم له، فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى ألّا يُعدِمكم منه رأيا ونُصحا، قالوا: أجل، فادخل، فدخل معهم، وقد اجتمع أشراف قريش، وهم: عُتْبة، وشيبة ابنا ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وطُعيمة بن عدىّ، وجُبير بن مطعِم، والحارث بن عامر بن نوفل، والنّضر بن الحارث بن كلَدة، وأبو البخْتَرىّ ابن هشام، وزَمْعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حِزام، وأبو جهل ابن هشام، ونُبيه ومنبّه ابنا الحجاج، وأُمية بن خلف، وغيرهم ممن لا يعدّ من قريش، فقال بعضُهم لبعض: إنّ هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، وإنا والله ما نأمَنُه على الوثوب علينا ممن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا، فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: احبسوه فى الحديد، وأغلقوا عليه بابا، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهَه من الشعراء الذين كانوا قبله: زهير والنابغة، ومَن مضى منهم حتى يصيبَه ما أصابهم، فقال الشيخ النجدىّ: لا والله، ما هذا لكم برأى، والله لئن حبستموه كما تقولون لَيخرُجنّ أمرُه من وراء الباب الذى أغلقتم

(١) فى ابن هشام: «حين خافوه».

(٢) سمى يوم الزحمة لتزاحم أشراف القبائل القرشية فى دار الندوة.

(٣) فى ابن هشام: «بتلة»، والبتلة والبت: الكساء الغليظ.

(٤) واشتمال الصماء هو أن يشتمل الرجل بالثوب حتى يجلل به جسده ولا يرفع منه جانبا، فيكون فيه فرجة يخرج منها يده، وهو التلفع، (اللسان — شمل).

دونه إلى أصحابه ، ولأوشكوا أن يَثِبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ، فانظروا فى غيره ، فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله [ما][1] نبالى أينَ ذهب ، ولاحيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه ، أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت . قال الشيخ النجدىّ : لا والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حُسْنَ حديثه ، وحلاوة مَنْطِقه ، وغلَبَته على قلوب الرجال بما يأتى به ، والله لئن فعلتم ذلك ما أمِنتم أن يحل على حىّ من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم ليسير بهم إليكم حتى يطأكم فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ؛ دبِّروا فيه رأيا غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام : إنّ لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذَ من كل قبيلة فتى شابا جَليدا نَسيبا وَسيطا فَتيا ، ثم نعطى كلَّ فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه ؛ فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمُه فى القبائل جميعا ، [فلم يقدِرْ بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا][2] ، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه لهم . فقال النجدىّ : القول ما قال الرجل ؛ هذا الرأى لا أرى غيره[3] .

وحكى أن هذا الرأى كان رأى الشيخ النجدىّ ، وأنه لما أشار به قالوا كلّهم : صدق النجدىّ ، صدق النجدىّ ! والله أعلم .

قال : فتفرّق القوم وقد أجمعوا على ذلك .

فأتى جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بالخبر ، وقال له : لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه ، قال : فلما كانت عَتَمة

(١) من ابن هشام . (٢) عن ابن هشام . (٣) ابن هشام : « لا رأى غيره » .

من الليل آجتمعوا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصُدونه حتى ينام، فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانَهم قال لعليّ بن أبي طالب رضى الله عنه : " نَمْ على فراشي، وتَسَجَّ بِبُرْدِي هـذا الحضرميّ الأخضر، فنَمْ فيه؛ فإنه لن يخلُصَ إليك شيء تكرهه منهم " .

٥ قال : فقال أبو جهل ومَنْ معه على الباب : إن محمدا يزعم أنكم إذا تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردنّ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بُعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم نار تحرقون فيها . قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال : " نعم أنا أقول ذلك، أنت أحدُهم "، وأخذ الله علَى أبصارهم

١٠ فلا يرونه، فجعل ينثُر التراب على رءوسهم وهو يتلو هذه الآيات من سورة يس : ﴿ يس . وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (١) .

ولم يبق منهم رجل إلا وضعَ على رأسه ترابا، ثم انصرف إلى حيث أراد، فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم، فقال : ما تنتظرون ؟ قالوا : محمدا، قال : خيبكم الله،

١٥ قد والله خرج عليكم محمد، ثم ماترك منكم رجلا إلا وقد وضعَ على رأسه ترابا وآنطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم ؟ قال : فوضع كلُّ رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا ينظرون فيه فيروْن عليا على الفراش متسجّيا ببُرد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائما عليه بُردُه . فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام عليّ عن الفراش، فقالوا : والله لقد كان صدَقنا الذى حدّثنا .

---

٢٠ (١) سورة يس ١ — ٩

قال ٱبن إسحاق : فكانَ ممـا أنزل من القرآن في ذلك اليوم قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ . قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ (٢) .

ذكر ٱبتداء هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه

قال محمد بن إسحاق : لمّا هاجر أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، أقام هو بمكة بعدهم ينتظر الإذنَ من الله تعالى في الهجرة ، ولم يتخلف معه بمكة إلا أبو بكر الصديق، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما ، ومن حُبس أو فُتن . وكان أبو بكر يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة كثيرا فيقول له : "لا تَعجل لعلّ الله أن يجعل لك صاحبا"، فيطمع أبو بكر أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يَعنى نفسَه .

وروى عن عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنها قالت : كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيَ بيت أبي بكر أحد طَرَفَيِ النهار إما بُكْرة وإما عَشية، [حتى] (٣) إذا كان اليوم الذي أذن الله تعالى فيه لرسوله في الهجرة والخروج من مكة أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها . قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حَدَث، فلما دخل تأخر أبو بكر عن سريره ،

(١) سورة الأنفال ٣٠ . (٢) سورة الطور ٣٠ — ٣١

(٣) الزيادة من ابن هشام .

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى أسماء، فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : " أَخْرج عنّى مَن عندك " قال : يا رسول الله، إنما هما ٱبنتاى، وما ذاك فداك أبى وأمى؟ قال : " إن الله أذن لى فى الخروج " . فقال أبو بكر : الصحبة يا رسـول الله ! قال : " الصحبـة " . قالت : فوالله ٥ ما شعرت قط قبـل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفَـرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئـذ، ثم قال : يا نبىّ الله، إن هاتين راحلتان كنت أعددتهما لهذا . فٱستأجرا عبد الله بن أرقط — وقيل : الأريقط — الليثى وكان مشركا، يدلُّهما على الطريق، ودفعا إليـه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما . قال ٱبن إسحاق : ولم يعلم بخروج رسـول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلا أبو بكر وآل أبى بكر، ١٠ وعلى بن أبى طالب ، أخبره رسـول الله صلى الله عليـه وسلم بخروجه ، وأمره أن يتخلف بعـده ، حتى يؤدى عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس .

١١٦/١٤

ذكر خبر الغار وما قيل فيه

قال : لمـا أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروجَ أتى أبا بكر فخرجا من ١٥ خَوْخة لأبى بكر فى ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار بثور — جبلٍ بأسفل مكة — فدخلاه، وأمر أبو بكر ٱبنه عبـد الله أن يتسمّع لهما ما يقول النـاس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليـوم من الخبر، وأمر عامر بن فُهيرة مولاه أن يرعى غنَمه نهاره ثم يريحها عليهما إذا أمسى فى الغار، وكانت أسمـاءُ بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بمـا يصلِحهما .

٢٠ قال ٱبن هشام : حدّثنى بعضُ أهـل العلم أن الحسن بن أبى الحسن قال : لمـا ٱنتهى رسـول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا دخل أبو بكر قبل

رسول الله صلىّ الله عليه وسلم يلتمس الغار لينظر أفيه سبع أو حيّة يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا ، ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائةَ ناقة لمن يردّه عليهم . وكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش يسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون فى شأن النبيّ صلى الله عليه وسلم ٥ وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فُهيرة مولَى أبى بكر يرعى فى رِعاء من أهل مكة ، فإذا أمسى أراحَ عليهما غنم أبى بكر فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد الله بن أبى بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثرَه الغنم حتى يعفِّى عليه .

١٠ وقال محمد بن سعد بسنده إلى زيد بن أرقم وأنس بن مالك ، والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهم : إن النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمرَ الله شجرة فنبتت فى وجه النبيّ صلى الله عليه وسلم فسترته ، وأمر العنكبوت فنسجت على وجهه فسترته ، وأمر حمامتين وحْشِيتين فوقفتا بفم الغار ، وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بأسيافهم وعِصيِّهم وهَراواتهم حتى إذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم قَدْر ١٥ أربعين ذراعا ، نظر أوّلُهم فرأى الحمامتين فرجع فقال له أصحابه : مالك لم تنظر فى الغار ؟ قال : رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار ، فعرفت أنْ ليس فيه أحد . فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ، فعرف أنّ الله عز وجل درأ عنه بهما . وقال بعض من حضر فى طلبه : إن عليه من العنكبوت ما هو قبل ميلاد محمد . وقال أبو بكر رضى الله عنه : فنظرت إلى أقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على ٢٠ رُءوسنا فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا ، فقال : "يا أبا بكر ، ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما "! قال : ومكثنا فى الغار ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر .

قال محمد بن سعد : قالت عائشة رضى الله عنها : وجهزناهما أحبَّ الجهاز، وصنعنا لهما سُفرة فى جِراب ، فقطعت أسماء قطعة من نِطاقها فأوكَأَتْ به الجِراب ، وقطعةً أخرى صيرتها عِصاما لفم القربة؛ فلذلك سميت أسماء ذات النّطاقين .

قال محمد بن سعد بسند يرفعه إلى أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما أنها قالت : ٥ لما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر معه آحتمل ماله كلّه معه ، — خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف — فآنطلق بها معه ، فدخل علينا جدّى أبو قحافة وقد ذهب بَصَرُه ، فقال : والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ، قال فقلت : كلّا يا أبت ، إنه ترك لنا خيرا كثيرا . قالت أسماء : فأخذت أحجارا فوضعتها فى كُوَّةِ البيت حيث كان أبى يضع فيها ماله ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده ١٠ فقلت : ضع يا أبت يدَك على هذا المال ، فوضع يده عليه وقال : لا بأس إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم ؛ فلا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكنى أردت أن أسكّن الشيخ بذلك . والله أعلم .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه من الغار، وتوجههما إلى المدينة، وما كان من أمر سُراقة بن مالك ، وأم معبد وغير ذلك إلى أن آنتهيا إلى المدينة

١١٧/١٤ ١٥

كان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصدّيق رضى الله عنه من الغار ليلة الآثنين لأربع خَلَوْن من شهر ربيع الأوّل ، وذلك أنه لما مضت الأيام الثلاثة ، وسكَن عنهما الناس أتاهما عبدالله بن الأُريقِط براحلتيهما و بعيرٍ له ، فقرّب أبو بكر رضى الله عنه الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدّم له أفضلَهما[1]

٢٠ (١) فى الأصل : «لغسلهما» والصواب ما أثبتناه كما فى ابن هشام جـ ٢ : ١٣١

ثم قال : اركب فداك أبي وأمي يا رسول الله! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إني لا أركب بعيرا ليس لى"، قال: فهى لك يارسول الله بأبى أنت وأمى! قال : " لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به[1] " ؟ ، قال : كذا وكذا ، قال : " قد أخذتها بذلك ".

قال محمد بن سعد : وكان أبو بكر آشتراهما بثمانمائة درهم من نَعَم بنى قُشَيْر، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إحداهما وهى القَصْواء .

قال آبن إسحاق : فركبا وآنطلقا ، وأردفَ أبو بكر رضى الله عنه مولاه عامر بن فُهيرة خلْفه ليخدمهما فى الطريق .

قال أبو بكر رضى الله عنه : أسرينا ليلتنا ويومنا حتى إذا قام قائم الظهيرة وآنقطع الطريق ، ولم يمرّ أحد ، رُفعت لنا صخرة لها ظلّ لم تأت عليه الشمس . قال : فسويت للنبيّ صلى الله عليه وسلم مكانًا فى ظلها ، وكان معى فَرْو ففرشته ، وقلت للنبيّ صلى الله عليه وسلم : نم حتى أنفضَ ما حولك ، فخرجت فإذا أنا براعٍ قد أقبل يريد من الصخرة مثلما أردنا ، وكان يأتيها قبل ذلك فقلت : ياراعى ، لمن أنت؟ قال : لرجل من أهل المدينة يعنى مكة ، قال : قلت : هل فى شائك من لَبن ؟ قال : نعم ، قال : فجاءنى بشاة فجعلت أمسح الغُبار عن ضَرْعها وحلبت فى إداوةٍ معى كُثبة[2] من لبن ، وكان معى ماء للنبيّ صلى الله عليه وسلم فى إداوة فصببتُ على اللبن من الماء لأبرده ، فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قام من نومه فشرب وقال : " ما آن الرحيل " ؟ قلت : بلى ، قال : فأرسلنا حتى إذا كنا بأرض صَلبة جاء سُراقة بن مالك بن جُعشُم ، فبكى أبو بكر وقال : يارسول الله قد أُتينا ، قال : " كلا " ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فآرتطم فرس سراقة — أى

(١) فى الأصل : «ابتعتها» ، و«أخذتها» والصواب، عن ابن هشام .

(٢) كثبة : قليل .

احتبس إلى بطنه — فقال : قد أعلم أن قد دعوتما علىّ فآدعوَا لى، ولكما علىّ أن أردّ الناس عنكما ولا أضرّكما . قال : فدعا له فرجع ووفى وجعل يردّ الناس ويقول : قد كفيتم ما هاهنا . وقد روى عن سراقة أنه قال لأبى جهل بن هشام :

أبا حَكَمٍ والله لو كنتَ شاهدًا * لأمرِ جوادى إذ تسوخُ قوائمُهْ
علمتَ ولم تشكُكْ بأنّ محمدا * رسولٌ ببرهان فمن ذا يقاوِمُهْ !
عليك بكفّ القوم عنه فإننى * أرى أمرَه يوما ستبدو معالمُهْ
بأمرٍ يودّ الناس فيه بأسرِهم * بأنّ جميع الناس طُرًا[1] تسالِمُهْ

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدّثنى الزُّهرى أنّ عبد الرحمن بن مالك ابن جعشم حدّثه عن أبيه عن عمه سراقة بن مالك قال : لما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مكّة مهاجرا إلى المدينة، جعلتْ فيه قريش مائةَ ناقة لمن يردّه عليهم، فبينا أنا جالسٌ فى نادى قومى أقبلَ رجلٌ منا حتى وقف علينا فقال : والله لقد رأيتُ رَكَبة ثلاثة مرّوا علىّ آنفا، إنى لأراهم محمدا وأصحابه، قال : فأومأتُ إليه بعينى أن آسكت، ثم قلت : إنما همْ بنو فلان يبتغون ضالّة لهم، قال : لعله[2] . ثم قمت فدخلت بيتى وأمرت بفرسى فقِيدَ إلى بطن الوادى ، وأمرت بسلاحِى فأخرج من دُبُر حُجْرتى، ثم أخذت قِداحى التى[3] أستقسِم بها، ثم آنطلقت فلبست لَأْمَتى، ثم أخرجتُ قِداحى فاستقسمت بها، فخرج السهم الذى أكره : «لا يضره»، قال : وكنت أرجو أن أردّه على قريش فآخذ المائة، فركبت الفرس فى أثره، فبينا فرسى يشتدّ بى عثر فسقطت عنه، فقلت : ما هذا ؟ ثم أخرجت قِداحى فآستقسمت بها فخرج السهم

١١٨
١٤

(١) فى الأصل : « طورا » ؛ وهو تصحيف .
(٢) فى الدلائل : قال : « لعله ، ثم سكت قال فمكثت قليلا ثم قمت » .
(٣) فى الأصل : « الذى » ، ما أثبتناه عن ابن هشام جـ ٢ : ١٣٤

الذى أكره «لا يضره»، قال فأبيت إلا أن أتبعه فركبت فى أثره، فلما بدا لى القوم ورأيتهم عثر بى فرسى فذهبتْ يداه فى الأرض وسقطتُ عنـه ، ثم انتزع يده من الأرض وتبعهما دُخَانٌ كالإعصار، فعرفتُ حين رأيتُ ذلك أنه قد منِـع منّى وأنه ظاهر، فناديتُ القوم : أنا سراقة بن جعشم ، أَنْظِرونى أكلمكم، فوالله لا يأتينكم منى شىء تكرهونه ، فقال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم لأبى بكر : " قل له وما تبتغى منـا "؟ فقال لى ذلك أبو بكر ، قلت : تكتب لى كتابا يكون بينى وبينك، قال : " اكتب له يا أبا بكر "، فكتب لى كتابا فى عَظْم أو فى رقعة أو فى خرقة ثم ألقاه إلىّ فأخذته فجعلته فى كنانتى، ثم رجعتُ فـلم أذكر شيئا ممـا كان ، حتى إذا كان فتح مكة على رســول الله صلى الله عليه وسلم، وفَرَغ من حُنَيْن والطائف، فرحت ومعى الكتاب لألقـاه فلقيته بالجعرّانة[1] ، فدخلتُ فى كتيبة من خيل الأنصار فجعـلوا يقرعوننى بالرماح ويقولون : إليك إليك ماذا تريد؟ قال : فدنوت من رســول الله صـلى الله عليه وسلم وهو على ناقته، والله إنى لأنظر إلى ساقه فى غَرْزه[2] كأنهـا جمارة، فرفعت يدى بالكتاب ثم قلت: يا رسول الله،هذا كتابُك أنا سراقة بن جعشم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يوم وفاء وبرّ، ادْنُه "، قال فدنوت منه فأسلمت . والله الهادى للصواب .

*
* *

ومروا على خيمتى أم معبد الخزاعية، واسم أم معبد عاتِكة بنت خالد بن منقذ[3] ابن ربيعة ، ويقال : عاتكة بنت خالد بن خليف ، وكانت بَرْزة[4] جلدة تجلس بفناء

(١) الجعرانة بكسر الجيم وتشديد الراء : ماء بين مكة والطائف على سبعة أميال من مكة .

(٢) الغرز للرحل : هو كالركاب للسرج ، وفى الدلائل والنهاية : « كأنه جمارة » ، والجمارة : قلب النخلة وشحمتها .

(٣) فى الأصل : « خلف » ، وما أثبتناه عن أسد الغابة ، والمواهب .

(٤) البرزة : التى تظهر للناس .

القبة تَسقى وتُطعم[1] ، فسألوها تمرا ولحما يشترونه منها ، فلم يصيبوا عندها من ذلك شيئا ، وكان القوم مُرْمِلين مُسْنِتِين[2] ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة فى كِسْر الخيمة ، فقال : "ما هذه الشاة يا أم معبد" ؟ قالت : شاة خلّفها الجهْد عن الغنم ، قال : "هل بها من لبن" ؟ قالت : هى أجهد من ذلك ، قال : "أتأذنين أن أحلبها" ؟ قالت : نعم ، بأبى أنت وأمى إن رأيت بها حلبا فاحلبها . فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها وسمّى الله ، ودعا لها فى شاتها ، فتفاجّت عليه — أى فتحت ما بين رجليها — ودَرّت ، ودعا بإناء يُرْبِض الرّهْط — أى يُرويهم — فحلب فيه ثجّا[3] ثم سقاها حتى رَوِيَت ، ثم سقى أصحابه حتى رَوُوا ، ثم شرب آخرَهم ، ثم حلب إناءً حتى ملأه ثم غادره عندها ، وبايعها وارتحلوا عنها ، وأصبح صوتٌ بمكة عالٍ يسمعونه ، ولا يدرون مَن صاحبُه وهو يقول :

جزى الله ربُّ الناس خيرَ جزائه * رفيقين قالا[4] خيمتَىْ أمِّ مَعْبَد

هما نزلا بالبرِّ وارتحلا به * فأفلحَ مَن أمسى رفيقَ محمد

فيا لَقُصَىٍّ ما زَوَى[5] الله عنكم * به من فعَال لاتُجارى[6] وسُودَدِ

لِيَهْنِ بنى كعبٍ مكانُ فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصَد

سَلُوا أختكم عن شاتِها و إنائها * فإنكمُ إن تسألوا الشاة تشْهَد

دعاها بشاة حائل فتحلّبتْ * له بصَريح[7] ضَرّة[8] الشاة مُزْبِد

فغادرها رَهْنا لديْها لحالب * تَدِرّ بها فى مَصْدر ثم مَوْرِد[9]

(١) فى الأصل : « الهنيه » وهو تصحيف ، والتصحيح من السيرة الحلبية ، وفى الدلائل وغيرها : « الخيمة » . (٢) مرملين : نفد زادهم . ومسنتين : مجدبين . (٣) ثجا : أى لبنا كثيرا . (٤) قالا : نزلا وقت القيلولة . (٥) زوى : صرف . (٦) تجارى : بالراء ، وفى رواية بالزاى . (٧) الصريح : اللبن الخالص . (٨) الضرة : أصل الضرع . (٩) فى مصدر ثم مورد : أى يحلبها مرة ثم أخرى ، والمعنى : ترك الشاة عندها ذات لبن .

قال ابن إسحاق : ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرْقَط سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل أسْفَلَ من عُسْفَان (١) ، ثم سلك بهما أسفل أَمَج (٢) ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قُدَيْدا (٣) ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخَرّار (٤) ، ثم سلك بهما ثنيـة المرة (٥) ، ثم سلك بهما لِقْفًا (٦) — ويقال لِفتْـا (٧) — ثم أجاز بهما مَدْلَجَة لَقْف (٨) ، ثم استبطن بهما مَدْلَجَة مَجاج (٩) ، ثم سلك بهما مَرْجِح مَجاج ، ثم تبطّن بهما [مَرْجِح] (١٠) من ذى الغَضَوين (١١) ، ويقال : العَصَوَيْن ، ثم بطن ذى كَشْر (١٢) ، ثم أخذ بهما على الجَدَاجِد (١٣) ، ثم على الأجرد (١٤) ، ثم سـلك بهما ذا سـلم (١٥) [من بطن] (١٦) أعداءِ مَدْلَجَة تِعْهِن (١٧) ، ثم على العَبَابِيد — ويقال : العَبَابِيب ، ويقال :

١١٩
١٤

(١) عسفان كعثمان : موضع بين مكة والمدينة . (٢) أمج : بلد بين مكة والمدينة فيه مزارع .
(٣) قديد : موضع قرب مكة . (٤) الخرار : موضع قرب الجحفة .
(٥) ثنية المرة : موضع ، تخفيف المرأة . (٦) لقف : موضع كثير الماء لا زرع فيه .
(٧) لفت : واد فى طريق المدينة ، وقد وقع الخلاف فى لقف ولفت فى حديث الهجرة وكلاهما صحيح ، وهذا موضع ، وذاك آخر .
(٨) المدلجة : الحوض الذى يفرغ فيه الساقى دلوه .
(٩) مجاج : بفتح الميم موضع ، وفيه خلاف . راجع ياقوت .
(١٠) ساقطة من الأصل ؛ وما أثبتناه عن ابن هشام ٢ : ١٣٦ ، وانظر ياقوت .
(١١) ذو الغضوين : بفتح الغين والضاد المعجمتين تثنية الغضا .
(١٢) فى الأصل « كشد » ، وهو تحريف . وكشر : موضع بين مكة والمدينة .
(١٣) الجداجد : جمع جدجد بضم الجيمين وهى البئر القديمة . ياقوت .
(١٤) الأجرد : أحد جبلى جهينة ، بين المدينة والشام .
(١٥) ذو سلم : واد من أرض بنى البكاء على طريق البصرة إلى مكة .
(١٦) الزيادة عن ابن هشام .
(١٧) تعهن : عين ماء على ثلاثة أميال من السقيا ، بين مكة والمدينة . والأعداء : النواحى .

العِثْيانة — ثم أجاز بهما الفاجَة[1] ، ويقال : القاحَة ، ثم هبط بهما العَرْج[2] ، وقد أبطأ عليهم بعضُ ظهرهم فحمل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ يقال له : أوس بن حجر على جمل له إلى المدينة ، و بعث معه غلاما له يقال له : مسعود بن هُنَيْدة ، ثم خرج بهما دليلهما من العرْج ، فسلك ثنية العائر عن يمين رَكُوبَة[3] — و يقال الغابِر — حتى هبط بهما [بطن][4] رِئْم ، ثم قدم بهما قُبَاء على بنى عمرو بن عوف . قال الشيخ شرف الدين الدمياطى : وكان عبد الله بن الأريقط على كفره ، ولم يعلم له إسلامٌ .

ذكر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق : كان مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قُباء يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين الضّحا ، وكادت الشمس تعتدل ، وهو صلى الله عليه وسلم ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة . وقال الخوارزمىّ : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا يوم الاثنين ، وهو اليوم الثامن من شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين من عام الفيل ، ويوم عشرين من أيلول ، فكان من مبعثه إلى يوم هاجر ودخل المدينة ثلاث عشرة سنة كاملة . قال ابن إسحاق : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعوا بخروجه من مكة وتَوَكّفوا[5] قدومه ، يخرجون إذا صلوا

(١) الفاجة والقاحة : مدينة على ثلاث مراحل من المدينة ، قبل السقيا بنحو ميل .

(٢) العرج : مكان بين مكة والمدينة على جادة الحاج ، تذكر مع السقيا .

(٣) ركوبة : ثنية بين مكة والمدينة عند العرج .

(٤) ساقطة من الأصل ، والزيادة عن ابن هشام .

(٥) توكفوا : استشعروا قدومه وانتظروه .

الصبح إلى ظاهر الحرّة ينتظرونه ، فلا يبرحون حتى تغلبهم الشمس على الظلال فيدخلون ، وذلك فى أيام حارة ، حتى إذا كان اليوم الذى قدِم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسوا على عادتهم ، حتى إذا لم يبق ظل دخلوا بيوتهم ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلوا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من يهود ، فصرخ بأعلى صوته : يابنى قَيْلَة(١) ، هذا جدكم قد جاء ، قال : فخرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى ظل نخلة ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه فى مثل سِنّه ، وأكثر الأنصار لم يكن يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، فأقبل الناس وما يعرفونه من أبى بكر ، حتى إذا زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفوه عند ذلك ، قال : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن هِدْم أخى بنى عمرو بن عوف ، وهو الأصح ، وكان إذا خرج من منزل كلثوم جلس للناس فى بيت سعد بن خَيْثَمة ، وذلك أنه كان عَزَبا لا أهل له ، وكان منزل العُزّاب من المهاجرين ، ونزل أبو بكر الصديق رضى الله عنه على خُبَيْب بن إساف أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسُّنْح . وقيل : بل نزل على خارجة بن زيد . وأقام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بمكة ثلاث ليال ، حتى أدّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس ، ثم لحِق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل معه على كلثوم بن هِدم ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقُباء من يوم الاثنين إلى آخر يوم الخميس أربعة أيام .

---

(١) بنو قيلة : هم الأنصار ، وقيلة : اسم جدة كانت لهم .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قباء وتحوله إلى المدينة، وصلاته الجمعة، ونزوله على أبى أيوب خالد بن زيد

قال محمد بن إسحاق : ثم خرج رسـول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة من منزل كلثوم فأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف، فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى ، وادى رانوناء[1] ، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة . قال محمد بن سعد : صـلاها بمن كان معـه من المسلمين وهم مائة . قال ابن إسحاق : فأتاه عِتْبان بن مالك ، وعباس بن عبادة بن نضلة ، فى رجال من بنى سالم بن عوف ، فقـالوا : يارسول الله، أقم عندنا فى العدد والعدّة والمنعة، قال : "خلوا سبيلها فإنها مأمورة" فخلوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة ، اعترضه سعد بن عبادة، والمنذر بن عمـرو فى رجال من بنى ساعدة ، فقالوا مثل ذلك ، وقال مثل ما قال لأولئك ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت ، حتى إذا وازنت دار بنى الحارث بن الخـزرج اعترضه سعد بن الربيع، وخارجة بن زيد، وعبد الله بن رواحة فى رجال من بلحارث من الخزرج ، فقالوا مثل ذلك ، وقال مثل ما قال، فخلوا سبيلها فانطلقت، حتى إذا مرت بدار بنى عدىّ بن النجار وهم أخواله اعترضه سليط بن قيس، وأبو سليط أُسَيْرة[2] بن أبى خارجة فى رجال من بنى عدىّ بن النجار، فقالوا : يا رسول الله هَلُمَّ إلى أخوالك إلى العدد والعُـدّة والمنعة ، فقال كما قال لأولئك ، فخلوا سـبيلها فانطلقت ، حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار بركت على باب مسجد رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ مِربَد[3] لغلامين يتيمين من بنى النجار ، فى حجر

(١) رانوناء بنونين : بين قباء والمدينة يلتقى مع بطحان فى دار بنى زريق .

(٢) الذى فى أسد الغابة : « أسيرة بن عمرو بن قيس بن مالك » .

(٣) مربد : الموضع الذى يجمع فيه الزرع والتمر للتجفيف .

معاذ بن عَفْراء وهمـا سهل وسُهيل آبنا عمرو ، فلما بركت ثبت رسول الله صلى الله عليـه وسلم ولم ينزل ، فسارت غير بعيد ، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركهـا أول مرة فبركت فيه ، ثم تَحَلْحَلَت[1] ورَزَمت ووضعت جِرانها ، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه فى بيته ، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن سعد فى طبقاته الكبرى : لمـا بركت الناقة جعل الناس يكلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النزول عليهم ، وجاء أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب فحطّ رحلّه فأدخله منزله ، فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : "المرء مع رحله" ، وجاء أسعد بن زُرارة فأخذ بزِمام راحلتـه فكانت عنده ، قال زيد بن ثابت : فأول هدية دخلتْ على رسول الله صلى الله عليـه وسلم فى منزل أبى أيوب هديةٌ دخلتُ بها إناءُ قَصْعة مَثْرُود فيهـا خبز وسمن ولبن ، فقلت : أرسلتْ بهذه القصعة أُمّى ، فقال : "بارك الله فيك" ، ودعا أصحابه فأكلوا ، فلم أرِم[2] الباب حتى جاءت قصعة سعد بن عبادة ، ثريد وعُراق[3] ، وما كان من ليلة إلا وعلى باب رسول الله صلى الله عليـه وسلم الثلاثة والأربعة يحملون الطعام ، يتناوبون ذلك حتى تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل أبى أيوب ، وكان مقامه فيه سبعة أشهر .

وقال آبن إسحاق : أقام رسول الله صلى الله عليـه وسلم من شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بنى له فيها مسجده ومساكنه . والله أعلم .

---

(١) فى الأصـل : « تجلجلت » ، وما أثبتناه عن آبن هشام ؛ وقال السهيلى : إن ابن قتيبة فسره بتلحلحت — بتقديم اللام — لزمت مكانها ، وكذا فسره فى النهاية : تلحلحت أقامت ولزمت مكانها ولم تبرح ضد تحلحل . ورزمت النـاقة : إذا أقامت من الكلال ، وجرانها : عنقها .

(٢) فلم أرم : لم أبرح .

(٣) عراق : جمع عرق وهو جمع نادر ، والعرق (بالسكون) : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم .

وبعث رسـولُ الله صلى الله عليه وسلم من منزل أبى أيوب زيدَ بن حارثة ، وأبا رافع ، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم ، فقـدما إلى مكة لفاطمة وأم كلثوم عليهما السلام ٱبنتى رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وسَوْدة بنت زَمْعة زوجته ، وأسامة بن زيد، وحمل زيد بن حارثة ٱمرأته أمّ أيْمَن مع ٱبنها أسامة بن زيد ، وخرج عبد الله بن أبى بكر معهم بعيال أبى بكر فيهـم عائشة ، فقدموا المدينة فأنزلهم فى بيت حارثة بن النعمان ، وكانت رُقَيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحبشة مع زوجها عثمان بن عفان . قال ابن إسحاق بسـنده إلى أبى أيوب قال : لمـا نزل رسـول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل فى السُّفْل ، وأنا وأم أيوب فى العُلْو ، فقلت له : يا نبىّ الله ، بأبى أنت وأمى ، إنى أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى ، فاظهـر أنت وكن فى العُـلْو ، وننزل نحن ونكون فى السُّـفْل ، فقال : "يا أبا أيوب ، إنّ أرْفَق بنا ومن يغشانا أن نكون فى سُفْل البيت"، قال : فلقد ٱنكسر حُبّ[1] لنـا فيه ماء ، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنـا لحاف غيرها ، ننشّف بها المـاء، تخوُّفا أن يقطُر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه ، قال : وكنّا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه ، فإذا ردّ علينا فضله تيَمَّمْتُ أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه ، نبتغى بذلك البركة حتى بعثنا إليـه ليلة بعشائه ، وقد جعلنا له فيه بصلا أو ثوما ، قال : فردّه ولم أر ليده فيه أثرا ، فجئته فَزِعا ، فقلت : يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك ؟ فكنت إذا رددته علينا تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك للبركة ، قال : "فإنى وجدت فيـه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أُناجِى[2] فأما أنتم فكلوه" ، فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة . والله المستعان .

---

(١) الحب : جرة كبيرة .
(٢) أناجى من المناجاة : وهى أن يحدث الإنسان غيره .

١٢١
١٤

ذكر بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيوته بالمدينة

قال محمد بن سعد عن محمد بن عمر بن واقد قال : حدّثنى مَعْمَر بن راشد عن الزهرى قال : بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موضع المسجد، وهو يومئذ يصلى فيه رجال من المسلمين ، وكان مِرْبدا لسهل وسهيل غلامين يتيمين من الأنصار ، وكانا فى حَجْر أبى أمامة أسعد بن زُرارة ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلامين فساومهما بالمربد ليتّخذه مسجدا فقالا : بل نهبُه لك يا رسول الله، فأبى صلى الله عليه وسلم حتى ابتاعه منهما . قال ابن سعد : وقال غير مَعمرٍ عن الزهرى : فابتاعه بعشرة دنانير، وأمر أبا بكر أن يعطيهما ذلك، فكان جدارا مجدّرا ليس عليه سقف ، وقبلته إلى بيت المقدس ، وكان أسعد بن زرارة بناه، فكان يصلى بأصحابه فيه، ويجمّع بهم فيه الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل الذى بالحديقة وبالغَرْقَد الذى فيه أن تقطع ، وأمر باللبِن فضُرب ، وكان فى المِرْبَد قبور جاهلية فأمر بها فنُبِشَت ، وبالعظام أن تُغَيَّب ، وكان فى المِرْبد ماء مُسْتَنْجِل[1] فسيّروه حتى ذهب، فأسّس رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وأسسوا معه ، فجعلوا طوله مما يلى القبلة إلى مؤخّره مائة ذراع ، وفى هذين الجانبين مثل ذلك فهو مُرَبّع ، ويقال : كان أقل من المائة، وجعلوا الأساس قريبا من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة، ثم بنوه باللّبِن ، وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجعل ينقل الحجارة معهم بنفسه، ويقول : " اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرين ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار " قال : وقال قائل من المسلمين يرتجز :

لَئِن قَعَدْنا والنبىُّ يعملُ * لذاك مِنّا العملُ المضَلّلُ

(١) مستنجل : مستنقع، والنجل الماء الذى يخرج من الأرض نزا .

قال: ودخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللبِن فقال: يارسول الله، قتلونى، يحملون علىّ ما لا يحملون، قالت أم سلمة: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض وَفْرتَه(1) بيده، وكان رجلا جَعْدا، ويقول: "ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما تقتلك الفئة الباغية"، قال ابن سعد: وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبْلَة المسجد إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: بابا فى مؤخره، وبابا يقال له: باب الرحمة، وهو الباب الذى يدعى باب عاتكة، والباب الثالث الذى يدخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل طول الجدار بسطةً، وعمده الجذوع، وسقفه جريدا، فقيل له: ألا تسقِّفه؟ فقال: "عريش(2) كعريش موسى خشيبات وثُمَام(3) الشأن أعجل من ذلك" قال: وبنى بيوتا إلى جنبه باللبِن، وسقفها بجذوع النخل والجريد، فلما فرغ من البناء، بَنَى لعائشة رضى الله عنها [فى البيت الذى يليه شارع إلى المسجد](4) على ما نذكره إن شاء الله تعالى. وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل فقُطِع، وبقبور المشركين فنُبِشت، وبالخِرَب فسويت، قال: فصفوا النخل قِبلة، وجعلوا عِضادتيه(5) حجارة.

ذكر بناء المسجد الذى أسِّس على التقوى وهو مسجد قُباء

قال محمد بن سعد فى طبقاته الكبرى بسنده إلى سهل بن سعد وأبى غَزِيَّة وأبى سعيد الخدرىّ رضى الله عنهم قال: لما صُرِفت القبلة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء فقدّم جِدار المسجد إلى موضعه اليوم وأسَّسه، وقال:

---

(1) الوفرة: شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن. (2) العريش: كل ما يستظل به، سئل الحسن عن معنى "عريش موسى" فقال: إذا رفع يده بلغ العريش أى السقف، وفى الدلائل: قيل لرسول الله إلى متى نصلى تحت هذا الجريد؟ فقال: "ما بى رغبة عن أخى موسى عريش كعريش أخى موسى". (3) الثمام: نبت ضعيف يسد به خصاص البيوت. (4) الزيادة من ابن سعد، وفى الأصل: «بنا بعائشة» وهو خطأ (راجع ابن سعد ج ١ : ق ٢ : ٢). (5) العضادة: جانب العتبة من الباب، والضمير للسجد.

"جبريل يؤمّ بى البيت"، ونقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الحجارة لبنائه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت ماشيا، وقال صلى الله عليه وسلم: "من توضأ فأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عُمرة"، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس، وقال: لو كان بطَرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل. قال: وكان أبو أيوب يقول: هذا المسجد الذى أسس على التقوى. وكان أبىّ بن كعب وغيره يقولون: بل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر ما أصاب المهاجرين من حُمّى المدينة، ودعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم

روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قدمها وهى أَوْبَأُ أرض الله من الحمّى، فأصاب أصحابه منها بلاءٌ وسقم، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم. قالت: فكان أبو بكر رضى الله عنه، وعامر بن فهيرة وبلال، موليا أبى بكر مع أبى بكر فى بيت واحد فأصابتهم الحمى، فدخلتُ عليهم أعودهم، وذلك قبل أن يضرب علينا [الحجاب](1) وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدّة الوعك، فدنوت من أبى بكر فقلت: كيف تجدك يا أبتِ؟ فقال:

كُلُّ امرئٍ مُصَبَّح فى أهله * والموتُ أدنَى من شِراكِ نَعْلِه

قالت: فقلت والله ما يدرى أبى ما يقول، ثم دنوت إلى عامر بن فُهيرة، فقلت: كيف تجدك ياعامر؟ فقال:

(١) الزيادة عن الديار بكرى ١: ٣٥٠، ودلائل النبوّة.

لقد وَجدتُ الموتَ قبلَ ذَوْقِه * إنّ الجَبانَ حَتْفُه من فوقِه(١)
كلّ آمرئ مُجاهد بطَوْقِـهِ * كالثّـور يحمى جِلْدَه بِرَوْقِـهِ(٢)

فقلت : والله مايدرى عامر مايقول؛ قالت : وكان بلال إذا تركته الحمّى آضطجع بفناء البيت، ثم يرفع عقيرته(٣) فيقول :

٥ ألا لَيْت شِعرِى هَلْ أبيتَنّ ليـلةً * بفَـجٍّ(٤) وحَـوْلِى إذْخِرٌ(٥) وجَليـلُ(٦)
وهـل أرِدَنْ يوماً مِيـاهَ مَجَنّـةٍ(٧) * وهل يَبْدُوَنْ لِى شـامَةٌ وطَفِيلُ(٨)

قالت عائشة : فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماسمعت منهم، فقلت : إنهم ليهْذُون، وما يعقلون من شدّة الحمى، فقال : " اللهم حَبِّب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة وأشدّ، و بارك لنا فى مُدّها وصاعها، وآنقل و باءها إلى مَهْيَعَة"؛ وهى الجحفة.

١٠ ذكر مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار

كان ذلك بعد مَقْدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ روى محمد بن سعد عن الزهرىّ وغيره قال : لمـا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض، وآخى بين المهاجرين والأنصار، آخى بينهم على الحقّ والمواساة، يتوارثون بعد الممات دون ذوى الأرحام، وكانوا تسعين رجلا؛ خمسة

١٥ (١) الحتف : الهلاك . (٢) الروق : القرن . (٣) عقيرته : صوته .
(٤) فج : موضع خارج مكة فيه ماء آغتسل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم .
(٥) الإذخر : من نبات مكة طيب الرائحة . (٦) الجليل : هو الثمام .
(٧) مجنة، بكسر الميم و بفتحها وهو الأكثر : موضـع أسفل مكة على أميال ، كانت تقام فيها سوق للعرب .
٢٠ (٨) شامة وطفيل : قيل هما جبلان بنواحى مكة، وقيل هما عينان .

وأربعون من المهاجرين، وخمسة وأربعون من الأنصار، قال ويقال: مائة؛ خمسون من المهاجرين، وخمسون من الأنصار، فلما كانت وقعة بَدْر وأنزل الله تعالى: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١). فنسخت هذه الآية ما كان قبلها، وآنقطعت المؤاخاة فى الميراث.

ذكر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أمر بكتبه بين المهاجرين والأنصار، وموادعة يهود، وإقرارهم على دينهم، وما آشترطه فيه عليهم ولهم

٥

كان مضمون الكتاب على ما أورده آبن هشام عن آبن إسحاق: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبيّ [صلى الله عليه وسلم] (٢) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويَثْرب، ومن تبعهم ولَحِق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على رِبَعَتِهم (٣) يتعاقلون بَيْنَهم، وهم يَفْدُون عانِيَهم (٤) بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوف على رِبَعَتِهم يتعاقلون معاقلهم الأولى (٥)، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الحارث على رِبعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تَفْدى عانِيَها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعِدة على ربعتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى عانيها

١٠

١٢٣ / ١٤

١٥

---

(١) سورة الأنفال ٧٥ (٢) الزيادة من آبن هشام. (٣) ربعة كعنبة: حالة حسنة أو أمرهم الذى كانوا عليه، وفى النهاية: «إنهم أمة واحدة على رباعتهم، يقال: القوم على رباعتهم ورباعهم أى على آستقامتهم، يريد أنهم على أمرهم الذى كانوا عليه». وقوله: يتعاقلون: العقل الدية التى تجب على العاقلة، وهى دية الخطأ، والعاقلة: عصبة القاتل. (٤) العانى: الأسير.

(٥) معاقلهم الأولى: أى يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها، والمعاقل الديات.

٢٠

بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جُشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النّجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، [وبنو النَّبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين] (١) وبنو الأَوْس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحا (٢) بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فِداء أو عَقْل ، وإنه لا يُحالِف (٣) مؤمنٌ مولَى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بَغَى منهم ، أو ابتغى دسيعة (٤) ظلم ، أو إثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ؛ وإن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمنٌ مؤمنا فى كافر ، ولا يَنْصر كافرا على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة يُجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم مَوَالى بعض دون الناس ، وإنه مَن [تَبِعنا من] (٥) يهود فإن له النصر والأُسْوَة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وإن سِلْم (٦) المؤمنين واحدةٌ ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله عزّ وجل إلا على سَواء وعدل بينهم ، وإن كل غازية غَزَت معنا يُعْقِب بعضها بعضا ، وإن المؤمنين يُبِيء (٧) بعضهم عن بعض ؛ بما نال دماءهم فى سبيل الله عزّ وجل ،

(١) زيادة عن ابن هشام ٢ : ١٤٨ (٢) المفرح : المثقل بالدين والكثير العيال ؛ وفى الأصل : «مفدحا» . وما أثبتناه عن ابن هشام . (٣) ولا يحالف : المحالفة : المؤاخاة والمعاقدة . (٤) الدسيعة : العطية ؛ أى طلب أن يدفعوا له عطية على سبيل الظلم .

(٥) الزيادة من ابن هشام ؛ وفى الأصل : «وأنه من تهود فإن له النصر» . وهذا خطأ .

(٦) السلم بالكسر ويفتح : الصلح يذكر ويؤنث .

(٧) يبىء ، هو من البواء : أى المساواة .

و إن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، و إنه لا يُجير مشركٌ مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن ، و إن من آعْتَبط[1] مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قَوَدٌ به ، إلا أن يرضى ولىُّ المقتول ، و إن المؤمنين عليه كافّةٌ ، ولا يحل لهم [إلا][2] القيام عليه ، وأنه لا يحل لمؤمن أقرّ بما فى هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحْدِثا ولا يؤويه ، و إن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ ، و إنكم مهما آختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله و إلى محمد [صلى الله عليه وسلم][2] و إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، و إن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظَلَم وأَثِم فإنه لا يُوتِغ[3] إلا نفسه وأهل بيته ، و إن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف ، و إن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، [و إن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ، و إن ليهود بنى جُشَم مثل ماليهود بنى عوف][2] ، و إن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، و إن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف ، إلا من ظَلَم وأَثِم ، فإنه لا يُوتِغ إلا نفسه وأهل بيته ، و إن جَفْنة بطن من بنى ثعلبة [كأنفسهم][2] و إن لبنى الشُّطَيْبة مثل ماليهود بنى عوف ، و إن البرّ دون الإثم ، و إن موالى ثعلبة كأنفسهم ، و إن بِطانة[4] يهود كأنفسهم ، و إنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، و إنه لا يُنْحَجز على ثأرِ جُرْح ، و إنه من قَتَل فبنفسه [فتَك ، وأهل بيته][2] إلا من ظلم ، و إن الله على أبرّ هذا[5] ، و إن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، و إن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، [و إن بينهم النصح والنصيحة ، والبرّ دون الإثم ، و إنه لم يأثم آمرؤ

---

(١) آعتبط : قتل بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله ، والقود بفتحتين : القصاص . وفى الأصل : « قوديد » ، وهو تصحيف ، وما أثبتناه عن آبن هشام .

(٢) الزيادة من آبن هشام .

(٣) يوتغ : يهلك .

(٤) بطانة الرجل : خاصته وأهل بيته .

(٥) على أبر هذا : أي على الرضا به .

بحليفه ، وإن النصر للظلوم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ،
وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة[1]] ، وإن الجار كالنفس غير
مُضارّ ولا آثم ، وإنه لا تُجار حُرمةٌ إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه
الصحيفة من حدث أو آشتجار يخاف فساده فإن مردّه إلى الله وإلى محمد رسول
٥ الله ، وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبرّه ، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها ،
وإن بينهم النصر على من دَهِم يثربَ ، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه ،
فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ،
إلا من حارب فى الدين ، على كل أُناس[2] حِصّتهم من جانبهم الذى قِبَلهم ، وإن
يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البرّ المحْض
١٠ من أهل هذه الصحيفة — ويقال مع البر المحسن — وإن البِرّ دون الإثم ، لا يكسب
كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبَرّه ، وإنه
لا يحول هذا الكتاب دون ظالم ولا آثم ، وإنه من خرج آمِنٌ ، ومن قعد آمِنٌ
بالمدينة إلا من ظَلَم وأَثِم ، وإن الله جارٌ لمن بَرّ وآتّقى ومحمد رسول الله ” .

١٢٤ / ١٤

ذكر أخبار المنافقين من الأوس والخزرج وما أُنزل فيهم من القرآن

١٥

وقد رأيت أن أجمع ما فرقه أهل السير من أخبار المنافقين ، وأضم بعضه
إلى بعض ، وأورده جملة واحدة ، فإن ذلك لم يكن فى وقت واحد ولا فى سنة
بعينها ، بل أورده أهل السير بحسب ما وقع ، وفرقوه فى الغزوات وغيرها ، فآثرت
جمعه فى هذا الموضع ، وما كان قد وقع فى غزاة أو حادثة نبهت عليه فى موضعه
٢٠ على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى .

(١) الزيادة عن آبن هشام . (٢) فى الأصل : « إنسان » والمثبت عن ابن هشام .

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : كان رجال من الأوس والخزرج ممن أسلم وهو على جاهليته، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعثة، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره، وآجتماع قومهم عليه، فظهروا بالإسلام، وآتخذوه جُنَّة من القتل، ونافقوا فى السِّر، وكان هواهم مع يهود ؛ لتكذيبهم و جحودهم الإسلام ، فكان منهم من الأوس من بنى عمرو بن عوف، ثم من بنى لَوْذان بن عمرو بن عوف : زُوَىّ بن الحارث ، ومن بنى حُبَيْب بن عمرو : جُلَاس بن سُوَيْد بن صامت ، وأخوه الحارث بن سويد ، قال : وجُلَاس هو الذى قال عند تخلفه عن غزوة تبوك : لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شرّ من الحمير ، فرفع ذلك من قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمَيْر بن سعد ، وكان فى حجر جُلَاس خَلَف على أمه بعد أبيه، فلما تكلم جُلَاس بهذا قال له عمير : والله ياجلاس، إنك لأحبّ الناس إلىّ، وأحسنهم عندى يدا، وأعزّهم علىّ أن يصيبه شىء يكرهه، ولقد قلتَ مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحنّك، ولئن صمتُّ عليها ليهلكن دينى، ولإحداهما أيسر علىّ من الأخرى، ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ما قال، فحلف جلاس لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالله لقد كذب علىّ عمير، وما قلت ما قال، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى الأَرْضِ مِنْ وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [1] ، قال آبن إسحاق : فزعموا أنه تاب فحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام والخير . والله أعلم بالصواب .

(١) سورة التوبة ٧٤ .

وأما أخوه الحارث بن سُوَيد فإنه قتل المجذَّر بن ذيادٍ البَلَوِىّ فى يوم أُحُد ولحق بقريش ، وكان المجذَّر قتل سُوَيد بن صامِت فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج ، فلما كان يوم أحد قتله بأبيه . قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقتله إن هو ظفِر به ففاته ، وكان بمكة ثم بعث إلى أخيه جُلَاس يطلب التوبة ليرجع إلى قومه ، فأنزل الله فيه — فيما حُكِى عن ابن عباس رضى الله عنهما : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) إلى آخر القصة . وكان من المنافقين من بنى ضُبيعة ابن يزيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بِجَاد بن عثمان بن عامر . ونَبْتَل ابن الحارث ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى : "من أحبّ أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث" ، وكان رجلا جسيما أَدْلَمَ (٢) ، ثائر شعر الرأس ، أحمر العينين ، أَسْفَع (٣) الخدّين ، وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتحدث إليه ويسمع منه ، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين ، وهو الذى قال : إنما محمد أُذُنٌ ، من حدثه شيئا صدقه . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤) ، وأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم به و بصفته فيما حكاه ابن إسحاق . وأبو حَبِيبة بن الأزْعَر ، وكان ممن بنى مسجد الضِّرار . وثعلبة بن حاطب ، ومُعَتِّب بن قُشَيْر ، وهما اللذان عاهدا الله ﴿ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٥) ، ومُعَتِّب هو الذى

(١) سورة آل عمران ٨٦ (٢) الأدلم : الأسود الطويل . (٣) السفع : اسوداد مشرب بحمرة . (٤) سورة التوبة : ٦١ (٥) سورة التوبة : ٧٥

قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ها هنا ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله : ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾[1] إلى آخر القصة . وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط ، فأنزل الله فيه : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[2] . والحارث بن حاطب — وقال ابن هشام : ثعلبة والحارث ابنا حاطب ، هما من بنى أمية بن زيد من أهل بدر ، وليسا من المنافقين — والله أعلم . ومنهم عبّاد بن حُنَيف أخو سهل ، وبَحْزَج ؛ وهو ممن بنى مسجد الضِّرار ، وعمرو بن خِذَام ، وعبد الله بن نَبْتَل ، وجارية بن عامر ابن العَطّاف وابناه زيد ومُجَمِّع ؛ وهم ممن بنى مسجد الضِّرار . وكان مُجَمِّع غلاما حَدَثا قد جمع من القرآن أكثره ، فكان يصلى بهم فيه ، فلما كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كُلِّم عمر فى مُجَمِّع ليصلى ببنى عمرو بن عوف فى مسجدهم ، فقال عمر : لا ، أو ليس بإمام المنافقين فى مسجد الضِّرار ! فقال : يا أمير المؤمنين والله الذى لا إله إلا هو ما علمت بشيء من أمرهم إلا على أحسن ما ذكروا ؛ فزعموا أن عمر تركه يصلى بقومه . ومن بنى أمية بن زيد بن مالك وديعة بن ثابت وهو ممن بنى مسجد الضِّرار ، وهو الذى قال : إنما كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله فيه وفيمن قال بقوله : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾[3] إلى آخر القصة .

ومن بنى عُبَيْد بن زيد بن مالك خِذام بن خالد ، وهو الذى أخرج مسجدَ الضِّرار من داره ، وبِشْر ورافع ابنا زيد . ومن بنى النَّبِيت مِرْبَع بن قَيْظِىّ وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز حائطه ، ورسول الله

(١) سورة آل عمران : ١٥٤ . (٢) سورة الأحزاب : ١٢ (٣) سورة التوبة ٦٥ .

صلى الله عليه وسلم عامدٌ إلى أُحُد : لا أُحِلّ لك يا محمد إن كنت نَبِيًّا أن تمرّ بحائطى ، وأخذ فى يده حَفْنــة من تراب ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بهــذا التراب غيرك لرميتك به ؛ فابتــدره القوم ليقتلوه، فقال رســول الله صلى الله عليه وسلم : "دعوه، فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصيرة"، وضربه سعد بن زيد بالقوس فشجّه؛ وأخوه أَوْس بن قَيْظِىّ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق : إن بيوتنا عَوْرَةٌ، فأْذَنْ لنا أن نرجع إليها، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ يَقُولُونَ إِنّ بُيُوتَنَـا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[1] . ومن بنى ظَفَر ــ واسم ظفر كعب ــ حاطب بن أمية بن رافع، وبُشَيْر بن أُبَيْرِق، وهو أبو طُعْمَة سارق الدِّرْعَيْن الذى أنزل الله فيه : ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾[2] . وقُزْمَان حليفٌ لهم . قال ابن إسحاق بسنده : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : "إنه لمن أهل النار"، فلما كان يوم أُحُد قاتل قتالا شديدا حتى قتل تسعة من المشركين، وأثبتته الجراحة، فحمل إلى دار بنى ظَفَر، فقال له رجال من المسلمين : أَبْشِر يا قُزْمَانُ، فقد أَبْلَيْت اليوم، وقد أصابك ما ترى فى الله، قال : بمـاذا أُبَشَّر، والله ما قاتلت إلا حميّة عن قومى، فلما اشتدّت به جراحه أخذ سهما من كنانته، فقطع به رَوَاهِش يده فقتل نفسه . قال ابن إسحاق : ولم يكن فى بنى عبد الأشْهَل منافقٌ ولا منافقة إلا أن الضحاك بن ثابت أحد بنى كعب رهط ســعد بن زيد قد كان يُتَّهَم بالنفاق وحُبِّ يهود . قال ابن إسحاق : وكان جُلَاس ابن سُوَيْد قبل توبته، ومعتب بن قُشَيْر، ورافع بن زيد، وبِشْرٌ، هم الذين دعاهم رجالٌ من قومهم من المسلمين فى خصومة كانت بينهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعوهم إلى حُكّام الجاهلية فأنزل الله فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ يَزْعُمُونَ

١٢٦
ـــ
١٤

(١) سورة الأحزاب ١٣ . (٢) سورة النساء ١٠٧

أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا[1] ﴾ إلى آخر القصة . فهؤلاء الذين ذكرناهم من الأوس .

ومن الخزرج من بنى النجار رافع بن وَدِيعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو ابن قيس ، وقيس بن عمرو بن سهل . ومن بنى جُشَم بن الخزرج الجَدّ بن قيس ، وهو الذى يقول : يا محمد ائذن لى ولا تَفْتِنِّى ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ٱئْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ[2] ﴾ ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال له وهو فى جهازه إلى تبوك : "يا جَدّ ، هل لك العامَ فى جلاد بنى الأصفر" ؟ قال : يا رسول الله ، أو تأذن لى ولا تَفْتِنِّى ؟ فوالله لقد عرف قومى أنه ما من رجل أشد عجبا بالنساء منى ، و إنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر ألا أصبر . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : "أذنت لك" ، فأنزل الله تعالى فيه ما أنزل . ومن بنى عوف بن الخزرج عبد الله بن أبىّ بن سَلُول ، وكان رأس المنافقين وكانوا يجتمعون إليه . قال محمد بن إسحاق : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وسيد أهلها عبد الله بن أُبىّ بن سَلُول ، لا يختلف عليه فى شرفه من قومه آثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين — حتى جاء الإسلام — غيره ؛ قال : ومعه رجل من الأوس هو فى قومه شريف مطاع ، وهو أبو عامر عبد الله ابن عمرو بن صَيْفِىّ بن النعمان ، أحد بنى ضُبَيْعة بن زيد ، وهو أخو حنظلة الغَسيل[3] وكان قد ترهّب فى الجاهلية ولبس المُسُوح ، وكان يقال له : الراهب ، فشقيا بشرفهما .

(١) سورة النساء ٦٠ (٢) سورة التوبة ٤٩

(٣) سمى الغسيل لأن الملائكة غسلته ؛ وذلك أنه خرج جنبا حين سمع الصيحة يوم أحد فمات وهو يقاتل فى سبيل الله ، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الملائكة لتغسله .

فأما عبد الله بن أُبَىّ فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوّجوه ثم يملّكوه عليهم ، فجاءهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك ، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضَغِن ، ورأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه مُلْكا ، فلما رأى قومَه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارها مُصِرًّا على نفاق . وقد روى عن [أسامة ابن زيد](١) بن حارثة قال : ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عُبادة يعوده من شكوى أصابته ، على حمار عليه إكَافٌ فوقه قَطِيفة فَدَكِية مختطمة بحبل من ليف ، وأردفنى صلى الله عليه وسلم خلفه ، قال : فمر بعبد الله بن أبىّ بن سلول ، وهو فى ظلّ مُزاحِمٍ أُطُمِه(٢) ، وحوله رجال من قومه ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تَذَمَّم(٣) من أن يجاوزه حتى ينزل ، فنزل فسلّم ثم جلس فتلا القرآن ، ودعا إلى الله عزّ وجلّ ، وذَكّر بالله وحَذّر وبشّر وأنذَر ، قال : وهو زامّ(٤) لا يتكلم ، حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالته ، قال : ياهذا ، إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقّا ، فاجلس فى بيتك فمن جاءك له فحدّثه إياه ، ومن لم يأتك فلا تَغْشَه به ، ولا تأته فى مجلسه بما يكره منه . فقال عبد الله بن رَوَاحة فى رجال كانوا عنده من المسلمين : بلى فاغْشنا به وأتنا فى مجالسنا ودورنا وبيوتنا ، فهو والله مانحبّ ، وما أكرمنا الله به وهدانا له ، فقال عبد الله حين رأى من خلاف قومه ما رأى :

متى ما يَكُنْ مولاكَ خَصْمك لم تزَلْ * تَـذِلّ ويَصْرَعْك الذين تُصارِعُ

وهل يَنْهَضُ البازِى بغير جَناحه * وإنْ جُذّ يومًا ريشُه فهو واقعُ

قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على سعد بن عُبادة وفى وجهه ما قال عدوّالله ، فقال سعد : والله يارسول الله ، إنى لأرى فى وجهك شيئا ، لكأنك

---

(١) الزيادة من ابن هشام .
(٢) مزاحم : اسم الأطم . والأطم : الحصن .
(٣) تذمم : استنكف .
(٤) زام : رافع رأسه لا يقبل عليه كبرا .

سمعت شيئا تكرهه . قال: "أجل"، ثم أخبره بما قال آبن أُبَى، فقال: يارسول الله آرفُق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، و إنا لننظم له الخَرَز لنتَوّجه، فإنه ليرى أنك قد سلبته ملكا. وكانت مقالة عبد الله بن أبى هذه قبل تلفظه بالإسلام، وسنورد إن شاء الله تعالى من أخباره فى الغزوات ، وآنحيازه عن المسلمين بثُلُث الناس يوم أُحُد ، وما قاله فى غزوة المرَيْسِيع وغيرها ما تقف عليه فى مواضعه ، مما تستدل به على صحة نفاقه، و إصراره فى الباطن على كفره . وأما أبو عامر فإنه أبى إلا الإصرار على كفره ، وفارق قومه حين آجتمعوا على الإسلام، فخرج إلى مكة ببضعة عشر رجلا ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ، وهو أوّل من أنشب الحرب يوم أُحُد على ما نذكره إن شاء الله تعالى . قال: وكان أبو عامر قد أتى النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فقال : ماهذا الذى جئت به ؟ قال : "جئت بالحنيفية دين إبراهيم"، قال : فأنا عليها، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنك لست عليها"، قال : بلى، إنك أدخلت يامحمد فى الحنيفية ماليس منها، قال : "ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية"، قال : الكاذب أماته الله طريدا غريبا وحيدا — يُعَرِّض برسول الله صلى الله عليه وسلم : أى إنك ما جئت بها كذلك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أَجَلْ ، فمن كذب يفعل الله به ذلك"، فكان هو ذاك، خرج إلى مكة، فلما آفتتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام، فمات به طريدا غريبا وحيدا .

ومن المنافقين من أحبار يهود

ممن تعوّذ بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق : سعد آبن حُنَيْف ، وزيد بن اللُّصَيْت ، ونُعمان بن أَوْفَى[1] ، وعثمان بن أبى أوفى . وزيد

(١) سيأتى للؤلف أنه آبن أبى أوفى .

آبن اللُّصَيْت هو الذى قاتل عمر بن الخطاب بسوق بنى قَيْنُقاع، وهو الذى قال حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء، ولا يدرى أين ناقته ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — وجاءه الخبر بما قال ودلّه الله عليها — : "إن فلانا قال : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدرى أين ناقته، وإنى والله لا آتيكم إلا ماعلمنى الله، وقد دلنى الله عليها، وهى فى هذا الشِّعْب، قد حبستها شجرة بزمامها"، فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما وصف . ومنهم رافع بن حُرَيْمِلة وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات : "قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين" . ورفاعة [بن زيد][1] بن التابوت، وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبت ريح وهو قافل من غزوة بنى المصطلق وآشتدّت، حتى أشفق منها المسلمون : "لا تخافوا، فإنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار"، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وجد رفاعة بن زيد مات ذلك اليومَ الذى هبت فيه الريح . وسِلْسِلَة بن بِرْهَام، وكِنَانة بن صُوريا .

وكان هؤلاء يحضرون المسجد يسمعون أحاديث المسلمين، ويسخرون منهم، ويستهزئون بدينهم . قال آبن إسحاق : فآجتمع يوما منهم فى المسجد ناس، فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدّثون بينهم بأقصى أصواتهم[2]، قد لصق بعضهم ببعض، فأمر بهم فأخرجوا من المسجد إخراجا عنيفا؛ فقام أبو أيوب خالد بن زيد إلى عمرو بن قيس احد بنى النجار — وكان صاحب آلهتهم فى الجاهلية — فأخذ برجله يسحبه حتى أخرجه من المسجد، وهو يقول : أتخرجنى يا أبا أيوب من مِرْبَد بنى ثعلبة ! ثم أقبل أبو أيوب أيضا إلى رافع بن وَدِيعَة أحد بنى النجار فلبّبه

(١) الزيادة من آبن هشام . (٢) فى آبن هشام : « خافضى أصواتهم » .

بردائه ، ثم نتره نترا شديدا[١] ، ولطم وجهه وأخرجه ، وهو يقول : أُفٍّ لك منافقا خبيثا ! أدراجَك[٢] يا منافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقام عُمارة ابن حَزْم إلى زيد بن عمرو — وكان رجلا طويل اللحية — فأخذ بلحيته فقاده بها قَوْدا عنيفا حتى أخرجه ، ثم جمع عُمارة يديه فلَدَمه[٣] بها فى صدره لدمة خَرّ منها ، فقال : خدَشْتَنى يا عُمارة ، قال : أبعدك الله يا منافق ، فما أعدّ الله لك من العذاب أشدّ من ذلك ، فلا تقربَن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقام أبو محمد مسعود ابن أَوْس من بنى النجار إلى قيس بن عمرو بن سهل ، وكان قيس غلاما شابا ولا يُعلم فى المنافقين شاب غيره ، فجعل يدفع فى قفاه حتى أخرجه . وقام عبد الله ابن الحارث من بَلْخُدْرة[٤] رهط أبى سعيد الخدرىّ إلى الحارث بن عمرو ، وكان ذا جُمّة ، فأخذ بجُمّته فسحبه بها سحبا عنيفا على ما مرّ به من الأرض حتى أخرجه ، فقال له : لقد أغلظت يابن الحارث ، فقال له : إنك أهل لذلك — أى عدوّ الله — لما أنزل فيك ، فلا تقربَنّ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنك نَجَس . وقام رجل من بنى عمرو بن عوف إلى أخيه زُوِىّ بن الحارث فأخرجه إخراجا عنيفا ، وأفّف[٥] منه ، وقال : غلب عليك الشيطانُ وأمرُه .

قال : فهؤلاء من حضر المسجد يومئذ من المنافقين ، وفى هؤلاء من المنافقين ، وفى أحبار يهود أنزل الله تعالى صدر سورة البقرة إلى المائة منها ، والله أعلم .

فالذى منها مما يختص بالمنافقين قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[٦] إلى قوله : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[٧] . وقوله :

(١) نتره : جذبه . (٢) أدراجك : أى ارجع من الطريق التى جئت منها .
(٣) اللدم : الضرب ببطن الكف . (٤) بلخدرة : يريد بنى الخدرة .
(٥) أفف منه : أى قال له أف . (٦) سورة البقرة ٨ (٧) سورة البقرة ١٥

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾[1] أى شك فزادهم الله شكا. وقوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[2] لأنهم كانوا يقولون : إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب . وقوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ أى من يهود ﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ أى على مثل ما أنتم عليه ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾[3] أى إنما نستهزئ بالقوم ونلعب بهم . ثم ضرب الله لهم مثلا فقال : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾[4] الآية ؛ أى يبصرون الحقّ ويقولون به، حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم ونفاقهم فيه، فتركهم الله فى ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى، ولا يستقيمون على حقّ . ثم قال تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[5] أى عن الخير، لا يرجعون إلى هدى . وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[6] الصَّيِّب : المطر . قال ابن إسحاق : أى هم من ظلمة ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل، على الذى هم عليه من الخلاف والتخوف لكم، على مثل ما وُصف، من الذى هو فى ظلمة الصَّيِّب، يجعل أصابعه فى أذنيه من الصواعق حَذَرَ الموت . ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ أى منزل ذلك بهم من النقمة . وقوله : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ أى لشدة ضوء الحقّ ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ أى يعرفون الحقّ ويتكلمون به، فهم من قولهم على استقامة، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا متحيرين . ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾[7] أى لما تركوا الحقّ بعد معرفته . والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) سورة البقرة ١٠ (٢) سورة البقرة ١٣ (٣) سورة البقرة ١٤
(٤) سورة البقرة ١٧ (٥) سورة البقرة ١٨ (٦) سورة البقرة ١٩
(٧) سورة البقرة ٢٠

وحيث ذكرنا ما ذكرنا من أخبار المنافقين ، فلنذكر أخبار يهود ، ونجمع ما تفرق منها على نحو ما تقدّم .

ذكر شيء من أخبار يهود الذين نصبوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل فيهم من القرآن

قال : لما أظهر الله تعالى دينه ، وآطْمأَنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، آجتمع إليه إخوانه من المهاجرين والأنصار ، وآستحكم أمر الإسلام ، نصبت أحبار يهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا ، مع تحققهم نبوته ، وصحة رسالته ، وأنه الذى نص الله تعالى عليه فى التوراة ؛ فكانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعنّتونه ، وهم من بنى النضير : حُيَىّ بن أخطب ، وأخواه أبو ياسر وحُدَىّ ، وسلام بن مِشْكَم ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيْق ، والربيع آبن الربيع بن أبى الحقيق ، وعمرو بن جِحَاش ، وكعب بن الأشرف ، والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف ، وكَرْدَم بن قيس حليفه أيضا . ومن بنى ثعلبة بن الفِطْيَوْن[1] — ويقال فيه الفِطْيَوس — عبد الله بن صُورِيا الأعور ، وهو أعلم أهل زمانه بالحجاز بالتوراة ، وآبن صَلُوبا ، ومُخَيْرِيق ، وكان حبرهم . ومن بنى قَيْنُقاع : زيد بن الصُّلَيْت — ويقال فيه اللُّصَيْت — وسعد بن حُنَيف ، ومحمود بن سَيْحان ، وعُزَيْز آبن أبى عُزَيْز ، وعبد الله بن صَيْف — ويقال ابن ضَيف — وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفِنْحاص ، وأَشْيَع ، ونُعمان بن أَضا ، وبحرىّ بن عمرو ، وشاس ابن عدىّ بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونُعمان بن عمرو ، وسُكَيْن بن أبى سُكَيْن ، وعَدىّ بن زيد ، ونعمان بن أبى أوفى ، أبو أنس ، ومحمود بن دحْية ، ومالك بن صَيْف ، وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبى رافع ، وخالد ، وأزار بن

(١) الفطيون : كلمة عبرانية ، وهى عبارة عن كل من ولى أمر اليهود وملكهم .

أبى أزار — ويقال فيه : آزر بن أبى آزر — ورافع بن حارثة، ورافع بن خارجة، ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد ، وعبد الله بن سَلَّام بن الحارث ؛ وكان حبرهم وأعلمهم ، وكان آسمه الحُصَيْن ، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

١٢٩/١٤ ٥ ومن بنى قريظة الزبير بن باطا بن وهب ، وعَزّال بن شَمْوَال ، وكعب ابن أسد . وشَمْوِيل بن زيد، وجبل بن عمرو، والنّحام بن زيد، وقَرْدَم بن كعب ، ووهب بن زيد ، ونافع بن أبى نافع ، وأبو نافع ، وعدىّ بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكَرْدَم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن رُمَيْلة ، وجبل بن أبى قُشَيْر ، ووهب بن يهوذا .

١٠ ومن يهود بنى زُرَيْق لَبيد بن أعْصَم الساحر . ومن يهود بنى الحارثة : كنانة ابن صُوريا . ومن يهود بنى عمرو بن عوف قَرْدَم بن عمرو . ومن يهود بنى النجار : سِلسِلة بن بَرْهام ؛ هؤلاء أحبار يهود، وأهل العداوة لله تعالى ولرسوله ، لم يستثن منهم إلا عبد الله بن سَلَام ومُخَيْرِيق، فإنهما أسلما . والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع .

ذكر إسلام عبد الله بن سلام(١)، ومخيريق

١٥ أمّا عبد الله بن سلام فإنه كان عالما حبرا من أحبار يهود ؛ حكى محمد بن إسحاق عن خبر إسلامه رواية عن بعض أهله عنه قال : لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته و إسلامه وزمانه الذى كنا نتَوَكّف(٢) له ، فكنت مُسِرًّا لذلك صامتا عليه ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ،

(١) يلاحظ أنه لا يوجد من آسمه سلام بالتخفيف فى المسلمين، سلام بالتخفيف فى اليهود . راجع
٢٠ (الروض الأنف ٢ : ٢٥) .
(٢) نتوكف له : أى ننتظر وقوعه .

فلما نزل بقُباء فى بنى عمرو بن عوف أقبل رجلٌ حتى أخبر بقدومه، وأنا على رأس نَخْلةٍ أعمل فيها، وعمتى خلدة[1] بنت الحارث تحتى جالسةً، فلما سمعتُ الخبر كَبّرْتُ؛ فقالت عمتى حين سمعت تكبيرى: خيبك الله! والله لو كنتَ سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدتَ. قال: قلت لها: أى عمة، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بُعث بما بُعث به؛ قالت: أى ٱبن أخى، هذا النبى الذى كنا نخبر به أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قلتُ نعم؛ قالت: فذاك إذاً؛ قال: ثم خرجتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمتُ؛ فلما رجعت إلى أهل بيتى فأمرتهم فأسلموا، وكتمت إسلامى من يهود، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إنّ يهود قوم بُهْتٌ[2]، وإنى أحبّ أن تدخلنى بعض بيوتك فتغيّبنى عنهم، ثم تسألهم عنى حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامى، فإنهم إن علموا به بهتونى؛ قال: فأدخلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض بيوته، ودخلوا عليه فكلموه وساءلوه ثم قال لهم: "أىّ رجل الحصين بن سَلَام فيكم"؟ فقالوا: سيدنا وٱبن سيدنا وعالمنا؛ فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود، ٱتقوا الله وٱقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة بٱسمه وصفته، فإنى أشهد أنه رسول الله، وأومن به، وأصدقه وأعرفه؛ فقالوا: كذبت، ثم وقعوا بى، فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بُهْت، أهل غدر وكذب وفجور؛؟ قال: وأظهرت إسلامى وإسلام أهل بيتى، وأسلمت عمتى خلدة بنت الحارث فحسن إسلامها.

(١) ويقال: «خالدة». (٢) بهت: جمع بهوت، والبهوت: المباهت مبالغة فى ٱسم الفاعل، من البهتان وهو الكذب (راجع نهاية ابن الأثير).

وأمّا مُخَيْرِيق — قال ابن إسحاق : كان حبرا عالما، وكان غنيا كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته وما يجد فى علمه، وغلب عليه إلْفُ دينه، فلم يزل على ذلك، حتى إذا كان يوم أُحُد وهو يوم السبت، قال : يا معشر يهود، والله إنكم لتعلمون أنّ نصر محمد عليكم لحقّ؛ قالوا : إنّ اليوم يوم السبت، قال : لا سَبت لكم، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأُحُد، وعهد إلى مَن وراءه من قومه : إن قتلت فى هذا اليوم فأموالى لمحمد يصنع فيها ما أراه الله؛ فلما اقتتل الناس قاتل حتى قُتِل، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى يقول : "مُخَيْرِيق خير يهود"، وقَبَض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله، فعامّة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها .

* * *

قال : وكان مما أنزل الله تعالى فى أمر اليهود صدرا من سورة البقرة، من ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١) أى إنهم قد كفروا بما عندك من ذكرٍ لهم، وجحدوا ما أُخذ عليهم من الميثاق لك، فقد كفروا بما جاءك، وبما عندهم مما جاءهم به غيرك، فكيف يستمعون منك إنذارا أو تحذيرا !

وقوله : ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ أى عن الهدى لن يصيبوه أبدا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢) أى بما هم عليه من خلافك .

وقوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ . وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ . وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ

(١) سورة البقرة ٦ (٢) سورة البقرة ٧

وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [1] ﴾ ، أى لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به ، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم .

ثم قال الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [2] ﴾ أى تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من التوراة ، وتتركون أنفسكم ، وأنتم تكفرون بما فيها من عهدى إليكم فى تصديق رسولى ، وتنقضون ميثاقى ، وتجحدون ما تعلمون من كتابى . [ثم] [3] عدّد عليهم أحداثهم فيما سلف ، فذكر لهم العجل ، وقولهم لموسى : ﴿ أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً [4] ﴾ وصعقتهم عند ذلك ، ثم إحياء الله لهم وإظلالهم بالغمام ، وإنزاله عليهم المنّ والسلوى ، وقوله لهم : ﴿ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ [5] ﴾ أى قولوا ما آمركم به أحطّ به ذنوبكم عنكم ؛ وتبديلهم ذلك ، إلى ما ذكره الله تعالى من أخبارهم مع موسى .

ثم قال الله تعالى والخطاب لنبيه صلى الله عليه وسلم ولمن معه من المؤمنين : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [6] ﴾ قال الفريق الذى أخبر الله عنهم أنهم كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه ؛ وهم الذين قالوا لموسى صلى الله عليه وسلم : ياموسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية ربنا ، فأسمعنا كلامه حين يكلمك ، فطلب موسى ذلك من ربه لهم ، فقال تعالى : مرهم فليتطهّروا وليطهّروا ثيابهم ويصوموا ، ففعلوا ، ثم خرج بهم حتى أتى الطور ، فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سجودا وكلمه ربه ، فسمعوا كلامه يأمرهم وينهاهم ، حتى عقلوا ما سمعوا ، ثم انصرف بهم موسى إلى بنى إسرائيل ، فلما جاءهم حرّف فريق ممن سمع ما أمرهم به ، وقالوا

(١) سورة البقرة ٤٠ — ٤٢ (٢) سورة البقرة ٤٤ (٣) الزيادة من ابن هشام .
(٤) سورة النساء ١٥٣ (٥) سورة البقرة ٥٨ (٦) سورة البقرة ٧٥

حين قال موسى لبنى إسرائيل : إنّ الله قد أمركم بكذا وكذا، قال ذلك الفريق : إنما قال كذا وكذا خلافا لما قال الله تعالى لهم، فهم الذين عنى الله تعالى . ثم قال : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾(١) أى بصاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة . و إذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : لا تحدّثوا العرب بهذا ، فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(٢) أى تقرون بأنه نبىّ، وهو يخبرهم أنه النبىّ الذى كنا ننتظره ونجده فى كتابنا، آجحدوه فلا تُقرّوا لهم به، قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ . وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾(٣) أى إلا تلاوة ؛ والأمىّ هو الذى يقرأ ولا يكتب ، معناه أنهم لا يعلمون الكتاب فلا يدرون ما فيه، فهم يجحدون نبوّتك بالظن . وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٤) قال ابن عباس رضى الله عنهما : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول : إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، و إنما يعذّب الله تعالى الناس فى النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا فى النار من أيام الآخرة، و إنما هى سبعة أيام، ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله تعالى ذلك، ثم قال : ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ أى من عمل مثل أعمالكم ، وكفر بمثل ما كفرتم به، حتى يحيط كفره بما له من حسنة ﴿ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(٥) . ثم قال تعالى يذمّهم : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ

(١) سورة البقرة ١٤ (٢) سورة البقرة ٧٦ (٣) سورة البقرة ٧٧، ٧٨
(٤) سورة البقرة ٨٠ (٥) سورة البقرة ٨١ .

١٣١/١٤

بَنِى إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ[1] ﴾ أى تركتم ذلك كله . ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ[2] ﴾ . قال ابن إسحاق : أقررتم على أنّ هذا حقّ من ميثاق عليكم ، ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ[3] ﴾ ، أى أهل الشرك ، حتى يسفكوا دماءهم معهم ، ويُخرجوهم من ديارهم معهم ، ﴿ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ ﴾ وقد عرفتم أن ذلك عليكم فى دينكم ، ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ أى أتفادونهم مؤمنين بذلك وتخرجونهم كفارا بذلك ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ[4] ﴾ فأنبهم بذلك من فعلهم ، وقد حرّم عليهم فى التوراة سفك دمائهم ، وافترض عليهم فيها فداء أسرائهم فكانوا فريقين ، منهم بنو قَيْنُقاع ولَفُّهم[5] حلفاء الخزرج ، والنَّضير وقُريظة ، ولَفُّهم حلفاء الأوْس ، وكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قَيْنقاع مع الخزرج ، وخرجت بنو النَّضير وقُريظة مع الأوس يظاهر كلُّ واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم ، وبأيديهم

(١) سورة البقرة ٨٣ . (٢) سورة البقرة ٨٤ . (٣) سورة البقرة ٨٥
(٤) سورة البقرة ٨٥ ، ٨٦ (٥) لفهم ، أى من عدّ فيهم .

التوراة يعرفون منها ما عليهم ومالهم، والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان، لا يعرفون جنة ولا نارا، ولا بعثا ولا قيامة، ولا كتابا، ولا حلالا ولا حراما، فإذا وضعت الحرب [أوزارها] (١) افتدوا أساراهم تصديقا لما في التوراة وأخذا به، يفتدى بنو قَيْنُقاع ما كان من أسراهم فى أيدى الأوس، [و] (٢) يَفتدى بنو النَّضير وقُريظة ما كان فى أيدى الخزرج منهم، ويُطِلّون (٣) ما أصابوا من الدماء، وقتلى من قُتلوا منهم فيما بينهم، مظاهرة لأهل الشرك عليهم؛ يقول الله تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ (٤) ﴾ أى تفاديه بحكم التوراة وتقتله، وفى حكم التوراة: ألا تفعل : [تقتله] (٥)، وتخرجه من داره، وتظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان ابتغاء عَرَض الدنيا. ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ أى الآيات التى كانت له من إبراء الأكمه والأبرص وإحياءِ الموتى بإذن الله، والخبر بكثيرٍ من الغيوب مما يأكلون وما يدّخرون فى بيوتهم، ثم ذكر كفرهم بذلك كله، فقال : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٦) ﴾ ثم قال : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧) ﴾؛ وذلك أنهم كانوا يقولون للأنصار لما كانوا على جاهليتهم : إنّ نبيا يبعث الآن قد أظلّ زمانُه، نتبعه، فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرَم، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم اتبعه الأنصار

(١) تكملة من ابن هشام . (٢) تكلة عن ابن هشام .
(٣) فى الأصل : «ويطلبون»؛ والصواب ما أثبتناه عن ابن هشام . ويطلون هنا : يبطلون .
(٤) البقرة ٨٥ (٥) تكلة عن ابن هشام . (٦) البقرة ٨٧
(٧) البقرة ٨٨، ٨٩

وكفر به يهود، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾، ثم قال: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[1]، غضب الله عليهم فيما صنعوا من مخالفتهم حكم التوراة، وغضب عليهم بكفرهم بهذا النبيّ الذى أُرسل إليهم، ثم أنبهم برفع الطور، واتخاذ العجل إلها من دون الله؛ ثم قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[2] أى ادعوا بالموت على أىّ الفريقين أكذب، فأبوا ذلك، فأعلمهم أنهم لم يتمنوه فقال: ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾[3] أى بما عندهم من العلم بك والكفر بذلك، فيقال: لو تمنوه يومَ قال لهم ذلك ما بقى على الأرض يهودىّ إلا مات، ثم ذكر رغبتهم فى الحياة فقال: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾[4] أى ماهو بمُنْجيه؛ وذلك أنّ المشرك لا يرجو بعثا بعد الموت، فهو يحب طول الحياة، وأنّ اليهودىّ قد عرف ماله فى الآخرة من الخزى بما صنع فيما عنده من العلم. والله تعالى الهادى للصواب، وإليه المرجع والمآب.

ذكر سؤال أحبار يهود رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتراطهم على أنفسهم أنه إن أجابهم عما سألوه آمنوا به، ورجوعهم عن الشرط

١٣٢ / ١٤

وذلك أنّ نفرا من أحبار يهود جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن أربع نسألك عنهنّ، فإن فعلت اتبعناك وصدّقناك وآمنا بك؛ فقال: "عليكم بهذا عهد الله وميثاقه إن أخبرتكم بذلك لتصدقُنَّنى"؟ قالوا: نعم؛

(١) سورة البقرة ٩٠ (٢) سورة البقرة ٩٤ (٣) سورة البقرة ٩٥ (٤) سورة البقرة ٩٦

قال : «فآسألوا عما بدا لكم» قالوا : أخبرنا كيف يُشبه الولد أمّه، وإنما النطفة من الرجل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : «أَنْشُدُكم بالله وبأيّامه عند بنى إسرائيل هل تعرفون أن نطفـة الرجل بيضاء غليظة ، ونطفة المرأة صـفراء رقيقة فأيتهما علت صاحبتها كان لها الشبه» ؟ قالوا : اللهم نعم، قالوا : فأخبرنا كيف نومك ؟ قال : «أَنْشُدكم بالله وبأيّامه عند بنى إسرائيل، هل تعلمون أن نوم الذى تزعمون أنى لست به تنـام عينه وقلبه يقظان» ؟ [قالوا[1] : اللهـم نعم، قال : «فكذلك نومى، تنام عينى وقلبى يقظان»] قالوا : فأخبرنا عما حَرّم إسرائيل على نفسه ؟ قال : «أَنْشُدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل، هل تعلمون أنه كان أحبّ الطعامِ والشرابِ إليه ألبـان الإبل ولحومها ، وأنه آشتكى شكوى فعافاه الله منها ، فحرم على نفسه أحبّ الطعام والشرابِ إليـه شكرا لله تعالى ، فحرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها» ؟ قالوا : اللهم نعم؛ قالوا : فأخبرنا عن الرُّوح ؟ قال : «أَنْشُدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل، هل تعلمونه جبريل، وهو الذى يأتينى»؟ قالوا : اللهم نعم، ولكنه يا محمد، لنا عدوّ، وهو ملَك، إنما يأتى بالشدّة وبسفك الدماء، ولولا ذلك لآتبعناك ، فأنزل الله فيهم : ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ. مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ . وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ . أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ

(١) الزيادة من آبن هشام .

النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم لما ذكر سليمان فى المرسلين قال بعض أحبار يهود : ألا تعجبون من محمد ! يزعم أن سليمان بن داود كان نبيا، ووالله ما كان إلا ساحرا، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ أى باتباعهم السحر وعملهم به، ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ[1] ﴾، قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عِكرمة، عن ابن عباس أنه كان يقول : الذى حرم إسرائيل على نفسه : زائدتا الكبِد، والكُلْيتان، والشحم، إلا ما على الظَّهْـر، فإن ذلك كان يُقرّب للقربان فتأكله النـار . والله أعلم بالصواب .

ذكر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتبه إلى يهودِ خيبر

عن ابن عباس رضى الله عنهما : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بسم الله الرحمن الرحيم، مِن محمد رسـولِ الله صاحبِ موسى وأخيه، المصدِّق بما جاء به موسى، ألَا إنّ الله قد قال لكم : يامعشر أهلِ التوراة — و إنكم تجدون ذلك فى كتابكم : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِى الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا[2] ﴾، و إنّى أَنْشُدكم بالله، وأَنْشُدكم بما أُنزل عليكم، وأَنْشُدكم بالذى أطعم مَنْ كان قبلكم من أسباطكم المَنَّ والسَّلْوَى، وأَنْشُدكم بالذى أيبس البحر لآبائكم حتى

(١) سورة البقرة من ٩٧ — ١٠٢ (٢) سورة الفتح ٢٩

أنجاهم من فرعون وعمله إلا اخبرتمونا هل تجدون فيما أنزل عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كره عليكم؛ ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[1] فأدعوكم إلى الله و إلى نبيه ".

ذكر ما قاله أحبار يهود فى قوله تعالى : ﴿الٓمٓ﴾ ، و ﴿الٓمٓصٓ﴾ و ﴿الٓر﴾ ، و ﴿الٓمٓر﴾

حكى محمد بن إسحاق أنّ أبا ياسر[2] بن أخطب مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو: ﴿الٓمٓ . ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[3]، فأتى أخاه حُيَيّ بن أخطب فى رجالٍ من يهود، فقال : تعلّموا ، والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أُنزل عليه : ﴿الٓمٓ . ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾، فقالوا : أنت سمعته؟ قال: نعم، فمشى حُيَيّ فى أولئك النفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا : يامحمد، ألم تذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل عليك : ﴿الٓمٓ﴾؟ فقال : "بلى"، قالوا : أجاءك بها جبريل من عند الله؟ قال : "نعم"، فقالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ، ما نعلمه بيّن لنبيّ منهم ما مدّة ملكه ، وما أُكل أمته غيرك . فأقبل حُيَيّ بن أخطب على من معه، فقال لهم : الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون؛ فهذه إحدى وسبعون سنة، أفتدخلون فى دينٍ إنما مدّة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد، هل مع هذا غيره ؟ قال : "نعم" قال : ماذا ؟ قال : ﴿الٓمٓصٓ﴾ قال : فهذه أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون؛ والصاد تسعون، فهذه إحدى وستون ومائة[4]، هل مع هذا يامحمد غيره؟ قال: "نعم ﴿الٓر﴾". قال : هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه

(١) البقرة ٢٥٦ (٢) فى الأصل : «إياس» ؛ صوابه ما أثبتنا كما فى ابن هشام جـ ٢ : ١٩٤
(٣) البقرة آية ١ — ٢ (٤) فى الأصل « وثلاثون » وهو خطأ صوابه ما أثبتنا .

إحدى وثلاثون ومائتان ، هل مع هذا غيره يامحمد ؟ قال : " نعم ﴿ المر ﴾ " قال : هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة ، ثم قال : لقد لُبِّس علينا أمرك يامحمد حتى ما ندرى أقليلا أعطيت أم كثيرا ؟ ثم قاموا عنه ؛ فقال أبو ياسر لأخيه حُيَيّ ولمن معه من الأحبار : ما يُدريكم ، لعله قد جُمع هذا كله لمحمد ؛ سبعمائة وأربع [وثلاثون] [1] سنة ، قالوا : لقد تشابه علينا أمره ، فيقال : إن قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [2] نزلت فيهم ، وقيل : إنما نزلت فى وفد نَجْران ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر شيء من مقالات أحبارِ يهود ، وما أنزل من القرآن فى ذلك

كان من مقالاتهم ما قاله مالك بن الضَّيْف [3] حين بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم ما أُخذ عليهم من الميثاق ، وما عُهِد إليهم فيه ، فقال : والله ماعُهِد إلينا فى محمدٍ عهد ، وما أُخذ له علينا ميثاق ، فأنزل الله عز وجلّ فيه : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [4] . وقال ابن صَلُوبا الفِطْيونى [5] لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يامحمد ، ماجئتنا بشىء نعرفه ، وما أنزل عليك من آية بينة فنتبعك بها ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ [6] .

---

(١) فى الأصل : « وأربع سنين » والتصويب عن ابن هشام . (٢) آل عمران ٧

(٣) وفى ابن هشام : « الصيف » ؛ بالصاد المهملة ، وهما روايتان كما تقدّم . (٤) البقرة ١٠٠

(٥) قال فى الروض الأنف : « الفطيونى كلمة عبرانية ، وهى عبارة عن كل من ولى أمر اليهود وملكهم ، كالنجاشى لمن ملك الحبشة » . (٦) البقرة ٩٩

وقال رافع بن حُرَيْملة، ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يامحمد، آئتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، وفجِّر لنا أنهارا نتبعك ونصدّقك، فأنزل الله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١) قال: وكان حُيَيّ بن أخطب [وأخوه أبو ياسر بن أخطب] (٢) من أشدّ يهود للعرب حسدا؛ فكانا جاهدين ٥ في ردّ الناس عن الإسلام بما آستطاعا، فأنزل الله عزّ وجل فيهما: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣)

قال: ولما قدم أهل نَجْران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتتهم ١٣٤/١٤ أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رافع بن حُريملة: ١٠ ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى وبالإنجيل، فقال رجل من أهل نَجْران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوّة موسى، وكفر بالتوراة، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٤). وقال رافع لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يامحمد، ١٥ إن كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله يكلمنا تكليما حتى نسمع كلامه، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٥).

وقال عبد الله بن صُوريا الفِطيونيّ الأعور لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الهدى

٢٠ (١) سورة البقرة ١٠٨ (٢) هذه التكملة أثبتناها عن ابن هشام ج ٢: ١٩٧
(٣) سورة البقرة ١٠٩ (٤) سورة البقرة ١١٣ (٥) سورة البقرة ١١٨

إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يامحمد تهتد ؛ وقالت النصارى مثل ذلك ، فأنزل الله تعالى في أقوالهم : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] . وتكلموا عند صرف القبلة بما نذكره إن شاء الله في حوادث السنة الثانية .

قال : وسأل معاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وخارجة بن زيد، نفرا من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة ، فكتموهم إياه وأبوا أن يخبروهم ، فأنزل الله فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾[2] . ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود إلى الإسلام ورغّبهم فيه ، وحذّرهم عذاب الله ، فقال رافع بن خارجة ، ومالك بن عوف : بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلم منا ، وخيرا منا ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[3] .

قال : ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزاة بدر جمع يهود في سوق بني قَيْنُقاع، وقال لهم : " يامعشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشا " فقالوا : يا محمد ، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرا من قريش ، كانوا أغمارا[4] لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلنا ، فأنزل الله عزّ وجل في ذلك من قولهم : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا

(١) سورة البقرة من ١٣٥ — ١٤١ (٢) سورة البقرة ١٥٩ (٣) سورة البقرة ١٧٠

(٤) الأغمار، جمع غمر، مثلثة الغين : وهو الذي لم يجرب الأمور .

فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (١) ﴾ .

قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس (٢) على جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، فقال له النعمان بن عمرو ، والحارث بن زيد : وعلى أى دين [أنت] (٣) يا محمد ؟ قال : "على ملة إبراهيم ودينه" قالا : فإن إبراهيم كان يهوديا ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فهلم إلى التوراة فهى بيننا و بينكم" ، فأنزل الله فيهما : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٤) ﴾ . وقال أحبار يهود ونصارى نجران حين اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنازعوا ، فقال الأحبار : كان إبراهيم يهوديا ، وقالت النصارى : كان نصرانيا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٥) ﴾ . وقال عبد الله بن صيف (٦) ، وعدىّ بن زيد ، والحارث بن عوف ، بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غُدوة ، ونكفر به عشية ، حتى نلبس عليهم دينهم ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ

(١) سورة آل عمران ١٢ — ١٣

(٢) بيت المدراس : بيت لليهود يتدارسون فيه كتابهم .

(٣) الزيادة من ابن هشام .

(٤) سورة آل عمران ٢٣ ، ٢٤

(٥) سورة آل عمران من ٦٥ — ٦٨

(٦) قال ابن هشام : «ويقال ابن ضيف» .

تَعْلَمُونَ . وقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(١) . وقال أبو رافع القُرَظيّ حين آجتمعت الأحبار من يهود والنصارى من أهل نَجْران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد، تريد منا أن نعبدك كما يعبد النصارى عيسى بن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران يقال له الرئيس : أو ذاك تريد منا يا محمد، و إليه تدعونا ؟ أو كما قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "معاذ الله أن أعبد غير الله، أو آمر بعبادة غيره، مابذلك بعثني ولا أمرني" فأنزل الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ . وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾(٢)، والربانيون هم العلماء والفقهاء؛ ثم ذكر تعالى ما أخذ عليهم وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه إذا هو جاءهم، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ ﴾(٣) إلى آخر القصة . والله أعلم .

ذكر ما ألقاه شأس بن قيس اليهوديّ بين الأوس والخزرج من الفتنة، ورجوعهم إلى الله تعالى و إلى رسوله صلى الله عليه وسلم

قال محمد بن إسحاق : مرّ شأس بن قيس، وكان شيخا عظيمَ الكفر، شديد الضِّغْن على المسلمين، شديد الحسد لهم ، على نفرٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج ، قد آجتمعوا فى مجلس يتحدثون، فغاظه ماهم عليه

(١) سورة آل عمران من ٧١ — ٧٣ (٢) سورة آل عمران ٧٩، ٨٠
(٣) سورة آل عمران ٨١

من الألفة والجماعة وصلاح ذاتِ البيْن على الإسلام، بعد ما كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد آجتمع ملأ بني قَيْلة[١] بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا آجتمع ملؤهم بها من قرار؛ فأمر شابا من يهود كان معه أن يجلس معهم[٢]، ثم يذكر يوم بُعَاث[٣] وما كان قبله، وأن ينشدهم بعض ما كانوا قالوه من الأشعار يوم بُعاث، وهو يوم آقتتلت فيه الأوس والخزرج، فكان الظَّفر فيه للأوس، وكان عليهم يومئذ حُضَير بن سِماك الأشهليّ، أبو أسيد بن حُضَير، وعلى الخزرج عمرو ابن النعمان البَياضيّ، فقُتِلا جميعا، ففعل الشاب ذلك، فتكلم القوم، وتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب؛ أَوْس بن قَيْظِيّ الأوسيّ، وجَبّار بن صخر الخزرجيّ، فتقاولا، ثم قال أحدهما للآخر: إن شئتم رددناها الآن[٤] جَذَعَة؛ فغضب الفريقان جميعا، وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة، وهي الحَرّة، وقالوا: السلاحَ السلاحَ، وخرجوا إليها، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين، فقال: "يا معشر المسلمين، الله الله! أبِدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع عنكم به أمر الجاهلية، وآستنقذكم به من الكفر، وألّف به بينكم!" فعرف القوم أنها نَزْغة من الشيطان، وكيد من عدوّهم، فبكوا، وعانق بعضهم بعضا، ثم آنصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى في شأس بن قيس: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ واللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ . قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٥]

---

(١) قيلة: هي أم الأوس والخزرج.

(٢) في الأصل: «معه»، وصوبناه عن ابن هشام ج ٢ : ٢٠٤.

(٣) يوم بعاث: من أيام العرب؛ معروف. وسيأتي بعد.

(٤) رددناها الآن جذعة: أي رددنا الآخر إلى أوله.

(٥) سورة آل عمران ٩٨، ٩٩

وأنزل فى أوس بن قيظىّ وجبّار بن صخر، ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ . وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

١٣٦ / ١٤

ذكر ما تكلم به يهود فى شأن من أسلم منهم وما أنزل الله تعالى فى ذلك

قال[2] : لما أسلم عبد الله بن سَلَام، وثعلبة بن سَعْيَة، وأُسَيْد بن سَعْية، وأَسَد ابن عُبيد، ومن أسلم معهم من يهود وآمنوا وصدّقوا، قال أهل الكفر من أحبار يهود : ما آمن بمحمد واتّبعه إلا شِرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ . يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِى الخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[3]،

---

(١) سورة آل عمران ١٠٠ — ١٠٥ (٢) هو ابن إسحاق .

(٣) سورة آل عمران ١١٣ — ١١٤

قال : وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود ، لما كان بينهم من الجوار والحلف فى الجاهلية، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . هَأَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾، [أى تؤمنون بكتابكم و بما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم](١)، ﴿ وإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾(٢) ، قال : ودخل أبو بكر الصديق رضى الله عنه إلى بيت المِدْرَاس(٣) على يهود ، فوجد جماعة كثيرة منهم قد آجتمعوا إلى حِبْر من أحبارهم يقال له فِنْحاص ، ومعه حبر آخر يقال له أَشْيَع ، فقال أبو بكر لفِنْحاص : ويحك يا فنحاص ! آتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدا لرسول الله ، قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والإنجيل ، فقال لأبى بكر : والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، و إنا عنه لأغنياء ، وما هو عنا بغنى ، ولو كان عنا غنيا ما آستقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الرِّبا ويُعطيناه ، ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الرِّبا . فغضب أبو بكر وضرب وجه فِنْحاص ضربا شديدا

---

(١) التكملة من آبن هشام ج ٢ ص ٢٠٧

(٢) سورة آل عمران من ١١٨ — ١٢٠

(٣) انظر هامش رقم ٢ من صفحة ٣٧٧ من هذا السفر .

وقال : والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا و بينك لضربت عنقك ، أى عدوّ الله .
فذهب فِنْحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، آنظر ما صنع بى
صاحبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : "ما حملك على ماصنعت" ؟ .
فقال : يا رسول الله ، إنّ عدوّ الله قال قولا عظيما — وذكر قوله — فلما قال ذلك
غضبت لله وضربت وجهه ، فجحد فِنْحاص ذلك ، وقال : ما قلتُ [ذلك](1) ، ٥
فأنزل الله فى ذلك تصديقا لأبى بكر رضى الله عنه : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾(2) ، وأنزل الله تعالى فى أبى بكر وغضبه فى ذلك : ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا
فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾(3) . قال : وكان كَرْدَم بن قيس ، وأسامة بن حبيب ١٠
ونافع بن أبى نافع ، وبَحْرِىّ بن عمرو ، وحُيَىّ بن أخطب ، ورفاعة بن زيد بن
التابُوت ، يأتون رجالا من الأنصار يتنصحون لهم فيقولون : لا تُنفقوا أموالكم ،
فإنا نخشى عليكم الفقر فى ذهابها ، ولا تسارعوا فى النفقة ، فإنكم لا تدرون علامَ يكون ،
فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ
مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أى من التوراة التى فيها تصديق ما جاء به رسول الله صلى الله عليه ١٥
وسلم ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا . وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ
وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا . وَمَاذَا عَلَيْهِمْ
لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾(4) قال : وكان
رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود ، إذا تكلّم(5) رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٣٧/١٤

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) سورة آل عمران ١٨١ (٣) سورة آل عمران ١٨٦ ٢٠
(٤) سورة النساء ٣٧ — ٣٩ (٥) كذا فى الأصل ، وفى ابن هشام : « كلم رسول الله » .

لَوَى لسانه وقال : أرعنا سمعك يا محمد حتى نُفْهمك ، ثم طعن فى الإسلام وعابه ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا . مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] . قال : وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار يهود ، منهم عبد الله بن صُوريا الأعور ، وكعب ابن أسد ، فقال : "يامعشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فوالله إنكم لتعلمون أنّ الذى جئتكم به لحقّ" ، قالوا : ما نعرف ذلك يا محمد ، وأصرّوا على الكفر ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[2] . قال : وقال سُكَين ، وعدىّ بن زيد : يا محمد ، ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شىء بعد موسى ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا . وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا . رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[3] . ودخلت طائفة منهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : "أما والله إنكم لتعلمون أنى [رسول من الله إليكم][4]" ! قالوا : ما نعلمه : وما نشهد عليه ، فأنزل الله تعالى فى ذلك قوله تعالى :

(١) سورة النساء من ٤٤ — ٤٦
(٢) سورة النساء ٤٧
(٣) سورة النساء ١٦٣ — ١٦٥
(٤) الزيادة من ابن هشام .

﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (١) .

وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أَضَا ، وبَحْرِىّ بن عمرو ، وشأس ابن عدىّ (٢) ، فكلّموه وكلّمهم ، ودعاهم إلى الله وحذّرهم نِقمته ، فقالوا : ما تُخوّفنا يا محمد ، نحن والله أبناء الله وأحباؤه ، كقول النصارى ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٣) . قال : ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود إلى الإسلام ، ورغّبهم فيه ، وحذّرهم عقوبة الله ، فأبوا وكفروا وجحدوا ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وسعد ابن عُبادة ، وعقبة بن وهب : يا معشر يهود ، اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه ، وتصفونه بصفته ، فقال رافع ابن حُريملة ، ووهب بن يهود : ما قلنا هذا لكم ، وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤) .

ذكر قصة الرَّجْم

رُوى عن أبى هُريرة رضى الله عنه أنه قال : إن أحبار يهود اجتمعوا فى بيت المِدْرَاس (٥) حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد زنى رجل بينهم بعد إحصانه بامرأةٍ من يهود قد أحصنت ، فقالوا : ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد ، فاسألوه كيف الحُكْم فيهما ، وولّوه الحُكْم عليهما ، فإن عمل فيهما

(١) سورة النساء ١٦٦ (٢) فى الأصل : «على» والتصويب عن ابن هشام ج ٢ : ٢١٢

(٣) سورة المائدة ١٨ (٤) سورة المائدة ١٩ (٥) فى ابن هشام : « منهم » .

بعملكم من التَّجْبية — والتجبية : الجَلْد بحبلٍ من ليف قد طُلِى بقار، ثم تُسَوّد وجوههما،
ثم يحملان على حمارين، وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين — فآتبعوه فإنما
هو مَلِك، وصدّقوه، وإن هو حكم فيهما بالرجم فإنه نبىّ، فآحذروه على ما فى أيديكم أن
يسلبكموه، فأتوه فقالوا : يا محمد، هذا رجل قد زنى بعد إحْصانه بامرأة قد أحْصَنت،
٥ فآحكم فيهما، فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارهم فى بيت المِدْراس،
فقال : "يا معشر يهود أخرجوا إلىّ علماءكم"، فأخرجوا إليه عبد الله بن صوريا
وأبا ياسر بن أخطب، ووهب بن يهوذا، فقالوا : هؤلاء علماؤنا، فسَاءَلهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم، ثم قالوا : هذا عبد الله بن صوريا أعلَمُ من بقى بالتوراة،
فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان غلاما شابا مِنْ أحدثهم سِنّا، فقال له :
١٠ "يا بن صوريا، أَنْشُدك الله، وأذكّرك بأيّامه عند بنى إسرائيل، هل تعلم أن الله
حَكَم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم فى التوراة" ؟ قال : اللهم نعم، أما والله
يا أبا القاسم إنهم لَيعرفون أنك لَنبىٌّ مرسل، ولكنهم يحسدونك، فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأمر برجمهما، فرُجِما عند باب مسجده، ثم كَفَر بعد ذلك
آبن صوريا، وجَحَد نبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا
١٥ الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ
قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ
الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾،
أى الرجم، ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ
أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ
٢٠ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ
يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ

وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ . إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (١) ﴾ إلى آخر القصة .

ورُوِى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برَجْمهما ، فرُجِما بباب مسجده ، فلما وَجَدَ اليهوديّ مَسّ الحجارة قام إلى صاحبته يَجْنَأ (٢) عليها يقيها مسّ الحجارة حتى قُتلا جميعا .

وعن عبد الله بنِ عمر رضى الله عنهما قال : لما حكّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما دعاهم بالتوراة ، وجلس حَبْرٌ منهم يتلوها ، وقد وضع يده على آية الرَّجْم ، فضرب عبد الله بن سَلَام يد الحبر ، ثم قال : هذه يا نبيّ الله آية الرَّجْم ، يأبى أن يتلوها عليك ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ويحكم يا معشر يهود ! ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم " ؟ ! فقالوا : أمَا إنه كان فينا يُعْمَل به ، حتى زنى رجل منا بعد إحصانه من بيوت الملوك وأهل الشرف فمنعه الملك من الرجم ، ثم زنى رجل من بعده فأراد أن يرجمه فقالوا : لا والله ، حتى ترجم فلانا ، فلما قالوا ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التَّجْبِيَة ، وأماتوا ذكر الرَّجْم والعمل به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فأنا أوّل من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به " . ثم أمر بهما فرُجما عند باب مسجده ، قال عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما : [كنت (٣)] فيمن رجمهما . قال : واجتمع كعب بن أسد

(١) سورة المائدة من ٤١ — ٤٤ (٢) جنأ عليها : أى أكب عليها ، ويروى «حنا» .

(٣) تكملة من ابن هشام .

وابن صَلُوبا، وعبد الله بن صُوريا، وشأس بن قيس . وقال بعضهم لبعض : آذهبوا إلى محمد، لعلّنا نفتنه عن دينه، فإنما هو بشر، فأتوه فقالوا : يا محمد، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم ، وأنا إن آتبعناك آتبعك يهود ولم يخالفونا ، وإن بيننا و بين بعض قومنا خصومة ، أفنحاكمهم إليك فتقضى لنا عليهم ، ونؤمن بك ونصدّقك ؟ فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ؛ فأنزل الله فيهم : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ[1] ﴾ .

قال : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحبار يهود أبو ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبى نافع ، وعازر بن أبى عازر ، وخالد بن زيد ، وأزار بن أبى أزار[2] ، وأشيَع ، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال صلى الله عليه وسلم : " نؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون".
فلما ذكر عيسى جحدوا نبوّته، وقالوا : لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ[3] ﴾ . قال : وأتاه صلى الله عليه وسلم رافع ابن حارثة ، وسَلَام بن مِشْكَم ، ومالك بن الصَّيْف ، ورافع بن حُرَيْمِلة فقالوا : يا محمد ، ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ، وتؤمن بما عندنا من التوراة ،

(١) سورة المائدة ٤٩ — ٥٠ . (٢) قال ابن هشام : « و يقال آزر بن أبى آزر » .
(٣) سورة المائدة ٥٩

وتشهد أنها من الله حقّ ؟ قال : " بلى ، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق ، وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس ، فبرئت من أحداثكم ". قالوا : فإنا نأخذ بما فى أيدينا ، فإنا على الهدى والحقّ ، ولا نؤمن بك ولا نتبعك ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

قال : وأتاه صلى الله عليه وسلم النَّحّامُ بن زيد ، وقَرْدَم بن كعب ، وبَحْرِىّ ابن عمرو ، فقالوا : يا محمد ، أما تعلم مع الله إلها غيره ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا إله غيره ، بذلك بعثت ، وإلى ذلك أدعو " ؛ فأنزل الله تعالى فيهم وفى قولهم : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

قال : وكان رفاعة بن زيد بن التابوت ، وسُوَيْد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا ، فكان رجال من المسلمين يوادّونهما ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ (٣) . وقال جبل (٤) بن أبى قشير ، وشَمْوِيل بن زيد لرسول الله صلى الله عليه

(١) سورة المائدة ٦٨ (٢) سورة الأنعام ١٩ — ٢٠ (٣) سورة المائدة ٥٧ — ٦١ (٤) فى الأصل : « جبل بن بشير » ، والتصويب من ابن هشام .

وسلم : أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا كما تقول؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

٥ وقال محمود بن سَيْحان ونُعْمان بن أضَاء، وبَحْرِىّ بن عمرو، وعُزَير بن أبى عُزَير، وسَلَّام بن مِشْكَم، وفِنْحَاص، وعبد الله بن صُورِيا، وآبن صَلُوبا، وكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيْق، وأشيع، وكعب بن أسد، لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أحقّ يا محمد أن هذا الذى جئت به حقّ من عند الله؟ فإنا لا نراه متسقا كما تتسق التوراة؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أمَا والله إنكم لتعرفون أنه ١٠ من عند الله، تجدونه مكتوبا عندكم، ولو آجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا به ما جاءوا به" فقالوا عند ذلك : يا محمد، أمَا يعلمك هذا إنس ولا جنٌّ؟ فقال : "أمَا والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله، وأنى لرسول الله؛ تجدون ذلك مكتوبا عندكم فى التوراة" قالوا : يا محمد، فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء، ويَقْدِر منه على ما أراد، فأنزل علينا كتابا من السماء نقرؤه ونعرفه، ١٥ وإلا جئناك بمثل ما تأتى به . فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ لَئِنِ آجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٢)، والظهير : العَوْن .

١٤٠/١٤

قال : وأتى رَهْط من يهود إلى (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا : يا محمد، هذا الله خلق الخلق فمن خَلَقه؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الأعراف ١٨٧ . (٢) سورة الإسراء ٨٨ .
(٣) فى ابن هشام : « أتى رسول الله » .

حتى ٱنْتَقِــع لونُه[1]، فجاءه جبريل عليه السلام فسكّنه، فقال: خَفِّض عليك يارسول الله، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. اللهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[2]، فلما تلاها عليهم قالوا: فصِفْ لنا كيف خَلْقه؟ كيف ذراعه؟ كيف عَضُده؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأول، فأتاه جبريل فقال له مثل ما قال له أول مرة، وجاءه من الله بجواب ما سألوه فقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3]، وكانت سؤالات يهود وعَنَتهم وبغيهم وتحريفهم وتبديلهم كثيرة؛ قد نطق بذلك كله القرآن، وجاء بالرّد عليهم وبتكذيبهم وتمزيقهم، ثم سلط الله عليهم المسلمين، وحكّم فيهم سيوفهم فقتلوهم وأجلوهم وٱستأصلوا شأفتهم، وأسَرُوا وسَبَوْا منهم، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى الغزوات والسرايا، فلما أيسوا وأُبْلِسوا عمدوا إلى تخَيُّلات أُخَر من السِّحر والسّم.

ذكر ما ورد من أن يهود سحروا رسول الله صلى الله عليه وسلم

قالوا: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة الحُدَيبية سنة ست من مُهاجَره، ودخل المحرمُ سنة سبع، جاءت رؤساء يهود الذين بقوا بالمدينة ممن يظهر الإسلام وهو منافق، إلى لبِيد بن الأعْصَم اليهودىّ حليف بنى زُرَيق، وكان ساحرا، قد علمت ذلك يهود أنه أعلمهم بالسِّحر وبالسُّموم، فقالوا له: يا أبا الأعصم أنت أسحر منا، وقد سَحَرْنا محمدا، فسحره منا الرجال والنساء فلم نصنع شيئا، وأنت

---

(١) ٱنتقع لونه: تغير. (٢) سورة الإخلاص.

(٣) سورة الزمر ٦٧.

ترى أثره فينا ، وخلافه ديننا ، ومن قتل منا وأَجْلى[(١)] ، ونحن نجعل لك على ذلك جُعلا على أن تسحره لنا سحرا يَنْكَؤُه ، فجعلوا له ثلاثة دنانير على أن يسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعمد إلى مشط وما يُمْشَط من الرأس من الشعر فعقد فيه عُقَدا وتَفَل فيه تَفْلا ، وجعله فى جُفِّ طَلْعةٍ[(٢)] ذكرٍ ، ثم آنتهى به حتى جعله تحت أُرْعُوفة[(٣)] البئر ، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا أنكره ، حتى يُخَيَّل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله ، وأنكر بصره حتى دلَّه الله على ذلك[(٤)] ، فدعا جُبَير آبن إياس الزُّرَقىّ وكان ممن شهد بدرا فدله على موضع فى بئر ذَرْوان[(٥)] تحت أُرْعُوفة البئر ، فخرج جُبير حتى آستخرجه ، ثم أرسل إلى لبيد بن الأعصم ، فقال : "ما حملك على ما صنعت ، فقد دلنى الله على سحرك وأخبرنى بما صنعت" ؟ فقال : حُبّ الدنانير يا أبا القاسم . قال محمد بن سعد ، قال إسحاق بن عبد الله : فأخبرت عبد الرحمن آبن كعب بن مالك بهذا الحديث ، فقال : إنما سحره بنات أعصم أخوات لَبِيد ، وكنّ أسحر من لبيد وأخبث ، وكان لَبِيد هو الذى ذهب به فأدخله تحت أُرْعوفة البئر ، قال : فلما عَقَدوا تلك العقد أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة بصره ، ودَسّ بناتُ أعصم إحداهنّ ، فدخلت على عائشة فخبّرتها عائشة — أو سمعت عائشة تذكر ما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصره — ثم خرجت إلى أخواتها وإلى لبيد فأخبرتهم ، فقالت إحداهنّ : إن يكن نبيا فسيُخْبَر ، وإن يك

(١) فى الأصل : « راجلا » وهو تحريف ، والتصويب عن آبن سعد .

(٢) الجف : وعاء الطلع ، وهو الغشاء الذى يكون فوقه . و « ذكر » صفة لجف .

(٣) الأرعوفة والراعوفة : صخرة تترك فى أسفل البئر إذا حفرت ، تكون ناتئة ، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقى عليها . وقيل : هى حجر يكون على رأس البئر يقوم المستقى عليه .

(٤) فى الطبقات : « دله الله عليه » .

(٥) بئر ذروان : بالمدينة فى بستان بنى زريق من اليهود .

غير ذلك فسوف يدلّهـه[1] هذا السحر حتى يذهب عقله ، فيكون بما نال من قومنا وأهل ديننا . فدله الله عليه :

وفى الصحيح عن عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها أن النبيّ صلى الله عليه وسلم سُحِـر[2] ، حتى كان يخيل إليه أنه يصنع الشيء ولم يصنعه ، حتى إذا كان ذات يوم رأيته يدعو ، فقال : " أشَعَرتِ[3] أن الله قد أفتانى فيما آستفتيته[4] ، أتانى رجلان فقعد أحدهمـا عند رأسى ، والآخر عنـد رجلىّ ، فقال أحدهمـا : ما وجع الرجل ؟ فقال الآخر : مَطْبُوب[5] ، فقال : من طَبّه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، قال : فيم ؟ قال : فى مُشْط ومُشاطة فى جُفّ طَلْعَـةٍ ذكرٍ ، قال : فأين هو ؟ قال : فى ذى ذَرْوان[6] " ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رجع أخبر عائشة فقال : " كأنّ نخلها رءوس الشياطين ، وكأنّ ماءَها نُقَاعة الحِنّاء " ، قالت فقلت : يارسول الله ، فأخرجْه للناس ، قال : " أمّا والله قد شفانى ، وخَشيت أن أثوّر على الناس منه شرا[7] " .

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : مرض رسول الله صلى الله عليه وسـلم وأُخِّذ[8] عن النساء وعن الطعامِ والشراب ، فهبط عليه ملَكان وهو بين النائم واليقظان فجلس أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجليه ، فقال : أحدهما لصاحبه :

---

(١) دلهه : حيره وأدهشه . وفى الأصل « يدله » ، وهو تصحيف .

(٢) فى الطبقات : « سحر له » .

(٣) أشعرت : أعلمت ؛ والخطاب للسيدة عائشة رضى الله عنها .

(٤) المعنى : أجابنى عما سألته عنه .

(٥) مطبوب : مسحور ؛ عبر عن السحر بالطب كما عبروا عن اللديغ بالسليم تفاؤلا .

(٦) فى الصحيح : « فى بئر ذروان » ، وهما روايتان .

(٧) قال القسطلانى : « الشر تذكر السحر وتعلمه ، وهو من باب ترك المصلحة خوف المفسدة » .

(٨) أخذ : حبس بالسحر .

وعارض من العِلَل يجوز عليه كأنواع الأمراض ، مما لا ينكر ولا يَقْدَح فى نبوته ، وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله ، فليس فى هذا ما يُدخِل عليه داخلةً[1] فى شيء من تبليغه و شريعته ، و يقدح فى صدقه ؛ لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا ، و إنما هـذا فيما يجوز طُرُوُّه عليه فى أمر دنياه التى يبعث بسببها ، ولا فُضِّل من أجلها ، وهو فيها عرضة للافات كسائر البشر ، فغير بعيـد أن يُخَيَّل إليـه من أمورها ما لا حقيقة له ، ثم يتجلى عنـه كما كان .

وأيضا فقد فسّر هذا الحديث الآخر من قوله : "حتى يُخَيَّل إليه أنه يأتى أهله ولا يأتيهنّ" . وقد قال سفيان[2] : وهذا أشدّ ما يكون من السحر، ولم يأت فى خبر منها أنه نقل عنه فى ذلك قول ، بخلاف ما أخبر أنه فعله ولم يفعله ، و إنما كانت خواطر وتخيلات . وقد قيل : إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل لشيء أنه فعله، وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته ، فتكون آعتقاداته كلها على السَّداد، وأقواله على الصحة . قال : هذا ما وقفت عليـه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث . قال : لكنه قد ظهر لى فى هـذا الحديث تأويل أجلى وأبعـد من مطاعن ذوى الأضاليل يستفاد من نفس الحديث ، وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن آبن المسيّب ، وعُروة بن الزبير ، وقال فيه عنهما : سحر يهود بنى زُرَيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلوه فى بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ يُنـكر بصره[3] . ثم دلّه الله على ما صنعوا ، فآستخرجه من البئر .

فقد آستبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما يُسلّط على ظاهره وجوارحه ، لا على قلبه وآعتقاده وعقله ، وأنه إنما أُتِى فى بصره ، وحبَسه عن وَطْء

(١) الداخلة : النقيصـة والعيب والفساد . (٢) هو آبن عيينـة كما صرح به فى سـنده في البخاري . (٣) أي ما أبصره ، أو ينكر نفس رؤيته لتأثير السحر فيه (شرح الشفاء) .

نسائه ، ويكون معنى قوله : "يخيل إليه أنه يأتى أهله ولا يأتيهن"، أى يظهر له من نشاطه ومتقدّم عادته القُدرة على النساء ، فإذا دنا منهنّ أصابته أُخْذَةُ بالسِّحر، فلم يقدر على إتيانهنّ ، كما يَعْترى من أُخِّذ واَعتُرِض ، قال : ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله : وهذا أشدّ ما يكون من السِّحر . والله أعلم بالصواب .

٥ ذكر خبر الشاة التى سُمّ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان ذلك فى غَزاة خَيْبر ، بعد أن اَفتتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه لما اَفتتح خَيْبَر وحصونها واَطْمأنّ ، أهدت إليه زينب اَبنة الحارث اَمرأة سَلَام بن مِشْكَم وهى اَبنة أخى مَرْحَبْ الذى بارز يوم خيبر، وقتل — على ما نذكره إن شاء الله — شاة مَصْلِيَّة، وقد سألتْ : أىّ عضو من الشاة أحَبّ إلى

١٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل لها : الذِّراع، وأكثرت فيها السّمّ، ثم سَمَّت سائر الشاة، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع ، فَلَاكَ منها مُضْغة فلم يُسِغها ، وكان معه بِشْر بن البرَاء بن مَعْرور ، فأخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها .

١٥ وروى الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقىّ فى دلائل النبوّة أنه صلى الله عليه وسلم أساغها ، ثم قال لأصحابه : "اَرفعوا أيديَكم فإنّ كتِف هذه الشاة يخبرنى أنها قد بُغِيتُ فيه"[1]، قال بشر بن البراء : والذى أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكلتى التى أكلت ، فما منعنى أن ألفظها إلا أنى أعظمت أن أنغصك طعامك ، فلما أسغتَ

(١) الحديث فى الدلائل نصه : « يخبرنى أن قد بغيت فيها » ، بغيت : طلبت ، من بغى يبغى بغاء ، ٢٠ بالضم ؛ إذا طلب . (نهاية ابن الأثير) .

مافى فيك لم أكن لأرغب بنفسى عن نفسك، ثم دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فآعترفت، فقال : "ما حملك على ذلك" ؟ قالت : بلغتَ من قومى ما لم يخف عليك، فقلت : إن كان مَلِكا آسترحت منه، و إن كان نبيا فسَيُخْبَر، فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات بشر بن البراء . والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها، قيل : سَلَّمها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها . والله تعالى أعلم . ٥

* * *

وحيث ذكرنا من سيرته صلى الله عليه وسلم ما ذكرناه، فلنذكر هنا حوادث السنين بعد الهجرة خلا الغزوات والسّرايا والوفود، فإنا نورد ذلك إن شاء الله تعالى فيما بعد على ما تقف عليه .

ذكر الحوادث بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة النبوية على حكم السنين، من السنة الأولى إلى السنة العاشرة خلا ما آستثنيناه، وقدّمناه ١٠

حوادث السنة الأولى

فيها جعلت صلاة العصر أربع ركعات، وكانت ركعتين وذلك بعد مَقْدَمه صلى الله عليه وسلم بشهر . وفيها صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة حين آرتحل من قُبَاء إلى المدينة، صلاها فى طريقه ببنى سالم على ما تقدّم، وهى أوّل جمعة صلاها، وأوّل خطبة خطبها فى الإسلام . وفيها بَنَى صلى الله عليه وسلم مسجده ومساكنه، ومسجد قُباء على ما تقدّم . وفيها آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار بعد مقدمه بثمانية أشهر، وقد تقدّم ذكر ذلك . وفيها أسلم عبد الله بن سَلَام . وفيها وُلد عبد الله بن الزبير بالمدينة . وفيها مات أبو قيس كلثوم بن الهدهد، وهو أوّل من مات من المسلمين بالمدينة. ومات سعد بن زُرارة أبو أمامة . وفيها أعْرَس صلى الله عليه وسلم بعائشة رضى الله عنها . ١٥ ٢٠

حوادث السـنة الثـانية

فى هذه السنة توفيت رُقَيّة بنت النبى صلى الله عليه وسلم زوج عثمان بن عفان، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ببدر، وتوفى عثمان بن مظعون بعد [رجوع][1] رسول الله صلى الله عليه وسلم من غَزاة بدر وشهدها عثمان . وفيها صُرِفت القبلة .

ذكر صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة وما تكلم به اليهود وما أنزل الله تعالى فى ذلك من القرآن

كان رسـول الله صلى الله عليه وسلم لمـا هاجر إلى المدينة يصـلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا ، كما ورد فى صحيح البخارى وغيره . وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبل البيت ، فقال : "يا جبريل وددت أن الله تعالى صرف وجهى عن قِبلة يهود" ، فقال جبريل : إنمـا أنا عبد فٱدع ربك وسَلْه . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى إلى بيت المقدس رفع رأسه إلى السماء، فأنزل الله تعـالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ[2] ﴾ .

قال محمد بن سـعد : صلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من الظهر فى مسجده بالمسلمين، ثم أُمِر أن يوجّه إلى المسجد الحرام فٱستدار إليه، ودار معه المسلمون ، قال ويقال : بل زار رسـول الله صلى الله عليـه وسلم أمّ بِشْر بن البراء ابن معرور فى بنى سَلِمَة، فصنعت له طعاما، وحانت الظهر، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه ركعتين، ثم أمِر أن يُوَجّه إلى الكعبة، فٱستدار إلى الكعبة، واستقبل الميزاب فسمى المسـجد مسجد القِبلتين، وذلك يوم الأثنين للنصف من شهر رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مُهاجَره صلى الله عليه وسلم .

(١) زيادة يقتضيها السياق .
(٢) سورة البقرة ١٤٤

وروى البخاري أن أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة صلاة العصر، وصلى معه قومٌ، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمرّ على أهل المسجد وهم راكعون، قال : أشهد بالله لقد صليتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبل مكة، فداروا كما هم قِبل البيت .

قال ابن إسحاق : ولما صُرفت القبلة أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رفاعةُ ابن قيس ، وقَرْدَم بن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، ورافع بن أبي رافع ، والحجاج ابن عمرو ، والربيع بن الربيع بن أبي الحُقَيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق ، فقالوا : يامحمد، ما ولّاك عن قِبلتك التي كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ! ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها [نتّبعك](١) ونصدّقك — وإنما يريدون فتنته عن دينه — فأنزل الله : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ(٢) ﴾، أي إيمانكم بالقِبْلة الأولى، وتصديقكم نبيكم، واتباعكم إياه الى القبلة الأخرى . ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ . وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) سورة البقرة ١٤٢ — ١٤٣ .

إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ [(١)] ﴾ . والله أعلم .

ذكر خبر الأذان

١٤٤/١٤

قال محمد بن سعد بسنده إلى نافع بن جبير [(٢)]، وعُروة بن الزبير، وزيد بن أسلم، وسعيد بن المسيّب ، قالوا : كان الناس فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يؤمر بالأذان ينادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم : «الصلاة جامعة» ؛ فيجتمع الناس فلما صُرفت القبلة إلى الكعبة أمر بالأذان، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهمّه أمر الأذان، وأنهم ذكروا أشياء [(٣)] يجمعون بها الناس للصلاة ، فقال بعضهم : البُوق ، وقال بعضهم : الناقوس ؛ فبينما هم على ذلك إذْ نام عبد الله ابن زيد الخزرجىّ، فأرى فى المنام أن رجلا مرّ وعليه ثوبان أخضران وفى يده ناقوس ، قال فقلت : أتبيع الناقوس ؟ قال : ماذا تريد به ؟ فقلت : أريد أن أبتاعه لكى أضرب به للصلاة لجماعة الناس، قال : فأنا أحدثك بخير لكم من ذلك ؛ تقول : الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله، حىّ على الصلاة، حىّ على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله . فأتى عبد الله ابن زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : "قم مع بلال فألق عليه ما قيل لك وليؤذّن بذلك" ، ففعل . وجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : لقد رأيت مثل الذى رآه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فلله الحمد"

(١) سورة البقرة ١٤٤ — ١٤٧ .

(٢) فى الأصل : «رافع بن جبير» وهو تصحيف ، والتصويب عن ابن سعد ، وتهذيب التهذيب .

(٣) فى الأصل : « شيئا » وما أثبتناه عن ابن سعد .

فذلك أثبت . قالوا : وأُذِّن بالأذان وبقى يُنادَى فى الناس : « الصلاة جامعة » ؛ للأمر يحدث ، فيحضرون له يُخبَرون به ، مثل فتحٍ يُقرأ ، أو أمر يؤمرون به ، فينادَى : « الصلاة جامعة » ، وإن كان فى غير وقت الصلاة . وقد قدّمنا خبر الأذان من رواية على بن أبى طالب فى قصة الإسراء . والله أعلم .

وفى هذه السنة فُرِض صوم رمضان فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة ، وفُرِضت زكاة الفطر قبل العيد بيومين ، وفيها ضَحّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين ، أحدهما عن أمته ، والآخر عن محمد وآله ، وفيها وُلد النعمان بن بشير ، وفيها أعرس علىّ بن أبى طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضى عنهما . والله أعلم .

حوادث السنة الثالثة

فيها تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم حَفْصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما . وفيها توفّى عثمان بن مظعون عند بعضهم . وفيها تزوّج عثمان بن عفان رضى الله عنه أمّ كُلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم فى جمادى الآخرة . وفيها ولد الحسن بن على رضى الله عنهما فى النصف من رمضان .

حوادث السنة الرابعة

فيها حُرِمت الخمر فى شهر ربيع الأول ، وقيل : حرمت فى السنة الثالثة . وفيها صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فى غزوة ذات الرِّقاع . وفيها قُصِرت الصلاة . وفيها وِلد الحسين بن على رضى الله عنهما . وفيها ماتت زينب بنت خُزيمة الهلالية أم المؤمنين . وفيها تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّ سَلَمة

فى شـوال ، وتزوّج زينب بنت جحش فى ذى القعـدة على الصحيح . وفيهـا نزل الحجـاب .

ذكر نزول الحجاب على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٤٥ / ١٤

كان سبب نزول الحجاب مارواه البخارى عن ٱبن شهاب قال : أخبرنى أنس بن مالك ، قال : كان أول ما أنزل الحجاب فى مُبْتَنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش ؛ أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عَروسا ، فدعا القوم فأصابوا من الطعام ، ثم خرجوا ، وبقى منهم رَهْط عنـد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث ، فقام رسـول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجتُ معـه كى يخرجوا ، فمشى صلى الله عليه وسلم ومشيتُ معه ، حتى جاء عَتَبة حُجْرة عائشة رضى الله عنها ، ثم ظنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خرجوا ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجعتُ معـه حتى دخل على زينب ، فإذا هم جلوس لم يتفرقوا ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعتُ معه حتى بلغ عَتَبة حُجْرة عائشة ، فظنّ أن قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا ؛ فأنزل الله الحجاب ، فضرب بينى وبينه سترا ، وأنزل الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَاهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَٱسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ [١] الآية . وعن عُروة بن الزُّبير أن عائشة رضى الله عنها قالت : كان عمر رضوان الله عليه يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ٱحجب نساءك يا رسول الله ، قالت : فلم يفعل . وكان أزواج

(١) سورة الأحزاب ٥٣ .

النبيّ صلى الله عليه وسلم يخرجن لَيْلا إلى لَيْل قِبَل المَنَاصِع [١] فخرجت سَوْدَة بنت زَمْعَة وكانت آمرأة طويلة، فرآها عمر بن الخطاب وهو فى المجلس ، فقال : عرفتك يا سَوْدَة — حرصا على أن ينزل الحجاب — فأنزل الله [الحجاب] [٢]. وفى هذه السنة فُرِضت الزكاة فى المال .

حوادث السنة الخامسة

فيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ريحانة بنت زيد النَّضْرِية، وجُويرِية بنت الحارث المُصْطَلِقيَّة . وفيها زلزلت المدينة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله يَستعتِبكم [٣] فأعتِبوه" . وفيها سابق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخيل . وقد تقدم ذكر ذلك فى الباب الأول من القسم الثالث من الفن الثالث فى الجزء التاسع من هذه النسخة . وفيها كانت غزوة بنى المُصْطَلِق بالمُرَيْسِيع . وحدث فى هذه الغزوة وقائع نذكرها فى هذا الموضع؛ فيها ما وقع بين المهاجرين والأنصار، وحديث الإفك، وخبر التيمُّم .

ذكر ما وقع بين المهاجرين والأنصار [٤] فى غزوة المريسيع

وما قاله عبد الله بن أبىّ بن سلول المنافق

قال محمد بن إسحاق : لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على المُرَيْسِيع — وهو ماء لبنى المصطلق [٥] — فى نزوله عن غزوته إياهم ، وَرَدت واردةُ الناس،

(١) المناصع (جمع منصع) : صعيد واسع آخر المدينة جهة البقيع .
(٢) الزيادة من البخارى ، وبالأصل بياض .
(٣) آستعتب : طلب أن يعتب أى يسترضى ؛ تقول : آستعتبته فأعتبنى؛ أى آسترضيته فأرضانى .
(٤) فى الأصل : « والآراء » ، ولا معنى له .
(٥) بنو المصطلق : هم بنو جذيمة بن كعب؛ من خزاعة .

ومع عمر بن الخطاب أجيرٌ له من بنى غِفار، يقال له جَهْجَاهُ بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جَهْجَاه وسِنان بن وَبَر الجهنىّ — حليف بنى عوف بن الخزرج — على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهنىّ : يا معشر الأنصار ! وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ! فغضب عبد الله بن أُبىّ، وعنده رهط من قومه، فيهم زيد بن أرقم — غلام حَدَث — فقال : أوَ قدْ فعلوها ! قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا، والله ما أُعُدُّنا وجلابيب قريش (١) هذه إلا كما قال الأُول : سَمِّن كلبك يأ كُلْك ؛ أمَا والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعَزُّ منها الأذلَّ . ثم أقبل على من حضره من قومه وقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ! أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم (٢) أموالكم، والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم . قال : فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال عمر : مُرْ به عبّاد بن بِشْر فليقتله ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فكيف يا عمر إذا تَحدَّث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ! لا، ولكن أَذِّنْ بالرحيل"، فارتحل الناس فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها، وجاء عبد الله بن أبىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف بالله : ما قلت ما قال زيد بن أرقم عنّى، وما تكلمت به، فقال من حضر من الأنصار : يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام أَوْهَم فى حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل .

١٤٦/١٤

فلما ٱستقلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيه أُسَيْد بن حُضَيْر فقال : يا نبىّ الله، والله لقد رُحْتَ فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها . قال : " أو ما بلغك

(١) جلابيب قريش : لقب من كان أسلم من المهاجرين ؛ لقبهم بذلك المشركون، وأصل الجلابيب : الأزر الغلاظ، وكانوا يلتحفون بها، فلقبوهم بذلك .

(٢) فى الأصل : « أحللتموه بلادكم وقاسمتموه أموالكم »، وما أثبتناه عن ٱبن هشام .

ما قال صاحبكم " ؟ قال : أىّ صاحب ؟ قال : " عبد الله بن أبىّ " قال، وما قال يا رسول الله ؟ قال : "زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزّ منها الأذل" قال : فأنت يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز. ثم قال : يا رسـول الله ، ٱرْفُقْ به ، فوالله لقـد جاء الله بك وإنّ قومه لينظِمون له الخَرَز ليتوّجوه ، فإنه ليرى أنك ٱستَلَبْته مُلْكا. قال: ثم مَتَن(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذاك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصـدر يومهم ذلك حتى آذتهم(٢) الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا إلا أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نياما. قال : وإنمـا فعل رسول الله صلى الله عليـه وسلم ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان من عبد الله بن أبىّ .

قال : ثم هبت ريح شديدة تخوّفها الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تَخوّفوها فإنمـا هبت لموت عظيم مـن عظماء الكفار ". فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بنى قَيْنُقاع ـــ وكان من عظماء يهود، وكهفا للمنافقين ـــ مات ذلك اليوم .

ونزلت السورة التى ذكر الله تعالى فيها المنافقين فى ٱبن أبىّ ومن قال بقوله ، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُذُن زيد بن أرقم ثم قال: "هذا الذى أوفى لله بأُذُنه ". وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبىّ بن سلول ما كان من أمر أبيه، فقال : يا رسول الله، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أُبىّ فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلا فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه، إنى أخشى أن تأمر غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله يمشى فى الناس فأقتله ، فأقتل مؤمنـا بكافر فأدخل

(١) متن بالناس : أى سار بهم يومه أجمع .
(٢) فى الأصل : « آذته » ؛ وما أثبتناه عن ٱبن هشام .

النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نترفّق به ونحسن صحبته ما بقى معنا"،
وكان بعد ذلك إذا أحدث حدَثًا كان قومه هم الذين يعاتبونه ويعنّفونه . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم :
"كيف ترى يا عمر؛ أما والله لو قتلته يوم قلتَ لى آقتله لأرعدَتْ [له](١) آنُفٌ
لو أمرتُها اليوم [بقتله](١) لقتلَتْه"، فقال عمر: قد والله علمتُ لأمرُ رسول الله
صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

* * *

ومن الحوادث فى هذه الغزوة حديث الإفْك .

ذكر حديث الإفك وما تكلم به من تكلم من المنافقين وغيرهم فيه وما أنزله الله تعالى من براءة عائشة، وفضل أبيها رضوان الله عليهما

هذا الحديث قد تداوله الرواة وأهل الأخبار والسِّيَر، فمنهم من زاد فيه
زيادات كثيرة، وذكر تحامُلَ من تحامَلَ فى أمر الإفك، وتعصُّبَ من تعصَّبَ،
فعلمت أن إيراد ذلك من أقوالهم يقتضى أن يصير فى نفس من سمعه من أهل
السنّة شيئا ممن تكلم عليه بما تكلّم، ولعل ذلك لم يقع، فرأيتُ أن أقتصر منه على
ما ثبت فى صحيح البخارىّ، وآتّصل لنا بالرواية الصحيحة، وذكرتُ زيادات
ذكرها آبن إسحاق — رحمه الله — ويحتاج إلى إيرادها مما لا ضرر فيه، نبهت عليها
بعد مساق الحديث على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى . ولنبدأ بحديث البخارىّ(٢) :

حدّثنا الشيخان المسندان المعمَّران، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبى طالب
نعمة الصالحىّ الحجّار، وستّ الوزراء أمّ محمد وزيرة بنت القاضى شمس الدين عمر
ابن أسعد بن المنجا التَّنُوخيّة الدِّمشقيان قراءة عليهما وأنا أسمع، بالمدرسة المنصورية

(١) الزيادة من آبن هشام . (٢) الحديث من صحيح البخارى ٦ : ٥

١٤٧/١٤

التي هي بين القصرين بالقاهرة المعزّية، في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبعمائة،
قالا : حدّثنا الشيخ سراج الدين أبو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى
الزّبيديّ، في شوّال سنة ثلاثين وستمائة، بدمشق بالجامع المظفّريّ بسفح جبل
قاسيون، قال : حدّثنا أبو الوقت عبد الأوّل بن عيسى بن شعيب السّجزيّ[(١)] قراءة
عليه ونحن نسمع ببغداد، في آخر سنة آثنتين وأوّل سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة،
قال : حدّثنا الشيخ أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفّر الداوديّ[(٢)] في شوّال
وذى القعدة سنة خمس وستين وأربعمائة، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد
ابن حمويه السَّرَخْسيّ في صفر سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة، قال : أخبرنا أبو عبد الله
محمد بن يوسف بن مطر الفَرَبْريّ بفربر[(٣)] سنة ستّ عشرة وثلثمائة، قال: أخبرنا أبو عبد الله
محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاريّ قراءة عليه بتبريز سنة ثمان وأربعين ومائتين،
ومرة في سنة آثنتين وخمسين، قال : حدّثنا يحيى بن بُكَير، قال : حدّثنا الليث عن
يونس عن آبن شهاب، قال : أخبرني عُروة بن الزُّبير، وسعيد بن المسيّب،
وعَلْقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود، عن حديث عائشة
زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا،
وكلٌّ حدّثني طائفةً من الحديث، وبعضُ حديثهم يُصدّق بعضا، وإن كان
بعضهم أوعى له من بعض، الذى حدّثني عُروة عن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه
وسلم، أن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج

(١) السجزيّ: نسبة إلى سجستان على غير قياس؛ وفي الأصل «المنجرى» وهو تصحيف.

(٢) في الأصل «الداوردى»، وصوّبناه عن السمعاني.

(٣) فربر: بلد قرب بخاري.

أقرع بين أزواجه، فأيتهنّ خرج سهمُها خرج [بها](١) رسول الله صلى الله عليه وسلم معــه ، قالت عائشة : فأقرع بيننا فى غَزْوة(٢) غزاها فخرج سهمى ، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما نزل الحِجاب ، فأنا أُحْمَل فى هَوْدجى وأُنزَل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غَزْوته تلك وقَفَل ، ودنونا من المدينة قافلين ، آذنَ ليلةً بالرّحيل ، فقمت حين آذنُوا بالرّحيل ، فمشيتُ حتى جاوزتُ الجيش ، فلما قضيتُ شأنى أقبلتُ إلى رَحْلى فإذا عِقْد لى من جَزْع ظَفَار(٣) قد آنقطع ، فآلتمست عِقْدى وحبسنى آبتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يَرْحَلون لى ، فآحتملوا هَوْدَجى فرَحَلوه على بعيرى الذى كنتُ ركبتُ ، وهم يحسبون أنّى فيــه ، وكان النساءُ إذ ذاك خِفافاً لم يثْقلهنّ اللحم ، إنما تأكل العُلْقَة(٤) من الطعام ، فلم يستنكر القوم خِفّة الهودَج حين رفعوه ، وكنتُ جارية حديثة السنّ ، فبعثوا الجمل وساروا ، فوجدتُ عِقْدى بعدما آستمرّ الجيش ، فجئتُ منازلهم وليس بهــا داعٍ ولا مُجيبٌ ، فأممتُ منزلى الذى كنتُ به ، وظننتُ أنهم سيفقدونى فيرجعون إلىّ ، فبينما أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمتُ ، وكان صَفْوان بن المعَطّل السُّلَمىّ ثم الذَّكْوانىّ من وراء الجيش ، فأَدْلَجَ فأصبح عنــد منزلى ، فرأى سواد إنسان نائم ، فأتانى فعرفنى حين رآنى ، وكان يرانى قبل الحِجــاب ، فآستيقظتُ باسترجاعه حين عرفنى ، فخَمَّرتُ وجهى بجلبابى ، ووالله ما كلّمنى كلمةً ، ولا سمعتُ منــه كلمةً غيرَ آسترجاعه حتى أناخ راحلته ، فوطئ على يدها فركبتها ، فآنطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش

(١) الزيادة من البخارى . (٢) هى غزوة بنى المصطلق من خزاعة .

(٣) الجزع : خرز معروف فى سواده بياض كالعروق . وظفار : مدينة باليمن . ويروى « أظفار » بالهمزة المفتوحة وسكون الظاء . (٤) العلقة كغرفة : القليل .

بعدما نزلوا مُوغِرين[1] فى نَحْـر الظهيرة ، فهَلك مَن هَلك[2] — وكان الذى تولى الإفك عبد الله بن أُبَىّ بن سلول — فقدِمنا المدينة ، فاشتكيتُ حين قدمتُ شهرا ، والناس يُفيضون فى قول أصحاب الإفك ، لا أشعر بشىء من ذلك ، وهو يريبنى[3] فى وجعى ؛ أنّى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللُّطفَ الذى كنتُ أرى منه حين أشتكى ، إنمـا يدخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلِّم[4] ثم ينصرف ، فذلك الذى يريبنى ، ولا أشْعر بالشّر حتى خرجتُ بعدما نقَهتُ ، فخرجت معى أمّ مِسْطَح قِبَل المناصع — وهو مُتبرَّز نا — وكنا لا نخرج إلّا ليلًا إلى ليْل ، وذلك قبل أن نتّخذ الكُنُف قريبا من بيوتنـا ، وأَمْرُنا أَمْرُ العرب الأُوَل فى التبرز [قِبَـل[5]] الغائط ، فانطلقت أنا وأمّ مِسْطح ، وهى بنت أبى رُهْم بن عبـد مناف ، وأمها بنت صخر ابن عامر خالةُ أبى بكر الصدّيق رضى الله عنـه ، وابنُها مِسْطح بن أثاثة ، فأقبلت أنا وأمّ مِسْطح قِبل بيتى قـد فرغنا من شأننا ، فعثَرت أمُّ مِسْطح [فى مِرْطها[5]] ، فقالت : تَعِس مِسْـطح ، فقلتُ لهـا : بئس ما قلت : أتسـبِّين رجلا قـد شَهد بدرا ؟ ! قالت : أىْ هَنَتاهْ ، أو لم تسمعى ما قال ؟ قالت قلتُ : وما قال ؟ فأخبرتنى بقول أهل الإفك ، فازددتُ مرضا على مرضى ، قالت : فلمـا رجعتُ إلى بيتى ، ودخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : "كيف تيكم" ؟ فقلت : أتأذن لى أن آتى أبوىّ ؟ قالت : وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخـبر من قِبلهما ؛ قالت : فأذن لى رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم ، فجئت أبوىّ ،

(١) موغرين : داخلين ، ونحر الظهيرة : هو حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع .

(٢) أى بسبب الإفك . (٣) يريبنى (بفتح أوله وبضمه) : أى يشككنى ويوهمنى .

(٤) زاد البخارى بعد هذا : « ثم يقول كيف تيكم ... الخ » .

(٥) الزيادة عن البخارى .

فقلت لأمّى : يا أُمَّتـاه ، ما يتحدّث النـاس ؟ قالت : يا بُنيَّـة ، هَوِّنى عليـك ، فوالله لَقلّمـا كانت امرأة قَطُّ وضيئةٌ عنـد رجل يحبها ولهـا ضرائر إلا أكْثرن عليها، قالت فقلت : سبحان الله ! ولقد تحدّث الناس بهذا ؟ ! قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يَرْقأ[1] لى دَمع ، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكى، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب وأُسامة بن زيد رضى الله عنهما حين ٱستلبث الوحىُ[2] يستأمرهما فى فِراق أهله . قالت : فأما أُسامة بن زيد، فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى يعلم من براءة أهله ، وبالذى يَعلم لهم فى نفسه من الوُدّ ، فقال : يا رسول الله ، أهلَك وما نعلم إلا خيرا . وأما علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — فقال : يا رسول الله، لم يُضيِّق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تَصدقْك[3]. قالت : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَرِيرة، فقال : "أى بَرِيرة، هل رأيتِ من شىء يريبك" ؟ قالت بَرِيرة : لا والذى بعثك بالحقّ، إنْ رأيتُ عليها أمرا أَغْمِصُه[4] عليها، أكثر من أنها جارية حديثة السنّ تنام عن عجين أهلها، فتأتى الداجِنُ[5] فتأكله. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فٱستعذَر من عبد الله بن أُبَىّ بن سلول، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: "يا معشر المسـلمين ، من يَعْذِرنى[6] مِن رجلٍ قد بلغنى أذاه فى أهـل بيتى ! فوالله ما علمتُ على أهلى إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ماعلمتُ عليه إلّا خيراً ، وما كان

(١) لا يرقأ : لا ينقطع . (٢) الوحى : بالرفع فاعل ؛ أى طال لبث نزوله ، وضبط بالنصب على أنه مفعول به ؛ أى استبطأ النبى صلى الله عليه وسلم الوحى .

(٣) فى الأصل : « كثيرون تسأل ... الخ » ، وما أثبتناه عن البخارى .

(٤) إن رأيت : ما رأيت . وأغمصه : أعيبه .

(٥) الداجن : الشاة التى تألف البيوت ولا تخرج إلى المرعى .

(٦) من يعذرنى : من يقوم بعذرى إن كافأته على قبيح فعله ، ولا يلومنى ! أو من ينصرنى ! .

يَدخُل على أهلى إلّا معى " . فقام سعد بن معاذ الأنصارىّ فقال : يا رسول الله، أنا أَعذِرك منـه ؛ إن كان من الأوس ضربتُ عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخَزْرج أمرتَنا ففعلنا أمرك . قالت : فقام سـعد بن عُبادة وهو سيّد الخَزْرج ، وكان قبـل ذلك رجلا صالحا ، ولكن احتملته الحَمِيّـة (١) . فقال لسعد : كذبتَ ، لَعَمْرُ اللهِ (٢) لا تقتله ، ولا تقدر على قتله ، وقام أُسَيْد بن حُضَيْر — وهو آبن عم سعد — فقال لسعد بن عُبادة : كذبت لعمر الله لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين . فتثاور الحيّان : الأوسُ والخزرجُ حتى همّوا أن يقتتلوا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليـه وسلم يُخفِّضهم (٣) حتى سكتوا وسكتَ . قالت : فبكيتُ يومى ذلك لا يَرقأ لى دمع ، ولا أكتحل بنوم ، قالت : وأصبح أبواى عنـدى ، وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم ولا يَرقأ لى دمع ، يظنان أن البكاء فالق كَبِدى ، فقالت : فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى فآستأذنتْ علىّ آمرأةٌ من الأنصار فأذنتُ لها ، فجلست تبكى معى ، قالت : فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلّم ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندى منذ قيـل ما قيل قبلها ، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه فى شأنى ، قالت : فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ، ثم قال : " أمّا بعد يا عائشة ، فإنه قد بلغنى عنـك كذا وكذا ، فإن كنتِ بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنتِ ألممتِ بذنب ، فاستغفرى الله وتوبى إليه ، فإنّ العبد إذا آعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه " . قالت : فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قَلَصَ دمعى حتى ما أُحِسّ منه قَطْرة ، فقلت لأبى : أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ، قال : والله

(١) احتملته الحمية : أى أغضبته . (٢) لعمر الله : اى وبقاء الله .
(٣) يخفضهم : يسكنهم ، ويهون عليهم الأمر .

١٤٩ / ١٤

ما أدرى ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لأمّى : أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : ماأدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السنّ لا أقرأ كثيرا من القرآن : إنّى والله لقد علمتُ ؛ لقد سمعتم هذا الحديث حتى آستقرّ فى أنفسكم وصدّقتم به ، فلئن قلت لكم إنّى بريئة لا تُصدِّقونى بذلك ، ولئن آعترفت بأمرٍ والله يعلم أنّى بريئة منه لتصدقنّى ، والله ما أجد لكم مَثَلا إلا قولَ أبى يوسف ، قال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ . قالت : ثم تحوّلتُ فاضطجعتُ على فراشى ، قالت : وأنا حينئذ أعلم أنى بريئة ، وأن الله يبرئنى ببراءتى ، ولكن والله ما كنتُ أظن أنّ الله مُنزِلٌ فى شأنى وحيًا يُتلى ، ولَشأنى فى نفسى كان أحقرَ من أن يتكلّمَ الله فىّ بأمر يُتلى ، ولكن كنتُ أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئنى الله بها . قالت : فوالله ما رَامَ[1] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما يأخذه من البُرَحاء[2] ، حتى إنه ليتحدّر منه مثلُ الجُمَان[3] من العرَق — وهو فى يوم شاتٍ — من ثِقل القول الذى ينزل عليه ، قالت : فلما سُرِّىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سُرِّىَ عنه وهو يضحك ، فكانت أوّل كلمة تكلّم بها : "يا عائشة ، أمّا اللهُ فقد برّأك" ، فقالت أمّى : قومى إليه ، قالت فقلت : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عزّ وجل ، وأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ . لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ . لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ

(١) ما رام : أى ما فارق . (٢) البرحاء : العرق من شدة ثقل الوحى .
(٣) الجمان : اللؤلؤ .

فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم . إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم . ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم . يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين . ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم ﴾(١)، قالت عائشة : فلما أنزل الله تعالى هذا فى براءتى ، قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته وفقره : والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذى قال لعائشة — رضى الله عنها — ما قال ، فأنزل الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾(٢) . قال أبو بكر رضى الله عنه : بلى والله إنى أحب أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا . قالت عائشة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال : " يا زينب ، ماذا علمت أو رأيت "؟ ، فقالت : يا رسول الله ، أحمى سمعى وبصرى ، ما رأيت إلا خيرا ، قالت : وهى التى كانت تسامينى(٣) من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعصمها الله بالورع ، وطفقت أختها حمنة تحارب لها ، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك . انتهى حديث البخارى .

(١) سورة النور ١١ — ٢٠ (٢) سورة النور ٢٢

(٣) تساميني : أى تضاهيني ، وتفاخرني بجمالها ومكانتها عند النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى عُروة بن الزُّبير ، وعبد الله
آبن عبد الله بن عُتْبة ، وعبد الله بن الزبير ، وعَمْرة بنت عبد الرحمن ، كلهم يُحدِّث
عن عائشة — رضى الله عنهم — بنحو هـذا الحديث ، وزاد فيـه من قول أسامة
آبن زيد ؛ فأثنى خيرا ، وقاله ؛ ثم قال : يا رسـول الله ، أهلك ولا نعلم إلا خيرا ،
٥ وهذا هو الكذب والباطل . قال : وأمّا علىّ بن أبى طالب فإنه قال : يارسول الله ،
إنّ النساء لكثير ، و إنك لقادر على أن تَستخلِف ، وآسأل الجارية فإنها ستَصْدُقك .
قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَرِيرة ليسألها ، فقام إليها علىّ بن أبى طالب
فضربهـا ضربا شـديدا ، وقال : آصْدُقِى رسـول الله . وساق نحو ما تقـدم .
وقال فى خبر الوحى : قالت فوالله ما بِرِح رسـول الله صلى الله عليـه وسلم مجلسه
١٠ حتى تَغشّاه من الله ما كان يَتغشّاه ، فسُجِّى بثوبه ، ووُضِعت له وِسادة من أدَم
تحت رأسه ، فأمّا أنا حين رأيت ما رأيت فوالله ما فزِعتُ ولا باليتُ ؛ قد عرفت
أنى منـه بريئة ، وأنّ الله غير ظالمى ، وأمّا أبواى ، فوالذى نفس عائشـة بيده ،
ماسُرِّىَ عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم حتى ظننتُ لتخرجنّ أنفسُهما فَرَقا من
أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس . وساق الحديث بنحو ماتقدم . ثم قال : قالت
١٥ ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل عليه
من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمِسْطح بن أُثَاثة ، وحسّان بن ثابت ، وحَمْنة بنت
جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضُرِبوا حدّهم ؛ فقال رجل من المسلمين
فى ذلك :

لقد ذاقَ حسّانُ الذى كان أهلَه * وحَمْنـةُ إذ قالوا هَجِـيرًا ومِسْطَحُ [(١)]
٢٠ تَعاطَوْا برجم الغيبِ زوجَ نبيِّهِـمْ * وسَخْطةَ ذى العَرْش الكريم فأتْرِحوا [(٢)]

(١) الهجير : الفحش من القول . (٢) الرجم : الظن ، وأترحوا : أحزنوا .

وآذَوْا رسولَ الله فيها فجُلِّلوا * مَخازِى تَبْقَى عُمِّموها وفُضِّحوا
وصُبَّتْ عليهم مُحْصَداتٌ كأنها * شآبيبُ قَطْرٍ من ذُرَى المُزْنِ تَسْفَحُ (١)

وحكى أبو عمر بن عبد البر فى ترجمة مِسْطح — وهو عوف بن أُثاثة بن عبّاد ابن عبد المطلب بن عبد مناف بن قُصىّ ، وأمه سلمى بنت صخر بن عامر خالة أبو بكر الصدّيق . قال : وذكر الأموى عن أبيه عن ابن إسحاق قال قال أبو بكر يذكر مِسطحا :

يا عوفُ ويحكَ هَلّا قلتَ عارفةً * من الكلام ولم تُتبع بها طمَعَا
وأدركَتْكَ حُمَيّا مَعْشَرٍ أُنُفٍ * ولم تكن قاطعًا يا عَوْفُ مَنْ قطعا
هَلّا حَرِبْتَ من الأقوام إذ حسدوا * فلا تقولُ ولو عاينته قَذَعَا
لمّا رميْتَ حَصانًا غيرَ مُقْرِفةٍ * أمينةَ الجَيْبِ لم نعلم لها خَضَعَا
فيمن رماها وكنتم مَعْشَرًا أُفُكًا * فى سَيِّءِ القول من لفظ الخَنَا شرَعَا
فأنزل الله وَحْيًا فى براءتها * وبين عَوفٍ وبين الله ما صَنَعَا
فإن أَعِشْ أَجْزِ عَوْفًا عن مقالته * شَرَّ الجَزَاءِ إذا أَلْفَيْتُه تَبِعَا

ولعل هذا الشِّعر إن صحّ عن أبى بكر فيكون قاله قبل نزول قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ ﴾ الآية . فإنه قد صح أن أبا بكر قال عند نزولها : والله إنّى أحبّ أن يغفر الله لى ، ورَجَع إلى مِسْطح النفقةَ التى كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها عنه أبدا .

وقال محمد بن إسحاق : حدّثنى أبى إسحاق بن يَسَار عن بعض رجال بنى النجار : أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أمّ أيوب : ألا تسمع ما يقول

(١) محصدات : يعنى سياطا محكمة الفتل شديدات . شآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . والذرى : الأعالى . وتسفح : تسيل .

الناس فى عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنتِ يا أمّ أيوب فاعلة ؟ قالت : لا واللهِ ما كنتُ لأفعله ؛ قال : فعائشة والله خيرٌ منك . فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال أهل الإفك ، ثم قال : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ ، أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته .

٥ قال ابن إسحاق : وكان حسّان بن ثابت قال شعرا يُعرِّض فيه بصفوان بن المعطَّل ، فآعترضه صفوان فضربه بالسيف ، ثم قال :

تَلَقَّ ذُبابَ السَّيفِ عنكَ فإنّنى * غلامٌ إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ

فوثب ثابت بن قيس بن شمّاس على صفوان بن المعطَّل حين ضرب حسّان فجمع يديه إلى عنقه بحبل ، ثم آنطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه ١٠ عبد الله بن رَوَاحة فقال : ما هذا ؟ قال : أما أَعجَبك[(١)] ! ضربَ حسّانَ بالسيف والله ما أراه إلا قد قتله ؛ فقال له عبد الله بن رَوَاحة : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء مما صنعت ؟ قال : لا والله ؛ قال : لقد آجترأتَ ، أطلق الرجل ، فأطلقه ، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسّان وصفوان ، فقال صفوان : يارسول الله ، آذانى وهجانى ، فحملنى الغضب فضربته ، فقال رسول الله ١٥ صلى الله عليه وسلم : "يا حسّان ، أتَشَوَّهتَ[(٢)] على قومى أن هداهم الله الإسلام"؟ ثم قال : "أحسِنْ يا حسّان فى الذى قد أصابك" قال : هى لك ؛ فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عِوضا عنها بَيْرَحا — وهى قصر بنى حُدَيْلَة — كانت مالا لأبى طلحة وتصدّق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاها حسّانَ فى ضربته ، وأعطاه

١٥١ / ١٤

(١) قال السهيلى : «معناه أما جعلك تعجب ، تقول عجبت من الشىء وأعجبنى الشىء إذا كان ذلك ٢٠ العجب من مكروه أو محبوب» . (٢) أتشوهت على قومى : أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله .

سيرين — أَمَةٌ قِبْطِيَّة — فولدت له عبد الرحمن بن حسّان . قال : وكانت عائشة رضى الله عنها تقول : لقد سُئل عن ابن المعطّل فوجدوه رجلا حَصُورا ما يأتى النساء ، ثم قُتِل بعد ذلك شهيدا رضى الله عنه .

وقال حسّان بن ثابت يعتذر من الذى كان منه فى شأن عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها :

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ * وتُصبحُ غَرْثَى من لُحُوم الغَوَافِلِ (١)

عَقِيلة حَىٍّ مِن لُؤَىِّ بن غالبٍ * كِرام المساعى مجدُهم غير زائلِ (٢)

مُهَذَّبةٌ قد طَيَّبَ اللهُ خِيمَها * وطَهَّرها مِن كلِّ سُوءٍ وباطلِ (٣)

فإن كنتُ قد قلتُ الذى قد زَعَمْتُمُ * فلا رَفعتْ سَوْطِى إلىّ أناملى

وكيف ووُدِّى ما حَيِيتُ ونُصرتى * لآلِ رسول الله زَيْنِ المحافلِ

له رُتَبٌ عالٍ على الناس كلِّهم * تَقاصرَ عنها سَوْرَةُ المتطاولِ (٤)

فإنّ الذى قد قِيل ليس بِلائِطٍ (٥) * ولكنه قولُ امرئٍ بِىَ ماحِلِ (٦)

وقد روينا عن البخارىّ رحمه الله بالإسناد المتقدم، قال : حدثنا محمد بن يوسف، قال : حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عائشة

---

(١) الحصان : العفيفة . الرزان : الملازمة موضعها ، التى لا تتصرف كثيرا . ما تزن : أى ما تتهم . غرثى : جائعة . الغوافل : جمع غافلة ؛ أى لا ترتع فى أعراض الناس .

(٢) العقيلة : الكريمة . المساعى (جمع مسعاة) : وهو ما يسعى فيه من طلب المجد والكرم .

(٣) الخيم : الطبع والأصل . (٤) السورة : المنزلة، والرتبة .

(٥) اللائط : اللاحق واللازق . (٦) كذا فى الأصل ، والذى فى ديوان حسان :

* بها الدهر بل قول امرئ بى ما حل *

الماحل المشاء بالنميم .

رضى الله عنها قالت : جاء حسّان بن ثابت يستأذن عليها، قلت : أتأذنين لهذا ؟ قالت : أو ليس قد أصابه عذاب عظيم ؟ قال سفيان : تعنى ذهاب بصره، فقال :

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بِريبةٍ * وتُصبِحُ غَرْثَى مِن لُحُوم الغَوافِل

قالت : لكن أنتَ[(١)] .

٥ وعن مسروق أيضا قال : دخل حسّان على عائشة فشبَّب فقال : حَصانٌ رَزانٌ ... ... البيت . قالت : لستَ كذلك، قلت : تَدعِين هذا يدخل عليك وقد أنزل الله : ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ ؟ قالت : وأىُّ عذاب أشدُّ من العمى ! وقد كان يَرُدُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر خبر التيمم

١٠ من أهل العلم من ذهب إلى أن آية التيمم أنزلت فى غزوة المُرَيْسِيع[(٢)] ، ومنهم من ذهب إلى أنها أنزلت فى غيرها . روى أبو عبد الله محمد البخارىّ رحمه الله بسنده عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبَيْداء — أو بذات الجيش — انقطع عِقْد لى، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه، وأقام الناسُ معه وليسوا على ماء، ١٥ فأتى الناسُ إلى أبى بكر الصِّدّيق فقالوا : أَلَا تَرى ما صنعت عائشة ؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء . فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضعٌ رأسه على فخذى قد نام، فقال :

(١) إشارة إلى أنه آغتابها فى قصة الإفك .

(٢) المريسيع : ماء لبنى خزاعة بينه و بين الفُرع (بضم الفاء والراء) مسيرة يوم، وهذه الغزوة ٢٠ هى غزوة بنى المصطلق . (المواهب) .

حَبَسْتِ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والناسَ ، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء !
فقالت عائشة : فعاتبنى أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول ، وجعل يطعننى بيده
فى خاصرتى ، فلا يمنعنى من التحرك إلا مكانُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على
فخذى ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح على غير ماء ، فأنزل الله آية
التَّيَمم فتيمَّموا ، فقال أُسَيد بن الحُضَير : ما هى بأوّل بركتكم يا آل أبى بكر .
قالت : فبعثنا البعير الذى كنتُ عليه، فأصبنا العِقْد تحتَه .

١٥٢ / ١٤

حوادث السنة السادسة (١)

فيها كانت غزوة الحُدَيبِيّة ، وبيعة الرِّضوان ، وهُدنة قريش ، على ما نذكر
ذلك كله فى الغزوات إن شاء الله تعالى ، وفيها قُحِطَ الناسُ ، فٱستسقى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالناس فى شهر رمضان فسُقوا ، وفيها هاجرت أمّ كلثوم .

ذكر هجرة أمّ كلثوم بنت عُقبة بن أبى مُعَيْط ، وما أنزل الله تعالى فى هجرة النساء

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة الحُدَيبيّة ، بعد أن حلت
الهُدْنة ، وتقررت القَضِيّة ، وكان فيما وقع عليه الصُّلْح : أنه من جاء إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قريش بغير إذن وَلِيِّه ردَّه إليهم ، وردَّ من ردَّ من رجال
المسلمين ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله فى الغزوات . ثم هاجرت أمّ كلثوم بنت
عُقبة بن أبى مُعَيط إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك المدة ، فخرج أخواها
عُمارة والوليد ، ٱبنا عقبة ، حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن
يردّها عليهما بالعهد الذى بينه وبين قريش ، فلم يفعل؛ وذلك أن الله عزّ وجل

(١) فى الأصل : « الثالثة » وهو تحريف .

أنزل : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾[1] ، فمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء لذلك ، وأمر بردّ صَدُقاتهنّ إليهم إن هم ردّوا على المسلمين صدُقات من حبسوا عنهم من نسائهم .

قال ابن إسحاق : ولما أنزل الله تعالى قوله : ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ ، كان ممن طلّق عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ، طلّق امرأتيه قُرَيْبَة ابنة أبي أمية ابن المغيرة ، فتزوّجها بعده معاوية بن أبي سفيان ، وأمّ كلثوم بنت جَرْوَل أمّ عُبيد الله ابن عمر الخُزَاعية ، فتزوّجها أبو جَهْم بن حُذَيفة بن غانم ، وكانوا إذ ذاك على شركهم . والله أعلم .

[حوادث السنة السابعة][2]

فيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّ حبيبة بنت أبي سفيان ، وصَفيّة بنت حُيَيّ بن أَخْطب ، وميمونة بنت الحارث الهلالية . وفيها أسلم أبو هُرَيْرة — واسمه في الجاهلية عُمَير بن عامر بن عبد ذي الشَّرَى ، وفي الإسلام عبد الرحمن بن صخر الدَّوْسيّ ، وأسماؤه كثيرة بحسب ما ورد من اختلاف أقوال الرواة ، وقد صحّحوا ما ذكرناه ، والله أعلم — وعِمران بن حُصَين . وفيها حُرِّمت الحُمُر الأهلية ، ومُتْعة النساء

(١) سورة الممتحنة ١٠ — ١١ (٢) العنوان ساقط من الأصل .

على ما نذكر ذلك إن شاء الله فى غزوة خَيْبَر . وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرُّسل إلى الملوك ، وقدم حاطب بن أبى بَلْتَعة من عند المُقَوْقِس بمارِية بنت شَمْعون القِبْطية أمّ إبراهيم عليه السلام وأختها شِيرِين . وفيها قدم جعفر بن أبى طالب ومن كان قد بقى من المهاجرين بأرض الحبشة ، وقد تقدم ذكرهم .

حوادث السنة الثامنة

٥

١٥٣/١٤

فيها وُلد إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية . وفيها توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها وَهَبَت سَوْدَة زوج النبى صلى الله عليه وسلم يومها لعائشة رضى الله عنها حين أراد طلاقها . وفيها عُمِل مِنْبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخطب عليه .

ذكر آتخاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر وخطبته عليه

١٠

روى محمد بن سعد فى طبقاته الكبرى بسنده عن أبى هُرَيرة رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جِذْع فى المسجد قائما ، فقال : "إن القيام قد شَقّ علىّ" ، فقال له تميم الدارىّ : ألا أعمل لك مِنْبرا كما رأيتُ يُصنع بالشام ؟ ، فشاور رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فى ذلك ، فرأوا أن يتخذه ، فقال العباس بن عبد المطلب : إن لى غلاما يقال له كِلاب أعْمَلُ الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مُرْه أن يعمله" ، فأرسله إلى أَثْلَة بالغابة فقطعها ، ثم عمل منها درجتين ومقعدا ، ثم جاء به فوضعه فى موضعه [اليوم](1) ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عليه وقال : "مِنْبرى هذا على تُرعة من تُرع الجنة ، وقوائم مِنْبرى رواتب فى الجنة" . وعن سهل بن سعد

١٥

(١) الزيادة من ابن سعد .

٢٠

وقد سئل عن مِنْبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى عُود هو ؟ فقال : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلانة ـ آمرأة سماها ـ فقال : "مُرِى غلامَك النجار يعمل لى أعوادا أكلّم الناس عليها"، فعمل هذه الثلاث درجات من طَرْفَاء الغابة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه فى هذا الموضع . وقد رُوى عن باقُوم الرومىّ أنه قال : صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مِنبرا من طرفاء، ثلاث درجات : القعدة ودرجتيه؛ رواه عنه صالح مولى التَّوْءَمة[1] . حكاه أبو عمر فى ترجمة باقوم . ولما آنتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه كان من حَنِين الجِذْع ما نذكره إن شاء الله تعالى فى معجزاته صلى الله عليه وسلم .

وفى هذه السنة أسلم عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة، على ما نشرح ذلك .

ذكر إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة

كان سبب إسلامهم على ماحكاه محمد بن إسحاق بسنده يرفعه إلى عمرو بن العاص، قال عمرو : لما آنصرفنا مع الأحزاب عن الخَنْدق جمعتُ رجالا من قريش كانوا يرون رأيى، ويسمعون منّى، فقلت لهم : تعلَّموا والله أنى أرى أمر محمد يعلو الأمورَ عُلوًّا مُنكرا، وإنّى قد رأيت أمرًا فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت؟ قال : رأيت أن نَلْحق بالنّجاشى فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النَّجاشىّ، فإنّا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يَدَىْ محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا : إن هذا

(١) التومة : هى بنت أمية بن خلف الجمحي، وإنما قيل لها : التومة لأنها كانت معها أخت لها فى بطن . (انظر أسد الغابة) .

لرأى، قال : فاجمعوا ما يُهدَى له، وكان أحبَّ ما يُهدَى إليه من أرضنا الأَدَم، فجمعنا أَدَمًا كثيرا، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه . فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضَّمْرى، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه فى شأن جعفر وأصحابه، قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده، فقلت لأصحابى : هذا عمرو بن أمية، ولو قد دخلت على النَّجاشى وسألته إياه فأعطانيه فضربتُ عنقه، فإذا فعلتُ ذلك رأت قريش أنى قد أَجْزَأْت عنها، فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع، فقال لى : مرحباً بصديق، أهديتَ لى من بلادك شيئا؟ قلت : نعم أيها الملك، قد أهديت لك أَدَمًا كثيرا، ثم قربته إليه فأعجبه، ثم قلت له : أيها الملك، إنى قد رأيت رجلا خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال : فغضب، ثم مدّ يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت الأرض لدخلت فيها فَرَقا منه، ثم قلت له : أيها الملك، والله لو ظننتُ أنك تكره هذا ما سألتكه، قال : أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه النّامُوس الأكبر الذى كان يأتى موسى صلى الله عليه وسلم لتقتله ! فقلت : أيها الملك، أكذاك هو؟ قال : وَيْحَكَ يا عمرو، أطعنى واتّبعه، فإنه والله لعلى الحقّ، وليظهرنّ على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال : قلت : أفتبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابى وقد حال رأيى عما كان عليه، وكتمتهم إسلامى .

ثم خرجت عامدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقيت خالد بن الوليد وهو مقبل من مكة، فقلت : إلى أين يا أبا سليمان ؟ فقال : لقد استقام المَنْسِم[1]،

(١) استقام المنسم : معناه تبين الطريق ووضح، وفى الأصل : «المبسم» وفى ابن هشام «الميسم» والتصويب عن الخشنى، وابن الأثير .

وإن الرجل لنبيّ ، أذهب والله فأسلم فحتى متى ! قال قلت : والله ما جئتُ إلا لأسلم، قال : فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله، إنى أبايعك على أن يُغفَر لى ما تقدّم من ذنبى ولا أذكر ما تأخر، فقال : " يا عمرو : بايع ، فإن الإسلام يَجُبُّ[1] ما كان قبله، وإن الهجرة تَجُبُّ ما كان قبلها "، فبايعت ثم آنصرفت .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة كان معهما فأسلم حين أسلما .

حوادث السنة التاسعة

فيها آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائه، وأقسم ألّا يدخل عليهنّ شهرا . وكان سبب الإيلاءِ ما رواه البخاريّ بسنده عن عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبّ العسل والحلواء، وكان إذا آنصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهنّ ، فدخل على حَفْصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس فغِرْتُ، فسألت عن ذلك فقيل لى : أهدت لها آمرأة من قومها عُكّة عسل، فسقت النبيّ صلى الله عليه وسلم منه شَرْبة، فقلت : أَمَا والله لنحتالنّ له ، فقلت لسَوْدة بنت زَمْعة : إنه سيدنو منكِ، فإذا دنا منك فقولى له : أكلتَ مَغَافِير؟ سيقول لكِ : لا ، فقولى له : ما هذه الريح التى أجد ؟ فإنه سيقول لكِ : سقتنى حفصة شَرْبة عسل، فقولى له : جَرَسَت[2] نحلُه العُرْفُطَ، وسأقول ذلك، وقولى أنت ياصفية ذلك، قالت : تقول سَوْدة فوالله ما هو إلا أن قام على

---

(١) يجب : يقطع ويمحو . (٢) جرست : أكلت؛ يقال للنحل الجوارس ، والعرفط : شجر الطلح ، وله صمغ كريه الرائحة ، فإذا أكلته النحل حصل فى عسلها من ريحه .

الباب فأردت أن أُبادِئه بمـا أمرتنى به فَرَقًا منك . ومن رواية مسلم ــ قالت تقول سَوْدة: فوالذى لا إله إلا هو لقد كدتُ أبادئه بالذى قلتِ لى، وإنه لعلى الباب فَرَقًا منك . قال البخارىّ : فلما دنا منها قالت له سَوْدَة : يارسول الله، أكلت مَغَافِير؟ قال : "لا" قلت : فما هذه الريح التى أجد منك ؟ قال : "سَقتنى حَفْصةُ شَرْبة عسل" فقالت : جَرَسَتْ نَحْلُه العُرْفُط ، فلما دار الىّ قلت له نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حَفْصة قالت له : ألا أسقيك منه؟ قال: "لا حاجة لى فيه" قالت : تقول سَـوْدة والله لقد حَرَمْناه(١)، قلت لها : ٱسكتى(٢) . وفى رواية عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها، فتواطأت أنا وحَفْصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له : أكلتَ مَغَافير، إنى أجد منك رِيح مَغَافير، قال : "لا، ولكنى كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له ، وقد حلفت لا تُخبرى بذلك أحدا"، فأنزل الله تعـالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(٣) .

وروى مسلم بن الحجاج فى صحيحه بسنده عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : كنا معشر قريش قوما نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم ، فطَفِق نساؤنا يتعلّمن من نسائهم ، وكان منزلى فى بنى أميــة بن زيد بالعَوَالى ، فتغضّبت يوما على ٱمرأتى ، فإذا هى تُراجعنى، فأنكرت أن تراجعنى، فقالت : ماتنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم ليراجِعنَه، وتهجره إحداهنّ اليوم إلى الليل، فانطلقت فدخلت

(١) حرمناه : منعناه من العسل . (٢) قلت لها اسكتى : أى قالت السيدة عائشة لسودة اسكتى ؛ لئلا يظهر ما دبرته لحفصة . (٣) سورة التحريم آية ١

على حَفْصة فقلت : أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت : نعم [فقلت : أتهجره إحداكنّ إلى الليل ؟ قالت : نعم، فقلت] [١] : قد خاب من فعل ذلك منكنّ وخسر ، أفتأمَنُ إحداكنّ أن يغضب الله عليها لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ فإذا هى قد هلكت ، لا تراجعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا ، ٥ وسلينى ما بدا لك ، ولا يغرّنك أن كانت جارتك هى أَوْسَمُ وأحبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ، يريد عائشة .

١٥٥ / ١٤

ومن رواية البخارىّ قال : خرجت حتى دخلتُ على أمّ سَلَمة لقرابتى منها فكلمتها ، فقالت أمّ سَلَمة : عجباً لك يا بن الخطّاب ! دخلت فى كل شىء حتى تبتغى أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه ، فأخذتنى والله أَخْذًا ١٠ كَسَرَتْنى عن بعض ما كنت أجِد ، فخرجت من عندها .

رجعنا إلى حديث مسلم — قال عمر : وكان لى جار من الأنصار فكنّا نتناوب النزول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما، وأنزل يوما، فيأتينى بخبر الوَحْيِ وغيره، وآتيه بمثل ذلك ، وكنّا نتحدّث أن غَسّان تُنعِل الخيل لِغزونا [٢]، فنزل صاحبى، ثم أتانى عِشاء فضرب بابى، ثم نادانى فخرجت إليه، فقال : حدث ١٥ أمرٌ عظيم، فقلت : ماذا، أجاءت غَسّان؟ قال : لا، بل أعظم من ذلك وأطول، طَلّق النبيُّ صلى الله عليه وسلم نساءَه ، فقلت : قد خابت حَفْصة وخَسِرت، وقد كنتُ أظنّ هذا كائنا ، حتى إذا صلّيتُ الصبح شددت علىّ ثيابى، ثم نزلت فدخلت على حفصة وهى تبكى، فقلت : أطلقكنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت : لا أدرى ، ها هو ذا معتزل فى هذه المَشْرُبَة ، فأتيت غلامًا له أسود ٢٠ فقلت : اسْتأذِنْ لعمر، فدخل ثم خرج إلىّ فقال : قد ذكرتك له فصَمَتَ، فانطلقتُ

---

(١) الزيادة من صحيح مسلم ج ٤ : ١٩٣ . (٢) فى مسلم : « لتغزونا » .

حتى آنتهيتُ إلى المنبر فجلستُ ، فإذا عنده رهطٌ جلوس يبكى بعضهم ، فجلست قليلا ثم غلبنى ما أجِد، ثم أتيتُ الغلام فقلت : آستأذِنْ لعمر، فدخل ثم خرج إلىّ، فقال : قد ذكرتك له فصمَتَ ، فولّيْتُ مدبرا، فإذا الغلام يدعونى، فقال : آدْخُل فقد أَذِن لك ، فدخلتُ فسلّمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو مُتّكئ على رمْلِ[1] حصير قد أثّر فى جنبه ، فقلت : أطلقت يا رسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه إلىّ وقال : " لا " فقلت : الله أكبر، لو رأيتنا يا رسول الله ، وكنا معشر قريش قوما نغلب النساء، فلما قَدِمْنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم، فطَفِق نساؤنا يتعلّمْن من نسائهم ، فتغَضَّبْتُ على آمرأتى يوما فإذا هى تراجعنى، فأنكرتُ أن تراجعنى ، فقالت : ما تُنكر أن أراجعك ؟ فوالله إنّ أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم ليراجعْنَه وتهْجُره إحداهنّ اليوم إلى الليل ، فقلت : قد خاب من فعل ذلك منهنّ وخَسِر، أفتأمن إحداهنّ أن يغضب الله عليها لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا هى قد هلكت ، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، قد دخلت على حَفْصة فقلت : لا يَغُرَّنكِ أن كانت جارتُكِ هى أوْسَمَ مِنكِ وأحبَّ إلى رسول الله منكِ، فتبسم أخرى .

ومن رواية البخارىّ — قال عمر: فقصصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث ، فلما بلغت حديث أمّ سَلَمة تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر التّبسم فيما قبلها .

قال مسلم فى حديثه : فقلت أستأنِس[2] يا رسول الله ؟ قال : " نعم " فجلستُ فرفعتُ رأسى فى البيت ، فوالله ما رأيت فيه شيئا يردّ البصر

(١) رمل حصير : نسجه ، ليس له وطاء سواه .

(٢) المراد بهذه الكلمة الاستئذان فى الأنس والمحادثة ، كما يستفاد من الشرح .

إلا أُهُباً[1] ثلاثة ، فقلت : ادع الله يا رسول الله أن يُوَسِّع على أمتك ، فقد وسّع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله ، فاستوى جالسا ثم قال : "أفى شك أنت يابن الخطاب ، أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا" فقلت : استغفرلى يا رسول الله ، قال : وكان أقسم ألّا يدخل عليهنّ شهرا من شدة مَوْجِدَته[2] عليهنّ حتى عاتبه الله عزّ وجلّ .

وعن عُرْوة عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما مضى تسع وعشرون ليلة دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم — بدأ بى — فقلت : يارسول الله ، إنك أقسمت ألّا تدخل علينا شهرا ، و إنك دخلت من تسع وعشرين ، أعدّهن ؟ فقال : "إنّ الشهر تسع وعشرون" ثم قال : "يا عائشة ، إنى ذاكر لك أمرًا فلا عليك ألّا تَعْجَلِى حتى تَستأمرِى أبويْك" ثم قرأ علىّ الآية : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ ﴾ حتى بلغ ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3] فقالت عائشة : قد علِم والله أن أبوىّ لم يكونا ليأمرانى بفراقه ، فقلت : أوَ فى هذا أستأمر أبوىّ ؟ فإنى أريد الله ورسوله والدارَ الآخرة . وفيها هَدَم رسولُ الله مسجد الضِّرَار .

ذكر خبر مسجد الضرار وهدمه ومن اتخذه من المنافقين

وكان هدم مسجد الضِّرار عند مُنْصَرَف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تَبُوك ، وكان أصحابه الذين بنوه اثنى عشر رجلا : وهم خِذَام بن خالد ومن داره خرج ، وثَعْلَبة بن حاطب ، ومُعَتِّب بن قُشَيْر ، وأبو حَبِيبة بن الأزْعَر ، وعبّاد ابن حُنَيف ، وجارية بن عامر ، وابناه مُجَمِّع وزيد ، ونَبْتَل بن الحارث ، وبَحْزَج من بنى ضُبَيعة ، وبِجَاد بن عثمان من بنى ضُبَيعة ، ووَدِيعة بن ثابت ، فأتوا رسول الله

١٥٦
١٤

(١) الأهب : الجلود . (٢) الموجدة : الغضب . (٣) سورة الأحزاب آية ٢٨ — ٢٩

صلى الله عليه وسلم وهو يتجهّز إلى تَبُوك ، فقالوا : يا رسول الله، قد بنينا مسجدا لذى العلّة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، و إنا نحبّ أن تأتينا فتصلى لنا فيه، فقال : " إنّى على جَناح سَفَر وحال شُغل — أو كما قال صلى الله عليه وسلم — ولو قد قَدِمْنا إن شاء الله تعالى لأتيناكم فصلينا لكم فيه " فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تَبُوك نزل بِذِى أَوَانٍ — بلد بينه و بين المدينة ساعة من نهار — أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدُّخْشُم أخا بنى سالم بن عوف ، ومَعْن بن عدىّ ، أو أخاه عاصم بن عدىّ ، فقال : " انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقاه " فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدُّخْشُم، فقال مالك لمَعْن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى، فدخل إلى أهله فأخذ سَعَفا من النّخل فأشعل فيه نارا، ثم [خرجا](1) يشتدّان حتى دخلاه وفيه أهله فحرّقاه وهدماه وتفرّقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ . أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(2) .

وفيها لاعَنَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينَ العَجْلانىّ و بين آمرأته فى مسجده بعد صلاة العصر فى شعبان، وكان عُوَيْمر قدِم من تَبُوك فوجدها حُبْلَى . وفى شوّال منها

(١) الزيادة من آبن هشام . (٢) سورة التوبه ١٠٧ — ١١٠

مات عبدالله بن أبيّ بن سَلُول المنافق، وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يصلّ بعدها على منافق؛ لقوله تعالى : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾[1] الآية .

وفيها ماتت أمّ كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها نَعَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النجاشيَّ فى اليوم الذى مات فيه بالحبشة ، قيل : فى شهر رجب . وفيها أسلم كعب بن زُهير . والله أعلم بالصواب .

ذكر إسلام كَعْب بن زُهَير بن أبي سُلْمَى وآمتداحه رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان سبب إسلامه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما آنصرف عن الطائف كتب أخوه بُجَيْر بن زُهَيْر إليه يخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل رجلا بمكة ممن كان يهجوه و يؤذيه ،وأن من بقى من شعراء قريش كآبن الزِّبَعْرَى ،وهُبَيْرة بن أبى وَهْب قد هربوا فى كل وَجْه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة فطِر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يقتل أحدا جاءه تائبا ، و إن أنت لم تفعل فآنْجُ إلى نَجائك من الأرض . وكان كعب قد كتب إلى أخيه بُجَيْر لمّا بلغه إسلامه :

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّى بُجَيْرًا رسالةً * فهل لك فيما قُلْتُ وَيْحكَ هل لَكَا ؟
شَرِبْتَ مع المأمونِ كأسًا رَوِيَّةً * فأَنْهَلَكَ المأمونُ منها وعَلَّكَا[2]
وخالفتَ أسْبَابَ الهُدى وَاتَّبَعْتَه * على أيِّ شيْءٍ وَيْبَ غَيْرِك دَلَّكَا[3]
على خُلُقٍ لم تُلْفِ أُمًّا ولا أَبًا * عليه ولم تُدرِك عليه أخًا لَكَا

(١) سورة التوبة ٨٤ (٢) المأمون : يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت قريش تسميه المأمون والأمين . والنهل : الشرب الأول، والعلل : الشرب الثانى .
(٣) ويب غيرك : ويح غيرك .

ويروى :

على خُـلُقٍ لم تُلْفِ يومًا أبًا له * عليـه وما تُلْفِى عليـه أبًا لَكا

فإن أنتَ لم تفعلْ فلستُ بآسِفٍ * ولا قائـل إمّا عَثَرتَ : لَعًا لَكا! (١)

١٥٧
١٤

وبعث بها إليه، فلما أتت بُجَيرًا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لما سمع] (٢) قوله « سقاك بها المأمون » : "صَدَق وإنه لكذوب، [أنا المأمون] (٢)" ولما سمع قوله « على خُلُقٍ لم تُلْفِ أمًّا ولا أبًا عليه» قال : "[أَجَلْ] (٢) لم يُلْفِ عليه أباه ولا أمه" فكتب بُجَيْر إلى كعب :

مَنْ مُبْلِـغٌ كَعْبًا فهل لكَ فى التى * تَـلُومُ عليهـا باطلًا وهى أَحْزَمُ

إلى اللهِ ـ لا العُزّى ولا اللّاتِ ـ وَحْدَه * فتَنْجُو إذا كان النَّجَاءُ وتَسْـلَمُ

لدى يومِ لا يَنْجُـو وليس بمُفْلِتٍ * من الناس إلا طاهرُ القلب مُسْلِمُ

فدِينُ زُهَـيْرٍ وهو لا شىءَ دِينُـه * ودِينُ أبى سُـلْمَى علىَّ مُحَـرَّمُ

قال : فلما بلغ كَعْبًا كتابُ أخيه ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأرْجف به من كان فى حاضره (٣) من عدوّه، فقالوا : هو مقتول، فقال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر فيها خوفَه، وإرْجَافَ الوُشاة به من عدوّه، وخرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جُهَيْنةَ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلّى الصبح فصلّى معه، ثم أشار الجُهَنِىّ لكَعْب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : هذا رسول الله فقم إليه فاستأْمِنْه، فقام حتى جلس إليه، فوضع يده فى يده، وكان رسـول الله صلى الله عليه وسلم

(١) لعا : كلمة تقال لمن عثر، دعاء له أن ينتعش من سقطته. (٢) الزيادات من ابن هشام، والذى فى شرح الديوان للسكرى : "صدق! أنا المأمون، وإنه لكاذب". (٣) حاضره : حيه.

لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله إنّ كَعْبَ بن زُهَيْر قد جاء ليستأمن منك تائبا مُسْلما ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نعم " فقال : أنا يا رسول الله كعب بن زُهير، فوثب رجل من الأنصار وقال : يارسول الله ، دعني وعدوَّ الله أَضربْ عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " دعه عنك ، فإنه قد جاء تائبا نازِعا(١) " . قال : فغضب كعب على هـذا الحيّ من الأنصار لِمَا صَنَع به صاحبُهم ، وأنشد كعب قصيدته ، وهي :

بانَتْ سُعادُ فقلبي اليومَ مَتْبُولُ * مُتيَّمٌ عنـدها لم يُجزَ مَكْبُولُ(٢)

وما سعادُ غداةَ البَيْنِ إذ بَرَزَتْ * إلا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْف مَكْحُولُ(٣)

هَيْفاءُ مُقْبِلةً عَجْزاءُ مُدْبِرةً * لا يُشْتَكَى قِصَرٌ منها ولا طُولُ(٤)

تَجْلُو عَوارِضَ ذِي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ * كأنّه مُنْهَلٌ بالرّاحِ مَعْلُولُ(٥)

شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِن ماءِ مَحْنِيَةٍ * صافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وهو مَشْمُولُ(٦)

تَنْفِي الرِّياحُ القَذَى عنه وأَفْرَطَه * من صَوْبِ غاديةٍ بِيضٌ يَعالِيلُ(٧)

---

(١) نازعا : أى مائلا إلى الإسلام ، أو كافا عن الشرك .

(٢) بانت : فارقت . متبول : غلبه الحب وهيمه . متيم : ذلله الحب . مكبول : مقيد . يروى : « لم يفد » : من الفداء . ولم يجز من الجزاء .

(٣) البين : الفراق . ويروى : « غداة البين إذ رحلوا » . والأغن : الذى فى صوته غنة . وغضيض الطرف : فاتر الطرف ، أراد التشبيه . (٤) الهيف : ضمر البطن ورقة الخاصرة .

(٥) العوارض : الأسنان ما بين الثنية والضرس . والظلم : ماء الأسنان وبريقها . ومنهل : قد أنهل بالراح : الخمر ، والنهل : أول شربة . والمعلول : قد سقى مرتين ، والعلل : الشرب الثانى .

(٦) شجت : مزجت بالماء . والشبم : الماء البارد . المحنية : منعطف الوادى . الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى . مشمول : أصابته ريح الشمال فبردته .

(٧) عنه : أى عن الماء الصافى . أفرطه : ملأه . الصوب : المطر . الغادية : السحابة التى تأتى بالغداة . اليعلول : الغدير . يروى : « من صوب سارية » .

وَيْلَ آمِّها خُلّةً لو أنّها صَدَقتْ * بوَعْدِها أو لوَ آنّ النُّصْحَ مقبولُ (١)

لكنها خُلّةٌ قدْ سِيطَ من دمِها * فَجْعٌ ووَلْعٌ وإخْلافٌ وتَبْديلُ (٢)

فما تقومُ على حالٍ تكونُ بِهِ * كما تَلَوّنُ فى أثوابِها الغُولُ (٣)

كانت مَواعيدُ عُرْقوبٍ لها مَثَلًا * وما مَواعِيدُها إلّا الأباطِيلُ (٤)

وما تَمَسَّكُ بالعهد التى زَعمتْ * إلّا كما يُمْسِكُ الماءَ الغَرابِيلُ (٥)

أَرْجُو وآمُلُ أن يَعْجَلْنَ فى أَبَدٍ * وما لَهُنّ إخالُ الدهرَ تَعجِيلُ (٦)

فلا يَغُرّنْكَ ما مَنّتْ وما وَعدتْ * إنّ الأمانِىّ والأحْلامَ تَضْلِيلُ

أمْسَتْ سُعَادُ بأرضٍ ما يُبلّغُها * إلا العِتاقُ النَّجيباتُ المَراسِيلُ (٧)

ولا يُبلّغُها إلا عُذافِرةٌ * فيها على الأَيْنِ إرْقالٌ وتَبْغيلُ (٨)

---

(١) يروى : «أكرم بها خلة» . وفى الديوان : «ياويحها خلة» .

(٢) سيط : خلط . الفجع : المصيبة . الولع : الكذب . يريد أنها قد خلط بدمها الفجع بالمصائب ، والكذب فى الأخبار ، وإخلاف الوعد ، وتبديل خليل بآخر ، وصار ذلك سجية لها .

(٣) الغول : السعلاة ، وهى أنثى الشياطين ، سميت بذلك لأنها فيما زعموا تغتالهم ، أو لأنها تترامى لهم فى الفلوات ، وتتلون بألوان شتى ، وتضلهم عن الطريق .

(٤) عرقوب : رجل يضرب به المثل فى خلف الوعد ، وكان بالمدينة .

(٥) يروى : «تمسك بالوصل» .

(٦) أبد : زمن . يريد أنه يتمنى الوفاء بما وعدن على عجل ولو مرة فى الدهر ، وتعجيل : تصديق ، ويروى :

أرجو وآمل أن تدنو مودّتها * وما إخال لدينا منك تنويل

(٧) المراسيل : الخفاف . يقول : لا يبلغنى سعاد إلا مثل هذه النوق لبعدها .

(٨) فى الديوان وابن هشام : «ولن يبلغها» . عذافرة : شديدة غليظة ، والأين : الإعياء . والإرقال : أن تعدو وتنفض رأسها ، والتبغيل : ضرب من الهملجة المختلطة بالعنق .

١٥٨
١٤

من كل نَضّاخةِ الذِّفْرَى إذا عَرِقَتْ * عُرْضَتُها طامِسُ الأعْلامِ مجهولُ (١)
تَرْمى النِّجادَ بِعَيْنَىْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ * إذا توَقَّدتِ الحُزّانُ والمِيلُ (٢)
ضَخْمٌ مُقلَّدُها فَعْمٌ مُقيَّدُها * فى خَلْقِها عن بَنَاتِ الفَحْلِ تَفْضيلُ (٣)
حَرْفٌ أخوها أبوها من مُهَجَّنَةٍ * وعَمُّها خالُها قَوْداءُ شِمْليلُ (٤)
٥ يَمْشى القُرادُ عليها ثم يُزْلِقُه * منها لَبَانٌ وأقْرابٌ زَهالِيلُ (٥)
عَيْرانةٌ قُذِفَتْ بالنَّحْضِ عن عُرُضٍ * مِرْفَقُها عن بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتولُ (٦)

(١) نضاخة : فوارة، يصفها بكرم الأصل . الذفرى : النقرة خلف أذن الناقة والبعير، أوّل ما يعرق منهما . عرضتها : همتها ؛ أى قوية على السفر . طامس : دارس . الأعلام : العلامات ، أى قوية على قطع الأعلام المندرسة المجهولة .

١٠ (٢) النجاد : المشرف من الأرض ، ويروى : « الغيوب » : ما غاب من الأرض . المفرد : الذى خذل عن صواحبه . اللهق : الشديد البياض . الحزان (جمع حزيز — بزايين) : المكان الغليظ الصلب . والميل جمع ميلاء : العقدة الضخمة من الرمل، وقيل : هو مد البصر . يقول : إنها لا تكسل ولا تفتر فى الهاجرة .

(٣) مقلدها : رقبتها . فعم : ممتلئ، ويروى : «عبل» : وهو الضخم . المقيد : الرسغ . بنات
١٥ الفحل : النوق . أى لها فضل عليهنّ . فى شرح ابن هشام بيتان بعد هذا البيت ليسا بالأصل :

غلباء وجناء علكوم مذكرة * فى دفها سعة قدامها ميل
وجلدها من أطوم ما يؤيسه * طلح بضاحية المتنين مهزول

(٤) الحرف : القطعة البارزة من الجبل ، أى مثله فى القوة والصلابة ، أو حرف الخط فى الرقة والضمورة . أخوها أبوها : أى جمل حمل على أمه فوضعت ناقة ، فصار الجمل أخاها وأباها . والمهجنة
٢٠ من النوق : الكريمة ، والتهجين اختلاف الأبوين ، وهو مدح فى الإبل ، وذم فى بنى آدم . عمها خالها : يعنى أن عمها وخالها من جنس واحد، أى إنها كريمة الطرفين من أبيها وأمها . قوداء : الطويلة الظهر والعنق . والشمليل : الخفيفة السريعة .

(٥) اللبان بفتح اللام : الصدر ، والأقراب : الخواصر ، والزهاليل : الملس .

(٦) عيرانة : تشبه العير فى صلابتها ، قذفت بالنحض : كاملة الخلق لم ينقصها الحلب ، والنحض
٢٥ اللحم . العرض : الجوانب ، وبنات الزور : الأضلع المقدّمات ، المفتول : المدمج المحكم .

قَنْــوَاءُ فى حُرَّتَيْهـا للبصير بهـا * عِتْقٌ مُبِينٌ وفى الخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ (١)
كأنّ ما فاتَ عَيْنَيْهـا ومَذْبَحِهـا * مِن خَطْمِها ومن اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيـلُ (٢)
تُمِرُّ مِثلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذا خُصَلٍ * فى غارِزٍ لم تَخَـوَّنْه الأحَالِيــلُ (٣)
تَهْوِى على يَسَراتٍ وهْىَ لاهِيَـةٌ * ذَوَابِـلٌ وَقْعُهنَّ الأرضَ تَحْلِيـلُ (٤)
سُمْرُ العُجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الحَصَى زِيَمًا * لم يَقِهِنّ سَــوَادَ الأُكْمِ تَنْعِيـلُ (٥) ٥
يَــوْمًا يَظَلُّ به الحِـرْباءُ مُرْتَبِئًـا * كأنّ ضاحِيَـه فى النـار مَمْـلولُ (٦)
وقال للقَوْم حادِيهم وقد جَعَلَتْ * بُقْعُ الجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الحَصَى قِيلُوا (٧)

---

(١) قنواء : فى أنفها كالحدب ، حرتاها : أذناها ، والعتق : الكرم ، وسهلة الخدين : سائلتهما غير مرتفعة الوجنتين .

(٢) المذبح : المنحر . الخطم : الأنف ، البرطيل : معول من حديد ، أو حجر مستطيل ، وصفها بكبر الرأس وعظمه . ١٠

(٣) عسيب النخل : جريدها ، والغارز : الضرع ، قد غرز وقل لبنه ، لم تخـونه : لم تنقصه . الأحاليل : مجارى اللبن ، يريد تمر ذنبها على ضرعها .

(٤) تهوى : تسير بسرعة ، ويروى : «تخذى» ومعناهما واحد ، واليسرات : القوائم الخفاف . ذوابل : ليست برهلة ، وقعهن الأرض : إشارة إلى سرعة رفعها قوائمها ، وتحليل : مثل تحلة اليمين ، ١٥ أى كما يحلف الإنسان على الشىء ليفعله ، فيفعل منه اليسير ليتحلل من قسمه .

(٥) سمر : فى ألوانها ، وهى اليسرات فى البيت السابق ، العجايات : عصب باطن اليدين ، زيما : متفرقة ، يقول : لا يحتجن أن ينعلن لأنهن غلاظ الأخفاف .

(٦) الحرباء : ذكر أم حبين ، وهو حيوان يتلون ألوانا بحر الشمس ، مرتبئا : مرتقبا ، وذلك إذا كان فوق شرف ، ويروى : «مصطخما» : منتصبا ، ويروى : «مصطخدا» : تصلى بحر الشمس . ٢٠ الضاحى : البارز للشمس ، مملول : من مللت الخبز ، جعلته فى الملة بفتح الميم : الحفرة المحماة ، أو الرماد الحار .

(٧) الحادى : سائق الإبل ، بقــع : ذات اللون الأبقع ، الجنادب : جراد صغير ، فى أشـد ما تكون الهاجرة يكون ذلك ، قيلوا : من القيلولة ، وهى الإبراد عند الهاجرة ، وفى الديوان : «ورق الجنادب» ، الورق جمع أورق ، وهو الأخضر إلى سواد ، أو على لون الرماد .

كأنّ أَوْبَ ذِراعيْها وقد عَرِقَتْ * وقد تَلَفَّعَ بالقُورِ العَسَاقِيلُ (١)

أَوْبُ يَدَىْ فاقِدٍ شَمْطَاءَ مُعْوِلَةٍ * قامتْ فجاوَبَها نُكْدٌ مَثاكِيلُ (٢)

نَوَّاحَةٌ رِخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ ليس لها * لما نَعَى بِكْرَها الناعون مَعْقولُ (٣)

تَفْرِى اللَّبَانَ بكفَّيْها ومِدْرَعُها * مُشَقَّقٌ عن تَراقِيها رَعَابِيلُ (٤)

٥ تَسْعَى الوُشَاةُ جَنَبَيْها وقولُهُمُ * إنك يَاٱبنَ أبى سُلْمَى لَمَقتولُ (٥)

وقال كلُّ صَديقٍ كنتُ آمُلُهُ * لا أُلْهِيَنَّكَ إنِّى عنكَ مَشْغولُ (٦)

فقلتُ خَلُّوا طَريقِى لا أبَا لكُمُ * فكلُّ ما قَدَّر الرحمنُ مفعولُ

كلُّ ٱبنِ أنثَى وإن طالت سلامتُه * يومًا على آلةٍ حَدْباءَ مَحْمولُ (٧)

نُبِّئْتُ أنّ رسولَ الله أوْعَدَنى * والعَفْوُ عندَ رسولِ الله مَأْمولُ

١٠ مَهْلًا هداكَ الذى أعطاكَ نافِلَةَ الـ * ـقُرْآنِ فيها مواعيظٌ وتَفْصيلُ (٨)

---

(١) أوب : رجع ، تلفع : تلحف ، القور جمع قارة : الأكمة ، وقيل جبل يرتفع طولا ولا يرتفع عرضا . والعساقيل : السراب .

(٢) شمطاء : العجوز التى لا ترجو ولدا ، معولة : من العويل ، إنما أراد آمرأة نعى لها ولدها ، نكد جمع نكداء : التى لا يعيش لها ولد . مثاكيل جمع مثكال : التى فقدت أولادا كثيرة . ويروى الشطر الأول :

١٥ * شدّ النهار ذراعا عيطل نصف *

(٣) رخوة : مسترخية ، الضبع بسكون الباء : العضد ، يريد شديدة الحركة ، والمعقول : العقل .

(٤) تفرى : تشق ، اللبان : الصدر ، مدرعها قميصها : شبه الناقة بالمرأة التى تشق الثياب عن صدرها ، الرعابيل : المتخرقة المتمزقة .

(٥) تسعى من السعاية : وهى الوشاية ، بجنبيها : حولها ، ويروى : جنابيها .

٢٠ (٦) لا ألهينك : لا أشغلك عما أنت فيه . ويروى : «لا ألفينك» ؛ أى لا أكون معك .

(٧) الآلة : النعش . حدباء : معوجة .

(٨) النافلة ، قال ابن هشام : النافلة العطية المتطوع بها زيادة على غيرها ، وذلك إشارة إلى أن القرآن مع ما أنعم الله على نبيه به من العلوم العظيمة زيادة على تلك العلوم .

لا تأخُذَنّي بأقوالِ الوُشاةِ ولم * أذنبْ ولو كَثُرَتْ فيَّ الأقاويلُ
لقد أقومُ مَقامًا لو يقومُ به * أرَى وأسمعُ ما لو يَسْمعُ الفيلُ
لظَلَّ تُرْعَدُ مِن وَجْدٍ بوادِرُه (١) * إن لم يَكُنْ مِنْ رسول الله تَنْويلُ
حتى وَضَعْتُ يَميني ما أنازعها (٢) * في كَفِّ ذي نَقِماتٍ قَوْلُه القِيلُ
فلهُوَ أخوفُ عندى إذْ أُكَلِّمه * وقيلَ إنَّك مَنْسُوبٌ ومَسْئولُ (٣)
من ضَيْغَمٍ بِضَراءِ الأرضِ مُخْدَرُهُ * في بطن عَثَّرَ غِيلٌ دونه غِيلُ (٤)
يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرغامَيْن عيشُهما * لحمٌ من الناس مَعْفُورٌ خَرادِيلُ (٥)
إذا يُساوِرُ قِرْنًا لا يَحِلُّ له * أَنْ يَتْرُكَ القِرْنَ إلّا وَهْوَ مَفْلُولُ (٦)
منه تَظَلُّ حَميرُ الجَوِّ نافِرةً (٧) * ولا تَمَشّى بِوادِيه الأراجيلُ

(١) لظل ترعد جواب « لو » الأولى وهو دالّ على جواب « لو » الثانية ، الوجد : شدة الحزن . والبوادر : اللحم الذى بين العنق والكتف . والذى فى الشروح :

لظل يرعد إلا أن يكون له * من الرسول بإذن الله تنويل

تنويل ، من النائل : وهو العطاء ، والمراد هنا : العفو والأمان ، وفى السيرة الشامية بعد هذا البيت :

ما زلت أقتطع البيداء مدرعا * جنح الظلام وثوب الليل مسدول

(٢) أنازعها : أى وضعت يمينى فى يمينه وضع طاعة لا أنازعه . ويريد بصاحب النقمات : النبى صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه كان ينتقم من الكفار . القيل : القول الصادق .

(٣) منسوب : مسئول عما صدر منك ، ويروى : مسبور .

(٤) الضيغم : الأسد ، ضراء جمع ضار : من ضرى بكذا ولع به ، والمشهور كما فى الشروح : « بضراء الأسد مخدره » . عثر : موضع باليمن كثير الأسد ، والغيل : الشجر الملتف . ويروى :

* من خادر من ليوث الأسد مسكنه *

(٥) يلحم ضرغامين : يطعمهما لحم الناس ، معفور : ملقى فى العفر : التراب . خراذيل ، بمعجمة ومهملة : قطعا . (٦) القرن : مقاومك فى الشجاعة أو العلم ، يساور : يواثب ، مفلول : منهزم ، ويروى : « مجدول » : ملقى فى الجدالة وهى الأرض . (٧) الجو هنا : الوادى ، والبر الواسع ، ويروى ضامزة : ساكتة ، مكان « نافرة » . الأراجيل : جمع أرجال جمع رجل .

ولا يزالُ بواديه أخو ثقةٍ * مُطَرَّحُ البَزِّ والدِّرْسِين مأكول (١)

إنَّ الرسولَ لَنورٌ يُستَضاءُ به * مُهَنَّدٌ من سُيُوف الله مَسْلولُ (٢)

أغَرُّ أبْلَجُ يُستَسْقَى الغَمامُ به * كأنّ طَلْعَتَه فى الليل قِنديلُ (٣)

فى عُصْبةٍ من قريشٍ قال قائلُهم * ببطن مكةَ لَمَّا أسْلَمُوا زُولُوا (٤)

زالوا فما زال أنْكاسٌ ولا كُشُفٌ * عند اللِّقاءِ ولا مِيلٌ مَعازِيلُ (٥)

يَمشُون مَشْيَ الجِمالِ الزُّهْرِ يَعصِمهُمْ * ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابِيلُ (٦)

شُمُّ العَرانِين أبْطالٌ لَبُوسُهُم * مِن نَسْجِ داود فى الهيجا سَرابيلُ (٧)

بِيضٌ سَوابغُ قد شُكَّتْ لها حَلَقٌ * كأنّها حَلَقُ القَفْعاءِ مَجْدولُ (٨)

---

(١) البز : الثياب ، والسلاح . والدرسان : الثياب الخلقة ، ويروى : «مضرج» ، ومقتول .

(٢) الرواية المشهورة : «لسيف» ، وهذه الرواية أحسن ؛ لأن النور هو الذى يستضاء به ، مهند : مطبوع من حديد الهند .

(٣) أغر : أبيض الوجه بالنور ، أبلج : مشرق الوجه ، يستسق : يطلب الغيث به من الغمام وهو السحاب ، طلعته : أول ما يبدو منه ، القنديل : السراج .

(٤) يروى : «فتية» ، والمعنى واحد ، زولوا : انتقلوا من مكة إلى المدينة ، والعصبة : أراد به الجماعة لا العدد الذى هو من عشرة إلى أربعين .

(٥) أنكاس ، جمع نكس بكسر النون : الرجل الضعيف المهين ، كشف ، جمع أكشف : الذى لا ترس معه ، ميل جمع أميل : الذى لا سيف معه ، أو الذى لا يحسن الركوب ولا يستقر على السرج ، والمعازيل جمع معزال : الذى لا سلاح معه .

(٦) الزهر : البيض ، يعصمهم : يمنعهم ، عرد : فر ، ونكل ، وجبن ، التنابيل جمع تنبال : القصير .

(٧) العرانين : الأنوف ، الشمم : حدة فى طرف الأنف مع تشمير ، لبوسهم : لباسهم ، نسج داود : الدروع ، الهيجاء : الحرب ، سرابيل جمع سربال : القميص .

(٨) بيض : مجلوة صافية ، سوابغ جمع سابغ : الطويل التام ، شكت : أدخل بعض حلقها فى بعض وسمرت . ويروى : «سكت» : ضيقت ، القفعاء : شجر لها ورق وثمر مثل حلق الدروع ، مجدول : مفتول .

ليسوا مَفَارِيحَ إن نالتْ رِماحُهم * قوما وليسوا مَجَازِيعًا إذا نِيلُوا
لا يَقَعُ الطّعْنُ إلّا فى نُحُورِهمُ * وما لهم عن حِياضِ الموتِ تَهْلِيلُ (١)

قال ابن إسحاق : فلما قال كعب فى قصيدته : « إذا عَرَّد السُّودُ التنابيل » ، وإنما أراد معشر الأنصار ، وخصّ المهاجرين من قريش بمدحته ، غضبت الأنصار عليه ، فقال بعد ذلك يمتدح الأنصار من قصيدة له :

مَن سَرَّه كَرَمُ الحياةِ فلا يَزَلْ * فى مِقْنَبٍ (٢) مِنْ صالِحى الأنصارِ
ورِثوا المكارمَ كابرًا عن كابرٍ * إنّ الخِيارَ (٣) هُمُ بنو الأخيارِ
المُكْرِهِين السَّمْهَرِىَّ بأذرعٍ * كَسَوَالِفِ (٤) الهِنْدىِّ غيرِ قِصارِ
والناظرين بأعينٍ مُحْمَرَّةٍ * كالجَمْرِ غيرِ كَلِيلةِ الإبصارِ
والبائعين نفوسهم لنبيِّهم * للموتِ يومَ تَعانُقٍ وكِرارِ (٥)
يتطهّرون (٦) يَرَوْنه نُسُكا لهم * بدماء مَن عَلِقوا مِن الكفّارِ
دَرِبُوا كما دَرِبَتْ ببطنِ خَفِيَّةٍ (٧) * غُلْبُ الرِّقابِ من الأُسُودِ ضَوارِى
وإذا حَلَلْتَ ليمنعوك إليهمُ * أصبحتَ عند مَعاقِلِ الأغْفارِ (٨)

(١) تهليل : هروب من الحرب . (٢) المقنب : ألف وأقل ، قاله أبو عمرو . وقال الأصمعى : هم الجماعة من الفوارس نحو الثلاثين أكثر وأقل ، واحتج أبو عمرو بقول الجعدى : « بألف يكتب أو يقنب » . يكتب : يجمع . (٣) رواية الديوان « الكرام » .

(٤) كذا فى الأصل : وعبارة الديوان رواية السكرى « كصواقل » وفى رواية « كسوافل » .

(٥) كذا فى الأصل وابن هشام . ورواية ابن سلام « يوم الهياج وسطوة الجبار » وفى الأغانى « عند الهياج وسطوة الجبار » وفى ابن الأثير :

والباذلين نفوسهم ودماءهم * يوم الهياج وسطوة الجبار

(٦) رواية الديوان : * يتطهرون كأنه نسك لهم * . (٧) خفية : موضع كثير الأسد .

(٨) فى الديوان « زلت » . والأغفار : أولاد الأروى ، واحدها غفر بضم فسكون ، والأروى أنثى الوعل .

ضَربوا عَليًّا يــومَ بَدْرٍ ضربةً * دانت لوَقْعتِهـا جميعُ نِــزارِ (١)

لو يَعْـلَمُ الأقْــوامُ علمىَ كلَّه * فيهـم لَصدَّقنِي الذين أُمارِى

قـومٌ إذا خَوَت النجومُ فإنهـم * للطارِقين النـازلِـين مَقَـارِى (٢)

قال ابن هشام : ويقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشد « بانت سـعاد فقلبي اليوم متبول » : ”لولا ذكرتَ الأنصار بخير، فإنّ الأنصار لذلك أهل“ .

ذكر حج أبي بكر الصدّيق رضى الله عنه بالناس
وأذان علىّ رضى الله عنه بسورة براءة

قال : وفى ذى القعدة سنة تسع من الهجرة، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصدّيق رضى الله عنـه أميرا على الحاج ليقيم للمسلمين حجهـم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم، فخرج أبو بكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين، ثم نزلت سورة براءة فى نقض ما بين رسـول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذى كانوا عليـه فيما بينهم وبينـه، ألّا يُصَدّ عن البيت أحدٌ جاءه ولا يُخاف أحدٌ فى الشهر الحرام، وكان عهدا عاما بينـه وبين الناس من أهـل الشرك، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : ”اخرج بهذه القصة من صدر براءة، فأذِّنْ فى النـاس يوم النَّحْر إذا اجتمعوا بمنًى

(١) علىّ : قالوا هو على بن بكر بن وائل . ويقال : على أخو عبـد مناة بن كنانة بن خزيمة من أمه . (شرح ديوان كعب للسكرى) . وفى هامش الأصل : « علىّ هذا الذى ذكره، هو على بن أمية ابن خلف » .

(٢) المقارى : الذين يقرون الضيف . ويروى فى الديوان :

وهم إذا خوت النجـوم فإنهم * للطائفين السائلين مقارى

أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدّته " نخرج علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العَضْباء حتى أدرك أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه بالطريق، فلما رآه أبو بكر رضى الله عنه قال: أمير أو مأمور؛ قال: بل مأمور، ثم مضيا، فأقام أبو بكر رضى الله عنه للناس حجهم، وذلك فى ذى القعدة، حتى إذا كان يوم النحر قام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، فأذن فى الناس بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: «أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحجّ بعد العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عَهد فهو له إلى مدته» وأجّل الناس أربعة أشهرٍ من يوم أذّن فيهم ليرجع كل قوم إلى مأمَنهم وبلادِهم[(1)]، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمّة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدّة فهو له إلى مدته، فلم يحج بعد ذلك العامِ مُشرِك، ولم يطف بالبيت عُريان، ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حوادث السنة العاشرة

فيها كانت حَجّة الوداع، سنذكرها إن شاء الله تعالى فى حجّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفيها نزل فى يوم جمعة قوله عزّ وجلّ: ﴿ اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[(2)]. وفيها نزلت: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾[(3)]

(١) فى ابن هشام: «أو بلادهم». (٢) سورة المائدة ٣

(٣) سورة النور ٥٨

الآية . وكانوا لا يفعلونه قبل ذلك . وفيها مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول . وفى كل سنة من هذه السنين العشر غزوات وسرايا ووقائع تُذكر إن شاء الله تعالى فى مواضعها؛ والله المستعان الهادى .

* * *

صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع عشر فى الأصل الثانى المرموز له بحرف (ا)

« كمل الجزء الرابع عشر من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب؛ للشيخ الإمام شهاب الدين أحمد النُّويرىّ رحمه الله تعالى، على يد كاتبه أضعف الخلق وأحقرهم إلى الرحمة، نور الدين بن شرف الدين العاملىّ بلدا، الشافعىّ مذهبا، غفر الله له ولوالديه، ولمن يطالعه ويدعو له . آمين » .

* * *

تم بعون الله تعالى تحقيق الجزء السادس عشر من كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » من تجزئة طبعة دار الكتب المصرية فى يوم الخميس ١٧ من جمادى الثانية سنة ١٣٧٤ ﻫ الموافق ١٠ من فبراير سنة ١٩٥٥ م .

ويليه الجزء السابع عشر، وأوله : « ذكر غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم » .



فهـــرس المراجـــع

الاستيعاب لابن عبد البر ، حيدرآباد ١٣١٨

أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، الوهبية ١٢٨٠

الاشتقاق لابن دريد ، جوتنجن ١٧٥٤ م

الإصابة فى تمييز الصحابة ، الشرفية ١٣٢٧

الأصنام لابن الكلبى ، دار الكتب المصرية ١٣٤٣

الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، بولاق ١٢٨٥

الاكتفا بما تضمنه من مغازى المصطفى ، مخطوطة دار الكتب ٢٤٤٢ حديث .

الإكمال لابن ماكولا ، مخطوطة دار الكتب ٨ مصطلح .

الإنباه على قبائل الرواه لابن عبد البر نشره القدسى ١٣٥٠

الأنساب للسمعانى ، ليدن ١٩١٢م .

البداية والنهاية لابن كثير ، السعادة ١٣٥١

تاريخ ابن الأثير ، بولاق ١٢٩٠

تاريخ الخميس للديار بكرى ، الوهبية بمصر ١٢٨٣

تاريخ دمشق لابن عساكر ، مخطوط دار الكتب ١٠٤١ تاريخ تيمور .

تاريخ الطبرى ، الحسينية بالقاهرة ١٣٣٦

تاريخ اليعقوبى ، النجف ١٣٥٨

تهذيب الأسماء واللغات للنووى ، المنيرية بالقاهرة .

تهذيب التهذيب ، حيدرآباد ١٣٢٧

تهـذيب الكمال للمزى ، مخطوطة دار الكتب المصرية ٢٥ مصطلح .

التيجان فى ملوك حمير ، حيدرآباد ١٣٤٧

ثمرات الأوراق لابن حجة ، الوهبية ١٣٠٠

الجامع الصغير للسيوطى ، بولاق ١٢٨٦

جمهرة الأنساب لابن حزم ، المعارف ١٩٤٨ م

حلية الأولياء لأبى نعيم ، السعادة ١٣٥٧

الحماسة بشرح التبريزى

حياة الحيوان للدميرى ، البابى الحلبى ١٣٠٥

الخبر عن البشر للقريزى ، مخطوطة دار الكتب ٩٤٧ تاريخ .

خزانة الأدب للبغدادى ، بولاق ١٢١٩

خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجى ، بولاق ١٣٠١

خير البشر لابن ظفر ، القاهرة ١٢٨٠

خير البشر ، مخطوطة دار الكتب ١٥ مجاميع

دلائل النبوة للبيهقى ، مخطوطة دار الكتب المصرية ٢١٢ حديث .

دلائل النبوة لأبى نعيم ، حيدرآباد ١٣٢٠

الروض الأنف للسهيلى ، الجمالية بمصر ١٣٣٢

السيرة الحلبية ، مصر ١٣٢٠

السيرة النبوية لابن هشام ، مصطفى الحلبى ١٣٥٥ ، وجوتنجن ١٨٦٠ م .

شرح السيرة للخشنى ، هندية ١٣٢٩

شرح الشفاء للخفاجى = نسيم الرياض .

شرح الشفاء للشمنى = مزيل الخفا .

شرح المواهب اللدنية للزرقانى ، بولاق ١٢٧٨

صفة الصفوة ، حيدرآباد ١٣٥٥

طبقات ابن سعد ، ليدن ١٣٢١

طبقات القراء ، السعادة ١٣٥١

عيون الأثر لابن سيد الناس نشره القدسى ١٣٥٦

الكامل فى الضعفاء لابن عدى ، مخطوطة ٩٦ مصطلح .

كنوز الحقائق للمناوى ، مصر ١٣٠٥

مجمع الأمثال للميدانى ، بولاق ١٢٨٤

المحبر لابن حبيب ، حيدرآباد ١٣٦١
مزيل الخفا عن ألفاظ الشفاء للشمنى ، مخطوطة دار الكتب ٣٧٥ حديث .
المعارف لابن قتيبة ، الحسينية ١٣٥٣
معجم البلدان ، السعادة ١٣٢٤
معجم الطبرانى ، مخطوطة دار الكتب ١٣٥٣ حديث .
المعمرين لأبى حاتم ، السعادة ١٣٢٣
المقتفى من سيرة المصطفى لبدر الدين بن حبيب الموصلى ، مخطوطة دار الكتب ٣٠٩ تاريخ .
المقدمة الفاضلية ، مخطوطة دار الكتب ١٩ تاريخ .
الميسر والقداح لابن قتيبة ، السلفية
نسب قريش ، مخطوط دار الكتب ٤١٥١ تاريخ .
نسب معد لابن الكلبى ، مخطوطة ٩٩٥٩ تاريخ .
نسيم الرياض ، الآستانة ١٢٦٧
النهاية لابن الأثير ، بولاق ١٣١١
الوافى بالوفيات ، مخطوطة دار الكتب ١٢١٩ تاريخ .
وفيات الأعيان ، بولاق ١٢٩٩

الخطأ والصواب

س	ص	الخطأ	الصواب
١٢	٣	طابجة	طابخة
٢	٤	نبت ابن حمل	نبت بن حمل
٧	٤	قينان ابن مهلائيل	قينان بن مهلائيل
٨	٧	أَمِرَ	أَمَر
٦	١٢	صلْبُه	صُلبه
٢٠	١٢	تابع العروس	تاج العروس
٤	١٣	حزيمة	خزيمة
٩	١٣	الحشنى	الخشنىّ
٥	٢١	سلول بن كعبَ	سلول بن كعبٍ
١	٣٨	توأمان	توءمان
١٤	٤٣	تذمَ	تذمُّ
٢١	٤٧	المسير	الميسر
٦	٤٩	تشرُكونهم	تشركونهم
١٢	٤٩	أنفذن	أنفدن
١٣	٥١	السادنٍ	السادنِ
١	٥٧	خطبه	خطب
٦	٥٧	القائل ابن سعد ... الخ	القائل ابن عبد البر ١ : ١٢
٨	٦٢	وَهّب	وَهْب
١٤	٦٤	الزَّهرى	الزُّهرى
١٠	٨٢	قال	قالت
٢١	٨٧	١ : ٧٧	١ : ٧٣

س	ص	الخطــأ	الصــواب
٨	٩١	يعــزف	يعــرف
٧	٩٣	فإنى كنت إذ أنا	فإنى كنت أجتنيه إذ أنا
١١	١٠٢	خبر التحدى	خبر النجدى
٢٠	١٠٧	فاران جبال مكة	فاران مكة
١٢	١١٠	تكذَّب	تكذِّب
١٥	١٢٦	اختيارَهم	اختيارِهم
١١	١٤٠	فاحتفط	فاحتفظ
٣	١٤٢	بخيهـــلا	فخيهـــلا
٩	١٤٢	بعثتم شئتم	بعثتم إذا شئتم

* * *

بعون الله و جميل توفيقه قد تم طبع الجزء السادس عشر من كتاب
"نهاية الأرب فى فنون الأدب" بمطبعة دار الكتب المصرية فى شهر شعبان
سنة ١٣٧٤ هـ (مارس سنة ١٩٥٥ م) م

محمود عثمان الرزاز

مراقب المطبعة بدار الكتب المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٢٠١/١٩٤٩/٢٠٠٠)